



المسائل والفوائد والقواعد النجفية

في
معارف الإمامية

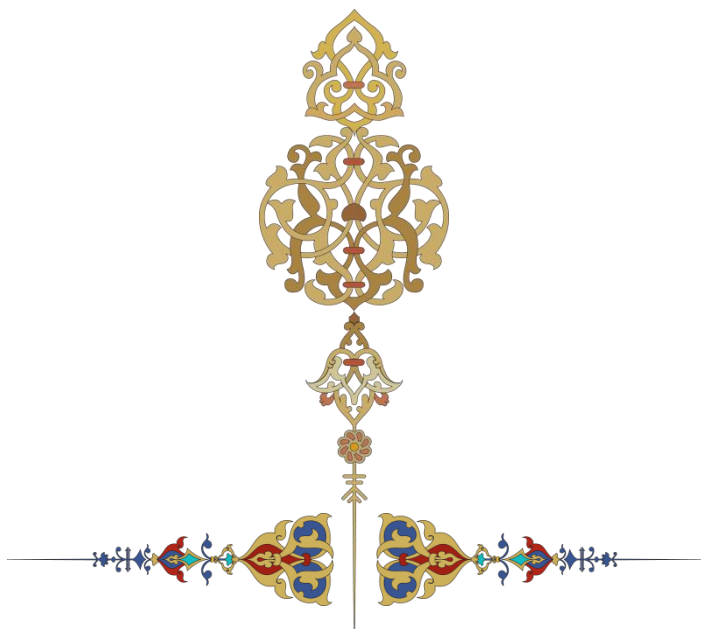
الجزء الثاني

بقلم

الشيخ كامل بدر الحلفي



المسائل
والفوائد والقواعد النجفية
في
معارف الإمامية



المَسَائِلُ والفوائد والقواعد
النَّجْصِيَّةُ
في
مَعَارِفِ الإمامِيَّةِ

الجزء الثاني

بقلم
الشيخ كامل بدر الحلفي



أسم الكتاب /

المَسَائِلُ وَالضَوَائِدُ وَالْقَوَاعِدُ
النَّجْفِيَّةُ

فِي

مَعَارِفِ الْإِمَامِيَّةِ

ج ٢

بقلم /

الشيخ كامل بدر الحلفي

سنة الطبع /

١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٤ م

الطبعة / الأولى

التنضيد والإخراج الفني:

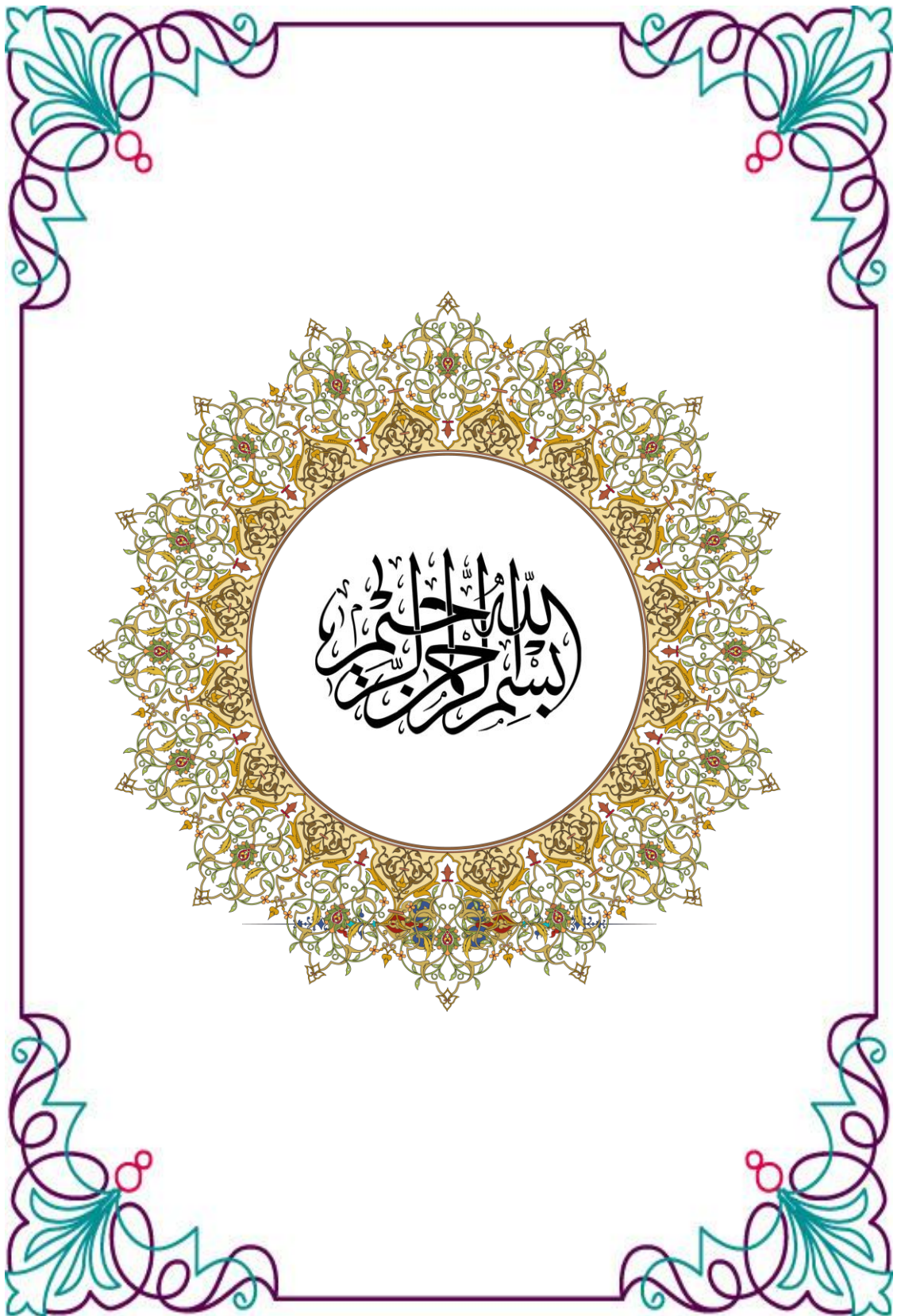
المهندس / يوسف الخزعلي

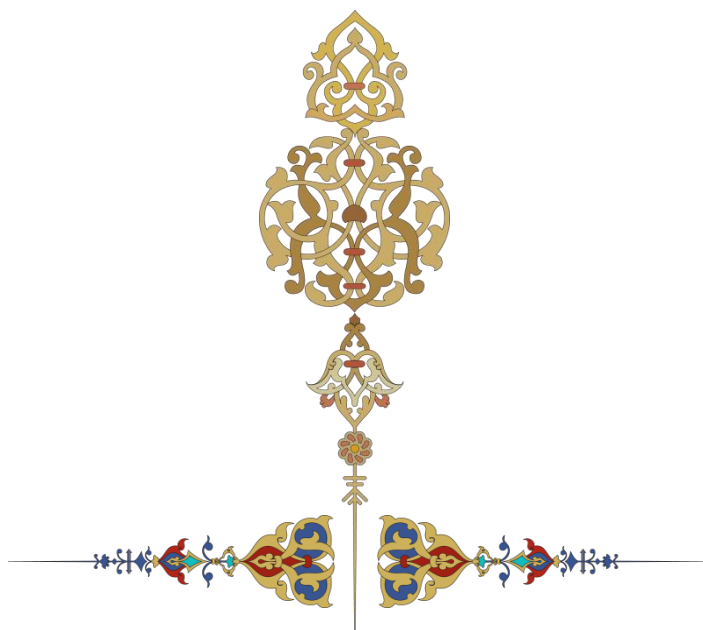
(٠٧٨١١٣٥٢٠٧٣)



مَحْفُوظٌ
جَمِيعُ الْحَقُوقِ







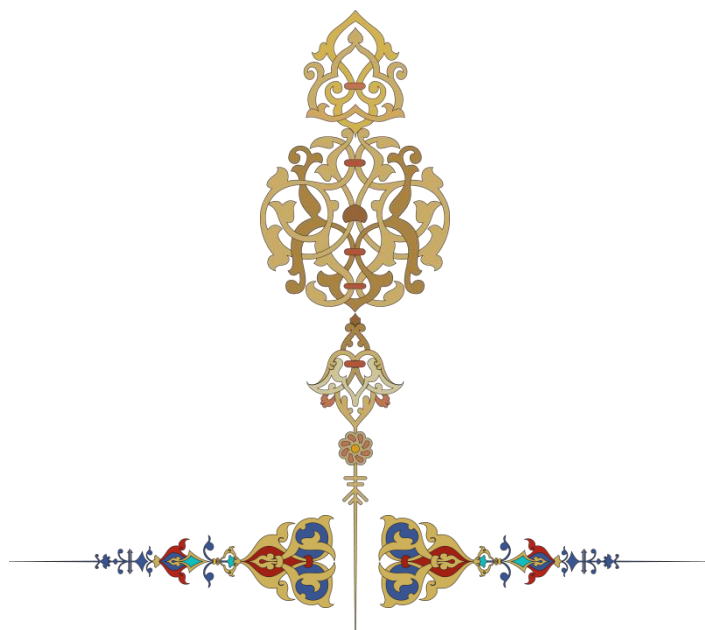
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١)

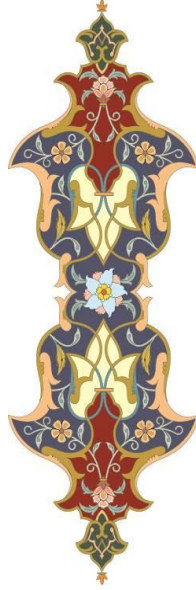
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ
يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا
الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ
الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)﴾

[الفاتحة: ١ - ٧]

صدق الله العلي العظيم







البَابُ الثَّانِي

لسان ومصطلحات المعرفة ونظام اللُّغوي فيها
نظام القراءات في النصِّ الديني^(١)

وفيه :

ثمانية عشر مسألة

ومائة وثلاث وسبعون فائدة

(١) هذان العنوانان مترادفان على معنى واحد. ونكتة التَّكثُّر والتَّعَدُّد؛ لأجل الإيضاح، كما تقدَّم.



المسألة: (١٠/١)

[حقيقة الوضع]

[قاعدة: (خذ الغايات واترك المبادئ)]

هناك تساؤل ومبحث معرفي خطير جداً^(١)، مرتبط بمبحث لغوي، حاصله: هل الألفاظ موضوعة لحصص ومصاديق المعاني بقيد الوجودات والمصاديق الحسيّة المألوفة أو لا؟ فلفظ (اليد) مثلاً: هل هو موضوع لخصوص الجارحة أو لغاياتها أيضاً؟

وقد طُرِحَ هذا التساؤل قديماً في مباحث: الأدب والبلاغة واللغة بالشكل التالي: هل الألفاظ موضوعة لمبادئها ومصاديقها^(٢) الحسيّة المنسب

(١) ينبغي الالتفات: أنّ البناء المعرفي للإنسان أمر ضروري؛ لأنّ المسير بعد الموت طويل، بل لا نهاية له أبداً، ويحتاج فيه لقطع عوالم مهولة وخطيرة وعظيمة جداً، وتكون المعرفة الحقّة هي بذرة المشاهدة فيها.

(٢) المراد من المبادئ: مصاديق الشيء، فيكون هذا العطف عطفًا تفسيريًا.

إليها الذهن^(١) في بدو الأمر فقط، أو أنّها موضوعة للأعمّ منها ومن الغايات ذات المعنى العام؟

فعلى القول الأوّل يكون إطلاق اللفظ واستعماله في الغاية إطلاقاً مجازياً. بخلافه على القول الثّاني - وهو المختار -، ومن ثمّ قالوا بقاعدة: «خذ الغايات واترك المبادئ».

والمراد من (الغايات): المعاني المجردة عن شوائب وأعراض المصاديق. والمراد من (المبادئ): المصاديق الماديّة الحسيّة. فيكون معنى القاعدة: أنّ الأصل في وضع الألفاظ لمعانيها^(٢): أنّها وضعت للمعاني غير المشوبة

(١) ليس المراد من عنوان ولفظ: (الذهن) الوارد في أبواب المعارف المخ، بل الرّوح. والمراد من عنوان ولفظ: (الأفئدة) الوارد أيضاً في أبواب المعارف: الأرواح، ويُطلق أيضاً على طبقات الرّوح الصّاعدة.

(٢) لا بأس بالالتفات في المقام إلى أنّ هناك محلّ جدل آخر جرى بين اللّغويين في وضع الألفاظ لمعانيها؛ نتجت عنه نظريّات، تعرّض لها علماء أصول الفقه في مبحث استعمال الألفاظ.

ولهذا المبحث تأثير مهمّ في علوم شتّى، منها: علم فقه الفروع، وعلم العقائد، وعلم المعارف، وعلم التّفسير، والعلوم الغريبة.

والنظريّات:

- ١- إنّ جميع الألفاظ موضوعة للوجودات الخارجيّة.
- ٢- إنّ جميع الألفاظ موضوعة للمعاني والوجودات الذهنيّة.
- ٣- التّفصيل بين أسماء الأعلام؛ وأنّها موضوعة للوجودات الخارجيّة، وأسماء الأجناس؛ وأنّها موضوعة للمعاني والوجودات الذهنيّة.

بخصوصيات وأعراض المصاديق المادية الحسية، فمعنى: (خذ الغايات)، أي: خذ المعاني السابحة الكلية، (واترك المبادئ)، أي: أترك المصاديق الحسية والمادية، والأجسام والأبدان^(١)، وقشور المعاني وسطوحها وثقلها المادي.

→ ٤- التوفيق بين النظريات المتقدمة؛ وأنَّ لكلَّ من الوجودات الخارجية والوجودات الذهنية دوراً في الوضع.

(١) يجدر الالتفات في المقام إلى القضايا التالية:
القضية الأولى:

مُصطلح الجسم

يُطلق مصطلح (الجسم) لدى أصحاب علم الفيزياء وسائر العلوم الطبيعية ويُراد منه: المخلوقات المادية صاحبة المادة الغليظة فحسب. بخلاف المخلوقات المادية اللطيفة؛ فإنَّها قوى وطاقات مُجرَّدة؛ وليست من عالم الأجسام. ويُطلق - مُصطلح الجسم - لدى أصحاب العلوم العقلية - كعلم: الفلسفة، والكلام، والعرفان - على جملة المخلوقات المتَّصفة ب: الكم والطول والعرض والعمق الجوهرى، والكم والطول والعرض والعمق العرضي. ومرادهم من (العمق الجوهرى): ثخن الجوهر.

وعليه: فيشمل مُصطلح (الجسم) - بحسب هذا الاصطلاح - إضافة للمخلوقات صاحبة المادة الغليظة - يشمل أيضاً - القوى والطاقات، ك: النَّار والهواء والكهرباء والمغناطيس وكافة أنواع الأشعة، لأنَّ للجميع مجالاً ومدى وطولاً وعرضاً وعمقاً ومادةً لطيفةً غير مرئية.

إذَّن: المجال المغناطيسي وما شاكلة يعني: أبعاد؛ فتكون أجساماً باصطلاح لغة العقل.

→ هذا وقد وقع العلامة الطباطبائي في نهاية الحكمة - بحث الماهية والجنس والفصل - في غفلة، وخلط بين الإصطلاحين، فقد جعل المادّة في قبال الجوهر الجسماني، وهذا لا يُناسب إصطلاح أصحاب العلوم العقلية، وإنّما يناسب إصطلاح أصحاب العلوم الطبيعية.

القضية الثانية:

للجسم أبعاد عرضية وجوهرية
 إنّ للجسم أبعاداً عرضية - طول، وعرض، وعمق (ارتفاع)، وزمان - وأبعاداً جوهرية - بُعد وثخن جوهرية؛ أي: ثخن متن الجوهر، وطول جوهرية، وعرض جوهرية، وعمق جوهرية، وارتفاع جوهرية - .

القضية الثالثة:

إعتقاد أصحاب علم الفيزياء في جسمانية الطّاقات
 اتّضح ممّا سبق: أنّ أصحاب علم الفيزياء كانوا يعتقدون أنّ الطّاقات ليست من عالم الأجسام، لكنّه في السنين الأخيرة تراجعوا وبدؤوا يقولون بأنّها أجسام عقلية، أي: يدركها العقل.

وبعبارة أخرى: أنّ المصطلح المستحدث للجسم عند الفيزيائيين يكاد يتقارب مع الإصطلاح العقلي: الفلسفي والكلامي، ومن ثمّ عدّوا - أخيراً - الهواء والصوت والمغناطيس وكافة أنواع الطّاقات أجساماً، غايتها أجسام لطيفة غير مرئية بالأبعاد الجسمانية الثلاثة: (الطول والعرض والعمق (الارتفاع)).

وبالجملة: كان يعتقد أصحاب علم الفيزياء أنّ الطّاقات والقوى الطاقية - كالصوت، والضوء، والهواء، والذّرة، والكهرباء، والمغناطيس، والأشعة، والقوى الطّاردة عن المركز، والقوى الجاذبة إلى المركز وهلمّ جرّاً من أنواع وأجناس الطّاقات - ليست من عالم الأجسام، لكنهم - وقبل عقدين من الزمان - لاحظوا - ومن خلال العين المسلّحة - أنّ لها أشكالاً وأبعاداً غير مرئية بأدوات حسّ البدن ←

→ الغليظ، ومن ثمّ تغيّرت نظرتهم ومبانيهم وتعريفهم لحقيقة الجسم، وعدّوا الطّاقات والقوى المختلفة من عالم الأجسام اللطيفة.

إذن: كان أصحاب العلوم الطبيعيّة - كالفيزيائيين - ولقرون متهادية من البحث العلمي يبنون على أنّ الطّاقات الماديّة الموجودة في النشأة الأرضيّة - ك: الطاقة المغناطيسيّة والطاقة الكهربائيّة والطاقة الالكترونيّة - مجرّدات عن مطلق الجسميّة، لكنّه وبعد تطوّر العلوم والاكتشافات ومن خلال أجهزة الرصد المسلّحة أثبت البحث العلمي الفيزيائي والطبيعي: أنّها أجسام لطيفة لا تُرى بالعين المجرّدة، لها ألوان وروائح وأبعاد الجسم الثلاثة - طول وعرض وعمق (ارتفاع) -، ولها حيّز، ومكان، وزمان.

وسبب إزطام أصحاب العلوم الطبيعيّة - كالفيزيائيين - بما سبق: أنّ طبيعة الجسم الأغلط يحسب أنّ الألف منه من عالم الأجسام - ونتيجة تجرّده النسبي عن المادّة الأغلط، وسرعة حركته، وعدم تمكّنه من ملاحظتها والإحساس بها؛ وكأنّها كن فيكون - أنّه مجرّد تجرّداً تاماً. وهذا أحد غفلات العقل.

القضيّة الرّابعة:

الطّاقات على أجناس وأنواع

إنّ الطّاقات على أجناس وأنواع مختلفة جدّاً، وكلّ طاقة لها مدى جغرافي - عرض وطول وعمق (ارتفاع) -.

القضيّة الخامسة:

الطّاقات والجواهر الخفيّة أقوى تأثيراً من الطّاقات والجواهر المريّة

بات الآن في علم الفيزياء والعلوم التجريبيّة: أنّ الطّاقات والجواهر غير المريّة - وإن كانت دنيويّة هي - أقوى تأثيراً وآثاراً وهيمنة من الأجسام المريّة الغليظة؛ فإنّه كلّما غلظ الجسم كلّما ضعف، والعكس بالعكس.

→ القضية السادسة:

الضوء وما شاكلة من عالم الأجسام في اللغة العقلية
 اتضح مما تقدم: أن الضوء والصوت والروائح والطاقات والقوى وما شاكلةا يُعدُّ
 في اللغة العقلية من عالم الأجسام؛ لِاتِّصافها بأحكام الجسم العامة، فلها طول
 وعرض وعمق وحيز، وكلُّ شيءٍ اتَّصف بهذه الأحكام فهو إمَّا جسم أو جسماني.
 ومنه تتضح: كثير من بيانات الوحي، منها:

بيان قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: ٢].
 فانه مُشير إلى أن السماء رُفعت بعمدٍ وطاقات وقوى، لكنَّها غير مرئية.

أُمور لا بأس بالالتفات إليها في المقام

ثمَّ إنَّه لا بأس في المقام بالالتفات إلى الأمور التالية:
 الأوَّل: أنَّه اعترف أصحاب العلوم الحديثة: أنَّ ما تراه العين في السماء من لون
 يميل إلى الزرقة ليس هو لون أو جسم السماء الأولى، بل تلوينات ناتجة عن
 الغلاف الجوي المحيط بالكرة الأرضية.

الثاني: أن السَّمَاوَاتِ والأرضين أبدان للملائكة، ولها نفوس كُليَّة، وشعور وتأثُّر.
 مثاله: السَّمَاءُ الأولى؛ فَإِنَّهَا بدن للملك إسماعيل عليه السلام، ونفسها نفسه.

وهذا ما تشير إليه بيانات الوحي، منها:
 بيان قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ [الدخان:
 ٢٩].

ودلالته قد اتَّضحت: وليس في هذا التعبير نحو تجوُّز، بل كشف عن حقيقة. بل
 شعورها وتأثُّرها أشدُّ بمراتب من شعور وتأثُّر النفوس الجزئية، وطريقة ونمط
 بكاؤها: إحمراها.

الثالث: أنَّ (سدره المنتهى): عالم من العوالم الجسمانية اللطيفة بعد وفوق السَّمَاءِ
 السَّابعة، بل بينهما عوالم وحُجُب جسمانية نورية أخرى عديدة.

→ هذا وذهب البعض إلى الوحدة بين (سدرۃ المنتهى) و(شجرة طوبى)، لكن الحق: عدم الاتحاد، فإن حقيقة سدرۃ المنتهى مغايرة لحقيقة شجرة الطوبى.
القضية السابعة:

الفارق بين مُصطلح الجسم ومُصطلح الجسماني
الفارق بين عنوان ومُصطلح (الجسم)، وعنوان ومُصطلح (الجسماني): أن الجسم يُطلق في اللغة العقلية على الشيء المتَّصف بالأبعاد الثلاثة - الطول، والعرض، والعمق (الارتفاع) - .
أما الجسماني فيُطلق أيضاً على الشيء العارض على الجسم والمتعلّق به والمتعانق معه.
القضية الثامنة:

مُصطلح الجسم الكل
يُعبر عن (الجسم الكل) في البحوث العقلية القديمة وعلوم المعارف بـ: «الجسم المحيط» و«الجسم المحدّد للجهات».
وعُبر عنه بـ: (محدد الجهات) لكونه آخر العوالم الجسمانية، فيُحدّد ما دونه من جميع الجهات الجغرافية.
وقد اختلف في مُنتهاه، فذهب الفلاسفة والفلكيين: أنه: (السَّماء السَّابعة). وذهب آخر كالمرداماد: أنه: (سدرۃ المنتهى).
والحق وما يستفاد من بيانات الوحي: أنه فوق ذلك بعوالم كثيرة تتخطّى العرش.
فانظر: بيانات الوحي، منها:

بيان الإمام الباقر (صلوات الله عليه): «كان الله ولا شيء غيره، ولا معلوم ولا مجهول، فأول ما ابتدأ من خلق خلقه أن خلق مُحَمَّدًا ﷺ، وخلقنا أهل البيت معه من نوره وعظمته ... ثُمَّ بدا لله تعالى أن يخلق المكان فخلق، وكتب على المكان: لا إله إلا الله، مُحَمَّد رسول الله، عَلِيٌّ أمير المؤمنين وصيّه ... ثُمَّ خلق الله العرش ...
بحار الأنوار، ٢٥: ١٧/ح ٣١.

→ ودلالته واضحة على أنَّ المكان - وهو من عالم الأجسام - قد حُلِقَ في العوالم السابقة قبل العرش، فيكون - المكان - مُتقدِّماً وجوداً وفوق العرش. وعليه: فيكون العرش بالأولى من عالم الأجسام، نعم من عالم الأجسام اللطيفة.

القضية التاسعة:

الفارق بين مصطلحات (الجسم) و(الصُّورة) و(الصُّورة الجوهرية) و(الصُّورة العرضية)

هناك عناوين وحيانيَّة واصطلاحات كلاميَّة وعرفانيَّة وعقليَّة، تحكي عن مُقدِّمات عقليَّة متداولة عقلاً في العلوم العقليَّة، والعلوم التجريبيَّة، تأتي في أبواب عوالم الأجسام يجدر صرف النظر إليها، والتعرُّف عليها، ثمرة جدًّا في معرفة عوالم الأجسام؛ ليلتفت - من خلال الإطّلاع عليها - إلى الإشارات الإرشاديَّة المعرفيَّة والعقليَّة الموجودة في بيانات الوحي، النَّافية للجسميَّة والصُّورة عن ساحة القدس الإلهيَّة.

وهناك فارق بين عنوان (الجسم) وعنوان (الصُّورة الجوهرية)؛ حاصله: أنَّ عنوان (الجسم) يُطلق في هذه المعارف والعلوم ويُراد به مجموع الصُّورة الجوهرية والمادَّة. وهناك فارق بين الصُّورة الجوهرية والصُّورة العرضية؛ فإنَّ المراد من الصُّورة العرضية: صاحبة

الأبعاد الثلاثة - الطول والعرض والعمق (الارتفاع) -، والمراد من الصُّورة الجوهرية: الإمتداد والثنى الجوهرية، أي: ثنن المتن، ومن ثَمَّ تكون الصُّورة الجوهرية موضوع للصُّورة العرضية، ومعناه: أنَّ للصُّورة الجوهرية كيانه قوَّاماً بحاله؛ لا يعتمد على الصُّورة العرضية، بخلاف الصُّورة العرضية؛ فليس لها قِوام بحاله مُستقل عن الصُّورة الجوهرية.

الفارق بين الصُّورة الجوهرية والمادَّة الجوهرية

وهناك فارق بين مُصطلح (الصُّورة الجوهرية) ومُصطلح (المادَّة الجوهرية)، حاصله:

→ أَنَّ مُصْطَلَح (الصُّورَة الجوهريّة) يُطْلَق ويُراد منه: متن وبطن وثخن جوهر الجسم. بخلاف مُصْطَلَح (المادّة الجوهريّة)؛ فَإِنَّهُ يُطْلَق ويُراد منه عدّة معاني، أحدها - وهو المراد هنا -: الشيء القابل للانقسام الجوهري الكمّي، فالكم هو الذي ينقسم. ومنه يتّضح: أنّه كما يوجد مقدار وكم عرضي يوجد أيضاً مقدار وكم جوهري - أي: امتداد وثخن جوهر الجسم -.

إِذَنْ: وَإِنْ كَانَ الْأَصْلُ فِي إِطْلَاقِ عِنْوَان (الكم) عَلَى الْكَمِ الْعَرْضِيِّ، لَكِنَّهُ يُطْلَقُ أَيْضاً عَلَى الْمَقْدَارِ وَالْكَمِ الْجَوْهَرِيِّ - أي: إِمْتِدَادِ وَثَخْنِ جَوْهَرِ الْجِسْمِ - . وَعَلَيْهِ: تَكُونُ الصُّورَة - هَذَا اللَّحَاط - كَمَ وَمَقْدَارَ جَوْهَرِيٍّ؛ فَتُلاحَظُ أبعاد الجسم - لا من جانب خارج وبشكل عرضيٍّ وطارئٍ عَلَى المادّةِ وَمتنِ الجوّهرِ والجسمِ، بل - من جهة متن وبطن وثخن الجسم، وهذا بُعد جوهريّ.

وَيَنْبَغِي الْإِلْتِفَات: أَنَّ الْمُسْتَفَادَ مِنْ بَيِّنَاتِ رَوَايَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ (عليه السلام): أَنَّ الصُّورَ لَا تُطْلَقُ إِلَّا عَلَى الْجِسْمِ اللَّطِيفِ.

القضية العاشرة:

الفارق بين عنوان (الصُّورَة الجوهريّة) و(الجسم)

قَدْ تَسْأَلُ وَتَقُول: إِنَّ الصُّورَة الجوهريّة بعدما كانت جَسَمَانِيّةً فَمَا الْفَارَقُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْجِسْمِ؟.

وَالْجَوَابُ: أَنَّ مُصْطَلَحَ الْجِسْمِ يُطْلَقُ لَدَى غَيْرِ أَصْحَابِ الْمَدَارِسِ الْعَقْلِيَّةِ وَيُرَادُ مِنْهُ: الْجِسْمُ الْغَلِيطُ.

وَمُصْطَلَحُ الصُّورَة يُطْلَقُ أَيْضاً وَيُرَادُ بِهِ الْجِسْمُ اللَّطِيفُ، فِي قِبَالِ الْجِسْمِ الْغَلِيطِ. وَيُطْلَقُ مُصْطَلَحُ الْجِسْمِ لَدَى أَصْحَابِ الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ - كَالْفَلَسَفَةِ وَالْمَنَاطِقَةِ - وَيُرَادُ بِهِ: كُلُّ مَخْلُوقٍ انْصَفَ بِالْأَبْعَادِ الثَّلَاثَةِ - الطول، والعرض، والعمق (الإرتفاع) -.

→ ويُطلق مصطلح الصورة أيضاً - لدى أصحاب العلوم العقلية كالفلاسفة والمناطق - ويراد به - بحسب قناعاتهم في التجرد -: المخلوقات والفصول المجردة عن الجسمية. ومن ثم عرّفوا العلم الحسولي: «الصورة الحاصلة في الذهن»، ومقصودهم من مصطلح (الصورة) المأخوذ في هذا التعريف: ما يعمّ المخلوقات المجردة؛ كالعقل بحسب مبانيهم في التجرد وما فوقه، والأسماء والصفات الإلهية.

القضية الحادية عشرة:

لكل جسم زمان بحسبه

إنّ من القضايا العقلية والفيزيائية المسلمة: (أنّ لكلّ جسم زماناً بحسبه)؛ فزمان الجسم الغليظ بطيء، وزمان الجسم اللطيف لطيف.
القضية الثانية عشرة:

منتهى العالم الجسماني

ذهب الكثير من فلاسفة الشيعة: أنّ منتهى العالم الجسماني عند سدره المنتهى، لكنّ المستفاد من بيانات أهل البيت (عليه السلام) بطلان هذه الفرضية، وتسميتها بـ: (سدره المنتهى) لأمّ آخر ذكرته بياناتهم (عليه السلام) أيضاً.
والحقّ: أنّ منتهى العالم الجسماني حزورة معرفية غامضة لا زالت أجيال من علماء الإمامية تبحث عنه. وربّما مباحث الروح تُعين في هذا المجال؛ فإنّ الفلاسفة وإنّ ذهبوا إلى تجرّدها - الروح - تجرّداً تاماً عن الجسمية والمادّة، لكن الثابت في بيانات أهل البيت (عليه السلام): أنّها: «جسم لطيف».
القضية الثالثة عشر:

الجسم الحسي

لدى كلّ إنسانٍ جسم دنيوي طاقيّ وشعاعيّ داخل في هذا البدن الغليظ، ويُصطلح عليه في العلوم الروحية الفيزيائية الغربية الحديثة بـ: (مادّة ←

→ الاكتوبلازما)، ويُصطلح عليه في مباحث المعارف بـ: (الرُّوح البخاري)، يعني: جسم مُتروِّح ومُتلطَّف كالبخار، وعُبر عنه بذلك لكون لون شعاعه أبيضاً. القضية الرابعة عشرة:

تكوُّن الإنسان في الرَّحم التحام بين جسمين طاقَّين

ثبت في العلوم الرُّوحية الحديثة - من خلال مسح أجهزة الاشعاع والتحليل المُختبري لمئات المرات - حقيقة مُشاهدة، حاصلها: أنَّ بدء تكوُّن الإنسان في الرحم - بناءً على بدء تكوُّنه في الرحم - ليس هو التحام الجينة النطفية (الحيمن) بالبويضة، وإنَّما التحام سابق بين جسمين طاقَّين غير مرئيين - ويُسميان علمياً بـ: (الاكتوبلازما)، وهما أَلطف من الأشعة البنفسجية والأشعة الحمراء -، وبتبع التحام هاتين الطَّاقَّتين يلتحم الحيمن بالبويضة.

وهذا المقدار من هذا الإكتشاف فُتح أفق لفهم جملة من الأدعية الواردة في باب الإنجاب وتغيير جنس المولود.

بعد الإلتفات: أنَّ هذا الإكتشاف لا يُمثِّل تمام الحقيقة، بل درجة من درجاتها التي أَّصحرت بها بيانات الوحي، منها:

١- بيان قوله تعالى - المقتصص لخبر تكبُّر إبليس وعدم سجوده لخليفة الله -: ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ [الاسراء: ٦٤].

٢- بيان أبي جعفر عليه السلام، قال: «رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام على بابهِ شيخاً فعرفه أَنَّهُ الشَّيْطَانُ، فصارعه وصرعه، قال: قم عَنِّي يَا عَلِيٌّ حَتَّى أُبَشِّرَكَ فَقَامَ عَنْهُ فَقَالَ: ... والله يابن أَبِي طَالِبٍ مَا أَحَدٌ يَبْغُضُكَ إِلَّا شَرَكْتَ فِي رَحْمِ أُمِّهِ وَفِي وَلَدِهِ، فَقَالَ لَهُ: أَمَا قَرَأْتَ كِتَابَ اللَّهِ: ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ الآية». بحار الأنوار، ٦٣: ٢٠٨/ح ٤٣. تفسير فرات: ٤٠.

٣- بيان الإمام الصَّادق عليه السلام، قال: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا أَتَى الْمَرْأَةَ وَجَلَسَ مَجْلِسَهُ حَضَرَهُ الشَّيْطَانُ؛ فَإِنَّهُ هُوَ ذَكَرَ اسْمِ اللَّهِ تَنَحَّى الشَّيْطَانُ عَنْهُ، وَإِنْ فَعَلَ وَلَمْ يُسَمِّ أَدْخَلَ»

→ الشَّيْطَان ذكره فكان العمل منها جميعاً والنطفة واحدة...». بحار الأنوار، ٦٣: ٢٠٢/ح ٢٣. تهذيب الأحكام، ٧: ٤٠٧.

٤- بيانه عليه السلام، عن هشام: «في النطقتين اللتين للآدمي والشَّيْطَان إذا اشتركا، فقال أبو عبد الله عليه السلام: رَبُّمَا خَلَقَ مِنْ أَحَدِهِمَا، وَرَبُّمَا خَلَقَ مِنْهُمَا جَمِيعاً». بحار الأنوار، ٦٣: ٢٠٧/ح ٤٢. فروع الكافي، ٥: ٥٠٣.

٥- بيانهم عليه السلام: «وَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَجِئُ فَيَقْعِدُ كَمَا يَقْعِدُ الرَّجُلُ وَيَنْزِلُ كَمَا يَنْزِلُ الرَّجُلُ». بحار الأنوار، ٦٣: ٢٠٧/ح ٤١. فروع الكافي، ٥: ٥٠٢.

ودلائها قد اتَّضَحَتْ؛ فَإِنَّ تِلْكَ الْإِكْتِشَافَاتِ الْعِلْمِيَّةَ تَوْضَحُ مَا وَرَدَ فِي هَذِهِ الْبَيِّنَاتِ الْوَحْيَانِيَّةِ وَغَيْرِهَا؛ فَقَبْلَ التَّقَاءِ حَيْثُ الرَّجُلُ وَبُيُوضَةُ الْمَرْأَةِ يَحْصُلُ تَلَاقِي بَيْنَ الْمَادَّةِ الْجَسَمَانِيَّةِ لِلْجَنِّ - وَهِيَ طَاقَاتٌ غَيْرُ مَرْتَبَةٍ؛ مِنْ سَنَخِ ذَبْذَبَاتِ جِسْمِ الْجَنِّ - مَعَ الْمَادَّةِ الْجَسَمَانِيَّةِ لِلْإِنْسَانِ - الْمُسَمَّاةِ عِلْمِيًّا بِ: (الَاكْتَوِّبَازْمَا) -، فَيَحْصُلُ مَزِيْجٌ فِي أَصْلٍ تَكُونُ الْجَنِينُ بَيْنَ هَذِهِ الْمَادَّةِ، وَمَادَّةٍ كَهْرُومَغْنَاطِيْسِيَّةٍ جَنَائِيَّةٍ حَادَّةٍ.

القضية الخامسة عشرة:

مُصْطَلَحُ (الجسد الدُّنْيَوِيُّ الْأَرْضِيّ)

إِنَّ عَنَوَانَ: (الجسد الدُّنْيَوِيُّ الْأَرْضِيّ) بِاصْطِلَاحِ اللُّغَةِ الْعَقْلِيَّةِ يَشْمَلُ الطَّاقَاتِ اللَّطِيفَةَ السَّابِغَةَ غَيْرَ الْمَرْتَبَةِ.

وهذا المبحث ينفع في مبحث: (النشوء) و(المعاد) و(البقاء) و(البرزخ) و(الرجعة) و(البعث الأكبر في عالم القيامة) و(عالم الآخرة الأبدية). وينفع أيضاً في مبحث: (حقيقة جسمانية الجنان وجهنم) وما شاكلها.

القضية السادسة عشرة:

بدايات نشوء حيوانية الجسم الحيواني للإنسان

كان يظنُّ المُلَّا صدرا: «أَنَّ حَيَوَانِيَّةَ الْجِسْمِ الْحَيَوَانِيِّ لِلْإِنْسَانِ تَحْصُلُ فِي رَحْمِ أُمِّهِ»، لَكِنَّهَا نَظَرِيَّةٌ أَثْبَتَ الْعِلْمُ الْحَدِيثَ فَسَادَهَا، فَإِنَّ الثَّابِتَ فِي عِلْمِ الْهَنْدَسَةِ الْوَرَاثِيَّةِ ←

→ الحديث وغيره أنَّها حصلت في أصلاب الآباء والأجداد إلى آدم عليه السلام، غاية الأمر: أنَّ هذا الجسم الحيواني يتنامى ويتطوّر من طورٍ ومن نوعٍ لآخر.

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي، منها:

- ١- بيان قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٤].
- ٢- بيان قوله ﷻ: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ [الزمر: ٦].

وبالجملة: اثبت العلم الحديث: أنَّ لجسم الإنسان الحيواني كينونات ذريّة متعدّدة من آدم عليه السلام إلى والده المباشر، ومتميّز هذا الجسم الحيواني بكافة صفاته، ومُتعلّقة به روح حيوانيّة.

وهذه قضية قد حُسِمت في العصر الرَّاهن، وليست مجردَ تنظير.

القضية السابعة عشرة:

شُمول عنوان (الأجسام) للعوالم السّماويّة

إنَّ الأجسام ليست منحصرة في الأجسام الأرضيّة، بل تشمل العوالم السّماويّة؛ ففيها ما لا يُحصى عدده من طبقات الأجسام اللطيفة الشّفّافة.

القضية الثامنة عشرة:

السّماوات عوالم ألطف من عوالم الأرض

عوالم السّماوات حياة أبدية مُستقبلية لبني البشر

إرتباط العوالم الصّاعدة بنشأتنا الأرضيّة هذه وبمخلوقاتنا

يوجد في تعابير بيانات الروايات دلائل وإشارات دالّة على أنَّ عوالم السّماوات تعني: حياة مستقبلية لبني البشر.

مثاله: (يوم القيامة)؛ فإنّه عالمٌ من عوالم السّماوات - سواء أكان في السّماء السّابعة أو السّادسة أو غيرها - وحياة مستقبلية سيمرّ بها بني البشر شاؤوا أم أبوا، مقدارها: خمسون ألف سنة، كما صرّحت بذلك بيانات الوحي.

→ ويظهر من كثير من بيانات الروايات: أَنَّ للعوالم المُستقبلية التي سيمرُّ بها الإنسان كـ: (عالم البرزخ) و(عالم الرجعة) إرتباطات على مرِّ عصور وأزمان نشأتنا الأرضية هذه، وارتباطات أخرى بعوالم السماوات؛ فإنَّ السماوات تعني: عوالم ألطف من هذه النشأة الأرضية (عالم الدنيا الأولى)، ومن نشأة عالم البرزخ، ومن نشأة عالم الرجعة (آخرة الدنيا)، ومن المعلوم: أَنَّ الألفظ داخلٌ في جميع شراشر وجزئيات العوالم الأغلظ لكن بالممازجة والمزاولة، ويحيط بها ويهيمن عليها. وهذا ما صرَّحت به بيانات الوحي المستفيضة، بل المتواترة، بل فهمه علماء الفيزياء الجدد، المتصلِّعين بـ: (علوم الروح)، وقالوا: أَنَّا نفهم من سماء أولى، وثانية، وثالثة، وهلمَّ جرّاً: عوالم أخرى؛ ألطف فألطف، وطاقات أبهر فأبهر، وأشدُّ فأشدَّ. القضية التاسعة عشرة:

عالم الجسمانيات على طبقات في اللطافة

إِنَّ عالم الجسمانيات ذو طبقات تختلف لطافة وشِدَّةً وغلظةً.

القضية العشرون:

حركة الجسم اللطيف تُوهِم بتجرُّده تجرُّداً تاماً

إِنَّ الجسم الأغلظ ما أَنَّ يُشاهد جسم ألطف منه إِلَّا وحسبه مُجرِّداً تجرُّداً تاماً، وليس له مقدار وحدود ونهايات، وأنَّ فعله كُن فيكون؛ وذلك لعدم تمكُّنه من ضبط مقدارية وحدود ونهايات ذلك الجسم الألفظ.

وهذه حقيقة لا بُدَّ من صرف النَّظر إليها، فإنَّ الجسم الأغلظ ليست لديه المكنة والقدرة والقوى الإدراكية لدرك مقدار وحدود ونهايات الألفظ منه، نعم الجسم الألفظ يُدرك مقدار وحدود ونهايات ما هو في رتبته فضلاً عن الأغلظ. بعد الالتفات: أَنَّ الأجسام تتفاوت فيما بينها من حيث الغلظة والكثافة واللطافة والشفافية والرِّقَّة بدرجات ومراتب وطبقات خارجة عن العدِّ والإحصاء.

القضية الحادية والعشرون:

تعدُّد أجسام شخص الإنسان الواحد

→ إِنَّ الْأَجْسَامَ الدُّنْيَوِيَّةَ لجسم شخص الإنسان الواحد في عَالَمِ النِّشْأَةِ الْأَرْضِيَّةِ هذه - بل وسائر أجسامه في العوالم الأخرى؛ كعَالَمِ البرزخ، وعَالَمِ الرَّجْعَةِ، وعَالَمِ الْقِيَامَةِ، وعَالَمِ الْآخِرَةِ الْأَبَدِيَّةِ، وعوالم ما بعدها - على درجات وطبقات من حيث الْقُوَّةُ وَالضَّعْفُ.

ومنه تتَّضح: كثير من بيانات الوحي والنقول التاريخية، منها: ما ذكرته مصادر المخالفين من أَنَّ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) صدَّ بمفرده وبسيفه - قبل التحام الجيشين في معركة صفين - جيش أهل الشام الجرَّار البالغ قوامه (٩٠ ألف) مقاتل، وقهرهم في أرض المعركة، لكن فعَّله (صلوات الله عليه) هذا كان من خلال أحد أجسامه الدُّنْيَوِيَّةِ غير المرئية.

القضية الثانية والعشرون:

طبقات أجسام الشخص الواحد

إِنَّ لِلْإِنْسَانَ أجساماً مُتَعَدِّدَةً على مراتب وطبقات، منها:

- ١- الجسم الدُّنْيَوِي الغليظ المرئي.
 - ٢- الجسم الدُّنْيَوِي الحسِّي غير المرئي، المُعَبَّر عنه علمياً بـ: (الأُكْتُو بلاما).
 - ٣- الجسم البرزخي.
 - ٤- جسم عَالَمِ الرَّجْعَةِ.
 - ٥- جسم عَالَمِ الْقِيَامَةِ.
 - ٦- جسم عَالَمِ الْآخِرَةِ الْأَبَدِيَّةِ.
 - ٧- أجسام فوق عَالَمِ الْآخِرَةِ الْأَبَدِيَّةِ.
 - ٨- جسم عَالَمِ الْأَظْلَةِ.
 - ٩- جسم عَالَمِ الْأَشْبَاح.
 - ١٠- جسم عَالَمِ الذَّرِّ والميثاق.
- وغيرها الكثير.

← ثُمَّ إِنَّهُ كُلُّمَا كَانَ الجسم أَشْفُ وَأَلْطَفَ كُلُّمَا كَانَتْ طاقته وقوَّته أعظم وأخطر.

→ القضية الثالثة والعشرون:

تعدد جسم الإنسان وبدنه الدنيوي

المستفاد من بيانات الوحي وما أُكتشف في العلوم الحديثة: أنَّ للإنسان وهو في هذه النشأة الأرضية أجساماً وأبداناً متعددة، بل للجسم والبدن الدنيوي أجسام وأبدان متعددة أيضاً، منها:

١- الجسم والبدن الغليظ والكثيف.

٢- الجسم والبدن الحسي، والمسمى في المصطلح العلمي بـ: (الإكتوبلام)، والمسمى لدى أهل المعرفة بـ: (الجسم البخاري)؛ وسمي بذلك لكونه يشبه سحابة بيضاء تُحيط بالبدن الغليظ، وهو يشبه أجسامنا وأبداننا الأرضية الغليظة هذه، لكنه أقصر منها قليلاً.

وهناك طبٌّ يُسمى بـ: (طب الحالة الاشعاعية الضوئية) تُعالج به أبداننا الغليظة هذه عن طريق معالجة البدن الحسي.

القضية الرابعة والعشرون:

للمخلوق - ك: (الإنسان) - أجسام فوق عالم الآخرة الأبدية

الثابت في طوائف بيانات الوحي - التي لم يلتفت إليها الفلاسفة والمتكلمون والعرفاء والمفسرون -: «أنَّ للمخلوقات - لا سيما الإنسان - أجساماً فوق وألطف من جسم الآخرة الأبدية - الجنة والنار الأبديتين -».

وهذه القضية تحتاج إلى بذل جهد وتدبر وتمعن وتدقيق في بيانات الوحي.

القضية الخامسة والعشرون:

الجسم الغليظ أضعف الأجسام المادية

إنَّ أوَّل وأغلظ الموجودات الجسمانية وأضعفها الجسم المادي الغليظ، وهذه غلظة ضعف، ثُمَّ الجسم المادي الحسي، ثُمَّ جسم عالم الخيال، ثُمَّ، الوهم، ثُمَّ العقل.

القضية السادسة والعشرون:

المخلوق لا يُدرك بأبدانه إلا ما يُناسبها من الآيات الإلهية

→ إِنَّ لِكُلِّ مخلوق من عَالَمِ الأجسام طبقات من الأجسام. وهذه قضية لا تختص بالإنسان.

لكن: كُلُّ مخلوق يُدرك ببدنه الآيات المُختصة بعالمه، فالإنسان - مثلاً - وهو في هذه النشأة الأرضية لا يُدرك ببدنه الغليظ هذا إلا الآيات الإلهية الغليظة، أمّا آيات عَالَمِ الحسّ اللطيف، وآيات عَالَمِ البرزخ، وآيات عَالَمِ القيامة، وآيات عَالَمِ الآخرة الأبدية وعوالم ما فوقها - كعَالَمِ العقل - فلا.

وعلى هذا قس الإنسان ببدنه الحسيّ اللطيف، أو ببدنه البرزخي أو ببدن عَالَمِ القيامة أو ببدنه الأخروي أو أبدانه الأخرى؛ فإنه لا يُدرك إلا الآيات الإلهية المُختصة بعوالم تلك الأجسام.

القضية السابعة والعشرون:

مِنَ المهمِّ معرفة أحكام وقواعد عَالَمِ الأجسام

إِنَّ من المباحث المهمّة في أبواب المعارف الإلهية معرفة أحكام وقواعد عَالَمِ الأجسام، لكن حيث إِنَّ الأجسام على مراتب وطبقات متفاوتة من حيث الغلظة واللطافة كان بينها اشتراك في جانبٍ من هذه الأحكام والقواعد، وافتراق في جانبٍ آخر؛ ومن ثَمَّ يجب على الباحث - مع ضبطه للأحكام والقواعد المشتركة والعامة لجملة عوالم الأجسام - ضبطه - أيضاً - للأحكام والقواعد المميّزة بين عوالم الأجسام.

القضية الثامنة والعشرون:

الأبعاد الجسميّة

كان الاعتقاد السائد لدى الفلاسفة إلى زمان الملاً صدرا: أَنَّ لِكُلِّ جسم أبعاداً خمسة، وهي: (الطول، والعرض، والعمق، والمكان، والزمان). لكنّه أكتشف في العلوم الحديثة ستّة أبعاد أخرى ليلبغ المجموع عشرة أبعاد، وهي: (الوزن، والموج الصوتي، والموج الاشعاعي، والاشعاع الضوئي، والاشعاع الموجي، والبعد المغناطيسي). واكتشفوا أيضاً: أَنَّ للجسم حالة محيطية به.

→ وهذه أمورٌ وخطوطٌ وقواعدٌ عامّةٌ مهمّةٌ جدّاً في مباحث أبواب المعارف - كمباحث: التّوحيد والنّبوة، والإمامة، والمعاد - لا يمكن فهم هذه المباحث إلّا بعد اتقان هذه الأمور والخطوط والقواعد العامّة وما شاكلها. وهذه الأبعاد وغيرها قد أُشير إليها في بيانات الوحي، لكن لم تلتفت إليها أجيال قوافل علماء مدارس البشر المعرفيّة، ومن ثمّ مرّت أجيال من الفلاسفة والمتكلّمين والعرفاء وغيرهم لم يقفوا عليها؛ نتيجة انكفاء جملة كبيرة من أبحاثهم على نتائج أبحاث العلوم الطبعيّة السّابقة، والحال أنّ العلوم الطبعيّة كغيرها في حالة تطوّر وتغيّر مُستمر.

القضيّة التاسعة والعشرون:

أحكام مُشتركة بين الأجسام

هناك أحكام يحكم بها العقل عامّة ومُشتركة بين الأجسام، منها:

١- أنّ جملتها محكومة بالتناهي.

٢- قبولها للإنقيسام والتشطير.

القضيّة الثلاثون:

العرش وما دونه من عوالم الأجسام

المُستفاد من بيانات أهل البيت عليه السلام العقليّة: أنّ العرش وما دونه أجسام لطيفة،

تراها العوالم الأغلظ كأثما من عالم الابداع.

القضيّة الحادية والثلاثون:

السّنة والنّوم من خصائص عوالم الأجسام

إنّ جملة العوالم الجسمانيّة تُصيّبها السّنة والنّوم، بخلاف العوالم غير الجسمانيّة؛ فلا يُصيّبها ذلك.

القضيّة الثّانية والثلاثون:

خطورة طاقة السّماء السّابعة

→ ورد في بيانات أهل البيت عليه السلام: «أَنَّ طاقة الجسم في السَّمَاء السَّابعة عظيمة ومهولة جِدًّا، فشذرة وشعاع يسير منها يُبِيد عَالَم الدُّنْيَا». القضية الثالثة والثلاثون:

تعذّر وصول أصحاب مدارس البشر المعرفيّة إلى نهاية تلطّف عوالم الأجسام اعترف الفلاسفة والمتكلّمون والعرفاء، بل جملة أصحاب المدارس البشريّة منهم الفيزيائيّون: أنّهم لم يتمكّنوا من الوصول إلى الجسم الأوّل - أي: الكينونة الأجساميّة للإنسان في العوالم المتقدّمة - المُسمّى: (نهاية العالَم الجسماني)؛ أي: نهاية تلطّف عوالم الأجسام، ولم يشمّوا رائحته مع أنّه أُشير إليه في بيانات الوحي. القضية الرَّابعة والثلاثون:

تفاوت درجات الحسّ في الغلظة واللّطافة

إنّ درجات الحسّ في العوالم الحسيّة، بل في العالم الواحد منها متفاوتة في الغلظة واللّطافة.

وهذه القضية وإنّ التفت الفلاسفة والمتكلّمون والعرفاء إليها إجمالاً، لكنّهم لم يخصوصوا فيها تفصيلاً ولم يُرتّبوا عليها الآثار تفصيلاً. القضية الخامسة والثلاثون:

في الأفعال الجسمانيّة لا بُدّ من وجود اتصال تكويني بين السبب والمُسبّب

تأثير مراتب الأجسام الصّاعدة في مراتبها النّازلة

إنّ أسس أساس الأفعال الجسمانيّة أو باب الأسباب والمسبّبات: أنّه لا بُدّ أن يكون بين السبب والمُسبّب اتصال وصله.

ثمّ إنّّه كان يُظنّ في العلوم الطّبيعيّة: أنّ الأفعال الطّبيعيّة هي أفعال الأجسام التي في مرتبة عرضيّة واحدة من حيث الغلظة واللّطافة. لكنّه بعد تقدّم العلم أُكتشف ←

→ أَنَّ الأَجْسامَ باختلاف مراتبها تُؤثِّرُ مراتبها الصَّاعدة بمراتبها النَّازلة، بل كُلِّها تلطَّفُ الجسمُ نفذ وأثَّرَ أكثر في الجسم الأغلظ.
القضيَّة السَّادسة والثلاثون:

الطَّاقات من عوالم الأَجْسام

كان الفلاسفة والفيزيائيون ولقرون من البحث العلمي يبنون على أَنَّ القوى والطَّاقات الماديَّة - كالإلكترونيَّة والكهربائيَّة والمغناطيسيَّة - مُجرَّدة تجرِّداً تاماً عن الجسميَّة، لكن بعد تطوُّر العلوم والبحوث العلميَّة أُكتشف - من خلال الأجهزة الحسيَّة المُسلَّحة -: أَنَّ هذه القوى والطَّاقات الماديَّة أجسام ولها ألوان وروائح لطيفة لا تُحسُّ بأدوات حسِّ البدن الغليظ.
القضيَّة السَّابعة والثلاثون:

طبقات تلطُّف الأَجْسام

إِنَّ لطافة الأَجْسام على طبقات إلى ما شاء الله تعالى، ففوق كُلِّ جسم لطيف جسم ألطف منه حتَّى تتلاشى الجسميَّة وتضمحل.
وهذا مبحثٌ معرفيٌّ خطير زلَّت فيه أفهام أصحاب مدارس البشر المعرفيَّة - كالفلاسفة والمتكلِّمين والعرفاء - فمثلاً: العَلَّامة الطباطبائي؛ فمع إنَّه جهبذ كبير في الفلسفة وعلوم المعارف لكنَّه لم يعتبر في كتابه (نهاية الحكمة) الطَّاقات من عَالَم الأَجْسام. وهذه غفلة كبيرة؛ فإنَّ ضابطة الجسم العقليَّة تحدِّ الجسم بأنَّه: كُلُّ جوهر يتَّصف بالأبعاد الجغرافيَّة الثلاثة - الطول والعرض والعمق - وله مسافة جوهريَّة أو جوهر مسافي، وله كمٌّ - مرئيٌّ كان أم لا - وحيث إنَّ جملة القوى والطاقات - كالمغناطيس والكهرباء - تتَّصف بهذه الأبعاد كانت أجساماً عقليَّةً.
نعم هي لست أجساماً بالاصطلاح القديم لأصحاب العلوم الطبيعيَّة - كعلم: الفيزياء والأحياء والكيمياء -؛ فإنَّ مرادهم منه: الجسم الغليظ والكثيف، وحيث

→ إِنَّ القوى والطَّاقَات لا تَتَّصِف بغلظة وكثافة الأجسام المرئية في نشأتنا الأرضية هذه لم تكن أجساماً بالإِصطلاح القديم للعلوم الطبيعية. هذا وقد طعن بعض المثقفين على بيانات الوحي الحاكمة بالجسمية على تلك القوى والطَّاقَات ورماها بالخرافة؛ غفلة منه عن تعدُّ عنوان ومصطلح الجسم. القضية الثامنة والثلاثون:

الأجسام على طبقات ومقادير وطبائع وخواص لا يمكن حصرها
إِنَّ من أغفل الغفلات التي يقع فيها الذهن البشري، بل ذهن المخلوقات ظنَّهم بأنَّ الجسم على وتيرة واحدة أو على مقدار محدود من المراتب أو على شاكلة واحدة من الطبيعة أو الطبائع أو الخواص. والحقُّ وما يُستفاد من بيانات الوحي: أنَّها على طبقات ومراتب ومقادير وطبائع وخواص مختلفة لا حصر لها. وهذا ما أثبتته العلم الحديث، وأذهل مسيرة البشر العلمية، فعلماء الفيزياء - مثلاً - وجدوا: أنَّ الأجسام على أقسام وأطوار وأنواع وطبقات ومراتب وخواص وحركات عجيبة وغريبة، ومن ثمَّ كان يُعتقد: أنَّ أبعاد الأجسام المحسوسة ثلاثة أو أربعة، لكنَّهم اكتشفوا في العصر الحديث: أنَّ لها عشرة أبعاد. وبالجملية: هناك كم هائل من الحقائق والطبقات الجسمانية اللطيفة والخفية والغامضة جداً في الطبيعة الدنيوية العرضية.

وعليه: فمن الخطأ الفادح بناء وارتكاز تفكير الإنسان واستنتاجاته على وحدة الأجسام والجسانيات والصُّورة والمادَّة وهلمَّ جرَّاً، وما عداها من عالم المُجرَّدات تجرُّداً تاماً، والحال أنَّها من عوالم الأجسام اللطيفة والمُجرَّدة تجرُّداً نسبياً عن الجسمانية والمادَّة الأغلظ. القضية التاسعة والثلاثون:

كُلَّمَا تَلَطَّفَ الجسم صار روحاً للأغلظ

المخلوق الأشرف وجوداً يكون أعلى رتبة ومقاماً وكمالاً

→ إِنَّ الأجسام اللطيفة ليست على مرتبةٍ فاردةٍ من حيث اللطافة، بل على مراتب، وكلِّما كان الجسم ألطف صار روحاً للأقلِّ لطافة، وهذا ما يُشير إليه بيان القاعدة المعرفية: «أَنَّ المخلوق الأشرف والأكمل أسبق خلقه وصدوراً من المخلوق الأدنى».

وهذه القاعدة المعرفية تفتح منها قواعد معرفية وعلمية عديدة. ثمَّ إِنَّه عندما يكون المخلوق أشرف وأكمل من غيره؛ فمعناه: أَنَّ جملة الفضائل والكمالات فيه أعلى رتبةً ومقاماً.

ومنه تتضح: بيانات الوحي الواردة في حقِّ فاطمة الزهراء عليها السلام عند الفريقين، والمُصرَّحة بـ: (أَنَّ نورها (صلوات الله عليها) أسبق صدوراً من نور سيّد شباب أهل الجنة والتسعة المعصومين من ذرية الحسين عليه السلام).

فانظر:

١- بيان سيّد الأنبياء عليه السلام، عن سلمان الفارسي رضي الله عنه، قال: «... يا سلمان، خلقتني الله من صفاء نوره فدعاني فأطعته، وخلق من نوري عليّاً، فدعاه إلى طاعته فأطاعه، وخلق من نوري ونور عليّ عليه السلام فاطمة فدعاها فأطاعته، وخلق مني ومن عليّ ومن فاطمة الحسن والحسين فدعاها فأطاعاه، فسَمَّانا الله تعالى بخمسةٍ من أسمائه... ثمَّ خلق من نور الحسين تسعة أئمة فدعاهم فأطاعوه قبل أن يخلق الله سماءً مبنيةً أو أرضاً مدحيةً، أو هواءً أو ماءً أو ملكاً أو بشراً، وكُنَّا بعلمه أنواراً نُسَبِّحه ونسمع له ونطيع...». بحار الأنوار، ٢٥: ٦-٨/ح ٩. المختصر: ١٥٢ - ١٥٣.

٢- بيان الإمام الجواد عليه السلام، عن مُحَمَّد بن سنان، قال: «كُنْتُ عند أبي جعفر الثاني عليه السلام فذكرت اختلاف الشيعة فقال: إِنَّ الله لم يزل فرداً مُتفرداً في وحدانيته، ثمَّ خلق مُحمّداً وعليّاً وفاطمة فمكثوا ألف ألف دهر، ثمَّ خلق الأشياء وأشهدهم خلقها وأجرى عليها طاعتهم وجعل فيهم منه ما شاء، وفوض أمر الأشياء إليهم

→ فهم قائمون مقامه محللون ما شاؤا ويحرمون ما شاؤا، ولا يفعلون إلا ما شاء الله. فهذه الديانة التي من تقدّمها غرق، ومن تأخّر عنها محق، خذها يا محمد، فإنّها من مخزون العلم ومكنونه». بحار الأنوار، ٢٥: ٢٥/ح ٤٤.

ودلالاتها واضحة، لكنّها مُشيران لشفرة معرفيّة يمكن من خلالها استخراج مئات، بل آلاف القواعد المعرفيّة والعلميّة والعقليّة، فمع أنّه لم يرد في بيانات الوحي في حقّها (صلوات الله عليها) كلمة (أنّها عليّ) أفضل من الأئمة الأحاد عشر (عليّ)، لكنّه - وكما يُقال: الحرّ تكفيه الإشارة - ورد في حقّها (عليّ) في بيانات الوحي - كهذين البيّنين -: أنّها الأسبق خلقة وصدوراً من الأئمة الأحاد عشر (عليّ)، ومعناه: أنّ جملة الفضائل والكمالات والمقامات والحجّية الإلهيّة المتمتّعة بها (صلوات الله عليها) مُهيمنة على كافّة الفضائل والكمالات والمقامات والحجّج الإلهيّة المتمتّع بها الأئمة الأحاد عشر (عليّ).

وهذا ما أشارت إليه بيانات الوحي الأخرى، منها: بيان الإمام الحسن العسكري (صلوات الله عليه): «نحنُ حُجج الله على خلقه، وجدّتنا فاطمة حُجّة علينا». تفسير أطيّب البيان: ٢٢٥/ ١٣. القضية الأربعون:

طبقات الأجسام الصّاعدة لا تبعّض فيها
إنّه لا يوجد تبعّض في الطبقات الصّاعدة للأجسام اللطيفة.
القضيّة الحادية والأربعون:

لكلّ جسمٍ نفس حسّاسة

المستفاد من بيانات الوحي، منها:

١- بيان قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الأسراء: ٤٤].

→ ٢- بيان قوله عزّ قوله: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَشَهِدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥].

أَنَّ لكلَّ جسم نفساً حسّاسة وإن كان ظاهرها الجمود.
القضية الثانية والأربعون:

الفاعل المباشر للمادة الدنيوية لا بُدَّ أَنْ يكون جسمانياً

هناك قاعدة معرفية إلهية عامّة ترد في أبواب المعارف ينبغي صرف النظر إليها، وهي: أَنَّهُ (لا بُدَّ أَنْ يكون الفاعل المباشر للمادة الدنيوية جسمانياً).
القضية الثالثة والأربعون:

هناك فارق جوهري بين الفاعل بالآلة والفاعل بالتَّجَلِّي

هناك خلط حصل لدى البعض بين الفاعل بالآلة - كحالة عزرائيل وإسرافيل وجندهما ﷺ -، والفاعل بالتَّجَلِّي - كحال الباري المُسَمَّى (تعالى ذكره)، والأسماء والصفات الإلهية؛ طبقات حقائق أهل البيت ﷺ الصّاعدة - وحكم بالوحدة. والحقُّ: أَنَّ بينهما فرق وبون شاسع؛ فَإِنَّ الفاعل بالآلة ناقص؛ لإحتياجه إلى حركة، وقرب وبُعد، وموازاة، ومباشر ومعالجة. بخلاف الفاعل بالتَّجَلِّي؛ فَإِنَّهُ أكمل أنواع الفاعل، ولا نقص فيه؛ ومن ثَمَّ لا يحتاج إلى جملة ذلك. وإلى هذا تُشير بيانات الوحي، منها:

بيان الإمام الصادق عليه السلام في ردّه على سؤال الزنديق: «... فما هو؟ قال أبو عبد الله عليه السلام: هو الرَّبُّ، وهو المعبود، وهو الله ... قال السّائل: فيُعاني الأشياء بنفسه؟ قال أبو عبد الله عليه السلام: هو أَجَلُّ من أَنْ يُعَانِيَ الأشياء بمباشرة ومعالجة؛ لأنَّ ذلك صِفَةُ المخلوق الَّذي لا تَحِيءُ الأشياءُ له إِلَّا بالمباشرة والمعالجة، وهو مُتَعَالٍ نافِذُ الإرادة والمشيئة، فَعَالٌ لِمَا يَشَاءُ». أصول الكافي، ١: ٥٩ - ٦١/ح ٦.
ودلالته واضحة.

وبالجملة: هذه القاعدة قاعدة خطيرة، وأصل قويم ومُطَرَّد في عَالَم الحقائق، ونظريَّة لغويَّة قديمة جزلة، مُهمَّة جدًّا، وضروريَّة في مباحث المعارف، وفيها من الفحولة بمكان، وَمَنْ تَمَسَّكَ بها استقام سيره العلمي بحركة قويَّة.

ومضمونها: أَنَّ الأَصْلَ الأوَّلِيَّ في وضع الألفاظ أَنَّها لم تُوضَع للمبادئ والآليَّات والمصاديق الحسيَّة المادِّيَّة النَّازِلَة؛ الَّتِي تكون مبدأ لصدور الغايات، بل وُضِعَتْ حقيقة للغايات. والمصاديق الحسيَّة والمادِّيَّة إِنَّمَا تكتسي ثوب الحقيقة اللغويَّة؛ لكونها مُوصِلَة للغايات، فَإِنَّ أَسطَحَ الحقائق تكتسي دائماً - بركة تلك الحقائق - ثوباً من أثواب الحقيقة وشعاعاً من أشعَّتْها.

وبعبارة مختصرة: هذه القاعدة تُريد أَن تُثبت: أَنَّ المبادئ والمصاديق الحسيَّة مجازات عقلية وَإِن لم تكن مجازات لغويَّة.

وللتَّوضيح أكثر: خذ الأمثلة التَّالِيَة :

الأوَّل: لفظ (اليد)؛ فَإِنَّه لم يوضع حقيقة لمعنى 'الجارحة، بل لغاياتها، وهي: حقيقة: (البسط)، و(البطش)، و(القبض)، و(القوَّة)، و(القدرة)، و(السلطنة)، و(الهيمنة)، واليد الجارحة هي المبدأ والمنطق والآلة لحصول

→ القضية الرَّابِعة والأربعون:

إنتساب الفعل إلى فاعله الحقيقي

إِنَّ نسبة الفعل إلى الفاعل الحقيقي أَحَقُّ من نسبته إلى المفعول. ومنه يتَّضح: أَنَّ إنتساب فعل الله وخلقه إليه (تقدَّس ذكره) الجاري على أيدي المخلوقات أَحَقُّ وَأَشَدُّ نسبةً من إنتسابه إلى المخلوقات.

تلك الغايات، وحينئذ يصدق لفظ: (اليد) حقيقة إذا حصلت تلك الغايات أو بعضها، سواء حصلت ببركة اليد الجارحة أو غيرها.

وعليه: فإن أُستعمل لفظ: (اليد) في خصوص معنى الجارحة بخصوصيتها المادية كان استعمالاً مجازياً، وإن أُستعمل في المعنى الجامع بين المصداق المادي - وهو: (الجارحة) - وغاياته - ك: (القوة)، و(القدرة)، و(السلطنة)، و(البطش)، و(الهيمنة) - كان استعمالاً حقيقياً.

فقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾^{(١)(٢)}، يعني: قوة الله وقدرته وسلطنته وهيئته فوق قوة وقدرة وسلطنة

(١) الفتح: ١٠.

(٢) يجدر صرف النظر في المقام إلى التنبيهات التالية:
التنبيه الأول:

قضايا معرفية ثلاث بُتت بها بيانات مدرسة أهل البيت عليه السلام

حكمت مدرسة أهل البيت (صلوات الله عليهم) بعدم إمكان إكتناه المخلوق للذات الإلهية الأزلية المقدسة، وكذا حكمت ببطالان تعطيل معرفة الذات الإلهية المقدسة، وحكمت أيضاً ببطالان كون مُطلق الصفات الإلهية - فعلية كانت أم ذاتية - عين الذات المقدسة تحقّقاً، بل عينها حكاية، فمطلق الصفات الإلهية - كالأسماء الإلهية - مخلوقات مُكرّمة من مخلوقات عالم السردم والأزل تحكي الذات المقدسة من وجه.

أدلة استحالة إكتناه كنه الذات المقدسة

وتشير إلى النحو الأول كثير من بيانات الوحي المعرفية، منها:

١- بيان أمير المؤمنين عليه السلام: «... وَكَمَالَ الْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ؛ لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ، وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ، فَمَنْ وَصَفَ -

→ أَللَّهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ، وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَاهُ، وَمَنْ ثَنَاهُ فَقَدْ جَزَّاهُ، وَمَنْ جَزَّاهُ فَقَدْ جَهَّلَهُ [وَمَنْ جَهَّلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ]، وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّه ... نهج البلاغة/ خ ١: ٤١.

٢- بيان أبي جعفر (عليه السلام): «... الله أعظم من أن يوصف ...» بحار الأنوار، ٢٤: ٢٠٠/ح ٣١.

٣- بيان الإمام الرضا (عليه السلام): «... فليس الله من عرف بالتشبيه ذاته، ولا إتياء وحد من إكتنه ... ولا به صدق من نهاه ... ولا إتياء أراد من توهمه ... وقد تعداه من اشتمله، وقد أخطأ من اكتنه ...» بحار الأنوار، ٤: ٢٢٨-٢٢٩/ح ٣.

٤- بيانه (عليه السلام) أيضاً: «... الحمد لله ... الممتنع من ... الأوهام الإحاطة به ... الذي قد حسرت دون كُنْهه نواقذ الأبصار، وامتنع وجوده جوائل الأوهام ...» توحيد الصدوق: ٥٦/ح ١٤.

٥- بيانه (عليه السلام) أيضاً: «... وكل ما وقع عليه حد فهو خلق الله (ﷻ) ...» توحيد الصدوق: ٤٢٥/ح ١.

٦- بيانه (عليه السلام) أيضاً: «... واعلم أنه لا يكون ... حد لغير محدود، والصفات والأسماء كلها تدل على الكمال والوجود، ولا تدل على الإحاطة ...» عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، ١: ١٣٣/ح ١. ودلالة الجميع واضحة.

٧- بيان القاعدة المعرفية العقلية المستفادة من بيانات الوحي المعرفية العقلية، منها: ما تقدّم، وهي: «من وصف شيئاً بكنهه كان أعظم من الموصوف». وهذه القاعدة تنحلّ إلى قاعدتين:

الأولى: «من وصف شيئاً بكنهه فقد أحاط به».

الثانية: «من أحاط بشيء كان أعظم من المحاط».

→ والمراد من الإحاطة في هذه القاعدة أعم من التجردية والعقلية والجسمية. وسيأتي (إن شاء الله تعالى) في محله بيان هذه الأنواع الثلاثة.

وهذه القاعدة العقلية الجزلة رغم بدايتها غفل عنها كثير من أصحاب المدارس البشرية المعرفية، منهم: فلاسفة الشيعة فضلاً عن غيرهم.

وعصارة القول: أنَّ المعرفة بالكُنْه وإن كانت معرفة عظيمة؛ لكنَّها مُمتنعة في حق معرفة المخلوق بكُنْه الباري سبحانه وتعالى؛ للزوم محاذير عدة، منها:

١- إحاطة المخلوق (والعياذ بالله تعالى) بذات الخالق تبارك وتعالى، ولازمه كون المخلوق أعظم من خالقه جلّ وتقدّس.

٢- تناهي ذات الباري تعالى ومحدوديته.

٣- الغلو في حق المخلوق والتقصير في حق الباري جلّ قدسه.

٤- تشبيه الباري تعالى ذكره بالمخلوقات.

وهذا أحد تفاسير بيان قوله عزّ قوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

وَمِنْ ثَمَّ أَسَّسَ أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ أَصْلًا فِي أَبْوَابِ الْمَعَارِفِ مُسْتَفَادٍ مِنْ بَيَانَاتِ الْوَحْيِ، وَهُوَ: (أَنَّ الْحَقِيقَةَ الْأَزَلِيَّةَ غَيْبُ الْغُيُوبِ)، وهذا ما تُشير إليه بَيَانَاتُ الْوَحْيِ بِلَفْظَةِ

وعنوان: (هو)، ونفس هذا العنوان مؤسّس لبَيَانَاتِ وَقَوَاعِدِ وَمَعَادِلَاتِ وَمَعَارِفِ إِلَهِيَّةٍ وَحَيَانِيَّةٍ وَعَقْلِيَّةٍ جَمَّةٍ، بل جملة منظومة معارف التوحيد مطوية ومخبوة في هذا

العنوان؛ فإنه يعني: استحالة معرفة كنه الذات الإلهية المقدسة.

تفسير (الاسم المستأثر)

هذا وقد وقع اختلاف في تفسير الاسم المستأثر، وهو اسم باطن لا يظهر أبداً.

معنى (الاسم المستتر)

ومعنى الاسم المستتر؛ اسم، يعني: ظهور، ومستتر، يعني: بطون، وهو فوق الاسم

الأعظم، نعم ذهب البعض إلى أنه نفس الاسم الأعظم.

→ ثُمَّ إِنَّهُ لَوَلاَ بَيانات الثقلين لَمَّا أَمكن لمخلوق البتَّة شَمَّ رائحته، كحال كثير من المعارف والعقائد الإلهية.

إِذَنْ: المعرفة المطلقة بالذات الإلهية الأزليَّة المقدَّسة مُمتنعة بقول مُطلق؛ لاستلزامها جملة محاذير، منها: التشبيه، سواء أكان جِسْمانيًّا أم عقليًّا أم روحيًّا أم عرشيًّا أم غيرها.

ومعناه: أَنَّ التشبيه على أقسام.

وعلى هذا قس التعطيل؛ فَإِنَّهُ على أقسام أيضاً، أحدها: اعتقاد المخلوق: بعدم تَمَكُّن المخلوقات من معرفة الذات الإلهية الأزليَّة المقدَّسة في عَالَمٍ ما، فَإِنَّ هذا نحو تعطيل؛ لأنَّ آيات التَّوْحِيد لا يخلو منها عَالَمٌ من عوالم الخلقة.

أدلة نفي تعطيل معرفة الذات المقدَّسة

ويُشير إلى النحو الثاني جَمٌّ غفير من بيانات الوحي المعرفيَّة أيضاً، منها :

أولاً: بيان أمير المؤمنين عليه السلام: «... تتلقَّاه الأذهان لا بمشاعرة، وتشهد له المرائي لا بمحاضرة، لم تخط به الأوهام، بل تجلَّى لها بها ...» بحار الأنوار، ٤: ٢٦١ / ح ٩.

ثانياً: بيان الإمام الصادق عليه السلام: «رأته القلوب بنور الإبان، وأثبتته العقول بيقظتها إثبات العيان، وأبصرته الأبصار بما رأته من حسن التركيب وإحكام التأليف ...».

بحار الأنوار، ١٠: ١٦٤ / ح ٢.

ثالثاً: بيان الإمام الرضا عليه السلام: «... يُدُلُّ على الله ﷻ بصفاته، ويُدرِك بأسمائه،

ويُستدلُّ عليه بخلقه حتَّى لا يحتاج في ذلك الطالب المرتاد إلى رؤية عين ولا استماع أذن ولا لمس كف، ولا إحاطة بقلب، ولو كانت صفاته (جلَّ ثناؤه) لا تدلُّ عليه،

وأسمائه لا تدعو إليه، والمعلِّمة من الخلق لا تدركه لمعناه كانت العبادة من الخلق لأسمائه وصفاته دون معناه، فلولا أَنَّ ذلك كذلك لكان المعبود المُوَحَّد غير الله؛

لأنَّ صفاته وأسمائه غيره ...». عيون أخبار الرضا عليه السلام، ١: ١٣٤ / ح ١.

→ رابعاً: بيان دعاء أمير المؤمنين عليه السلام: «... إلهي، أسألك مسألة المسكين الذي قد تحير في رجاه، فلا يجد ملجأً ولا مستنداً يصل به إليك، ولا يستدلّ به عليك إلا بك وبأركانك ومقاماتك التي لا تعطيل لها منك، فأسألك باسمك الذي ظهرت به لخاصّة أوليائك، فوحدوك وعرفوك يعبدوك بحقيقتك أن تُعرّفني نفسك لأقرّ لك بربوبيّتك على حقيقة الإيمان بك، ولا تجعلني يا إلهي ممّن يعبد الاسم دون المعنى، والحظني بلحظة من لحظات تُنور بها قلبي بمعرفتك خاصّة ومعرفة أوليائك...». بحار الأنوار، ٩١: ٩٦/ح ١٢.

خامساً: بيان الدعاء: «... ويا مَنْ تجلّى لعقول الموحدّين بالشواهد والدلالات، ودلّ العباد على وجوده بالآيات البيّنات القاهرة...». بحار الأنوار، ٩٧: ٢٢٤. المزار الكبير: ٢٦-٢٧.

ودلالة الجميع على المدعى واضحة.

أدلة أن مطلق الصفات الإلهية مخلوقات مُكرّمة تحكي الذات الإلهية من وجهه ويُشير إلى النحو الثالث الكثير من بيانات الوحي المعرفية أيضاً، منها: الأول: بيان أمير المؤمنين عليه السلام: «... المستشهد آياته على قدرته، الممتنع من الصفات ذاته...». توحيد الصدوق: ٥٦/ح ١٤.

الثاني: بيان الإمام الرضا عليه السلام: «... ونظام توحيد الله نفى الصفات عنه لشهادة العقول أن كلّ صفة وموصوف مخلوق، وشهادة كلّ موصوف أن له خالقاً ليس بصفة ولا موصوف، وشهادة كلّ صفة وموصوف بالاقتران، وشهادة الاقتران بالحدث...». بحار الأنوار، ٤: ٢٢٨/ح ٣.

الثالث: بيانه عليه السلام أيضاً، في جوابه على سؤال عمران الصّابي: «... ياسيدي، فبأي شيء عرفناه؟ قال: بغيره، قال: فأيّ شيء غيره؟ قال الرضا عليه السلام: مشيئته واسمه وصفته وما أشبه ذلك، وكلّ ذلك مُحدث مخلوق مدبر، قال عمران: ياسيدي، فأيّ شيء هو؟ قال: هو نور بمعنى إنه هاد خلقه من أهل السماء وأهل الأرض، وليس ←

→ لك على أكثر من توحيدِي إِيَّاه ... وما أوقعت عليه من الكلّ فهي صفات محدثه، وترجمة يفهم بها من فهم ...». عيون أخبار الرضا عليه السلام، ١: ١٣١ - ١٣٢ / ح ١.

الرابع: بيان الإمام الجواد عليه السلام، عن أبي هاشم الجعفري، قال: «كُنْتُ عند أبي جعفر الثاني عليه السلام فسأله رجل فقال: أخبرني عن الرَّبِّ (تبارك وتعالى) أَلَهُ أَسْمَاءٌ وصفات في كتابه؟ وهل أَسْمَاؤُهُ وصفاته هي هو؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: إِنَّ لهذا الكلام وجهين: إِنْ كُنْتَ تقول هي هو أَنَّهُ ذو عدد وكثرة فتعالى الله عن ذلك، وإِنْ كُنْتَ تقول هذه الأَسْمَاءُ والصفات لم تزل فإنما لم تزل مُحْتَمِلٌ معنيين؛ فَإِنْ قلت: لم تزل عنده في علمه وهو يستحقّها فنعم، وإِنْ كُنْتَ تقول: لم يزل صورها وهجاؤها وتقطيع حروفها فمعاذ الله أَنْ يكون معه شيء غيره، بل كان الله (تعالى ذكره) ولا خلق ثُمَّ خلقها وسيلة بينه وبين خلقه، يتضرَّعون بها إليه ويعبدونه وهي ذكره ... والأَسْمَاءُ والصفات مخلوقات، والمعنيُّ بها هو الله الَّذي لا يليق به الاختلاف ولا الائتلاف ...». بحار الأنوار، ٤: ١٥٣ - ١٥٤ / ح ١.

ودلالته واضحة على المدعى أيضاً.

إِذَنْ: مدرسة أهل البيت (صلوات الله عليهم) تحكم بإمكان معرفة الذات الإلهية الأزليّة المقدّسة، لكن من وجه؛ ومن خلال الأفعال والآيات والأَسْمَاءُ والصفات الإلهية ومرادفاتها الإلهية العقلية، فتحكي الذات الإلهية المقدّسة من وجه؛ من خلال ما حلّ ويحلّ فيها من تجلّيات إلهية.

ومعناه: أَنَّ البارِي (تقدّس ذكره) مُنَزَّه عن جملة المخلوقات وصفاتها وشؤونها، منها: الأَسْمَاءُ والصفات الإلهية وإن كانت ذاتيّة، وإِلَّا - أي: لو كانت الصفات الإلهية الذاتية عين الذات الإلهية المقدّسة تحقّقاً - لزمت محاذير عدّة، منها:

١- زيادة الفرع على أصله.

٢- كفويّة المخلوق ونديّته وضديّته لباريه (جلّ قدسه).

٣- إحاطة المخلوق بخالقه (تبارك وتعالى).

٤- يكون المخلوق أعظم من خالقه (عزّ جلاله).

→ ٥- حصول كثرة وتعدد وشراكه في الذات الإلهية المقدسة، والواحد غير الكثير، بل الكثرة دليل على المحدودية. وحدود الأسماء والصفات الإلهية وإن لم تكن حدود مخلوقية، لكنها نمط من الحدود، فعندما يُقال: (أَوَّل) لا يُغني عن ذكر (الآخر)، وكذا العكس، وهما لا يغنيان عن ذكر (العالم)، وهذه الثلاثة لا تُغني عن ذكر (الحي)، وهلمَّ جرّاً.

وهذا برهانٌ عقليٌّ دالٌّ على أنَّ كمال (الأَوَّل) و(الأَوَّلِيَّة) لا يستوعبان جملة كمالات الذات المقدسة.

إِذَنْ: كمالات ذات الباري - المسمّى - (جلّ ثناؤه) أوسع - من دون قياس - من كمالات الأسماء والصفات الإلهية، ويحيط (جلّ اسمه) بها، ويهيمن عليها، وجامع لجملة الكمالات، ويطرّش من ذاته (علا ذكره) كمال الأسماء والصفات الإلهية. خلافاً لما تخرصته الأشاعرة؛ من خواء الذات المقدسة من الكمالات.

وتصوير هذه الدرجة عصت على كثير من علماء الإمامية - كالملا صدرا والسيّد الطباطبائي - فضلاً عن غيرهم، نعم هضمها أهل المعرفة إلى درجة ما، وقالوا: إِنَّ الصّفات الإلهية الذاتية عين الذات المقدسة حكاية، وتحكي الذات المقدسة من وجهه.

التنبيه الثاني:

دليل على أنَّ الصّفات الإلهية الذاتية عين الذات المقدسة حكاية

هناك دليل وبرهان عقليٌّ مُركَّب من مُقدِّمات أربع، دالٌّ على حَقائِق النظرية الثانية - وهي المختارة -، الواردة في باب الصّفات والأسماء الإلهية، والدّالة على أنَّ الصّفات الإلهية الذاتية عين الذات الإلهية الأزلية المقدسة حكاية - لا تحقُّقاً؛ كما عليه النظرية الأولى -، وصفات فعلية بالمعنى الأعم تحكي الذات الإلهية المقدسة من وجهه، لكن لا يشوب تلك الحكاية انانيّة وذات المخلوق الحاكي؛ لفنائها في الحكاية، بخلاف الصّفات الفعلية بالمعنى الأخصّ.

والمقدِّمات هي:

→ المقدمة الأولى:

الصفات الإلهية الفعلية مع كثرتها تؤول إلى شيء واحد

ذكر المتكلمون والفلاسفة والمفسرون والمحدثون - على وفق مبناهم في الصفات الإلهية الذاتية، وأنها عين الذات المقدسة تحقّقاً: أَنَّ الصفات الإلهية الفعلية - مع كثرتها - تؤول إلى شيء فارد، ويكون المحكي والمرئي بها واحداً، ومن ثم لا تتنافى مع الأحدية والواحدية؛ فلذا أولوا جميع الصفات الفعلية وارجعوها إلى صفة فعلية واحدة، وارجعها مشهورهم إلى القيومية، وحقيقة هذه الصفة - أي: صفة القيومية - تارة صفة فعل وأخرى صفة ذات.

وبالجملة: صفات الفعل مع كثرتها لا تُنافي وحدة المحكي.

المقدمة الثانية:

وحدة المحكي لا تُنافي تعدّد الحاكي

إِنَّ المحكي بالصفات الفعلية وإن كان واحداً لكنّه لا يعني وحدة الصفات الذاتية تحقّقاً.

إِذَنْ: وحدة المحكي والمرئي بهذه الصفات لا تُنافي تعدّد الحاكي؛ فكثرة الحاكي وإن كانت تحقّقيّة، لكن إرائتها وحكايتها عن المحكي واحدة. وعليه: فلا تُنافي وإصطكاك بين هذه المقدمة وسابقتها.

المقدمة الثالثة:

وحدة الحكاية رغم تكثّر الحاكي

إِنَّ الحكاية وإن كانت مُتكررة بلحاظ الحاكي؛ لكنّها واحدة بلحاظ المحكي؛ فما يحكيه المُميت غير ما يحكيه الرازق، وما يحكيانه غير ما يحكيه القابض، وما تحكيه هذه الثلاثة غير ما يحكيه الباسط وهلمّ جرّاً، لكن حكاية الجميع بلحاظ الذات الإلهية الأزليّة المقدّسة واحدة.

المقدمة الرابعة:

الصفات الفعلية واحدة في المحكي حكاية لا تحقّقاً

→ إنَّ صفات الفعل واحدة في الحكاية - كما تقدَّم - وواحدة في المحكي، فلها وحدة محكي ذاتاً، فألت صفة الفعل إلى صفة ذات لكنّها حكاية لا تحقُّقاً. والنتيجة: أنَّ الصِّفات الفعلية بالمعنى الأعم - ذاتية كانت أم فعلية بالمعنى الأخصّ - بالدقّة صفات ذاتية حكاية - أي: تحكي الذات المقدّسة من وجهٍ - لا تحقُّقاً، ومُتَّحدة في حكاية الذات الإلهية المقدّسة، فكلتاها - أي: الصِّفات الإلهية الذاتية، والصِّفات الإلهية الفعلية بالمعنى الأخصّ - فعل الله ومخلوقات له (تقدّس ذكره)، لكن حيث إنَّ الأولى محو فناء في الحكاية؛ فلا تُري نفسها، بل محكيها - الذات الإلهية الأزليّة المقدّسة - فقط أُصطلح عليها بـ: (الصِّفات الذاتية)، بخلاف الثانية؛ فإنّها حيث تُري محكيها - الذات الإلهية المقدّسة - وقد شاب تلك الإراءة والحكاية شوب الفعل؛ ولم تكن خالصة وفانية في الحكاية أُصطلح عليها بـ: (الصِّفات الفعلية).

وبالجملة: ما ذهب إليه أصحاب النظرية الأولى من أنَّ الصِّفات الإلهية الذاتية عين كُنه وحقيقة الذات الإلهية الأزليّة المقدّسة تحقُّقاً والعقل يدركها دعوة جهالة؛ لأنّها معرفة لُمية لُكنه الذات المقدّسة، وهي باطلة بالضرورة، وهذا ما أكّدت وأصرّت عليه بيانات الوحي المستفيضة، بل المتواترة.

مضافاً: أنَّ الثابت في بيانات الوحي وما أكّدت وأصرّت عليه: أنَّ مُطلق الصِّفات الإلهية - كالأسماء الإلهية - ذاتية كانت أم فعلية لمخلوقات إلهية تحكي الذات المقدّسة من وجهٍ.

فانظر: بيانات الوحي، منها :

- ١- بيان الإمام الرضا عليه السلام: «... ونظام توحيد الله نفي الصِّفات عنه؛ لشهادة العقول أنَّ كُلَّ صفةٍ وموصوف مخلوق، وشهادة كُلِّ موصوف أنَّ له خالقاً ليس بصفةٍ ولا موصوفٍ، وشهادة كُلِّ صفةٍ وموصوف بالاقتران، وشهادة الاقتران بالحدث، وشهادة الحدث بالامتناع من الأزل الممتنع من الحدث، فليس الله من ←

→ عرف بالتشبيه ذاته، ولا إِيَّاهُ وَحَدَّ مَنْ اِكْتَنَهه ... بصنع الله يُسْتَدَلُّ عليه، وبالعقول تُعْتَقَد معرفته ... فقد جهل الله من استوصفه، وقد تعدَّاه من اشتمله، وقد أخطأه من اِكْتَنَهه ... ولا تَحَدَّه الصِّفَات ...». بحار الأنوار، ٤: ٢٢٧ - ٢٣٠ / ح ٣.

٢- بيانه ﷺ أيضاً في جوابه على سؤال عمران الصابي: «... ياسيدي، فبأي شيء عرفناه؟ قال: بغيره. قال: فأَيُّ شيء غيره؟ قال الرضا ﷺ: مشيئته واسمه وصفته وما أشبه ذلك، وكلُّ ذلك محدث مخلوق مدبر ...». عيون أخبار الرضا ﷺ، ١: ١٣١ / ح ١.

٣- بيان الإمام الجواد ﷺ، عن أبي هاشم الجعفري، قال: «كُنْتُ عند أبي جعفر الثاني ﷺ فسأله رَجُلٌ، فقال: أخبرني عن الرَّبِّ تبارك وتعالى أله أَسْمَاءٌ وصفاتٌ في كتابه؟ وهل أَسْمَاؤُهُ وصفائُهُ هي هو؟ فقال أبو جعفر ﷺ: إن لهذا الكلام وجهين: إن كُنْتَ تقول: هي هو؛ أي إِنَّهُ ذُو عَدَدٍ وكَثَرَةٍ؛ فتعالى الله عن ذلك. وإن كُنْتَ تقول: هذه الأَسْمَاءُ والصِّفَاتُ لم تزل؛ فَإِنَّ «لَمْ تَزَلْ» مُحْتَمِلٌ معنيين؛ فَإِنْ قُلْتَ: لم تزل عنده في علمه وهو مُسْتَحِقُّهَا فَنَعَمْ، وَإِنْ كُنْتَ تقول: لم يزل تصوُّيرُها وهجاؤها وتقطيع حُرُوفِها فمعاذ الله أَنْ يكون معه شيءٌ غيره، بل كان الله تعالى ذكره ولا خلق، ثُمَّ خلقها وسيلةً بينه وبين خلقه، يتضرَّعون بها إليه ويعبدونه، وهي ذِكْرُهُ، وكان الله سبحانه ولا ذكر، والمذكور بالذكر هو الله القديم الَّذي لم يزل، والأَسْمَاءُ والصِّفَاتُ مخلوقات، والمعنيُّ بها هو الله الَّذي لا يَلِيْقُ به الاختلاف ولا الائتلاف ...». بحار الأنوار، ٤: ١٥٣ / ح ١. أصول الكافي، ١: ب: معاني الأَسْمَاءِ واشتقاقها: ٨١ / ح ٧.

ودلالته - كدلالة سابقه - واضحة.

إِذَنْ: إدراك العقول للذَّاتِ المُقَدَّسة لا يكون إِلَّا عبر الآيات والآثار والأفعال الإلهية، لا بالكُنْه وتَمَام الحقيقة، ومن ثَمَّ الإِعْتِرَاف بالعجز عن معرفة كُنْه وتَمَام حقيقة الذَّاتِ المُقَدَّسة عين المعرفة الصَّادقة، لأنَّه إِعْتِرَافٌ بأنَّه سبحانه وتعالى محيط ←

→ بالأشياء ولا يُحاط به تقدّس ذكره. ومنه يتّضح: أنّ نفي التوسّل بالآيات والأسماء الإلهية ومرادفاتهما الإلهية العقلية شرك وتشبيه وإلحاد وكفر باللّه العزيز الجبار.

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي، منها:

أولاً: بيان قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥].

ثانياً: بيان قول تقدّس ذكره: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٠].

التنبيه الثالث:

غاية الآيات الإلهية

إنّ ما ورد في بيان قوله تعالى: ﴿سُرِّرْهُمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فُصِّلَتْ: ٥٣] برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ على أنّ غاية رؤية الآيات الإلهية: التعرّف على ساحة القدس الإلهية، ومن ثمّ وجب على المخلوق أن لا ينشغل بالآية، بل عبورها لمعرفة ذيها (ساحة القدس الإلهية).

وينبغي الالتفات:

أولاً: أنّ المراد من عنوان (التبيين) الوارد في هذا البيان الوحياني: (التجلي)، المشار إليه في بيان قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

ثانياً: أنّ هذا البيان الوحياني شامل - كسائر بيانات الوحي المعرفية - لمطلق الآفاق؛ سواء كانت مادية أم حسية أم خيالية أم وهمية أم عقلية أم عرشية.

التنبيه الرابع:

معنى الصفات السلبية

→ ليس المراد من الصِّفات السَّليَّة المعنى الرَّائج في ثقافة العصر؛ وأنَّه ليس في الذَّات الإلهيَّة الأزليَّة المُقدَّسة سلب ونقص، بل المراد منها: صفة مسلوقة ومنفيَّة عن ذاته تعالى المُقدَّسة ولا يتَّصف بها.

النَّفي في الصِّفات السَّليَّة يختصُّ بجانب النقص دون جانب الكمال

ويحذر الالتفات: أنَّ الصِّفات السَّليَّة صفات مشوبة بنقائص تُنفى عن الذَّات الإلهيَّة المُقدَّسة، لكن هذا النَّفي يختصُّ بجانب وحيثيَّة النقص، أمَّا جانب الكمال فلا يُنفى عن الذَّات المُقدَّسة. وهذا ميزانٌ معرفيٌّ مُهمٌّ جدًّا يأتي في أبواب الصِّفات الإلهيَّة.

التنبيه الخامس:

لا بُدَّ من رجوع الصِّفات السَّليَّة إلى إثبات وتحقُّق

إنَّ الصِّفات السَّليَّة لا بُدَّ أن ترجع إلى إثبات وتحقُّق، وإلَّا لزم تعطيل معرفة الذَّات الإلهيَّة الأزليَّة المُقدَّسة، ومن ثمَّ قُرِن التَّسبيح بالتَّحميد في كثير من بيانات الوحي، وأذكار الصَّلَاة كأذكار ركوعها وسجودها وتسبيحها الأكبر وتسبيح فاطمة عليها السلام.

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي، منها:

بيان جواب الإمام الصَّادق عليه السلام على سؤال الزنديق: «... قال: فما هو؟ قال: شيءٌ بخلاف الأشياء، ارجع بقولي إلى إثبات معنى وأنَّه شيءٌ بحقيقة الشَّيْء...». أصول الكافي، ١: ٥٨-٥٩/ح ٥.

فمراد قوله عليه السلام: «ارجع بقولي إلى إثبات معنى» ما ذكرناه آنفًا.

التنبيه السادس:

مآل التَّنزيه والتَّحميد

→ إِنَّ التَّنْزِيهَ وَالتَّحْمِيدَ يَرْجِعَانِ - بِالذِّقَّةِ - إِلَى صِفَاتِ الْجَلَالِ وَالْجَمَالِ، فَالتَّنْزِيهِ جَلَالٌ وَالتَّحْمِيدُ جَمَالٌ.
التنبيه السَّابع:

قاعدة: (الأمر بين الأمرين)

إِنَّ مَا وَرَدَ فِي بَيَانَاتِ الْوَحْيِ، مِنْهَا: بَيَانُ الْإِمَامِ الصَّادِقِ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ): «لَا جَبْرَ وَلَا تَفْوِضَ، وَلَكِنْ أَمْرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ» [أصول الكافي، ١: ١٠٨/ح ١٣] قاعدة وَحْيَانِيَّةٌ شَرِيفَةٌ، مَهُولَةٌ وَخَطِيرَةٌ وَعَظِيمَةٌ جِدًّا، مِنْ أَنْوَارِ جَوَاهِرِ عُلُومِ أَهْلِ الْبَيْتِ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمُ)، وَلَوْلَاهُمْ لَمَا أَمَكَّنَ لِبَشَرٍ قَطُّ الْإِلْتِفَاتَ إِلَيْهَا، بَلْ وَفَقْهَهَا وَفَهَمَهَا.

وَهُنَاكَ بَعْدَ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ الشَّرِيفَةِ لَمْ يَثْرَ فِي كَلِمَاتِ الْأَعْلَامِ، فَإِنَّ الْمَعْرُوفَ عِنْدَهُمْ نَظَرُهَا إِلَى فِعْلِ اللَّهِ ﷻ مَعَ مَخْلُوقَاتِهِ لَيْسَ إِلَّا، وَأَنَّهُ جَلَّتْ آلَاؤُهُ جَعَلَ السُّنَّةَ التَّكْوِينِيَّةَ هَكَذَا.

لَكِنَّهُ: تَضْيِيقُ اسْتَنْبَطَهُ الْمُتَكَلِّمُونَ.

وَالْحَقُّ: أَنَّ هَذِهِ الْقَاعِدَةَ شَامِلَةٌ لِكُلِّ عِلَاقَةٍ بَيْنَ الْبَارِي جَلَّ قُدْسُهُ وَمَخْلُوقَاتِهِ، سِوَاءَ أَكَانَتْ عِلَاقَةٌ تَكْوِينِيَّةً أَمْ تَشْرِيعِيَّةً، بَلْ وَشَامِلَةٌ تَكْوِينًا إِلَى الْجَانِبِ الْمُعَاكِسِ، يَعْنِي مِنْ جِهَةِ الْمَخْلُوقِ إِتِّجَاهَ السَّاحَةِ الْإِلَهِيَّةِ، فَعِلَاقَةُ الْمَخْلُوقِ وَمَسْئُولِيَّاتِهِ إِتِّجَاهَ بَارِيهِ جَلَّ ذِكْرُهُ وَإِتِّجَاهَ الدِّينِ وَإِتِّجَاهَ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَسَائِرِ أَهْلِ الْبَيْتِ ﷺ لَا جَبْرَ فِيهَا وَلَا تَفْوِضَ وَلَكِنْ أَمْرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ؛ فَإِنَّ لِلْمَخْلُوقِ دَوْرًا لَا بُدَّ مِنْهُ فِي نَصْرَةِ الْبَارِي عَلا ذِكْرِهِ وَنَصْرَةِ دِينِهِ وَنَبِيِّهِ وَسَائِرِ أَهْلِ الْبَيْتِ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمُ)، فَانْتِصَارَ السَّاحَةِ الْإِلَهِيَّةِ لَيْسَ بِقَائِمٍ عَلَى الْجَبْرِ وَالْمُلْكُوتِ وَالْمُعْجَزَاتِ الْإِلَهِيَّةِ، بَلْ يَحْتَاجُ إِلَى الْأُمُورِ الْمَادِّيَّةِ وَالطَّبِيعِيَّةِ وَتَجْنِيدِ الْمَخْلُوقَاتِ، لَكِنْ لَيْسَ مَعْنَاهُ تَفْوِضٌ؛ وَأَنَّهُ إِذَا لَمْ تَقُمْ الْمَخْلُوقَاتُ بِدَوْرِهَا تَعَطَّلَتِ الدَّوْلَةُ الْإِلَهِيَّةُ؛ دَوْلَةُ أَهْلِ الْبَيْتِ ﷺ وَتَعَطَّلَتْ أَدْوَارُهُمْ، وَإِنَّمَا لَا جَبْرَ وَلَا تَفْوِضَ، وَلَكِنْ أَمْرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ، وَعَلَى وَفْقِ ←

→ الموازين الإلهية والعلمية، فالتمهيد لقيام الدولة الإلهية الحتمية، دولة أهل البيت (صلوات الله عليهم) المشار إليها في بيانات الوحي، منها: بيان قول العزيز الجبار: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣] قائم على قدم وساق، سواء أتى المخلوق بمسؤولياته وأدواره أو لا.

التنبيه الثامن:

شمول قاعدة: (الأمر بين الأمرين) لكافة العوالم وجملة المخلوقات

إنَّ قاعدة: (الأمر بين الأمرين) لا تشمل أفعال الإنس والجن فقط، بل تشمل أفعال جملة المخلوقات وفي طُرَّ العوالم غير المتناهية، بل وتشمل أصل وجود جواهر جميع المخلوقات؛ فلا يوجد مخلوق البتَّة وفي سائر العوالم، قد أفيضت عليه نعمة الوجود، وخرج من طور العدم إلى نور الوجود إلَّا باختياره، وإلَّا فمخالف لضرورة العدل الإلهي، ومعنى الاختيار: (لا جبر ولا تفويض، ولكن أمر بين أمرين)، ومن ثَمَّ لا يحقُّ لمخلوق (والعياذ بالله تعالى) الاعتراض على ساحة القدس الإلهية وأنَّه لماذا خُلِقْتُ.

وبالجملة: أنَّ هذه القاعدة لَمَّا كانت قاعدة معرفية عقائدية دينية كانت شاملة - كالدين - لكلِّ علاقة بين الخالق جلَّ ذكره والمخلوقات غير المتناهية وفي كافة العوالم غير المتناهية أيضاً.

وينبغي الالتفات: أنَّه ليس معنى هذه القاعدة: أنَّ حيثية العبد في الفعل في عَرْضِ حيثية الباري ﷻ في الفعل أيضاً، وإنَّما حيثية العبد في الفعل في طول حيثية الباري تعالى في الفعل؛ لأنَّ جملة قوام العبد وحوله وقوته وقدرته قائمة بالله جلَّ شأنه.

التنبيه التاسع:

الإعتقاد بأنَّ الجبر معلم توحيد من أشنع المعتقدات الفاسدة

→ اعتقد اليهود والجبرية والقدرية: أَنَّ مُعْتَقِدَ الجبر والقول به يصبُّ في توحيد الله وتعظيمه وتعظيم قدرته، ومعلم لأُحْدَيْتِهِ (تبارك اسمه) ووحدانيته وتوحيده في مقام القدرة؛ فهو يفعل ما يشاء ولا يفعل ما يشاء غيره، بخلاف مُعْتَقِدَ: (لا جبر ولا تفويض، ولكن أمر بين أمرين) فَإِنَّ معناه خلط بين جهتين، نصف جبر ونصف تفويض.

ومعناه: أَنَّ لله شريك؛ لِأَنَّ التفويض يعني: استقلال المخلوق عن خالقه، وَأَنَّ هناك مساحةً من عَالَمِ الإمكان وعَالَمِ الأفعال وعَالَمِ المخلوقات مُفَوَّضَةٌ لنفس المخلوقات، وتتصرَّف فيها باستقلالية عن ساحة القدس الإلهية، ومعناه: شرك بالله وانحسار قدرته تعالى وهيمته عن بقعة من بقاع عَالَمِ الإمكان، والحال أَنَّ كُلَّ شيءٍ قائمٌ به تعالى.

والجواب: أَنَّ الاعتقادَ والظنَّ والقولَ بِأَنَّ الجبر مَعْلَمٌ لِعِظَمِ قدرة الله ومعلم لتوحيده ﷻ وأُحْدَيْتِهِ ووحدانيته في القدرة من أكبر الأخطاء والمعتقدات الفاسدة والغفلات الفاحشة؛ لِأَنَّ القائلَ به وإن كان يسند الأحداث والأفعال إلى الباري تبارك وتعالى فَحَسْبُ، لكنَّه من جهةٍ أُخْرَى يقول: إِنَّ الأمر قد فُرِغَ منه ولا يتبدَّل، ومعناه: أَنَّهُ ليس لله تعالى القدرة على التبديل، ولازمه: محدودية قدرة الله ﷻ. وهو كما ترى.

فانظر:

١- بيان قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

٢- بيان قوله جلَّ شأنه: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].
ودلالاتهما واضحة.

إِذَنْ: بسط قدرة الله وتوحيده في القدرة ليس في الجبر، بل يكمن في الأمر بين الأمرين.

→ ومنه يتَّضح: أَنَّ (البَدَاء) يعني: الإختيار من الوجهة الرِّبانيَّة ومن الوجهة المخلوقيَّة.

لكن: توَهَّم بعض الجبريَّة والقدريَّة والمفوضَّة، بل وبعض الصُّوفيَّة والعرفاء - كابن عربي - أَنَّ إختيار المخلوق نوع ند وشرك وشراكة لإختيار الخالق عظمت آلاؤه؛ ومناددة له تعالى في قدرته وإختياره.

والحقُّ: أَنَّ إختيار المخلوق مظهر لعدم تناهي قدرة الله ﷻ، ومظهر لبيانات الوحي الواردة في المقام، منها: ما تقدَّم.

إِذَنْ: إختيار المخلوق بمعنى الأمر بين الأمرين معلم توحيدِيّ، وقائم على دعائمين: الخوف والرجاء، والرَّهبة والرَّغبة، وكلُّمَا اِشْتَدَّ أحدهما عند المؤمن البالغ درجات الإيِّمان كُلُّمَا اِشْتَدَّ الآخر عنده بدرجة، ومعناه: أَنَّهُ لا إِيَّاس ولا ضِمان حتمي، وإِنَّمَا أمر بين امرين؛ فإذا توسَّط المخلوق وأخذ بالوسط كان على مراتب لا حدَّ لها اِشْتِدَادًا في التَّوسُّط.

التنبيه العاشر:

مُقَدَّرَاتُ الْأُمُور لَا تُحْبَسُ عَلَى الْأَسْبَابِ الْمَعْهُودَةِ

أحد ألوان الشرك الخفي: اِعْتِقَادُ المخلوق بأنَّ مُجْرِيَاتِ كَافَّةِ الْأُمُور حَيِّسَةٌ عَلَى الْأَسْبَابِ وَالْمُسَبِّبَاتِ، فَإِنَّهُ وَإِنْ وَرَدَ فِي بَيِّنَاتِ الْوَحْيِ: «أَبَى اللهُ أَنْ يَجْرِيَ الْأَشْيَاءُ إِلَّا بِالْأَسْبَابِ» [بحار الأنوار، ٢: ٩/ح ١٤]، لكن هذه القاعدة المعرفيَّة لا تُنَافِي: أَنَّ مُقَدَّرَاتِ الْأُمُور لَيْسَتْ مَحْبُوسَةٌ عَلَى الْأَسْبَابِ الْمَوْجُودَةِ، فَمَنْ قَالَ أَنَّهَا مُنْهَصِرَةٌ بِتِلْكَ الْأَسْبَابِ، فَإِنَّهُ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى يُمْكِنُ أَنْ يَفْتَحَ بَابًا لَمْ يَكُنْ مَوْجُودًا مِنْ قَبْلُ، وَيَخْلُقُ أَسْبَابًا لَمْ تَكُنْ؛ وَلَمْ تَحْظَرْ عَلَى بَالِ مَخْلُوقٍ قَطُّ.

وهذا المبحث أحد معالم قاعدة: «لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين».

التنبيه الحادي عشر:

دركات الشرك الخفيَّة

→ إِنَّ مَا وَرَدَ فِي بَيَانَاتِ الْوَحْيِ، مِنْهَا :
 ١- بَيَانُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

٢- بَيَانُ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ: «إِنَّ الشَّرْكَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى صِفَاةِ سُودَاءٍ فِي لَيْلَةِ ظُلُمَاءٍ». بحار الأنوار، ٦٩: ٦٣/ح ٣. تفسير القمي: ٢٠٠.

٣- بَيَانُ الْإِمَامِ الصَّادِقِ ﷺ: «إِنَّ الشَّرْكَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ، وَقَالَ: مِنْهُ تَحْوِيلُ الْخَاتَمِ لِيَذْكُرَ الْحَاجَّةُ وَشَبْهَ هَذَا». بحار الأنوار، ٦٩: ٩٦/ح ٩. معاني الأخبار: ٣٦٩.

بِرَاهِيْنٌ وَحِيَانِيَّةٌ دَالَّةٌ: أَنَّ لِلشَّرْكَ دَرَكَاتٍ خَفِيَّةً تَدْقُ وَتَخْفِي عَلَى الْكَثِيرِ، مِنْهُمْ الْأَوْلِيَاءُ.

التنبيه الثاني عشر:

عنوان: (مرجئة الشيعة)

إِنَّ الْمُرَادَ مِنْ تَعْبِيرِ: (مَرْجُئَةُ الشَّيْعَةِ) الْوَارِدِ فِي بَيَانَاتِ الْوَحْيِ كَذِمَ لِبَعْضِ الشَّيْعَةِ: مَنْ يَقُولُ بِالتَّقْوِيضِ الْخَفِيِّ، وَالْمُرَادُ مِنْهُ:

إِمَّا الْإِعْتِقَادَ وَالْقَوْلَ بِأَنَّ الْأُمُورَ مُفَوَّضَةٌ إِلَى نَفْسِ الْمَخْلُوقِ؛ وَأَنَّهُ الَّذِي يُحْدِثُ التَّغْيِيرَ مِنْ دُونِ تَدْخُلِ السَّاحَةِ الْإِلَهِيَّةِ وَلَا الْإِمَامَ ﷺ.

وإِمَّا الْإِعْتِقَادَ وَالْقَوْلَ بِأَنَّ كَافَّةَ الْأُمُورِ وَمَا يَحْدِثُ مِنْ تَغْيِيرٍ لَا يَكُونُ إِلَّا بِيَدِ السَّاحَةِ الْإِلَهِيَّةِ، وَعَلَى الْمَخْلُوقِ الْمِرَاقَبَةِ وَالتَّفَرُّجِ.

وَهَاتَانِ قَرَأَتَانِ خَاطِئَتَانِ لِلدِّينِ وَلِمَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ ﷺ. وَالْحَقُّ: يَكْمُنُ فِي (الْأَمْرِ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ)؛ فَلَا جَبْرَ وَلَا تَقْوِيضَ.

وَالِاسْتِنْبَاطُ فِي أَبْوَابِ الْمَعَارِفِ وَفَقْهِ الْفُرُوعِ إِذَا كَانَ قَائِمًا عَلَى أَحَدِ هَاتَيْنِ الْقَرَأَتَيْنِ فَسِيرَتُهُمُ الْمُسْتَنْبِطُ لَا مُحَالَةً إِمَّا بِجَانِبِ الْإِفْرَاطِ، وَظَنِّ الْمَسْئُولِيَّةِ بِشَكْلِ مُتَطَرِّفٍ، وَإِمَّا بِجَانِبِ التَّفْرِيطِ وَتَوَانِيهِ عَنِ الْمَسْئُولِيَّةِ.

→ التنبيه الثالث عشر:

إدعاء إحاطة المخلوق بالذات المقدسة غلو في معرفته

قد يقع المخلوق في الغلو، لكن لا من جهة المعرفة الإلهية وفي حقّ البارئ تعالى، وإنما من جهة نفس من يدّعي المعرفة بالله تعالى، فيتوهم أنّ معرفته هذه تُحيط بكنهه الذات الإلهية الأزليّة المقدّسة، فغُلوّه ليس في المخلوقات، بل في معرفته المرتبطة به تقدّس ذكره.

وهذا النحو من الغلو ارتطمت به المجسّمة والمُشبّهة؛ فإنّهم - بالدقّة - لم يُغالوا في المخلوقات، وإنما غالوا في أنفسهم وفي معرفتهم؛ وأنّ لديهم المكنة من معرفة كنهه الذات الإلهية المقدّسة.

التنبيه الرابع عشر:

أخطر أنواع الغلو والتّقصير

إنّ أخطر شيء يُصيب المخلوق على الإطلاق أن يجبس في أفق فكره كنهه الذات الإلهية الأزليّة المقدّسة، بل وكُنّه التّوحيد والنّبوة والإمامة الإلهية. إذن: مَنْ يدّعي إحاطة عقله أو فكره أو سائر طبقات حقيقته بكنهه الذات الإلهية أو بكنهه التّوحيد أو بكنهه النّبوة أو بكنهه الإمامة الإلهية، بل وبكنهه الآيات الكبرى والمخلوقات العظمى، بل مَنْ يدّعي بسبر فكره وبقراءته ومطالعتة للمباحث الفكرية والمعرفية أنّه أحاط بكنهها وبتمام حقيقتها فقد ارتكب شططاً؛ وارتطم بالكفر والإلحاد الخفي، ووقع في محذور الفرعونيّة، وصيرّ نفسه جتاً وطاغوتاً تُعبد من دون الله تعالى.

وإلى هذا أشارت بيانات الوحي، منها:

ما تقدّم من بيان القاعدة الوحيانيّة المعرفيّة العقلية الجزلة، المُستفادة من بيانات الوحي المعرفيّة العقلية، وهي: «مَنْ وصف شيئاً بكنهه كان أعظم من الموصوف».

وهذه القاعدة تنحلّ إلى قاعدتين:

→ **الأولى:** «مَنْ وصف شيئاً بكُنْه فقد أحاط به».

الثانية: «مَنْ أحاط بشيء كان أعظم من المحاط».

بل وأشارت إليه بيانات العلوم العقلية؛ فإنَّها حاكمة باستحالة إحاطة المعلول بعلته وإن كانت - تلك العلة - واسطة فيض إلهي.

التنبيه الخامس عشر:

إعتقاد المخلوق بأنَّ ما حواه حازه بنحو الاستقلالية نحو غلُو

إنَّ أحد مصاديق غلُو وتأليه المخلوق لنفسه: إعتقاده - ولو كان ذلك الإعتقاد بمقدار حبة من خردل - بأنَّ ما مُتَّع به من قوى وقابليَّات وشؤون وأحوال وفضائل وكمالات ومقامات علمية وغيرها حاز وحصل عليها من تلقاء نفسه، وبنحو الاستقلالية.

التنبيه السادس عشر:

استحالة إحاطة فعل الله النَّازل بكُنْه فعل الله الصَّاعد

هناك قاعدة وضابطة معرفية عقلية واردة في بيانات الوحي المعرفية العقلية يجدر صرف النظر إليها، وهي: «أنَّه لا يُمكن لفعل الله النَّازل إكتناه حقيقة فعل الله الصَّاعد»؛ وذلك للزوم عدَّة محاذير، منها: الغلُو في حقِّ المخلوق النَّازل، والتَّقْصير في حقِّ المخلوق العالي.

وإلى كُلِّ هذا أشارت بيانات الوحي، منها:

بيانهم (صلوات الله عليهم): «أَنَّ الله تبارك وتعالى لا يوصف، ورسوله لا يوصف، والمؤمن لا يوصف، فَمَنْ احتمل حديثهم فقد حدَّهم، وَمَنْ حدَّهم فقد وصفهم، وَمَنْ وصفهم بكلمهم فقد أحاط بهم، وهو أعلم منهم». بحار الأنوار، ٢: ١٩٣ - ١٩٤/ح ٣٩. بصائر الدرجات، ١: ب ١١، في أئمة آل مُحَمَّد ﷺ

«حديثهم صعب مستصعب»: ٦٧ - ٦٨/ح ١٠٠ - ١٥.

→ التنبيه السابع عشر:

الْغُلُوُّ وَالتَّقْصِيرُ أَحَدُهُمَا يَسْتَبْطِنُ الْآخَرَ

إِنَّ الثَّابِتَ فِي عُلُومِ الْمَعَارِفِ الْإِلَهِيَّةِ: أَنَّ فِي كُلِّ غُلُوٍّ تَقْصِيرًا، وَفِي كُلِّ تَقْصِيرٍ غُلُوٌّ، فَيُوجَدُ فِي حَاقِّ أَحَدِهِمَا الْآخَرُ.

توضيحه ببيان رياضي، حاصله: أَنَّهُ لَوْ أُريدَ تَوْزِيعُ مَادَّةٍ مَعْيَنَةٍ عَلَى أَقْسَامٍ وَلِتَكُنْ ثَلَاثَةً، فَلَوْ فَرَضَ أَنَّ الْقِسْمَ الْأَوَّلَ زَيْدٌ فِي حَصَّتِهِ وَحَصَلَتْ فِيهِ زِيَادَةٌ وَغُلُوًّا، فَلَا زَمَّ حُصُولِ نَقْصٍ وَتَقْصِيرٍ فِي أَحَدِ الْقَسْمَيْنِ الْآخَرَيْنِ أَوْ فِي كِلَيْهِمَا.

وعلى هذا قس العكس؛ فَإِنَّهُ لَوْ فُرِضَ أَنَّ الْقِسْمَ الْأَوَّلَ انْقَصَ مِنْ مَادَّتِهِ، وَحَصَلَ فِيهِ نَقْصٌ وَتَقْصِيرٌ فَتَلَقَّائِيًّا سَتَحْصُلُ زِيَادَةٌ وَغُلُوٌّ فِي أَحَدِ الْقَسْمَيْنِ الْآخَرَيْنِ أَوْ فِي كِلَيْهِمَا.

ومعناه: أَنَّ كُلَّ مُغَالٍ مُقْصَرٍّ، وَكُلُّ مُقْصَرٍّ مُغَالٍ، وَالنَّجَاةُ فِي لُزُومِ الْجَادَّةِ الْوَسْطَى غَيْرِ الْمُنْتَاهِيَةِ.

وعليه: فَإِذَا قَصَرَ الْمَخْلُوقُ فِي جِهَةٍ كَمَا لَوْ قَصَرَ فِي إِمَامَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) فَلَا بُدَّ أَنْ تَدْفَعَ مَقَامَاتِهِمْ إِلَى طَرَفٍ آخَرَ؛ فَصَارَ غُلُوًّا، كَمَا فَعَلَ أَصْحَابُ السَّقِيفَةِ وَأَتْبَاعُهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ حِينَما نَفَوْا الْإِمَامَةَ وَالْعَصْمَةَ وَمَا شَاكِلَهُمَا مِنَ الْمَقَامَاتِ الْإِلَهِيَّةِ عَنْ أَهْلِ الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) حَصَلَ تَقْصِيرٌ. لَكِنَّهُمْ أَثْبَتُوهَا لِأَصْحَابِ السَّقِيفَةِ وَالْفُقَهَاءِ الْأَرْبَعَةِ فَصَارَ غُلُوًّا. وَعَلَى هَذَا قَسْ حَالِ الصُّوفِيَّةِ وَالْعُرَفَاءِ؛ فَإِنَّهُمْ يَسْلُبُونَ بَعْضَ الْمَقَامَاتِ وَالْخُصُوصِيَّاتِ الثَّابِتَةِ لِأَهْلِ الْبَيْتِ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) وَيُثْبِتُوهَا لِآخَرِينَ.

التنبيه الثامن عشر:

معنى (سُبْحَاتِ الْأَزَلِّ)

وهيمنة مَنْ بايع سيّد الأنبياء ﷺ^(١) من المسلمين في بيعة الحديبية - بيعة

→ إِنَّ معنًى: (سُبْحَاتِ الْأَزَلِ) الواردة في المعارف الإلهية: تنزّه الباري - الْمُسَمًى -
(جَلَّ قدسه) عن صفات المخلوقات؛ ك: الضعف والحدود.
التنبيه التاسع عشر:

المُرَاد من (الرؤية القلبية)

يُقصد من (الرؤيا القلبية) في بحوث المعارف: الإدراكات العيانية والعلم
الحضوري.
التنبيه العشرون:

الاكتشافات العلمية تزيد المَطَّلَع عليها رهبة خالقه

إِنَّ لهول عظمة الفعل الإلهي من خلال الإطّلاع على ما توصلت إليه إكتشافات
واختراعات العلم الحديث المذهلة في شتّى العلوم تزيد المَطَّلَع عليها تعظيماً وهيبةً
ورهبَةً لخالقه سبحانه وتعالى.

التنبيه الحادي والعشرون:

الخلقة والتّقادير الإلهية تكلم من الخالق مع مخلوقاته

إِنَّ في خلقة الباري وتقديره تكلم منه ﷻ على مدار السّاعة مع مخلوقاته، لكن
الَّذي يسمعها ويُبصرها ويفهمها ويُترجمها كَمَل المخلوقات.

وبالجملة: كُلُّ مخلوقٍ من مخلوقات الله تبارك وتعالى، وكُلُّ تقديرٍ إلهيٍّ يُنبئ عن
صفةٍ واسمٍ من الصّفات والأسماء الإلهية العظيمة، وحكمة من حكمه جلّ وعلا
المهولة، وكمال من كمالاته جلّت آلاؤه الخطيرة.

(١) ينبغي صرف النظر في المقام إلى القضايا التالية :
القضية الأولى:

جملة من الحروف المُقطّعة الواردة في القرآن الكريم مُشيرة إلى مقامات سيّد

الأنبياء ﷺ

→ إنَّ ما ورد في بيان دعاء الإمام زين العابدين (صلوات الله عليه) الوارد لبيان جملة من مقامات سيّد الأنبياء ﷺ الإلهية: «... وَقُلْتُ جَلَّ قَوْلُكَ لَهُ حِينَ اخْتَصَصْتَهُ بِهَا سَمِيَّتِهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ: ﴿طِهْ﴾ * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿طِهْ: ٢-١﴾، وَقُلْتُ عَزَّ قَوْلُكَ: ﴿يَسْ﴾ * وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ﴿يَسْ: ٢-١﴾، وَقُلْتُ تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُكَ: ﴿ص وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ﴾ [ص: ١]، وَقُلْتُ عَظُمْتَ أَلَاؤُكَ: ﴿ق وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدَ﴾ [ق: ١]، فَخَصَصْتَهُ أَنْ جَعَلْتَهُ قِسْمَكَ حِينَ أَسَمَيْتَهُ، وَقَرَنْتَ الْقُرْآنَ مَعَهُ؛ فَمَا فِي كِتَابِكَ مِنْ شَاهِدٍ قِسْمٍ وَالْقُرْآنَ مُرَدِّفٍ بِهِ إِلَّا وَهُوَ اسْمُهُ، وَذَلِكَ شَرَفٌ شَرَّفْتَهُ بِهِ، وَفَضْلٌ بَعَثْتَهُ إِلَيْهِ، تَعَجَّزَ الْأَلْسُنُ وَالْأَفْهَامُ عَنْ عِلْمٍ وَصَفٍ مُرَادِكَ بِهِ، وَتَكَلُّ عَنْ عِلْمٍ ثَنَائِكَ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ عَزَّ جَلَالُكَ فِي تَأْكِيدِ الْكِتَابِ وَقَبُولِ مَا جَاءَ فِيهِ: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يُنطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ [الجاثية: ٢٩]، وَقُلْتُ عَزَّيْتُ وَجَلَّيْتُ: ﴿مَا فَزَعْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وَقُلْتُ تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ فِي عَامَّةِ ابْتِدَائِهِ: ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [يونس: ١]، ﴿الرَّ كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَّلْتُ﴾ [هود: ١]، ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [يوسف: ١]، ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ١]، ﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾ [إبراهيم: ١]، ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ [الحجر: ١]، و﴿الم﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴿[البقرة: ٢-١]، وَفِي أَمْثَالِهَا مِنَ السُّورِ وَالطُّوَّاسِينِ وَالْحَوَامِيمِ فِي كُلِّ ذَلِكَ ثَنِيَتْ بِالْكِتَابِ مَعَ الْقِسْمِ الَّذِي هُوَ اسْمٌ مِنْ اخْتَصَصْتَهُ لَوْحِيكَ، وَاسْتَوْدَعْتَهُ سَرَّ غَيْبِكَ...﴾. بحار الأنوار، ٨٨: ٨.

برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ على أَنَّ الحروفَ الْمُقَطَّعَةَ الْوَارِدَةَ فِي بَدَايَاتِ سُورِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ إِذَا أُرْدِفَتْ بِلَفْظِ (القرآن) أَوْ بِلَفْظِ (الكتاب)؛ فَتِلْكَ الْحُرُوفُ الْمُقَطَّعَةُ رَمُوزٌ مَعْرِفِيَّةٌ غَيْبِيَّةٌ مُشِيرَةٌ لِبَعْضِ أَسْمَاءِ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ، وَجُمْلَةٌ مِنْ مَقَامَاتِهِ وَشُؤُونِهِ الْغَيْبِيَّةِ الْمَلَكُوتِيَّةِ، وَهِيَ أَعْظَمُ شَأْنًا وَمَقَامًا إِلَهِيًّا، وَأَخْطَرُ هَوْلًا مِنْ حَقِيقَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَمَقَامَاتِهِ الصَّاعِدَةِ مَعَ عَظَمَتِهَا وَهَوْلِ خَطَرِهَا، بَلْ أَسْمَاؤُهُ تِلْكَ وَمَقَامَاتُهُ وَشُؤُونُهُ ﷺ تَخْرُسُ الْأَلْسُنَ عَنْ وَصْفِهَا، وَالْقُلُوبُ عَنْ تَوْهَمِهَا وَالفكر فيها، ومن ←

→ ثم إذا كان القرآن الكريم وحقيقته ومقاماته الصّاعدة لا يمسّها ولا يصل إليها إلّا المطهّرون - كما صرّحت بذلك بيانات الوحي - فكيف بحقيقة سيّد الأنبياء ﷺ ومقاماته وشؤون الصّاعدة.

وبالجملة: هذا البيان الوحيّ الشريف دالٌّ على أنّ حقيقة القرآن الكريم وجمله مقاماته تابعة لمفادات أسماء سيّد الأنبياء ﷺ ومقاماته وشؤونه الغيبيّة المملوكة؛ المكنى عنها بتلك الحروف المقطّعة.

ومعناه: أنّ ذات سيّد الأنبياء ﷺ أشمخ وأعظم هولاً وخطراً من حقيقة القرآن الكريم الصّاعدة، بل من قمم ذاته ﷺ تنحدر حقيقة القرآن الكريم الصّاعدة، فالتفت.

مَفَادُ هَذَا الدُّعَاءِ نَفْسُ مَفَادِ حَدِيثِ الثَّقَلَيْنِ

ومفاد هذا البيان الوحيّ الشريف نفس مفاد حديث الثقلين، الوارد في بيان سيّد الأنبياء ﷺ: «إِنِّي تَارِكُ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ: كِتَابُ اللَّهِ؛ حَبْلٌ مَدْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَعِترتي أَهْلُ بَيْتِي، وَإِنَّمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرْدَا عَلَيَّ الْحَوْضِ». بحار الأنوار، ٢٣: ١٣٦ / ح ٧٦. إكمال الدين: ١٣٩.

فإنّه برهانٌ وحيّ دالٌّ على أنّه ﷺ مصدر للثقلين ولا اعتبارهما، ومبدؤهما ومتتهما، والمهيمن عليهما.

وهذه العقيدة هي ما عليه مدرسة أهل البيت عليه السلام.

مَفَادُ بَيَانِ هَذَا الدُّعَاءِ نَفْسُ مَفَادَاتِ بَيَانَاتِ بَعْضِ زَيَارَاتِهِ ﷺ وَبَيَانَاتِ أُخْرَى

ومفاده أيضاً نفس مفاد ما ورد في بيان زيارته ﷺ: «السَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ آمِينَ اللَّهُ وَعَلَى وَحْيِهِ وَعِزَائِمِ أَمْرِهِ الْخَاتَمِ لِمَا سَبَقَ، وَالْفَاتِحِ لِمَا اسْتَقْبَلَ وَالْمُهَيْمِنِ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ وَرَحْمَةِ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ...». بحار الأنوار، ٩٧: ١٤٨ - ١٤٩ / ح ١٢.

مصباح الكفعمي: ٢٧٤. مجمع البيان، ٥: ١٧.

→ ونفس مفاد بيان قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ * فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨١ - ٨٣].

فإنه برهانٌ وحيائيٌّ دالٌّ على أنَّ نبوةَ أيِّ نبيٍّ كان لا يمكن حصولها والتمتع بها إلا بعد الإقرار بسيدِّ الأنبياء ﷺ وبنبوته ورسالته، وبعد تعظيمه والتوسُّل والتشفع به إلى ساحة القدس الإلهية، ولم ينال نبيٌّ ولا رسول قطُّ نبوةً ولا رسالة إلهية إلا بعد وساطته ﷺ. بل ووساطة سائر أهل البيت (صلوات الله عليهم).

وَمِنْ كُلِّ هَذَا يَتَضَح: مدى الإخفاق والقصور والتقصير الشنيع والغفلة الشاسعة الحاصلة في تعاريف كُتِبَ البشر المعرفية - كالكلامية والفقهية والتفسيرية - لحقيقة النبوة والإمامة الإلهية المتمتع بها سيِّد الأنبياء ﷺ؛ فإنه من يلاحظ جملة تلك التعاريف فسيجدها ترسم لمقامه ﷺ دور ساعي بريد؛ يقوم بتسليم الطرد البريدي المدفوع له من يد ساحة القدس الإلهية، فهو حامل وحي ليس إلا، ومن ثمَّ قد يكون حامل وحي إلى مَنْ هو أعظم منه، فحقيقة هذا الموقف تحمل في طياتها مقولة ذاك القائل: «حسبنا كتاب الله». بحار الأنوار، ٢٢: ٤٧٢-٤٧٣/ ح ٢١.

وعلى طرز هذا الاعتراض هناك إعتراض آخر، وهو ما حصل في صلح الحديبية، واعتراض نفس قائلهم قبل ذلك على الصلح الذي أجراه سيِّد الأنبياء ﷺ مع المشركين بقوله: «... فعلام نعطي الدنية في ديننا ...» [بحار الأنوار، ٢: ٣٣٣]؛ ومن ثمَّ هاج سائر الصحابة على سيِّد الأنبياء ﷺ إلا أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)؛ فلذا أخذ ﷺ عليهم البيعة مرةً أخرى لتصحيح إسلامهم وموالاتهم له ﷺ.

وهذه المقولة الخطيرة لازالت مُعشَّشة في ذوات أجيال كثير من علماء المسلمين. وهذا يُعطي مؤشراً خطيراً على مدى فظاعة القصور الشنيع في المعرفة به ﷺ.

→ وعلى هذا قس حال سائر الحقائق والمعارف الإلهية كالإمامة والمعاد. وَمِنْ ثَمَّ حصلت كثير من الشُّبُهَات والإشكالات والإثارات والتساؤلات المعرفية من قِبَلِ العلماء والعلمانيين وأصحاب الفلسفات الغربية وأصحاب الملل والنحل على المعارف الإلهية، الواردة في أبواب النبوة، منها: أَنَّهُ ما دتم ترسمون تعريفاً بهذا الشَّكْلِ للنَّبِيِّ فلا يكون لدين الإسلام خلوداً أبدياً ومسار هداية للبشرية إلى يوم القيامة.

وعلى هذا قس أيضاً المعارف الإلهية الواردة في باب الإمامة الإلهية والمعاد، والمباني والمبنيات التي نُظِّرَتْ على صعيد الفقه السياسي الإسلامي في عصر الغيبة الكبرى؛ فَإِنَّهَا مُبْتَنِيَّةٌ على قصور معرفي.

مثاله: تفسير الإمامة الإلهية بالرئاسة البشرية بعدها السياسي، وبالقيادة والإدارة الظاهرية للمجتمعات البشرية؛ فَإِنَّهُ ينبعث منه شُبُهَات وإشكالات وتساؤلات كثيرة أيضاً حول غيبة الإمام صاحب العصر والزمان ﷺ، وأين هو في ظل هذه القرون المتتالية؟ بل لا معنى للخلاف في الإمام والخلافة الإلهية في عصر الغيبة؛ لِإِخْتِصَاصِهَا بحضور الإمام ﷺ ووجوده الشَّريف المُعْلَن، وإلا فلا موضوع لهذا الخلاف، ويكون من باب السَّالِبة بانتفاء موضوعها، وهكذا لا معنى لتحكيم النَّصِّ الوحياني في عصر الغيبة ما دتم ترسمون تعريفاً للإمامة الإلهية بهذا الشَّكْلِ.

وَكُلُّ ذَلِكَ وغيره يُدْفَعُ أو يُرْفَعُ، بل لا يُجَالِجُ الذَّهْنَ والنَّفْسَ لو أُسْتُقْصِيَ تعريف الإمامة الإلهية من بيانات الوحي؛ فَإِنَّهُ سَيَتَّضِحُ أَنَّ الإمامة الإلهية ذات مواقع وشؤون تكوينية وملكويتية لا تنحصر ولا تقتصر على الإدارة السياسية المُعْلَنَة، بل هناك أنماط وأنواع من الإدارة الخفية والملكويتية والملكية الأرضية، والإدارة المُعْلَنَة والمكشوفة مع عظمتها، لكنَّها أدناها وأبسطها، بل الإمامة الإلهية لا تقتصر على عَالَمِ الدُّنْيَا وعلى الثقلين - الجن والإنس -، بل تشمل جملة عوالم الخلقة ومخلوقاتهما ←

→ غير المتناهية من بداية الخلقة والوجود إلى ما لا نهاية له ما دام لله تعالى حاجة في خلقه.
القضية الثانية:

خطر نبوة سيد الأنبياء ﷺ

إِنَّ أَعْظَمَ نَبِيٍّ أَبْدَى لَأُمَّتِهِ عناية ورعاية ورأفة ورحمة ليس هو إِلَّا نَبِيَّنَا الْأَعْظَمَ ﷺ، وهذا نوع زيادة في التَّعَقُّلِ والخيرِيةِ.
ثُمَّ إِنَّ مَا يَقُومُ بِهِ لَيْسَ بِمُنْحَصَرٍ فِي هَذِهِ النِّشْأَةِ الْأَرْضِيَّةِ، بَلْ قَامَ بِهِ فِي الْعَوَالِمِ السَّالِفَةِ، كَعَالَمِ الذَّرِّ والمِثَاقِ، وَيَقُومُ بِهِ فِي الْعَوَالِمِ اللَّاحِقَةِ، كَعَالَمِ: (الْبَرْزَخِ الصَّاعِدِ)، و(الرَّجْعَةِ)، و(الْقِيَامَةِ)، و(الْآخِرَةِ الْأَبَدِيَّةِ)، وَمَا بَعْدَهَا.
فَلَا يَزَالُ ﷺ - وَهُوَ فِي عَالَمِ الْبَرْزَخِ الصَّاعِدِ - مُشْرِفًا عَلَى مَلَقَاتٍ وَشُؤُونَ وَأَحْوَالٍ جَمَلَةِ الْمَخْلُوقَاتِ وَفِي كَافَّةِ الْعَوَالِمِ يُرَاقِبُهَا وَيُدِيرُهَا بِيَدِهِ الْكَرِيمَةِ، بَلْ وَكَذَا حَالِ سَائِرِ أَهْلِ الْبَيْتِ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ)، وَمِنْ ثَمَّ وَرَدَ فِي رَوَايَاتٍ مُتَوَاتِرَةٍ عِنْدَ الْفَرِيقَيْنِ: أَنَّ أَعْمَالَ الْخَلَائِقِ تُعْرَضُ عَلَيْهِ ﷺ، بَلْ وَعَلَى سَائِرِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي كُلِّ يَوْمٍ.
فلاحظ:

أَوَّلًا: بَيَانُ الْإِمَامِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، قَالَ: «قُلْتُ لَهُ: إِنَّ أَبَا الْخَطَّابِ كَانَ يَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تُعْرَضُ عَلَيْهِ أَعْمَالُ أُمَّتِهِ كُلِّ خَمِيسٍ. فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَيْسَ هُوَ هَكَذَا، وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تُعْرَضُ عَلَيْهِ أَعْمَالُ هَذِهِ الْأُمَّةِ كُلِّ صَبَاحٍ، أَبْرَارُهَا وَفَجَّارُهَا، فَاحْذَرُوا، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]. بِصَائِرِ الدَّرَجَاتِ، ٢: ٣١٨/ح ١٥٠٦-٤.

ثَانِيًا: بَيَانُ تَفْسِيرِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَيْضًا: «قَوْلُهُ: ﴿وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ قَالَ: هُمُ الْأَئِمَّةُ، تُعْرَضُ عَلَيْهِمْ أَعْمَالُ الْعِبَادِ كُلِّ يَوْمٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ». بِصَائِرِ الدَّرَجَاتِ، ٢: ٣٢٢-٣٢٣/ح ١٥٢٢-٤.

→ ودلالته - كدلالة سابقه - قد اتضحت؛ فإن أعمال العباد تُعرض عليه ﷺ وعلى سائر أهل البيت ﷺ ليُراقبوا ويُديروها؛ لأجل أن يُراعوها ويُزكّوها ويُربّوها عبر الدهور وعوالم المخلوقات غير المتناهية.

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي الأخرى، منها:

بيان قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

وتقريب الدلالة واضح، فإنه حيث عبّر بيان الآية الكريمة بالفعل المضارع في المواضع الثلاثة - (يتلو) و(يُزكّيهم) و(يُعَلّمهم) - دلّ ذلك على الاستمرار والتجدّد التأييدي لتعليمه ﷺ لكافة العباد وتزكيتهم عبر جملة العوالم غير المتناهية. وَمِنْ كُلِّ مَا تَقَدَّمَ يَتَّضِح: الجَمّ الغفير من طوائف بيانات الوحي، منها:

الطائفة الأولى:

ويُمثّلها:

أولاً: بيان سيّد الأنبياء منضمّاً إليه بيان أمير المؤمنين (صلوات الله عليهما وعلى آلهما): «... أيّها النّاس، خذوها عن خاتم النّبیین ﷺ: «إِنَّهُ يَمُوتُ مِنْ مَاتَ مِنَّا وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ، وَيَبْلَى مِنْ بَلِيٍّ مِنَّا وَلَيْسَ بِبَالٍ» فلا تقولوا بما لا تعرفون، فإنّ أكثر الحقّ فيما تنكرون، واعذروا من لا حُجّة لكم عليه، وأنا هو...». نهج البلاغة، خ ٨٦: ١٤٣.

ثانياً: بيان الإمام الحسن المجتبيّ منضمّاً إليه بيان أبي جعفر ﷺ، قال: «جاء النّاس إلى الحسن بن عليّ ﷺ، فقالوا: أرنا من عجائب أبيك التي كان يرينا! فقال: وتؤمنون بذلك؟ قالوا: نعم، نؤمن بالله بذلك. قال: أليس تعرفون أبي؟ قالوا جميعاً: بل نعرفه. فرفع لهم جانب الستر فإذا أمير المؤمنين ﷺ قاعد، فقال: تعرفونه؟ قالوا بأجمعهم: هذا أمير المؤمنين ﷺ، ونشهد أنّك أنت وليّ الله حقّاً ←

→ والإمام من بعده، ولقد أريتنا أمير المؤمنين عليه السلام بعد موته كما أرى أبوك أبا بكر رسول الله ﷺ في مسجد قبا بعد موته، فقال الحسين عليه السلام: وبجكم أما سمعتم قول الله ﻋﻠﻴﻪ: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُمُوتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]، فإذا كان هذا نزل فيمن يُقتل في سبيل الله ما تقولون فينا؟ قالوا: آمنا وصدّقنا يا بن رسول الله. بحار الأنوار، ٤٣: ٣٢٨/٨.

ودلالته - كدلالة سابقه - قد اتّضحت.

الطائفة الثانية:

ويُمثلها:

١- بيان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): «... وأنا ... الحجة على أهل السماوات والأرضين وما فيهما وما بينهما، وأنا الذي احتجّ الله به عليكم في ابتداء خلقكم، وأنا الشاهد يوم الدين، وأنا الذي علمت علم المنايا والبلايا والقضايا وفصل الخطاب والأنساب، واستحفظت آيات النبيّين المستخفين المستحفظين ... وأنا الذي أهلكت عاداً وثموداً، وأصحاب الرسّ وقروناً بين ذلك كثيرة، وأنا الذي ذللت الجبابرة، وأنا صاحب مدين، ومهلك فرعون، ومنجي موسى عليه السلام...». مختصر البصائر: ١٣٠/ح ١٠٢ - ٢/.

٢- بيان سيّد الأنبياء الوارد في حقّ أمير المؤمنين (صلوات الله عليهما وعلى آلهما): «يا عليّ، كُنْتُ مع الأنبياء سرّاً ومعهم جهرّاً». الأنوار النعمانية، ١: ٣٠. معارج العلى (مخطوط).

٣- بيان أمير المؤمنين عليه السلام: «كُنْتُ مع الأنبياء باطناً، ومع رسول الله ظاهرّاً». مصباح الهداية: ١٤٢.

ودلالته - كدلالة سابقه - قد اتّضحت؛ من أنّ أحوال أمير المؤمنين، بل وسائر أهل البيت عليهم السلام وشؤونهم وصفاتهم وأفعالهم تختلف سنخاً وحقيقة عن أحوال وشؤون وصفات وأفعال سائر المخلوقات وفي جملة العوالم الإلهية التكوينية غير المتناهية - وقد تقدّم وسيأتي (إن شاء الله تعالى) تفصيل ذلك فراجع -؛ فيتصرّفون ←

→ (صلوات الله عليهم) وهم في عالمهم - كعالم الدنيا الأولى، أو عالم البرزخ - بجملة العوالم ومخلوقات غير المتناهية، ويُديرون أمور تلك العوالم والمخلوقات ويُدبرون أمورها وأحوالها وشؤونها، ويزكوها ويبشون فيها العلم والمعلومة الحقّة؛ فإنّ حقيقة العلم والمعلومة الحقّة: أنّ المخلوق ليس فاعلاً له ولها، بل مُتَقَبَّلٌ له ولها ومُنْفَعٌ به وبها، مَبْثُوثٌ ومَبْثُوثَةٌ عليه من عوالم إلهيّة تكوينيّة غيبيّة صاعدة، من مخلوقات إلهيّة مُقَدَّسة في عوالم صاعدة، وهي طبقات حقائق أهل البيت ﷺ الصّاعدة، المشار إليها في جَمِّ غفير من بيانات الوحي المعرفيّة، منها:

١- بيان سيّد الأنبياء ﷺ: «أنا مدينة العلم وَعَلِيٌّ بابها، وقد أوجب الله على خلقه الاستكانة لِعَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله: ﴿ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٥٨]». بحار الأنوار، ٢٤: ٢٠٣.

٢- بيانه ﷺ أيضاً: «أنا مدينة العلم وَعَلِيٌّ بابها، وَلَنْ يَدْخُلَ الْمَدِينَةَ إِلَّا مَنْ بَابِهَا...». بحار الأنوار، ٣١: ٤٣٦.

٣- بيانه ﷺ أيضاً: «أنا مدينة العلم وَعَلِيٌّ بابها، فَمَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ فَلْيَأْتِ الْبَابَ». بحار الأنوار، ٣١: ٣٤/ح ١٨٩.

٤- بيانه ﷺ أيضاً: «أنا مدينة العلم وَعَلِيٌّ بابها، فَمَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ فَلْيَقْتَبِسْهُ مِنْ عَلِيٍّ». بحار الأنوار، ٤٠: ٢٠٣/ح ٩. الإرشاد، المفيد: ١٥.

٥- بيانه ﷺ أيضاً: «يا عَلِيُّ، أنا مدينة الحكمة وَأَنْتَ بابها، وَلَنْ تُؤْتِيَ الْمَدِينَةَ إِلَّا مَنْ قَبْلَ الْبَابِ...». بحار الأنوار، ٢٣: ١٢٦/ح ٥٣. أمالي الصدوق: ١٦٢. إكمال الدّين: ١٤٠.

٦- بيانه ﷺ أيضاً: «أنا مدينة العلم وَعَلِيٌّ بابها، فَمَنْ أَرَادَ الْحِكْمَةَ فَلْيَأْتِهَا مِنْ بَابِهَا، وَأَنْتُمْ جَمِيعاً مُصْطَرِّخُونَ فِيهَا أَشْكَالَ عَلَيْكُمْ مِنْ أُمُورِ دِينِكُمْ إِلَيْهِ، وَهُوَ مُسْتَغْنٍ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ مِنْكُمْ؛ إِلَى مَالِهِ مِنَ السَّوَابِقِ الَّتِي لَيْسَتْ لِأَفْضَلِكُمْ عِنْدَ نَفْسِهِ...». بحار الأنوار، ٢٨: ١٩٩/ح ٦.

→ ٧- بيانه ﷺ أيضاً: «... يَا عَلِيَّ، أَنَا مَدِينَةُ الْحِكْمَةِ وَأَنْتَ بَابُهَا، فَمَنْ أَتَى الْمَدِينَةَ مِنَ الْبَابِ وَصَلَ، يَا عَلِيَّ أَنْتَ بَابِي الَّذِي أُوتِيَ مِنْهُ، وَأَنَا بَابُ اللَّهِ، فَمَنْ أَتَانِي مِنْ سِوَاكَ لَمْ يَصِلْ، وَمَنْ أَتَى سِوَايَ لَمْ يَصِلْ...». بحار الأنوار، ٤٠: ٢٠٤.

٨- بيانه ﷺ أيضاً: «أَنَا مَدِينَةُ الْفَقْهِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا». تذكرة خواص الأئمة: ٢٩. اللآلي المصنوعة، ١: ٣٢٩. طبعة بيروت.

ودلالة الجميع قد اتَّضَحَتْ أيضاً؛ فَإِنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ الْأَطْهَارِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا كَانَتْ طَبَقَاتُ حَقَائِقِهِمُ الصَّاعِدَةِ وَتَتَبَعُهَا طَبَقَاتُهَا الْمُتَوَسِّطَةُ وَالنَّازِلَةُ هِيَ: نِظَامُ عَالَمِ الْوُجُودِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَوَسَائِطُ الْفَيْضِ الْإِلَهِيِّ فِي قَوْسِ النُّزُولِ، وَالْوَسِيلَةُ الْإِلَهِيَّةُ الْخَصْرِيَّةُ فِي قَوْسِ الصُّعُودِ وَالنُّزُولِ، وَجَنْبُ اللَّهِ وَوَجْهَهُ (جَلَّ شَأْنُهُ)؛ وَالسَّبِيلُ وَالسَّبَبُ وَالْبَابُ وَالْحِجَابُ وَالرِّبَاطُ الْإِلَهِيُّ الْفَارِدُ وَالْأَدْنَى فِي قَوْسِ الصُّعُودِ وَالنُّزُولِ بَيْنَ الْخَالِقِ - الْمُسَمَّى - (جَلَّ وَعَلَا) وَكَافَّةِ الْعَوَالِمِ وَسَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ بِقَضَائِهَا وَقَضَائِهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ قَاطِبَةً؛ فَلَا يَنْزِلُ فَيْضٌ - كَالْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ وَالْفَقْهِ - مِنْ سَاحَةِ الْقُدْسِ الْإِلَهِيِّ وَلَوْ كَانَ بِمَقْدَارِ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ إِلَّا عَنْ سَبِيلِهَا، وَحَيْثُ إِنَّ طَبَقَاتِ حَقِيقَةِ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ الصَّاعِدَةِ وَتَتَبَعُهَا طَبَقَاتُهَا الْمُتَوَسِّطَةُ وَالنَّازِلَةُ مُتَقَدِّمَةٌ عَلَى سَائِرِ طَبَقَاتِ حَقَائِقِ سَائِرِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَاهَا الْأَكْبَرُ وَسَنَامُهَا الْأَطْوَلُ، وَهَامَتُهَا الْأَعْظَمُ، وَرَأْسُ هَرَمِهَا، وَالْأَلْصَقُ بِالذَّاتِ الْإِلَهِيَّةِ الْأَزَلِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، أَبَدُ الْآبَادِ وَدَهْرُ الدُّهُورِ كَانَتْ طَبَقَاتِ حَقِيقَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الظُّهُورُ وَالتَّجَلِّيُ الْأَعْظَمُ عَلَى الْإِطْلَاقِ لِحَقِيقَةِ عِلْمِ الذَّاتِ الْإِلَهِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ وَحُكْمَتِهِ وَفَقْهِهِ (جَلَّ قُدْسُهُ)، فَصَارَتْ ذَاتَهُ وَحَقِيقَتَهُ ﷺ مَدِينَةَ الْوَحْيِ وَالْعِلْمِ وَالْفَقْهِ الْإِلَهِيِّ، وَالْحِكْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ، وَنِظَامٌ لَا يَخْتَلُ وَلَا يَتَبَدَّلُ وَلَا يَتَخَلَّفُ وَلَا يَخْتَلِفُ أَبَدًا، وَبِحُورٍ زَاخِرَةٍ لَا تَتَزَفُّ، وَكُنُوزٍ لَا تَفْنَدُ، وَجِبَالٍ شَامَخَةٍ لَا تُقَهَّرُ، الْكَالَ عَنْ نَعْتِهَا أَفْهَامِ النَّاعَتِينَ، وَالْعَاجِزِ عَنْ وَصْفِهَا لِسَانِ الْوَاصِفِينَ. وَحَيْثُ إِنَّ طَبَقَاتِ حَقِيقَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ) التَّالِيَةِ وَالْأَلْصَقِ بِهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ كَانَ كُلُّ مَا يَرِدُ مِنْ خَيْرٍ وَوَحْيٍ إِلَهِيٍّ، وَعِلْمٍ وَحِكْمٍ إِلَهِيٍّ وَفَقْهِ إِلَهِيٍّ لِحَمَلَةِ الْعَوَالِمِ وَلَطَرِّ الْمَخْلُوقَاتِ، وَعَبْرَ كَافَّةِ النَّشَاتِ؛ مِنْ بَدَايَةِ الْخَلْقَةِ وَعَبْرَ سَالِفِ الْأَزْمَانِ وَغَابِرِ الدُّهُورِ إِلَى أَبَدِ الْآبَادِ وَدَهْرِ الدُّهُورِ مَا دَامَ لِلَّهِ ←

→ حاجة في خلقه لا يكون إلا عن طريق باب فارد أوحده: طبقات حقيقة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ليس إلا، مفاتيح أبواب الكرم، ومجاذيع هواطل النعم، مَنْ أتاها عرف من أين تؤكل الكتف، وَمَنْ تَخَلَّفَ عنها كَمَنْ يتعلق بنسيج العنكبوت للعروج إلى أسباب السموات!!

وهذا ما يشير إليه بيان سيّد الأنبياء ﷺ: «لو يعلم النَّاسُ متى سُمِّيَ عَلِيٌّ أمير المؤمنين لَمَّا أنكروا فضائله، سُمِّيَ بذلك وآدم بين الرُّوح والجسد، وحين قال الله: ﴿الَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] فقال الله تعالى: أَنَا رَبُّكُمْ، وَمَحَمَّدُ نَبِيِّكُمْ، وَعَلِيٌّ أَمِيرُكُمْ» [بحار الأنوار، ٢٦: ٢٧٨/ح ٢٠]، منضمًّا إليه بيان أبي جعفر عليه السلام، عن عبد المؤمن الأنصاري، قال: «قلتُ له: لِمَ سُمِّيَ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) أمير المؤمنين؟ قال: لَأَنَّ مِرة المؤمنين منه، وهو كان يُميرهم العلم» [بحار الأنوار، ٣٧: ٢٩٥/ح ١١. بصائر الدرجات: ١٤٩]، وبيانه عليه السلام أيضاً، عن جابر، قال: «قلتُ: جُعِلْتُ فداك، لِمَ سُمِّيَ أمير المؤمنين أمير المؤمنين؟ قال: لَأَنَّهُ يُميرهم العلم، أَمَا سمعتُ كتاب الله ﷻ: ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ [يوسف: ٦٥]». [بحار الأنوار، ٣٧: ٢٩٣/ح ٧. معاني الأخبار: ٦٣. علل الشرائع: ٦٥. البرهان: ٢٥٨.

فإنَّ البيان الأوَّل دالٌّ على أَنَّ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) تمتع بهذا المقام الإلهي وهو في عالم الدَّر والميثاق، والبيان الثاني والثالث دالَّان على أَنَّ دور هذا المقام علَّة فاعليَّة لإمارة العلم وإفاضته وتزويد المخلوقات به، وحيث إنَّ المقام والهبة الإلهيَّة أمر تكويني يُفَعَّل لدى المخلوق من حين تمتُّعه به كان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) هو العلَّة الفاعليَّة لإمارة المخلوقات وتزويدها بالعلم والمعرفة في العوالم السَّابقة، ك: عالم الدَّر والميثاق، والبرزخ النَّازل، والأصْلاب، والأرحام.

ويُشير إلى هذه القضية في عالم الأصْلاب بيانه (صلوات الله عليه): «... وَأَنَا الخضر عالم موسى، وأنا مُعلِّم سليمان بن داود...». [بحار الأنوار، ٢٦: ٥/ح ١.

← جملة علوم طُرَّ المخلوقات وفي كافَّة العوالم لا تكون إلاَّ مِنْ أمير المؤمنين عليه السلام

- ومَّا تَقَدَّمَ يَتَّضِح: الجَمُّ الغفير من بيانات الوحي، منها:
- أولاً: بيان أمير المؤمنين عليه السلام، مخاطباً كميل بن زياد: «يا كميل، ما مِنْ علمٍ إِلَّا وأنا أفتحه...». بحار الأنوار، ٧٤: ٢٦٦ - ٢٧٧/ ح ١. بشارة المصطفى: ٢٩.
- ثانياً: بيانه عليه السلام أيضاً: «علم ما كان وما يكون كُلُّه في القرآن الكريم، وعلم القرآن كُلُّه في سورة الفاتحة، وعلم الفاتحة كُلُّه في البسملة منها، وعلم البسملة كُلُّها في بائنها، وأنا النقطة تحت الباء». مشارق أنوار اليقين: ٢٥.
- ثالثاً: بيان الإمام الباقر عليه السلام: «... ليس أَحَدٌ عنده علم شيءٍ إِلَّا خرج من عند أمير المؤمنين عليه السلام؛ فليذهب النَّاس حيث شاءوا، فوالله ليأتين الأمر ههنا. وأشار بيده إلى صدره». بحار الأنوار، ٢: ٩٤/ ح ٣٤. بصائر الدرجات، ١: ٤٦/ ح ٥٥.
- رابعاً: بيانه عليه السلام أيضاً: «أما إِنَّه ليس عند أَحَدٍ علم وَلَا حَقَّ وَلَا فتياً إِلَّا شيء أُخذ عن علي بن أبي طالب عليه السلام، وعَنَّا أهل البيت، وما مِنْ قضاءٍ يُقضى بِهِ بحقٍّ وصوابٍ إِلَّا بدء ذلك ومفتاحه وسببه وعلمه مِنْ علي عليه السلام وَمِنَّا. فإذا اختلف عليهم أمرهم قاسوا وعملوا بالرأي، وكان الخطأ مِنْ قِبَلهم إذا قاسوا، وكان الصَّواب إذا اتَّبَعوا الآثار من قِبَلِ علي عليه السلام». بحار الأنوار، ٢: ٩٥/ ح ٣٦.
- خامساً: بيانه عليه السلام أيضاً: «كُلُّ ما لم يخرج من هذا البيت فهو باطل». مختصر البصائر: ١٩٨/ ح ١٧٩ - ٢٠.
- سادساً: بيان الإمام الصادق عليه السلام: «... أعلم ما في المشرق والمغرب، وَمَا في السَّماوات والأرض، وَمَا في البرِّ والبحر وعدد ما فيهنَّ، وليس ذلك لِإِبليس وَلَا لملك الموت». بحار الأنوار، ٦٣: ٢٧٥ - ٢٧٦/ ح ١٦٣. دلائل الإمامة: ١٢٥.
- سابعاً: بيانه عليه السلام أيضاً: «... فكلُّ علم خرج إلى أهل السَّماوات والأرض فمَنَّا وعَنَّا...». بحار الأنوار، ٢٥: ٢٤/ ح ٤١.
- ودلائلها قد اتَّضحت أيضاً، فَإِنَّه إضافة إلى إطلاقها وما تقدَّم بيانه دالةٌ بقرينة ما تقدَّم أَنه لا يوجد علمٌ ولا حقٌّ ولا فتياً ولا صوابٌ من بداية الحلقة إلى ما لا نهاية، لدَى كُلِّ العوالم وجميع المخلوقات إِلَّا وكان أمير المؤمنين وسائر أهل البيت (صلوات الله عليهم) هم العلل الفاعليَّة لها؛ لكون طبقات حقائقهم عليه السلام ←

→ الصَّاعِدَةُ هي الصِّفَات والأَسْمَاءُ الإِلَهِيَّةُ، ك: الاسم الإِلَهِيّ: (الوهاب، والعليم، والهادي، والمغني، والنَّافِع، والنُّور، والوارث، والرَّشِيد)، ووسائط الفيض الإِلَهِيَّة، والعلل التَّكوينيَّة الفاعليَّة الإِلَهِيَّة، والأسباب الإِلَهِيَّة التَّكوينيَّة، يُفَاض من خلالها كُلُّ خَيْرٍ وعِلْمٍ وحِكْمَةٍ وحقٍّ وفتيا وصوابٍ؛ على طَرِّ العوالم وجملة المخلوقات من بداية الخلقة والوجود إلى ما لا نهاية، في هذه النِّشْأَةِ وفي سائر النِّشْآت.

ومنه يَتَضَح: ما تَقَدَّمَ من بيان أمير المؤمنين عليه السلام: «... وأنا النقطة تحت الباء»، أي: (باء الإِسْتِعَانَةِ)؛ فعلم ما كان وما يكون كُلُّهُ موجود في القرآن الكريم، وعلم القرآن كُلُّهُ في سورة الفاتحة، وعلم الفاتحة كُلُّهُ في البسملة منها، وعلم البسملة كُلُّهُ في بائها، وأمير المؤمنين هو: (باء الإِسْتِعَانَةِ)، أي: أَنَّهُ عليه السلام هو: النقطة والمحور والوسيلة والباب الَّذِي لا يَمُكِن لأَحَدٍ قَطُّ - سواء أكان نبيًّا مرسلًا أم ملكًا مُقَرَّبًا - أم مؤمنًا ممتحنًا - في جملة العوالم والنِّشْآت إَحْتِواء خَيْرٍ ووَحيٍّ وعِلْمٍ وحِكْمَةٍ وحقٍّ وفتيا حَقَّةً وصوابٍ وهَلَمَّ جَرًّا إِلَّا بعد التَّوَسُّلِ والتَّشَبُّثِ والإِسْتِعَانَةِ بطبقات حقيقتها؛ وطبقات حقائق سائر أهل البيت صلوات الله عليهم، وإِلَّا فشطط كلام وشطح مقال، شعر المخلوق بذلك أم لا.

وحي القرآن لا يكون إِلَّا من طبقات حقائق أهل البيت عليهم السلام

وحي القرآن شُعاع من بحور وحي حقائق أهل البيت عليهم السلام

ومنه يَتَضَح: أَنَّ ما يَأْتِي به جبرئيل عليه السلام من وحي لا يكون إِلَّا بتوسُّط طبقات حقيقة سيِّد الأنبياء عليه السلام المتوسطة؛ لِأَنَّها المنبع، وبتوسط طبقات حقيقة أمير المؤمنين وسائر أهل البيت (صلوات الله عليهم) المتوسطة أيضًا؛ لِأَنَّها باب ذلك المنبع المُقَدَّس الكريم الشَّرِيف.

بل الوحي الصَّاعِدَةُ - وحي (روح القدس) حقيقة القرآن الكريم الصَّاعِدَةُ - لا يكون منبعه إِلَّا الطَّبَقَات الصَّاعِدَةُ لذات حقيقة سيِّد الأنبياء عليهم السلام، وباب إفاضته ونزوله على مراتب طبقات ذات سيِّد الأنبياء عليهم السلام المتوسطة لا يكون إِلَّا طبقات حقائق ذات أمير المؤمنين وسائر أهل البيت عليهم السلام الصَّاعِدَةُ.

→ بل وحي القرآن الكريم بطبقته الصّاعدة - أي: طبقة (روح القدس) و(الروح الأمري) - فضلاً عن النّازلة لا يكون إلّا شيء يسير وشعاع نازل من أشعة نور وبحور وحي ذوات وحقائق أهل البيت (صلوات الله عليهم) الطمطامة المتلاطمة وغير المتناهية أبد الآباد ودهر الدُّهور.

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي، منها:

بيان الإمام الحسن العسكري (صلوات الله عليه): «قد صعدنا ذرى [الدُّرى]: جمع (الدُّرّة)، وهو: العلو والمكان المرتفع. وأعلى الشيء وقمّته [الحقائق بأقدام النبوة والولاية، ونورنا [في نسخة: (ونورنا سبع طبقات النبوة والهداية). وفي أخرى: (سبع طبقات أعلام الفتوة والهداية)] سبع طبقات أعلام الفتوى بالهداية، فنحن ... غيوث الندى ... وروح القدس في جنان الصّاقورة [في نسخة: (الصّاغورة)] ذاق من حدائقنا الباكورة...». بحار الأنوار، ٢٦: ٢٦٤ - ٢٦٥ /

ح ٥٠.

ودلالته قد اتّضحت؛ فإنّه بعدما تقدّم وسيأتي (إن شاء الله تعالى) من أنّ حقائق أهل البيت (صلوات الله عليهم) الصّاعدة هي: وسائط الفيض الإلهي الحصريّة الفاردة، والوسيلة الإلهيّة التكوينيّة الحصريّة، ووجه الله، والسبيل والسبب والباب والحجاب والرباط الإلهي التكويني الحصري والأدنى بين الخالق - المسمّى - (جلّ وتقدّس)، وكافة العوالم وسائر المخلوقات غير المتناهية وسيأتي (إن شاء الله تعالى)، وتقدّم أيضاً: أنّ طبقات حقائقهم (صلوات الله عليهم) الصّاعدة هي: الأسماء والصفات الإلهيّة ذاتيّة كانت أم فعليّة، وتقدّم كذلك: أنّ نفس القرآن الكريم وصف حقيقته ووحيه بصيغة الماضي (أوحينا) الدّالة على المحدوديّة والتناهي، ووصف حقيقة وحي ذات سيّد الأنبياء وبالّتبّع سائر أهل البيت (صلوات الله عليهم) في أكثر من بيان بصيغة المضارع (يوحى) الدّالة على الاستمرار والتجدّد التأييدي، يتّضح ويتجلّى هذا البيان الشّريف أكثر، لاسيما عجزه؛ فإنّ المراد من بيان قوله ﷺ: «(روح القدس) أي: حقيقة القرآن الكريم

→ الصَّاعِدَة، والمُعَبَّر عنها في بيانات الوحي الأخرى بـ: (الرُّوح الأَمْرِي)، وهو شُعبَة من شُعب أرواح أهل البيت عليه السلام، وشريحة صغيرة من أرواحهم المُقدَّسة، ومرتبة هذه الرُّوح في السَّمَاء الرَّابِعة أو الثَّالثة - على اختلاف التَّفاسير - موجودة في جنَّة أسمها: (الصَّاقورة) على وزن فاعولة، مأخوذة من مادَّة الصغر - هذا بالقياس إلى جنان وحدائق وحي ومعارف حقائق أهل البيت (صلوات الله عليهم) الأخرى الصَّاعِدَة - وفي هذه الجنَّة يأخذ روح القدس - أي: حقيقة القرآن الكريم الصَّاعِدَة - وحيه ومعارفه من حدائق وبحور حقائق أهل البيت عليه السلام الطمطامة غير المتناهية، لكن: كُل ذلك الوحي الشَّريف وتلك المعارف الإلهية التي حوتها حقيقة القرآن الكريم الصَّاعِدَة لم تتعدَّ مقام الذوق، أي: شيء محدود وقليل جداً بلحاظ ما عند أهل البيت عليه السلام من وحيٍّ غير متناهي، وكميَّة الذوق ونوعيته كانت بمقدار الباكورة، أي: من ثمار بحور معارف ووحى حقائق أهل البيت عليه السلام غير المتناهي؛ لكن في بداية نضوجها، وهذا دالٌّ على مدى عظمت وخطر وهول ما تحويه حقائق أهل البيت عليه السلام من وحي ومعارف إلهية .

إذن: حقيقة القرآن الكريم ووحيه ومعارفه وإن كانت بنفسها وبلحاظ ما تحتها غير متناهية وعظيمة ومهولة جداً، لكنَّها إذا قيسَتْ إلى ما فوقها؛ أي: إلى حقائق وحي ومعارف أهل البيت عليه السلام الصَّاعِدَة كانت شعاعاً ضعيفاً ونازلاً من أشعة نور وبحور وحيهم ومعارفهم وحقائقهم (صلوات الله عليهم) الطمطامة المتلاطمة غير المتناهية أبداً وأزلاً.

وهذه قاعدة عظيمة جداً لفهم معضلات أحوال وشؤون أهل البيت صلوات الله عليهم. فالتفت، وتدبَّر جيِّداً، واغتنم.

وعليه: فوحي القرآن الكريم - سواء أكان الوحي النَّازل عن طريق جبرئيل عليه السلام، أو الوحي الصَّاعِدَة عن طريق (روح القدس) - من سيِّد الأنبياء عليه السلام؛ لكونه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَمَّة الهرم، إلى سيِّد الأنبياء عليه السلام. فتأمَّل جيداً.

→ وهذه وغيرها نكات بكر ما فُضّت من قبل قَطُّ، خذها واغتنم، وعظ عليها بضرر قاطع تربت يدك.

أهل البيت ﷺ مُعلّمون إلهيُّون لجملة الخلائق وفي كافّة العوالم

وهكذا تتّضح: بيانات الوحي الشّريفة الأخرى، منها:

أولاً: بيان سيّد الأنبياء ﷺ: «... إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَنِي وَخَلَقَ عَلِيّاً عَلَيْهِ السَّلَامُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ ... ثُمَّ خَلَقَ الْمَلَائِكَةَ فَسَبَّحْنَا وَسَبَّحْتَ الْمَلَائِكَةُ، فَهَلَّلْنَا فَهَلَّلْتَ الْمَلَائِكَةُ، وَكَبَّرْنَا فَكَبَّرْتَ الْمَلَائِكَةُ، وَكَانَ ذَلِكَ بِتَعْلِيمِي وَتَعْلِيمِ عَلِيٍّ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي عِلْمِ اللَّهِ السَّابِقِ: أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَعَلَّمُ مِنَّا التَّسْبِيحَ وَالتَّهْلِيلَ، وَكُلَّ شَيْءٍ يُسَبِّحُ لِلَّهِ وَيُكَبِّرُهُ وَيُهَلِّلُهُ بِتَعْلِيمِي، وَتَعْلِيمِ عَلِيٍّ ...». بحار الأنوار، ٢٦: ٣٤٥ - ٣٤٦/ح ١٨. إرشاد القلوب: ٢١٥ - ٢١٦.

ثانياً: بيانه ﷺ أيضاً: «... إِنَّ اللَّهَ خَلَقَنِي وَعَلِيّاً مِنْ نُورٍ وَاحِدٍ قَبْلَ خَلْقِ آدَمَ ... ثُمَّ خَلَقَ الْأَشْيَاءَ مِنْ نُورِي وَنُورِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ... فَكُلُّ مَنْ سَبَّحَ اللَّهَ وَكَبَّرَهُ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ تَعْلِيمِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ». بحار الأنوار، ٢٥: ٢٤/ح ٤٢.

ثالثاً: بيان الإمام الصّادق عليه السلام: «... لَمْ نَزَلْ أَنْوَاراً حَوْلَ الْعَرْشِ نُسَبِّحُ فِيُسَبِّحُ أَهْلَ السَّمَاءِ لِتُسَبِّحُنَا، فَلَمَّا نَزَلْنَا إِلَى الْأَرْضِ سَبَّحْنَا فَسَبَّحَ أَهْلُ الْأَرْضِ، فَكُلُّ عِلْمٍ خَرَجَ إِلَى أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَمِنَّا وَعَنَّا ...». بحار الأنوار، ٢٥: ٢٤/ح ٤١.

ودلائلها قد اتّضحت، فإنّ طبقات حقائق أهل البيت ﷺ الصّاعدة لِمَا كَانَتْ هِيَ واسطة الفيض الإلهي الفاردة، وجنب الله ووجهه الكريم، والوسيلة الإلهية الوحيدة، والسبيل والسبب والباب والحجاب والرباط الإلهي الأدنى الحصري بين الخالق - المُسمّى - (تبارك وتعالى) وجملة العوالم وسائر المخلوقات، فكلّ ما كان يصدر إلى الملائكة وينزل عليها وعلى سائر المخلوقات من ساحة القدس الإلهية مهول وخطير وعظيم كان ذلك الشيء النّازل أم كان بمقدار حبة من خردلٍ، لا ←

→ يكون إلا عن طريق حقائق أهل البيت عليهم السلام، فيكونوا (صلوات الله عليهم) بلحاظ العلم وسائر المعارف الإلهية مُعلِّمين إلهيين لكافة الملائكة وجملة بقية المخلوقات؛ في سائر العوالم والنشآت، من بداية الخلقة إلى ما لا نهاية.

وهذه من المطالب التي لم يتعرَّض إليها أصحاب علم الكلام والفلسفة والعرفان، بل تعريفهم لماهية وحقيقة النبوة والإمامة الإلهيتين دالٌّ على انقطاعهما بمجرّد التحاق سيّد الأنبياء وسائر أهل البيت (صلوات الله عليهم) بالرفيق الأعلى وانتقالهم لعالم البرزخ الصاعدة مع أنّ بيانات الوحي البالغة حدّ التواتر اللفظي والعقلي، بل فوقهما صارخة بأنّهم (صلوات الله عليهم) لازالوا يتمتّعون بحياة غُضّة طريّة؛ يمارسون من خلالها نفس الأدوار والأعمال السابقة من تعليم الأُمّة ورعايتها وتربيتها وتزكيتها، بل وتعليم الكُفّار والمُشركين والمُلاحدين ورعايتهم وتربيتهم وتزكيتهم مادام هناك خطأ وطريقاً للعودة إلى جادة الحقّ وصراط الله المُستقيم، والتي أخذت عليهم العهود والمواثيق في العوالم السابقة كعالم الذرّ والميثاق للبقاء عليه وعدم الزيغ والانحراف عن جادته.

وهذه الأدوار التي يقومون عليهم السلام بها تبقى مستمرة في عالم البرزخ وعالم الرجعة وعالم القيامة وعالم الآخرة الأبدية بِجَنّانه ونيرانه؛ وفي العوالم الآتية بعد عالم الآخرة الأبدية.

بل أنّهم (صلوات الله عليهم) قاموا بهذه الأعمال والأدوار من بداية الخلقة والوجود قبل خلقة آدم عليه السلام.

فانظر: بيانات الوحي، منها :

بيان الإمام الصادق عليه السلام، عن المُفضّل، قال: «قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا مُفضّل، أما علمت أنّ الله تبارك وتعالى بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وهو روح إلى الأنبياء عليهم السلام وهم أرواح قبل خلق آدم باللفي عام؟ قلتُ: بلى. قال: أما علمت أنّه دعاهم إلى توحيد

→ الله وطاعته واتباع أمره ووعدهم الجنة على ذلك، وأوعد مَنْ خالف ما أجابوا إليه وأنكره النار؟ فقلتُ بلى...». بحار الأنوار، ١٥: ١٤ / ح ١٧.

ودلالته واضحة ولا غبار عليها.

وَمِنْ كُلِّ مَا تَقَدَّمَ يَتَّضِح: أَنَّ جَلَّ الإشكالات المثارة على النبوة والإمامة الإلهية ناشئة من قصور تعاريف الفريقين لهما.

وَكُلُّ مَا تَقَدَّمَ مِنْهُ عَلَى مَدَى سعة حقيقة النبوة والإمامة الإلهية.

القضية الثالثة:

الانّصال بين سيّد الأنبياء ﷺ والإمام الحجة ابن الحسن ﷺ

اتّضح ممّا سبق: أَنَّهُ لَا زَالَ سَيِّدَ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ يُبْلَغُ عَنْ اللَّهِ ﷻ الْإِمَامَ الْحُجَّةَ ابْنَ الْحَسَنِ ﷺ.

وهذه هي السّفارة الإلهية والسبب المتّصل بين الأرض والسّماء.

القضية الرابعة:

إدراك نخب البشر للمسات الإمام الحجة ابن الحسن ﷺ الطّافحة

يقرُّ لباب ونخب البشر، وذوي القوى والشأن والنفوذ - بغضّ النظر عن إيمانهم وتدينهم - ويدعنون بوجود صاحب العصر والزمان ﷺ، ويلمساته الطّافحة، ويدركون وجود يد غيبية ولاعب دولي هو الذي يُحرِّك جملة السّاحة الدوليّة.

القضية الخامسة:

هول وعظمة حقيقة سيّد الأنبياء ﷺ ودولته

قد تسأل وتقول: إِنَّهُ لِمَاذَا لَمْ يُكْتَفَ بِنُبُوَّةِ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ وَرِسَالَتِهِ عَنْ نُبُوتِ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَرِسَالَاتِهِمْ الْإِلَهِيَّةَ بَعْدَمَا كَانَ مَا عِنْدَهُ ﷺ مَا عِنْدَهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَزِيَادَةُ؟

فلاحظ: بيانات الوحي المعرفيّة، منها:

→ بيان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): «... ما أعطى الله ﷺ نبياً درجة ولا مرسلأ فضيلة إلا وقد جمعها لمحمد ﷺ، وزاد محمد ﷺ على الأنبياء أضعافاً مضاعفة...». بحار الأنوار، ١٠: ٢٨/ح ١.
ودلالته واضحة.

بل ذاته ﷺ بحر وحي زخار لا نهاية له أبداً.

فانظر: بيانات الوحي، منها:

بيان قوله عزّ قوله: ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ﴾ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿ [النجم: ١-٤].
بتقريب: أن مرجع ضمير (هو) في هذا البيان الشريف - وبقرينة السياق - نفس مرجعه في الآيتين المتقدمتين - (صاحبكم)، (وما غوى)، (وما ينطق) -، وهو: (ذات سيد الأنبياء ﷺ)، وحيث وُصِفَتْ في بيان هذه الآية الأخيرة بصيغة الفعل المضارع (يوحى) المفيد للتجدد والاستمرار التأييدي دلّ على أنّها كتلة بحر وحي زخار لا تنتهي أبداً. ولم توصف ذات مخلوق في بيانات الوحي البتة بهذه الصفة، بل نفس القرآن الكريم عبّر عن ذاته في بياناته الكريمة بصيغة الفعل الماضي: (أوحينا).

فلاحظ:

بيان قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ﴾ [فاطر: ٣١].
ودلالته واضحة.

بل ولم لم يُكتفَ بالقرآن الكريم عن سائر الكتب السماوية؛ بعد ما كان واجداً لجملة ما فيها وزيادة، ومُهيّماً عليها؟

فانظر:

بيان قوله عزّ ذكره: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

→ بتقريب: أن هذا البيان الشريف يشير إلى موقعية القرآن الكريم؛ فبعدما ذُكر في بيانات الآيات السابقة على هذا البيان: الكُتُب السَّماوِيَّة النَّازِلَة على الأنبياء السابقين أُشير في هذا البيان إلى موقعية القرآن الكريم من تلك الكُتُب، فقوله تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ يعني: القرآن الكريم، وقوله عَظُمَتْ آلاؤُهُ: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يعني: جنس الكُتُب السَّماوِيَّة، وقوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿مُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ يعني: القرآن الكريم مهيمناً على تلك الكُتُب السَّماوِيَّة.

وبالجملة: لَمْ يَكْتَفَ سَيِّدُ الْأَنْبِيَاء ﷺ وكتابه الكريم عن سائر الأنبياء ﷺ وكتبهم السَّماوِيَّة؛ بإيصال بيانات الوحي الإلهي لجملة المخلوقات؛ بعدما كان لديه ﷺ ولدى كتابه ما لديهم ﷺ ولدى كُتُبهم، بل وزيادة غير متناهية؟ قلت: إِنَّ لَدَى سَيِّدِ الْأَنْبِيَاء ﷺ أموراً مهولةً وخطيرةً جداً لا طاقة لمخلوق قطُّ، ولا قابليةً لأحدٍ ما تحمّلها، كحال القرآن الكريم؛ فإنَّ فيه تبياناً لكلِّ شيءٍ.

فانظر: بيانات الوحي، منها:

بيان قوله تعالى ذكره: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].
وعلموه غير متناهية.

فلاحظ: بيانات الوحي الأخرى، منها:

أَوَّلًا: بيان قوله تبارك وتعالى: ﴿وَكُنَّا أَنْفًا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامُ وَالْبَحْرِ يَمْدُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧].

ثانياً: بيان تفسير الإمام الصَّادق (صلوات الله عليه)، عن أبي بصير، قال: «... قلتُ: قوله: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩] قال: قد أخبرك أَنَّ كلام الله ليس له آخر ولا غاية ولا ينقطع أبداً...». بحار الأنوار، ٤: ١٥١/ح ٢.

ودلالته - كدلالة سابقه - واضحة.

→ فاقترضت الضرورة الإلهية إلى طاقم من كَمَل المخلوقات - أنبياء وأوصياء وأصفياء - وكتب سماوية تمهد وتهيئ؛ وتجعل للمخلوقات قابلية واستعداد لتلقي بعض تلك العلوم والمعارف الإلهية وتقبلها، فبعث الرسل والأنبياء السابقين وأنزلت كتبهم السماوية.

بل بعض علومها وعلوم سائر أهل البيت الأطهار عليهم السلام مع كل ما بُذلت من جهود جبارة لا زالت إلى الآن لا طاقة لمخلوق قط - سواء كان ملكاً مقرباً أم نبياً مرسلأ أم عبداً امتحن الله قلبه للإيمان أم غيرهم - ولا قابلية ولا استعداد لتحملها.

فانظر: بيانات الوحي، منها:

١- إطلاق بيان الإمام الصادق عليه السلام، عن أبي الصّامت، قال: «إِنَّ حَدِيثَنَا صَعْب مُسْتَصْعَب، شَرِيف كَرِيم، ذَكَوَان ذَكِي وَعَر، لَا يَحْتَمِلُهُ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَلَا مُؤْمِنٌ مُتَحَنٍّ، قُلْتُ: فَمَنْ يَحْتَمِلُهُ جَعَلْتُ فِدَاكَ؟! قال: مَنْ شِئْنَا يَا أَبَا الصّامِت. قال أبو الصّامت: فَظَنَنْتُ أَنَّ لِلَّهِ عِبَاداً هُمْ أَفْضَلُ مِنْ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ». بحار الأنوار، ٢: ١٩٢/ح ٢٤.

٢- إطلاق بيانه عليه السلام، عن أبي الصّامت أيضاً، قال: «إِنَّ مِنْ حَدِيثِنَا مَا لَا يَحْتَمِلُهُ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَلَا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ. قُلْتُ: فَمَنْ يَحْتَمِلُهُ؟! قال: نحن». بحار الأنوار، ٢: ١٩٣/ح ٢٦. ودلالاتها واضحة.

وعلى هذا قس سائر شؤون سيّد الأنبياء صلّى الله عليه وآله وسؤدده وفضائله وكمالاته فإنّها فوق طاقة وقابلية جملة المخلوقات، ولا يمكن لمخلوق قط تحمّلها.

وما استعرضته بيانات القرآن الكريم من كمالات كَمَل المخلوقات - الأنبياء والأوصياء والأصفياء عليهم السلام - ما هو إلّا شرح لشخصية سيّد الأنبياء صلّى الله عليه وآله وسائر

→ أهل البيت الأطهار عليهم السلام؛ فإنهم القمّة ورأس هرم الفضائل والكمالات ومجاميعها، وهي لا تظهر إلّا بهذه التفاصيل والأدوار.
فلاحظ: بيانات الوحي، منها:

١- بيان الإمام الباقر عليه السلام: «... بل فينا ضرب الله الأمثال في القرآن، فنحن القرى التي بارك الله فيها...». بحار الأنوار، ٢٤: ٢٣٢ - ٢٣٣ / ح ١٧٨.

٢- بيان الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القرآن؛ وقطب جميع الكتب، عليها يستدير محكم القرآن، وبها يوهب الكتب، ويستبين الإيمان، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقتدى بالقرآن وآل محمد؛ وذلك حيث قال في آخر خطبة خطبها: إنّني تارك فيكم الثقلين: الثقل الأكبر والثقل الأصغر؛ فأما الأكبر فكتاب ربّي، وأما الأصغر فعتري أهل بيتي فاحفظوني فيهما، فلن تضلوا ما تمسّكن بهما». بحار الأنوار، ٨٩: ٧ / ح ٢٩. تفسير العياشي، ١: ٥.
ودلالته - كدلالة سابقه - واضحة.

القضية السادسة:

توقّف قبول الأعمال والعبادات على فيض شفاعة سيّد الأنبياء صلى الله عليه وآله وسائر أهل البيت عليهم السلام
إنّ ما ورد في بيان قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ﴾ أي: لا ذوا واستعاذوا بك إلى الله ﴿فَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوْ جَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] برهانٌ وحيانيٌّ عظيم جدّاً، وخطاب إلهي معرفي قرآني - كسائر الخطابات والبيانات الوحيانيّة المعرفيّة والقرآنيّة - شاملة لجملة عوالم عالم الإمكان وكافة مخلوقاتهما، منها: سائر الأنبياء والمرسلين والملائكة المقرّين عليهم السلام؛ فجبرائيل عليه السلام - مثلاً - وإن كان معصوماً ولا يرتكب معصية لكنّه يمكن أن يرتكب ترك أولى - وإن كان عالي الشّفايّة - وارتكابه لا ينافي العصمة، لكن لو ارتكبه وأراد التخلّص من تبعاته فعليه التّوجّه أولاً بسيّد الأنبياء صلى الله عليه وآله وسائر أهل البيت (صلوات الله عليهم) ثمّ التّوجّه إلى ساحة القدس الإلهيّة.

→ ومعناه: أَنَّ جملة أعمال العباد - منها: الاستغفار؛ فَإِنَّه من الأعمال والعبادات العظمى - لا تُرفع إلى ساحة القدس الإلهية ولا تُقبل إِلَّا بشفاعة سيّد الأنبياء وسائر أهل البيت (صلوات الله عليهم)، فالخضوع والخشوع لله تعالى لا يُقبل البتّة - بنص هذا البيان الوحياني الشّريف - إذا لم يُسكب عليه فيض شفاعة سيّد الأنبياء وسائر أهل البيت (عليه السلام)، وهكذا رحمة الله ممنوعة من دون شفاعته وشفاعتهم (صلوات الله عليهم).

القضية السابعة:

إجماع الأُمة على استشهاد سيّد الأنبياء (عليه السلام) بالسمّ

إِنَّه أجمع الفريقين على أَنَّ سيّد الأنبياء (عليه السلام) مات مسموماً شهيداً، لكن وقع الخلاف بينهما في مَنْ ارتكب تلك الفاجعة.

القضية الثامنة:

غضب أهل البيت (عليه السلام) غضب إلهي

إِنَّ غضب سيّد الأنبياء وسائر أهل البيت (صلوات الله عليهم) لا يكون إِلَّا وحيانياً، ومُنزّهون عن الغضب العقلي فضلاً عن الغضب النّفسي، مع أَنَّ الثابت في بيانات الوحي أَنَّ غضب النّبي موسى (عليه السلام) غضبٌ عقليٌّ.

فانظر:

بيان قوله تعالى: ﴿وَكَمَا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ﴾ [الأعراف: ١٥٤].

فإنّ بيان الآية الكريمة لم يُعبّر عن غضبه (عليه السلام) بلفظ (سكن)، وهو تعبير عن الغضب النّفسي، بل عبّر عنه بلفظ (سكت)، وهو تعبير عن الغضب العقلي.

القضية التاسعة:

أهل البيت (عليه السلام) أبرز مصاديق عنوان (أولي الأمر)

إِنَّ عنوان: (أولي وأصحاب الأمر) الوارد في بيانات الوحي، منها: بيان قوله تقدّست أسماؤه: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ →

→ **لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ** [غافر: ١٥] وَإِنْ كَانَ شَامِلًا لِلْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ﷺ لَكِنَّهُ يَشْمَلُ
بِالْمَرْتَبَةِ الْأُولَى سَيِّدَ الْأَنْبِيَاءِ وَسَائِرِ أَهْلِ الْبَيْتِ (صلوات الله عليهم)؛ لِأَنَّهُمْ أَجْلَى
مَنْ تَجَلَّى فِيهِمْ أَمْرُ اللَّهِ - الْمُسَمَّى - تَعَالَى ذَكَرَهُ، وَأَجْلَى تَجَلِّيَاتِ الذَّاتِ الْإِلَهِيَّةِ الْأَرْلِيَّةِ
الْمُقَدَّسَةِ فِي نَزُولِ أَمْرِيَّتِهِ (تَقَدَّسَ ذَكَرَهُ) وَمَشِيَّتِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ؛ وَلَئِنَّهُمْ أَعْبَدَ مَا خُلِقَ
كَانُوا أَشْفَ قَنَاةً عَلَى الْإِطْلَاقِ تَوْصِلُ أَوْامِرَ اللَّهِ وَمَشِيَّتِهِ إِلَى كَافَةِ الْمَخْلُوقَاتِ وَفِي
جَمَلَةِ الْعَوَالِمِ غَيْرِ الْمُتَنَاهِيَةِ، وَمَنْ ثُمَّ كَانُوا أَوْلِيَاءَ النِّعَمِ الْإِلَهِيَّةِ.
القضية العاشرة:

(عَالَمُ الْأَمْرِ) أَحَدُ عَوَالِمِ الْأَجْسَامِ اللَّطِيفَةِ

إِنَّ الْمُسْتَفَادَ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ بَيَانَاتِ الْوَحْيِ الْعَقْلِيَّةِ: أَنَّ عَالَمَ الْأَمْرِ مِنْ عَوَالِمِ الْأَجْسَامِ
الْلطيفة - أي: مِنْ عَالَمِ الْأَرْوَاحِ - وَمَنْ ثُمَّ بَيَانُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا
أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] دَالٌّ - مِنْ خِلَالِ (فَاءِ) التَفْرِيعِ - عَلَى
أَنَّ لِعَالَمِ الْأَمْرِ حَرَكَةً تَدْرِيجِيَّةً، فَيَكُونُ مِنْ عَالَمِ الْأَجْسَامِ، بَلِ الثَّابِتُ فِي بَيَانَاتِ
الْوَحْيِ الْعَقْلِيَّةِ الْآخَرَى الْمُسْتَفِيضَةِ: أَنَّ فَوْقَ عَالَمِ الْأَمْرِ عَوَالِمٌ جِسْمَانِيَّةٌ أَلْطَفُ.
نَعَمْ، لَمَّا لَمْ يُمَكَّنْ لِآلِيَّاتِ وَقْوَى الْمَخْلُوقَاتِ النَّازِلَةِ دَرْكَ أَجْسَامِهَا وَحَرَكَتِهَا
التَّدْرِيجِيَّةِ اللَّطِيفَةِ ظَنَّتْهَا مَجْرَدَةً تَجَرُّدًا تَامًّا عَنِ الْجِسْمِيَّةِ، وَحَسِبَتْ حَرَكَتَهَا دَفْعِيَّةً،
وَالحَالُ أَنَّهَا مَجْرَدَةٌ تَجَرُّدًا نَسْبِيًّا بِالْقِيَاسِ إِلَى مَا دُونِهَا.
وَلِتَعْقُلَ ذَلِكَ لَاحِظٌ: قَوَى وَطَاقَاتُ عَالَمِنَا هَذَا - كَاللِّيزَرِ وَالْانْفِجَارَاتِ النَّوَوِيَّةِ -،
فَحِينَمَا تَرَاهَا تَحْسِبُ حَرَكَتَهَا دَفْعِيَّةً، مَعَ أَنَّهَا بِالذِّقَّةِ تَدْرِيجِيَّةٌ؛ فَإِذَا كَانَ هَذَا هُوَ حَالُ
ادْرَاكِتِنَا لِقَوَى وَطَاقَاتِ عَالَمِنَا الْغَلِيظِ هَذَا فَكَيْفَ بِكَ بِالْعَوَالِمِ الْجِسْمَانِيَّةِ اللَّطِيفَةِ
الصَّاعِدَةِ؛ فَالْمَشْكَالَةُ تَكْمُنُ فِي ضَعْفِ قَوَى وَآلِيَّاتِ وَامْكَانِيَّاتِ وَطَاقَاتِ أَبْدَانِنَا
الرَّصَدِيَّةِ الدُّنْيَوِيَّةِ الْأَرْضِيَّةِ.

القضية الحادية عشرة:

حَقَائِقُ مُطْلَقِ الْمَخْلُوقَاتِ عَلَى مَرَاتِبِ وَطَبَقَاتٍ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

→ إِنَّ ما ورد في بيان قوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم: ٧٦] برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ على أَنَّ حقيقة الهداية والعصمة والإصطفاء على مراتب ودرجات غير متناهية.

وعلى هذا قس كافة الفضائل والكمالات وكُلَّ خيرٍ، بل والصفات والأسماء الإلهية فعلية كانت أم ذاتية؛ فإنَّها على مراتب وطبقات غير متناهية، فهناك اسم عظيم، واسم أعظم، واسم الأعظم الأعظم، واسم الأعظم الأعظم الأعظم، وهلمَّ جرّاً.

وعلى ضده قس مطلق الرذائل والنقائص والشرور؛ فإنَّها على دركات غير متناهية أيضاً.

فانظر: بيانات الوحي، منها:
بيان قوله تقدّس ذكره: ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْفَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [ق: ٢٧].

فإنَّه برهانٌ وحيانيٌّ أيضاً دالٌّ على أَنَّ حقيقة الضلال على دركات غير متناهية.
القضية الثانية عشرة:

العلم اللدنيّ وعلم التأويل مرتبطان بالإمامة والحاكمية الإلهية

إِنَّ ما ورد في بيانات سورة الكهف (٦٠ - ٨٢) المقتصة لِمَا حَدَّثَ بَيْنَ النَّبِيِّ مُوسَىٰ وَالْخَضِرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ براهين وحيانية دالة بوضوح على أَنَّ العلم اللدنيّ وعلم التأويل مرتبطان بالإمامة والخلافة والحاكمية الإلهية، يحصل من خلالهما تدبير وإدارة نظام البشرية، بل مُطلق المخلوقات وفي كافة العوالم غير المتناهية.

القضية الثالثة عشر:

الَّذِي يَعْلَمُ تَأْوِيلَ الْقُرْآنِ اللَّهُ ﷻ وَمَنْ زُوِّدَ بِالْعِلْمِ اللَّدْنِيِّ وَعِلْمُ التَّأْوِيلِ

إِنَّ (الوأي) الدّاخلية على كلمة (الراسخون) والواردة في بيان قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل

الرضوان - ومن ثمّ فلا تحتاج إلى تأويل؛ وحمل على معانيها المجازيّة.

[خروج في الجملة عن صلب الموضوع]

[المخلوقات الإلهيّة المهولة الخطيرة حقائق أهل البيت عليهم السلام الصّاعدة]

وهذه الغايات: جواهر، وموجودات تكوينيّة خطيرة، ومخلوقات مهولة في عوالم صاعدة، منها: عالم الأسماء والصفّات الإلهيّة^(١)، وهي: بعض

→ عمران: [٧] فسّرَها بعض مُفسّري المدارس الإسلاميّة الأخرى - كالرازي في تفسيره: (٢: ٤) بـ: الاستثنائيّة، فيكون معنى الآية الكريمة: أنّ الذي يعلم تأويل القرآن الكريم ليس هو الله تعالى، أمّا الراسخون في العلم فلا يعلمون به، ويقولون ﴿أَمَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾، يعني: تؤمن بالمحكم والمتشابه. والحق: أنّها عاطفة، لعدّة أدلّة، منها: ما ورد في بيانات سورة الكهف الحاكية لقضيّة النّبي موسى والخضر عليهما السلام، والدّالة على أنّ لكلّ شريعة علم تأويل يُزوّد به الباري جلّ شأنه ثلّة من الأصفياء يتمكّنون من خلاله إقامة تلك الشّريعة على وفق مراداته جلّ جلاله ومراضيه، ومن ثمّ يكون معنى بيان الآية الكريمة: أنّ الذي يعلم تأويل القرآن الكريم: الله تعالى ومنّ زوّد بالعلم اللدنيّ وعلم التّأويل وهم أهل البيت (صلوات الله عليهم).

(١) يجدر صرف النّظر في المقام إلى القضايا التّالية :

القضيّة الأولى:

لمبحث الأسماء والصفّات الإلهيّة بالغ التأثير في المعرفة الإلهيّة

إنّ مبحث الأسماء والصفّات الإلهيّة مبحث حسّاس جدّاً، وله بالغ التأثير في المعرفة الإلهيّة.

→ القضية الثانية:

مع خطورة الأسماء والصفات الإلهية لكنها لخصها الوحي بحرف (اللام)
 إِنَّ علم الأسماء والصفات الإلهية علم جَمٍّ وعظيم ومهول وخطر جدًّا، ومع كُلِّ
 هذا كدَّسه بيان قوله تعالى: ﴿وَكَلِمَةُ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى﴾ [الأعراف: ١٨٠]
 ولخصه في حرف (اللام) الداخلة على لفظ الجلالة (الله).

القضية الثالثة:

تجرّد عوالم المخلوقات الصّاعدة عن الجسميّة دون الإمكان
 إِنَّ عَالَمَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ، وَعَالَمَ الْكَلِمَاتِ وَالْحُجُبِ الْإِلَهِيَّةِ، وَعَالَمَ بُحُورِ
 النُّورِ عوالم مُجَرَّدَةٌ تَجَرَّدًا تَامًّا عَنْ الْجِسْمِ وَالْجَسَمِيَّةِ وَالرُّوحِ، لَكِنَّهَا لَيْسَتْ مُجَرَّدَةٌ عَنْ
 أَحْكَامِ عَالَمِ الْإِمْكَانِ.

القضية الرابعة:

تعدّد آراء المدارس المعرفيّة البشريّة في الصّفات الإلهيّة

هناك مذاهب في الصّفات الإلهيّة متعدّدة، منها:

- ١- إِنَّ الصِّفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ تنوب عن الذّات الإلهيّة الأزليّة المقدّسة.
- ٢- إِنَّ الذّات الإلهيّة (والعياذ بالله تعالى) خلو من الصّفات والكمال، وجوفاء
 ومفتقرة، نعم تفعل أفاعيل تنوب عن الصّفات والكمال، فالذّات المقدّسة ليست
 عالمة ولا قادرة ولا حيّة وهلمّ جرًّا، لكنها تفعل فعل العالَم والقادر والحي. وهذا
 ما ذهب إليه الأشاعرة وبعض المعتزلة
- ومتكلّمي الجمهور.

- ٣- إِنَّ الصِّفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ الذّاتيّة (والعياذ بالله تعالى) عين الذّات الإلهيّة المقدّسة
 تحقّقًا. وهذا ما ذهب إليه متكلّمي الإماميّة.

→ ٤- إنَّ مُطلق الصِّفَات الإِلَهِيَّة ذاتِيَّة كانت أَمْ فعليَّة آيات ومخلوقات إِلَهِيَّة حاكِية عن كمال الذَّات الإِلَهِيَّة المُقدَّسة، وَمِنْ ثَمَّ الصِّفَات الإِلَهِيَّة الذَّاتِيَّة عين الذَّات المُقدَّسة لكن حكاية. وهذا ما ذهب إليه أهل المعرفة، وهو المختار والمُطابق لبيانات الوحي.

القضية الخامسة:

صعوبة التفسير العقلي لِاشتِقاق الأسماء والصِّفَات الإِلَهِيَّة
 إنَّ التفسير العقلي لمبحث اشتِقاق الأسماء والصِّفَات الإِلَهِيَّة صعب جداً.
 القضية السادسة:

محذور التبعض في الأسماء والصِّفَات الإِلَهِيَّة
 إنَّ التبعض في الأسماء والصِّفَات الإِلَهِيَّة يُوَدِّي لا محالة إلى ثنويَّة وشرك خفي فيها.
 القضية السابعة:

تعدُّ طبقات الصِّفَات والأسماء والأفعال الإِلَهِيَّة طويلاً وعرضاً
 إنَّ الصِّفَات والأسماء والأفعال الإِلَهِيَّة على طبقات ومقامات مُتعدِّدة، بعضها مُترتبة طويلاً، وبعضها الآخر مُترتبة عرضاً.
 وهذه قضية مُهمَّة؛ فإنَّه من الأمور الخطيرة والبالغة الأهميَّة والثمره: أن لا يغفل الباحث في أبواب المعارف عن أنَّ الصِّفَات والأسماء والأفعال الإِلَهِيَّة ليست على طبقةٍ ومقامٍ فاردٍ، بل على طبقات ومقامات، فهناك طبقة ومقام الذَّات الإِلَهِيَّة الأزليَّة المُقدَّسة، وهناك طبقة ومقام الصِّفَات والأسماء الإِلَهِيَّة، وهناك طبقة ومقام الأفعال الإِلَهِيَّة.
 ثُمَّ إنَّ الأفعال الإِلَهِيَّة كالصِّفَات والأسماء الإِلَهِيَّة على طبقات ومقامات أيضاً بعضها طوليَّة والآخر عرضية.
 ومنه يتَّضح: أنَّ بعض عناوين الصِّفَات والأسماء الإِلَهِيَّة مشتركات لفظيَّة.

→ مثاله: صفة العلم الإلهي، فإنَّها تارة تطلق ويُراد منها: صفة ذاتية، وأُخرى تُطلق ويُراد منها صفة فعلية.

فانظر: بيانات الوحي الواردة في النحو الأول، منها:

١- بيان قوله تعالى: ﴿فَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [يس: ٧٦].

٢- بيان الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ عِلْمٌ لَا جَهْلَ فِيهِ...». بحار الأنوار، ٤: ١٦/٨٤.

٣- بيانه عليه السلام أيضاً: «... والعلم ذاته ولا معلوم...». بحار الأنوار، ٤: ٦٨/ح ١٢. ودلالته - كدلالة سابقه - واضحة على أَنَّ صفة (العلم الإلهي) من الصفات الإلهية الذاتية.

ولاحظ: بياناته الواردة في النحو الثاني، منها:

أولاً: بيان قوله تقدس ذكره: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنْكُمْ كُنْتُمْ تَخَانُونُ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧].

ثانياً: بيان قوله جلَّ قدسه: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِئُوا أَمَدًا﴾ [الكهف: ١٢].

ودلالته - كدلالة سابقه - واضحة أيضاً، فإنَّه دالٌّ على أَنَّ صفة (العلم الإلهي) من الصفات الإلهية الفعلية، ومن ثَمَّ أُسندت إلى الذات الإلهية الأزلية المقدسة في مقام الفعل الإلهي.

وعلى هذا قس صفة: (القيومية)، و(الأحدية)، و(الواحدية) الإلهية؛ فإنَّها تارة تكون صفات إلهية ذاتية، وأُخرى صفات إلهية فعلية.

ومنه يتضح: خلط المشبهة والمجسمة وَمَنْ شاكلهم بين الصفتين، فإنَّهم حملوا كثير من بيانات الوحي، منها:

١- بيان قوله تقدست أسماؤه: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠].

- ٢- بيانه عظمت آلاؤه: ﴿وَلَتُصْنَعَنَّ عَلَيَّ عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩].
- ٣- بيانه جلّ قوله: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦] - على أنّها صفات إلهية ذاتية، مع أنّها صفات إلهية فعلية، كما هو واضح.
- القضية الثامنة:

التّفان بين قداسة الذات المقدّسة والأسماء والصفات الإلهية

إنّ ما ورد في بيانات الوحي، منها :

- ١- بيان قوله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١].
- ٢- بيان قوله جلّ قوله: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] براهين وحيانية مُقنّنة لضابطة وقاعدة وحيانية ومعرفية، وهي: «أنّه كما أنّ التّسبيح والتّعظيم التّمجيد والتّقدّيس ثابتة للذّات الإلهية الأزلّية المقدّسة ثابتة أيضاً للأسماء الإلهية الحسنی؛ طبقات حقائق أهل البيت ﷺ الصّاعدة، مع أنّها مخلوقة».

فانظر: بيانات الوحي، منها :

أولاً: بيان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): «... نحن الاسم المخزون المكنون، نحن الأسماء الحسنی التي إذا سُئِلَ اللهُ ﷻ بها أجاب...». بحار الأنوار، ٢٧: ٢٨/٥.

ثانياً: بيانه ﷺ أيضاً: «... وأنا أسماء الله الحسنی...». بحار الأنوار، ٥٣: ٤٦ - ٤٩/٢٠.

الثالثة: بيانه ﷺ أيضاً: «... أنا الأسماء الحسنی التي أمر أن يُدعى بها...». مشارق أنوار اليقين: ٢٦٩.

→ رابعاً: بيان الإمام الباقر عليه السلام: «... عرفنا مَنْ عرفنا، وجهلنا مَنْ جهلنا، نحن الأسماء الحسنی التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلا بمعرفتنا...». بحار الأنوار، ٢٥: ٤-٥/ح ٧. المحتضر: ١٢٩.

خامساً: بيان الإمام الصادق عليه السلام: «نحن والله الأسماء الحسنی الذي لا يقبل من أحدٍ إلا بمعرفتنا، قال: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]. بحار الأنوار، ٩١: ٦/ح ٧. تفسير العياشي، ٢: ٤٢.

سادساً: بيان الإمام الرضا عليه السلام: «إذا نزلت بكم شدة فاستعينوا بنا على الله، وهو قول الله: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]. بحار الأنوار، ٩١: ٥-٦/ح ٧. تفسير العياشي، ٢: ٤٢.

ودلالة الجميع واضحة.

ومعنى ما تقدّم من بيان القاعدة المعرفية: أن تنزيه وتعظيم وتقديس الأسماء والصفات الإلهية - طبقات حقائق أهل البيت عليهم السلام الصاعدة - توطئة لتنزيه وتعظيم وتقديس الذات الإلهية المقدسة.

وعليه: فمن لم يُعظم خلقه الله في مخلوقاته لا سيما المكرّمة منها، رأس هرمها أهل البيت (صلوات الله عليهم) لم يُعظمه تقدّس ذكره.

وإلى كلّ ما تقدّم أراد أن يُشير أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في ما فعله لأهل الكوفة في خضمّ تلك الأحداث العصبية، بعد أن صلّى بهم أربعين صباحاً يقرؤ فيها سورة الأعلى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسُوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى * وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى * فَجَعَلَ غَاءً أَخْوَى ...﴾ [الأعلى: ١-٥]، فأراد (صلوات الله عليه) أن يُبين ما تقدّمت الإشارة

إليه، لكنّ أهل الكوفة لم يلتفتوا إلى ذلك.

فلاحظ: ما رواه الأصبغ بن نباتة، قال: «لَمَّا قَدِمَ عَلَيَّ عليه السلام الكوفة صلّى بهم أربعين صباحاً فقرأ بهم: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، فقال المنافقون:

والله، ما يحسن أن يقرأ ابن أبي طالب القرآن! ولو أحسن أن يقرأ لقرأ بنا غير

→ هذه السورة، قال: فبلغه ذلك، فقال: ويلهم، إني لأعرف ناسخه و منسوخه، ومحكمه ومُتشابهه، وفصاله من وصاله (في المصدر: وفصله من وصله)، وحروفه من معانيه، والله ما حرف نزل على مُحَمَّد ﷺ إلا وأنا أعرف فيمن أنزل، وفي أي يوم نزل، وفي أي موضع نزل، ويلهم، أما يقرؤون: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [الأعلى: ١٨-١٩]، والله، عندي ورثتها من رسول الله ﷺ، وورثها رسول الله ﷺ من إبراهيم وموسى، ويلهم، والله، إني أنا الذي أنزل الله في: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٢]؛ فإننا كنا عند رسول الله ﷺ فيخبرنا بالوحي، فأعياه ويفوتهم، فإذا خرجنا قالوا: ماذا قال آنفاً؟». بحار الأنوار، ٤٠: ١٣٧-١٣٨/ح ٣١. بصائر الدرجات: ٣٦.

ودلالته واضحة.

القضية التاسعة:

إقتران الأسماء الإلهية بعضها بالآخر

عَبَّرَ العرفاء والمتصوفة وأصحاب العلوم الباطنية عن إقتران الأسماء الإلهية بعضها بالآخر بـ: (نكاح الأسماء).

وفيه: خلط واشتباه شنيع، والمناسب التعبير بـ: (الإقتران)، والمُعَبَّر عنه في بيانات الوحي بـ: (الشفاعة)، بمعنى: الشفع، أي: الثنائية - وهذا أحد التفاسير العظيمة للشفاعة - في مقابل الوتر، بمعنى: الأحادية.

وبالجملة: أَنَّ التزاوج والانضمام إذا تصاعد إلى عالم السَّرمَد؛ عالم الأسماء والصفات الإلهية لا يُعَبَّر عنه تزاوجاً ونكاحاً، بل (شفاعة)، وهذا ما يوضح نكتة وفلسفة بيانات الوحي المُستعملة لعنوان (الشفع) في الإقتران بين أمير المؤمنين وفاطمة الزَّهراء (عليها السلام)؛ فإنه مُشير إلى حقيقتيهما العاليتين ونوريهما الصَّاعدين في عالم السَّرمَد والأزل عالم الأسماء والصفات الإلهية، واقترانهما كإسمين إلهيين، أحدهما: الاسم الإلهي (العلي الأعلى)، والآخر: الاسم الإلهي (فاطر). وعلى هذا قس حقائق سائر أهل البيت (عليهم السلام) واقترانها، كإقتران حقيقة سيّد الأنبياء وحقيقة أمير المؤمنين (صلوات الله عليهما وعلى آلهما) الصَّاعدين كإسمين إلهيين، ←

→ أحدهما: الاسم الإلهي (الحميد)، والآخر: الاسم الإلهي (العلي). وكاقتران حقيقة الإمام الحسن وحقيقة الإمام الحسين (صلوات الله عليهما) الصّاعدين كاسمين إلهيين، أحدهما: الاسم الإلهي (ذو الإحسان)، والآخر: الاسم الإلهي (المحسن).
إِذَنْ: أصل حقيقة الشّفاعَة هو اقتران يحصل في عالم السّرمَد والأزل عالم الأسماء والصفات الإلهية، بين الأسماء الإلهية.

ونكتة هذا الاقتران: أَنَّ الله تقدّست أسماؤه لو كان يتعامل مع المخلوقات ويُحاكمها ويُربّيها باسم إلهيٍّ فاردٍ لَمَا بقي عين ولا أثر للمخلوقات، بل لو كانت جملة المخلوقات وكافة عوالم الخلقة تُدار من حضرة أسمائية واحدة وليكن جانب الشفقة والرّحمة لاختلّ توازن المخلوقات وعوالمها.

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي، منها:

- ١- بيان قوله عزّ قوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].
 - ٢- بيان قوله جلّ قوله: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٧].
- ودلالتها واضحة.

إِذَنْ: توازن عالم الخلقة والوجود ومخلوقاته لا يحصل إلّا بالاقتران بين الأسماء الإلهية.

وهذا ما يوضح كثير من بيانات الوحي، لا سيما بيانات أدعية أهل البيت (صلوات الله عليهم)؛ فإنّهم يأتون باسم إلهيٍّ من أسماء الجلال ك: (شديد العقاب)، ويردّفونه بآخر من أسماء الجمال ك: (سريع المغفرة)، والنكتة ما تقدّم.

وهذا بابٌ معرفيٌّ عظيم وخطير، وبحث معرفيٍّ ظريف ودقيق ورشيق ولطيف جدّاً مأخوذ من بيانات الوحي المعرفية، ومبحث صعب جدّاً حارة فيه العقول والأفهام، وتعصّت حلحلة أبحاثه وعُقدته على أصحاب المدارس البشرية، كالفلاسفة والمتكلّمين والعرفاء، فضلاً عن الوهابية والسّلفية، بل وكثير ممّن أقرّه لساناً وأنكره قلباً وفهماً.

→ القضية العاشرة:

لا تفاوت ولا تغيير في الأسماء والصفات الإلهية الذاتية

إنَّ من عظمة صفات الباري تعالى الذاتية أنَّه لا تفاوت ولا تتغير عليه الأحوال، نعم صفاته سبحانه الفعلية فيها تغير وتفاوت، فالله يرزق بعض عباده ولا يرزق الآخر، لذلك قالوا: إنَّ جملة الصفات الإلهية الفعلية تؤول إلى صفة ذاتية واحدة، وهي: قُيُومِيَّتُهُ تعالى على كافة المخلوقات، فجملة المخلوقات وفي جميع الأزمنة بالنسبة إليه تقدس ذكره لا تفاوت بينها وعلى حدٍّ سواء.

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي، منها:

١- بيان قوله جلَّ قوله: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْكُمْ إِلَّا أَنْفُسُ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨].

٢- بيان قوله عزَّ قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].

فمع أنَّ المخلوقات وشؤونها وأحوالها مُتَشَرِّعة على طول الزمان فبعضها في الماضي والآخر في الحال وثالث في الاستقبال، وهكذا بعضها عظيم ومهول وخطير كالعرش، وبعضها الآخر ليس كذلك كالذرة، لكنَّها بلحاظ خالقها العزيز الجبار واستواءه وهيئته وعظمته وقدرته عليها على حدٍّ سواء؛ وكنقطة واحدة من دون أيِّ تفاوت، وهذه قضية مُحَيَّرَةٌ للعقول؛ فهيمته تعالى وقدرته على العرش كهيمته وقدرته على الذرة من دون أيِّ تفاوت البتَّة، مع أنَّ عالم القيامة بأوصافه العظيمة وخطره وفزعه وأهواله الخمسين التي تقول فيها جملة المخلوقات - منها كَمَلُها كالأنبياء عدا أهل البيت عليهم السلام - واغوثاه، لكنَّه إذا قيس إلى العرش كان كنقطة في بحر الطمطم المتلاطم وغير المتناهي، وقد ورد في حقِّه بيانات وحيانية خطيرة دالة على عظيم هوله، منها:

بيان الإمام الباقر عليه السلام: «تكلَّموا فيما دون العرش، ولا تكلَّموا فيما فوق العرش؛ فإنَّ قومًا تكلَّموا في الله فتاهوا حتَّى كان الرَّجُلُ ينادي من بين يديه فيجيب من

خلفه». بحار الأنوار، ٣: ٢٦٥/٢٦٦. المحاسن: ٢٣٨/٢٣٩ ح ٢١١.

→ ومع كُلِّ هذا وغيره فقدرة الباري ﷻ وهيمنته واستواءه عليه كقدرته وهيمنته واستواءه على الذرة من دون أيِّ تفاوت أبداً، فأَيُّ عظمة إلهية هذه.

القضية الحادية عشرة:

النسبة المنطقية بين صفات الخالق وصفات المخلوق العموم من وجه

إنَّ النسبة بين صفات الخالق - المسمى - تقدس ذكره وصفات المخلوقين ليست بنحو الإشتراك اللفظي - أي: ليس بينهما تباين -؛ وإلَّا لزم تعطيل المعرفة الإلهية، وهو باطل بالضرورة الوحيانية والعقلية، ولا بنحو الترادف اللفظي - أي: ليس بينهما اتحاد حقيقة من جميع الجهات - وإلَّا لزم - والعياذ بالله تعالى - تشبيه الخالق ﷻ بالمخلوق، وهو باطل بالضرورة الوحيانية والعقلية أيضاً، وإثماً - النسبة بينهما - اتحاد من جهة، ومغايرة من جهات، نظيره: الترادف العقلي.

وعبرنا بـ: (النظر)، ولم نُعبّر بـ: (المثل) و(الشبيه)؛ ذلك لأنَّه يُشترط في المترادفين عقلاً وقوعهما واجتماعهما تحت حقيقة واحدة - كـ: الجنس، سواء أكان قريباً أو متوسطاً أو بعيداً - والحال لا توجد حقيقة وواقعية وراء الذات الإلهية الأزلية المقدسة؛ كما يقع (تقدس ذكره) تحتها؛ فإنَّ الذات المقدسة غاية الغايات، وليس ورائه (جلَّ جلاله) منتهى وكمال.

وهذه قضية ثابتة بالضرورة الوحيانية والعقلية.

فانظر: بيانات الوحي، منها:

بيان سيّد الأنبياء ﷺ: «... ليس وراء الله منتهى». بحار الأنوار، ٦٠: ٧٤/ح ٢٥.

إذن: هناك جهة اتحاد بين صفات الخالق (جلَّ قُدسه)، وصفات المخلوق، لكن لا بنحو الممازجة والمشاكلة والمداخلة والمماثلة. وهناك جهات إفتراق بينهما، لكن لا بنحو المباينة والمزايلة، وإنَّما (أمر بين أمرين).

وعليه: فينبغي على الباحث الالتفات إلى المغايرة في الجملة بين معاني الصفات الإلهية المقدسة، ومعاني صفات المخلوقين، فتجب المغايرة بينهما من جهة، وهذا

→ هو معنى تنزيه السَّاحَةِ الإلهية، وإلا لزم الشرك والتشبيه، وهو باطل بالضرورة. ويجب الارتباط من جهة أخرى، وهذا هو معنى الحمد والثناء على السَّاحَةِ الإلهية، وإلا لزم تعطيل المعرفة الإلهية، وهو باطل بالضرورة أيضاً.

وإن شئت قلت: إنَّ صفات كمال المخلوقين آية لصفات الخالق (جلَّتْ آلاؤه)، فعلم المخلوق وقدرته - مثلاً - آية لعلم باريه وقدرته (تعالى ذكره)، ومن ثمَّ يفهم من صفة العلم والقدرة الإلهية ما يفهم من صفة العلم والقدرة لدى المخلوق، لكن لا على نحو التشبيه. ويُفهم من صفة العلم والقدرة لدى المخلوق ما لا يفهم من صفة العلم والقدرة الإلهية، لكن لا على نحو التَّعطيل.

وهذا ما يشير إليه بيان الضَّابطة والقاعدة المعرفية الوحيانية الواردة في بيانات الوحي المستفيضة، وهي: «أنَّ الصِّفَات الإلهية لا تعطيل فيها من جهة، ولا تشبيه فيها من جهة أخرى، وإنَّما أمر بين أمرين؛ تنزيه وتحميد وتوحيد»؛ فبالتنزيه تُرفع إخفاقات المخلوق عن الذات المقدسة، وبالثناء والتَّحميد تُثبت كمال الذات الإلهية المقدسة.

وبعبارة أخرى: أنَّ الحدود والنقائص الموجودة في صفات المخلوقات منفية عن صفات الباري (علا ذكره)، فصفااته كمال مُطلق، وليس فيها شائبة ورائحة النقص والمحدودية، ولا تتوقَّف ولا تتعلَّق على شيء البتَّة، فهو (سبحانه وتعالى) - مثلاً -: يُبصر المخلوقات ويُحيط ويعلم بها ويهيمن عليها قبل خلقها وبعد خلقها.

فانظر: بيانات الوحي، منها:

بيان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): «... ففرَّق بها بين قبل وبعد ليعلم: أنَّ لا قبل له ولا بعد ... مخبرة بتوقيتها أنَّ لا وقت لمُوقَّتِها ... كان ربًّا ولا مربوب، وإلهًا ولا مألوه، وعالمًا إذ لا معلوم، وسميعًا إذ لا مسموع ...». بحار الأنوار، ٤: ٣٠٥/ح ٣٤. الكافي، ١: ١٣٨.

بل هناك ضابطة وقاعدة معرفية علمية، واردة في المقام، أدقُّ وأصعب من سابقتها، واردة في بيانات الوحي المستفيضة أيضاً، تجري في مقام صفات الذات الإلهية ←

→ الأزلية المقدسة، دون صفات المخلوقين، وهي: «أن الصفات الذاتية الإلهية بعضها عين الآخر؛ فأوليته (سبحانه وتعالى) عين آخريته وظاهريته وباطنيته ...، وآخريته (تبارك وتعالى) عين أوليته وظاهريته وباطنيته ... وعلى هذا قس سائر الصفات الذاتية الإلهية.

عصارة ما تقدم: أنه لا يتم التوحيد إلا بالتنزيه والتحميد، والأمر بين الأمرين، هذه هي النسبة بين صفات الذات الإلهية الأزلية المقدسة وصفات المخلوقات. وهذه المنهجية قد أكد وأصر عليها أهل البيت (صلوات الله عليهم) في بيانات مستفيضة، بل متواترة، ورثوا عليها عقول جملة المخلوقات وفي كافة العوالم بعدما كانت علومهم ومعارفهم (صلوات الله عليهم) شاملة وتزخر لمطلق العوالم ولسائر المخلوقات غير المتناهية؛ مرتبة كانت أم غيرها.

بعد الالتفات:

أولاً: أن المعارف الدينية - كدين الإسلام - شاملة لجميع ذلك. ثانياً: أن صنع الله ومخلوقاته شاسع ومهول، بل لا حد ولا نهاية له أبداً وأزلاً؛ لأنه فعل غير المتناهي، وفعل غير المتناهي لا بد أن يكون بالضرورة غير متناهياً أيضاً، وإلا - أي: لو كان فعل غير المتناهي متناهياً - للزم انقلاب ماهية وحقيقة غير المتناهي، وصار متناهياً، وبطلان انقلاب الماهية والحقيقة من الواضحات.

ومنه تتضح: كثير من بيانات الوحي المعرفية، منها:

بيان قوله عزّ قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]؛ فإنها شاملة لكلّ العوالم وكافة المخلوقات غير المتناهية. فالتفت.

القضية الثالثة عشر:

تنزه الذات المقدسة عن جملة من الشناء الصادر عن المخلوقات

إن الحمد والثناء الصّادرين منّا إجماعاً ساحة القدس الإلهية قد لا يُليقان بالباري - المسمّى - جلّ قدسه، ويجب تنزيهه عنهما، وإنهما يُليقان بالمخلوق، فالثناء عليه ﷻ بأنّه المحيي والمُميت؛ فإنّ الاسم الإلهي المحيي وإسرافيل عليه السلام يُحييان، والاسم -

→ الإلهي المميت وعزرائيل وجنده ﷺ يُميتون. ومعناه: أن الحمد والثناء عليه (عظمت آلاؤه) يلزم أن يكونا أرفع وأعظم من ذلك. والسبيل الأوحى للمحافظة على توحيده (جلّ وتقدّس) وتنزيهه نشب أظفار المخلوق ببيانات الوحي، ودوام الهجرة في منطق الثقلين. القضية الرابعة عشرة:

معرفة الذات المقدّسة لا تكون إلا بالآيات ومرادفاتها العقلية

إنّ ما ورد في بيانات الوحي، منها:

بيان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): «اعرفوا الله بالله...». أصول الكافي، ١: ٦١/ح ١.

ليس معناها: نفي المعرفة بالآيات الإلهية - كما تحرّصته الوهابية والسلفية، وجملة من الفلاسفة والعرفاء والصوفية -، وإنّما معناه: النّظر إلى جهة التّجلي الإلهي في الآيات الإلهية.

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي الأخرى، منها:

بيان قوله تعالى الوارد في حقّ سيّد الأنبياء ﷺ: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم: ١٨].

القضية الخامسة عشرة:

لا بُدّ من ملاحظة المخلوق في الآيات لجهة الإضافة إلى السّاحة الربوبية

إنّ ما ورد في بيان قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٢٨] برهانٌ وحيانيّ وعقليّ بديهيّ دالٌّ على أنّ عدم ملاحظة المخلوق في الآيات الإلهية جهة الإضافة إلى الله ﷻ كأبوابٍ لا تُفَتَّحُ له أبواب السّمو والعلو إلى السّاحة الربوبية.

→ القضية السادسة عشرة:

التوحيد شعار إبليس ومن جرى على شاكلته

إِنَّ شِعَارَ إبْلِيسَ لَيْسَ إِلَّا الْحَادُ، بَلِ التَّوْحِيدُ، لَكِنْ بِكُفْرٍ وَإِنْكَارِ الْوَسَائِطِ وَالْوَسَائِلِ الْإِلَهِيَّةِ .

ومذهب إبليس هذا نفس مذهب الوهابية ومن جرى على شاكلتهم حذو النعل بالنعل.

ثُمَّ إِنَّهُ يَنْبَغِي الْإِلْتِفَاتُ: أَنَّ عِبَادَةَ الشَّيْطَانِ الْمَوْجُودَةَ فِي الْعَصْرِ الرَّاهِنِ عَلَى مَذَاهِبٍ، وَتَتَلَبَّسُ بِمَوْضُاتٍ مُخْتَلِفَةٍ؛ كَيْمَا لَا تُكْشَفُ، وَهِيَ قَائِمَةٌ عَلَى الْفُجُورِ وَالْفَوَاحِشِ، وَسَفْكِ الدِّمَاءِ، وَهَتِكِ الْأَعْرَاضِ وَسَلْبِ الْأَمْوَالِ.

القضية السابعة عشرة:

المعرفة بالآيات ومرادفاتها أقصر الطرق لمعرفة الساحة الإلهية

إِنَّ الْمَعْرِفَةَ بِالْآيَاتِ وَالْأَفْعَالِ الْإِلَهِيَّةِ وَمُرَادِفَاتِهَا الْإِلَهِيَّةِ الْعَقْلِيَّةِ أَقْصَرُ طَرِيقٍ لِمَعْرِفَةِ الْبَارِي تَعَالَى ذِكْرَهُ، وَهَذَا مَا تُؤَكِّدُ وَتُشَدِّدُ وَتَصْرُّ عَلَيْهِ بَيَانَاتُ الْوَحْيِ فِي أَبْوَابِ التَّوْحِيدِ وَفُنُونِ الْمَعَارِفِ التَّوْحِيدِيَّةِ.

فانظر: بيانات الوحي، منها:

١- بيان سيّد الأنبياء ﷺ في جوابه على سؤال رجل من اليهود: «... يا مُحَمَّد، أَخْبِرْنِي عَنْ هَذَا الرَّبِّ الَّذِي تَدْعُو إِلَى وَحْدَانِيَّتِهِ ... فَبأيِّ شَيْءٍ تَعْلَمُ أَنََّّهُ مَوْجُودٌ؟ قَالَ: بِآيَاتِهِ وَأَعْلَامِهِ...». توحيد الصدوق، ب ٦١: ٣٨٦-٣٨٧ / حاشية: ١٣.

٢- بيان أمير المؤمنين عليه السلام، فَإِنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْعَالَمِ الْعُلُوي فَقَالَ: «صُورٌ عَارِيَةٌ مِنَ الْمَوَادِّ، عَالِيَةٌ عَنِ الْقُوَّةِ وَالْإِسْتِعْدَادِ، تَجَلَّى لَهَا فَأَشْرَقَتْ، وَطَالَعَهَا فَتَلَأَلَتْ، وَأُلْقِيَ فِي هَوْنِهَا مِثَالُهُ فَأَظْهَرَ عَنْهَا أَفْعَالَهُ...». بحار الأنوار، ٤٠: ١٦٥.

٣- بيان الإمام الصادق عليه السلام في جوابه على سؤال: «ما الدليل على صانع العالم؟» فقال أبو عبد الله عليه السلام: وجود الأفاعيل التي دلت على أَنَّ صَانِعَهَا صَنَعَهَا...».

بحار الأنوار، ٣: ٢٩/ ح ٣.

→ ٤- بيان الإمام الرضا عليه السلام: «... وفي الأشياء يوجد أفعالها ... بها تجلّ صانعها للعقول، وبها احتجب عن الرؤية، وإليها تحاكم الأوهام، وفيها أثبت غيره، ومنها أنيط الدليل، وبها عرّفها الإقرار...». بحار الأنوار، ٤: ٢٢٧ - ٢٣٠ / ح ٣.

٥- بيانه عليه السلام أيضاً: «... بصنع الله يُستدلّ عليه ... وأسماءه تعبير، وأفعاله تفهيم...». توحيد الصدوق: ٣٧ / ح ٢.

٦- بيانه عليه السلام أيضاً في جوابه على سؤال عمران الصّابي: «... يا سيّدي، فبأيّ شيء عرفناه؟ قال: بغيره. قال: فأبّي شيء غيره؟ قال الرضا عليه السلام: مشيّه واسمه وصفته وما أشبه ذلك، وكلّ ذلك مُحدّث مخلوق مدبر ... ولكن يُدلّ على الله ﷻ بصفاته، ويُدرّك بأسمائه، ويُستدلّ عليه بخلقه، حقٌّ لا يحتاج في ذلك الطالب المرتاد إلى رؤية عين، ولا استماع أذن، ولا لمس كف، ولا إحاطة بقلب، ولو كانت صفاته جلّ ثناءؤه لا تدلّ عليه أسمائه لا تدعو إليه والمُعَلِّمة من الخلق لا تُدرّكه لمعناه كانت العبادة من الخلق لأسمائه وصفاته دون معناه، فلولا أنّ ذلك كذلك لكان المعبود المُوَحَّد غير الله؛ لأنّ صفاته وأسمائه غيره...». عيون أخبار الرضا عليه السلام، ١: ١٢٢ - ١٣٦ / ح ١.

٧- بيان الزيارة الجامعة: «... فنطقت شواهد صنعك فيه بأنّك أنت الله لا إله إلاّ أنت، مكوّنه وبارئه وفطره...». بحار الأنوار، ٩٩: ١٦٧.

ودلالته - كدلالة سوابقه - واضحة.

إذن: نظام التّوحيد لا يُقام إلاّ بالآيات والأفعال الإلهيّة، وهي لا تقف عند حدٍّ ولا تنتهي أبداً.

وبالجملة: أصل معرفة الذات الإلهيّة الأزليّة المقدّسة لا تتحقّق إلاّ بالآيات ومرادفاتها الإلهيّة العقليّة، وهي وجه ورشحة وتجلّي وظهور للذات الإلهيّة المقدّسة.

نعم، الآيات ومرادفاتها الإلهيّة العقليّة على مراتب وطبقات، وأهمّ ما في هذه المراتب والطبقات

نحوان - استفيداً من بيانات الوحي - :

→ الأول: ما أشارت إليه بيانات الوحي، منها: بيان قوله تعالى: ﴿وَكَلِمَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]. وهذا النحو من الآيات الإلهية ومرادفات الإلهية العقلية لا توجد فيه شائبة الأنا والمخلوقية، وخالص في حكاية الذات الإلهية المقدسة والمقامات الربوبية. وأصطلح أهل المعرفة - اقتباساً من بيانات الوحي - على هذا النحو بـ: (الفيض الأقدس).

ومرادهم من (الفيض): الظهور والتجلي. ومن (الأقدس): خلوّ هذا النحو من شائبة الأنا والمخلوقية. وهذا النحو تُشير إليه بيانات الوحي بعنوان: (سُرَادِقَاتِ الرَّبُوبِيَّةِ). والسُرَادِقُ نظير النَّفَقِ، ومعناه: ظهورات وتجليات وفيوضات مُتَكَثِرَةٌ؛ فالآيات والأسماء والصفات الإلهية وسائر مرادفات الإلهية العقلية وإن كانت مُتَكَثِرَةٌ، لكنّها أقدس من أن يشوبها رائحة المخلوقية.

الثاني: ما أشارت إليه بيانات الوحي أيضاً، منها: بيان قوله جلّ شأنه: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠]. وفي هذا النحو من الآيات الإلهية ومرادفات الإلهية العقلية لم تَنَمَحْ فيه شائبة الإنا والمخلوقية؛ إذ توجد فيه جنبتان:

إحدهما: جنبه المخلوقية. الأخرى: جنبه إسميّة المخلوق وآبِيَّتُهُ لِرَبِّهِ ﷻ. وهذه الجنبه أشرف شيء في المخلوق.

ثُمَّ إِنَّهُ كُلَّمَا ضَعَفَتْ إِحْدَىٰ هَاتَيْنِ الْجَنْبَتَيْنِ فِي الْمَخْلُوقِ قَوِيَتْ وَبَرَزَتْ الْأُخْرَىٰ. ثُمَّ إِنَّ إِخْلَاصَ الْمَخْلُوقِ لِبَارِيهِ تَعَالَىٰ غَنِيْمَةٌ لِنَفْسِ الْمَخْلُوقِ، لَأَنَّ فِي الْإِضَافَةِ لَهُ ﷻ إِمْدَادٌ لَا انْقِطَاعَ لَهُ أَبَدًا، بخلاف الإضافة إلى الذات المخلوقة؛ فَإِنَّهُ مَهْمَا عَلَى شَأْنٍ وَشَأْوٍ تِلْكَ الذَّاتِ لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ مَحْدُودَةً، وَإِمْدَادُهَا مَقْطُوعًا، وَمِنْ ثَمَّ كَانَ ←

→ الإخلاص أحد عناوين ولغات الاسم الإلهي. وهذا هو فلسفة الإخلاص بلغة الذوق العقلي.
القضية الثامنة عشرة:

الإنشغال بالمخلوقات والآيات الخلقية لمعرفة الساحة الإلهية

هناك تساؤل وجدل علمي جرى بين أصحاب المدارس المعرفية البشرية، حاصله: أن الإنشغال بالمخلوقات والآيات الخلقية هل يكون حاجباً ومانعاً من حصول المعرفة الإلهية التوحيدية، أو أنه يقوّي جانب المعرفة الإلهية التوحيدية؟ فيه نظريتان، ولكل منهما أدلتها الخاصة :

فاستدل الأول بـ: أن الإنشغال بالخلقة نمط من أنماط الإنشغال بغير الله، والإنشغال بغير الله حاجب عن المعرفة الإلهية التوحيدية.

واستدل الثاني بـ: بيانات وحيانية، منها :

بيان قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

فمخلوقات الله ﷻ وأفعاله آيات تُبين عظمته تقدّس ذكره :

والتحقيق: أن في كلا النظريتين نظرة توحيدية ونظرة كمال، والكلام في الأكمل، وفي كيفية النظرة، وكيفية المعرفة، وكيفية النظر لأدلة المسألة، ووجوه الجمع بينها.

وبعبارة أخرى: أن أصحاب هاتين النظريتين وأدلتها ناظرون إلى زاوية وغاؤون الطرف عن الزاوية الأخرى؛ فإنه إن نُظر إلى تلك المخلوقات والآيات بنظرة طريقية وآلية؛ وأنها مرآة حاكية عن عظمة خالقها (تقدّس ذكره)، ومنتشلة متبّعها وأتمسك بها والناظر إليها من حضيض التعطيل والتشبيه، وتجعله على جادة: أهل البيت (عليه السلام)؛ جادة التنزيه والثناء والتحميد والتمجيد والأمر بين الأمرين كان الحق مع النظرية الثانية، وكانت مطلوبة وراجحة شرعاً وعقلاً، وهذا ما تُشير إليه وتحث عليه بيانات الوحي الأخرى الدالة على هذه النظرية.

→ وإنْ نُظِرَ إليها بنحو الموضوعية والاستقلالية، ولا يتعدى النظر إلى ذبيها؛ (الذات الإلهية المقدسة) كان الحق مع النظرية الأولى.
القضية التاسعة عشرة:

المخلوق لا يُدرك من الآيات الإلهية إلا ما يُناسب عالمه

هناك حقيقة شاملة لجملة المخلوقات - ولا تختص بالإنسان - ينبغي الالتفات إليها، حاصلها: أَنَّ لِكُلِّ مخلوق طبقات من الأجسام والأبدان، وكل طبقة منها لا تُدرك من الآيات الإلهية إلا من أفق عالمها الخاص؛ فالإنسان - مثلاً - لا يُدرك ببدنه الغليظ إلا آيات عالم الحس الغليظ، فلا يُدرك - هذا البدن - آيات عالم البرزخ فضلاً عن آيات عالم القيامة، أو آيات عالم الآخرة الأبدية وما فوقه من عوالم. وعلى هذا قس البدن البرزخي؛ فإنَّ الإنسان لا يُدرك ببدنه البرزخي إلا آيات عالم البرزخ، فلا يُدرك آيات عالم القيامة، ولا آيات عالم الآخرة الأبدية وما فوقه من عوالم، وهكذا لا يُدرك ببدن عالم القيامة وبدن عالم الآخرة الأبدية وأبدان من فوقه من عوالم إلا آيات عوالمها الخاصة.

القضية العشرون:

المخلوقات لا تقترب إلى الساحة الإلهية إلا بمقدار ما تستحقه

إنَّ ما ورد في بيان قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَخَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَبَعًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، برهانٌ وحيانيٌّ كاشفٌ عن حقيقة ضخمة؛ وقاعدة وضابطة وحيائية عظيمة جدًّا؛ أسستها وضربتها بيانات الوحي، لم تكن لدى جملة المدارس البشرية المعرفية - كالمدرسة الفلسفية والعرفانية - وهي: «أَنَّ كُمُلَ المخلوقات فضلاً عن غيرها لا تتمكّن من الاقتراب إلى ساحة القدس الإلهية إلا بمقدارٍ معيّنٍ يُناسب ذلك المخلوق».

→ القضية الحادية والعشرون:

الزَّمان والدَّهر والمثال والسَّرمَد والأزل أوعية وواقعات عوالم

أوعية وواقعية عالم: الأجسام والمادة اللطيفة والبرزخ والأسماء والصفات

إنَّ الزَّمان وعاء للأجسام الغليظة. والدَّهر وعاء للمخلوقات المجردة عن المادة الغليظة. والمثال وعاء للمخلوقات البرزخية. والسَّرمَد والأبد وعاء لمخلوقات عالم الأسماء والصفات الإلهية، لكن لا بملاحظة مخلوقيتها.

وتُعبرُ جملة من بيانات أهل البيت (صلوات الله عليهم) عن عالم الأسماء والصفات الإلهية بـ: (بحور الأسماء والصفات)، وهي التي غُمس فيها نور سيد الأنبياء ﷺ في العوالم الصَّاعدة.

وعالم الأسماء والصفات الإلهية حاكٍ بتمام واقعيته عن الذات الإلهية الأزلية المقدسة، فكلَّمَا فُتِّش في زواياه وبُقِّعه فلن تُوجد زاوية وبقعة منه إلا وتدلُّ على حكاية الذات الإلهية المقدسة، نظيره: (الصُّورة المرآتية)؛ فإنَّه لا يُوجد فيها موضعاً ليس بحاكٍ عن ذبها - الشَّاخص الخارجى.

وينبغى الالتفات: أنَّه ليس المراد من الوعاء والظرف في المقام المحيطة والكم المقدارى، بل الواقعية.

القضية الثانية والعشرون:

ضرورة التَّوسُّل بالآيات الإلهية ومرادفاتِها الإلهية العقلية

إنَّ ما ورد في بيان الإمام الصادق عليه السلام: «ما لهم قاتلهم الله عمدوا إلى أعظم آية في كتاب الله فزعموا أنَّها بدعة إذا أظهروها، وهي: بسم الله الرحمن الرحيم».

[بحار الأنوار، ٨٢: ٢١] فإنَّه ردُّ على مَنْ قال مِنْ أصحاب الفرق المنحرفة بـ: «عدم جواز الجهر بالبسملة في قراءة الصَّلاة»؛ فإنَّ في البسملة: أوَّل وأعظم آية في القرآن الكريم، وهي: (الباء) أي: باء الإبتداء أو باء الإستعانة أو باء التَّوسُّل بـ: (الاسم الإلهي).

طبقات حقائق أهل البيت (صلوات الله عليهم) الصاعدة، وتتبعها طبقات حقائقهم ﷺ المتوسطة والنَّازلة^(١).

→ هذا وقد نفى إبليس - بدعوى: إقامة التَّوحيد - ومن جرى على نهجه - كالعرفاء والفلاسفة والوهابية والسَّلفية جليَّة كانت أم خفيَّة - التَّوسُّل بالآية والواسطة الإلهيَّة مع أنَّها أُس التَّوحيد والمعرفة. وهذه الدعوى ولازمها - وهو: إمكان إكتناه الذات المقدَّسة - نظرية أخذها أصحاب الفرق الإسلاميَّة المنحرفة من التَّوراة المحرَّفة، وهي شعار إبليس. فانظر: بيانات الوحي، منها:

بيان الإمام الصَّادق عليه السلام: «... فقال إبليس: يا رب، اعفني من السجود لآدم وأنا أعبدك عبادة لم يعبدكها ملكٌ مُقَرَّب ولا نبيٌّ مُرْسَل، فقال الله: لا حاجة لي إلى عبادتك، إنما أريد أن أعبد من حيث أريد، لا من حيث تُريد، فأبى أن يسجد، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿اخرج منها فإنك رجيمٌ﴾ * وإنَّ عليك لعنتي إلى يوم الدين ﴿[ص: ٧٧-٧٨]...﴾». بحار الأنوار، ١١: ١٤١. تفسير القمي: ٣٤-٣٥. فأراد إبليس عبادة الباري تعالى من دون وساطة خليفة الله بينه وبين الذات الإلهيَّة المقدَّسة، والحال: أنَّ التَّوسُّل بخليفة الله والواسطة أُس التَّوحيد والمعرفة. وإلى هذا أشارت بيانات الوحي، منها:

بيان سيِّد الأنبياء ﷺ، مخاطباً أمير المؤمنين عليه السلام: «... يا عليّ... وأنت السَّبب فيما بين الله وبين خلقه بعدي، فَمَنْ جحد ولايتك قطع السَّبب الذي فيما بينه وبين الله، وكان ماضياً في الدرجات [في المصدر: الدرجات]، يا عليّ، ما عَرَفَ الله إلَّا بي ثُمَّ بِكَ، مَنْ جحد ولايتك جحد الله ربوبيَّته، يا عليّ، أنتَ علم الله بعدي الأكبر في الأرض ... فَمَنْ استظل بفيئك كان فائزاً...». بحار الأنوار، ٢٢: ١٤٨/ح ١٤١.

(١) ينبغي الالتفات في المقام إلى الأمور التَّالية:

→ الأمر الأول:

هول وعظيم خطر حقائق أهل البيت عليهم السلام

إِنَّ مَا وَرَدَ فِي بَيَانِ قَوْلِهِ تَعَالَى ذِكْرَهُ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١] برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ على نُبْتِ وَنُكَاتِ مَعْرِفَةِ وَاعْتِقَادِيَّةِ بَدِيعَةٍ وَعَظِيمَةٍ جَدًّا، مُشِيرَةٍ لِهَوْلٍ وَخَطَرٍ وَعَظْمَةِ حَقِيقَةِ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ وَحَقَائِقِ سَائِرِ أَهْلِ الْبَيْتِ (صلوات الله عليهم)، منها:

أَوَّلًا: أَنَّ سَاحَةَ الْقُدُسِ الْإِلَهِيَّةِ لَمْ تُعْطِ مَقَامَ النَّبُوَّةِ لَنَبِيِّ قَطُّ إِلَّا بَعْدَ الْإِقْرَارِ بِنُبُوَّةِ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ صلوات الله عليهم وَوَلَايَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَسَائِرِ أَهْلِ الْبَيْتِ (صلوات الله عليهم) وَأَمْرِيَّتِهِمْ وَحَاكِمِيَّتِهِمْ.

وَمَعْنَاهُ: أَنَّ نُبُوَّةَ جَمَلَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ مِنْهُمْ سَائِرِ أَنْبِيَاءِ أُولَى الْعِزْمِ عليهم السلام رَشْحَةٌ مِنْ رَشْحَاتِ فَيْضِ نُبُوَّةِ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ وَإِمَامَةِ وَوَلَايَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَسَائِرِ أَهْلِ الْبَيْتِ عليهم السلام. وَلَمْ تُعْطَ إِلَّا بِثَمَنِ الْإِيمَانِ بِسَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ وَسَائِرِ أَهْلِ الْبَيْتِ عليهم السلام.

ثَانِيًا: أَنَّ وَظِيفَةَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ إِتِّجَاهُ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ وَسَائِرِ أَهْلِ الْبَيْتِ (صلوات الله عليهم) التَّصَدِيقُ وَالْإِيمَانُ بِهِمْ. وَمَعْنَاهُ: أَنَّ طَبَقَاتِ حَقَائِقِ أَهْلِ الْبَيْتِ (صلوات الله عليهم) - لَا سِوَا الصَّاعِدَةِ - غِيبَ بِالنَّسْبَةِ لِسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ يَلْزَمُ التَّصَدِيقُ وَالْإِيمَانُ بِهَا.

ثَالِثًا: أَنَّ مَا آتَى بِهِ سَيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ صلوات الله عليهم هُوَ الثَّقَلَيْنِ: (القرآن الكريم والعتره الطاهرة).

الأمر الثاني:

الإمامة الإلهية تجلّي للتوحيد في مقام أفعال الله وحاكميته وتطبيق أحكامه

الإمامة الإلهية بعثة إلهية

→ إِنَّ حَقِيقَةَ الإِمَامَةِ الإِلَهِيَّةَ تَجَلَّى لِلتَّوْحِيدِ وَالْأَحَدِيَّةِ وَالْوَحِدِيَّةِ فِي مَقَامِ الْأَفْعَالِ الإِلَهِيَّةِ وَوَلَايَةِ اللَّهِ وَحَاكِمِيَّتِهِ، وَفِي مَقَامِ تَطْبِيقِ الْأَحْكَامِ الإِلَهِيَّةِ؛ وَأَنَّ الْوَلَايَةَ وَالْحَاكِمِيَّةَ وَالطَّاعَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ - الْمُسَمَّى - (تَقَدَّسَ ذِكْرُهُ).

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي، منها :
بيان قوله تعالى: ﴿إِن الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٤٠].
فإنَّه لَمَّا قَامَ الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ بِإِصْصَالِ الْأَحْكَامِ الإِلَهِيَّةِ إِلَى الْمَخْلُوقَاتِ أَقْتَضَتِ الْضَرُورَةَ الإِلَهِيَّةَ إِلَى مَنْ يُطَبِّقُهَا وَيَعْرِفُ بَوَاطِنَ حَقَائِقِهَا لِيَتَوَافَقَ ظَاهِرُهَا مَعَ بَاطِنِهَا؛ كَيْمَا يَصِلَ الْمَخْلُوقُ إِلَى الْفَرْدِ الْكَامِلِ وَالْمَدِينَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ الْفَاضِلَةِ؛ فَاتَّخَذَتْ سَاحَةَ الْقُدْسِ الإِلَهِيَّةِ نُحْبَةً مِنْ كُمَّلِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَبُعِثُوا أَيْمَّةً لِيَقُومُوا بِهَذَا الدَّورِ.
إِذَنْ: الإِمَامَةُ الإِلَهِيَّةُ بَعَثَتْ إِلَهِيَّةً.

وإلى هذا تُشير بيانات الوحي، منها :
بيان قوله جلَّ قَوْلُهُ: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلَكًا﴾ [البقرة: ٢٤٧].

ودلالته واضحة بعد الالتفات إلى أَنَّ عنوان (الْمَلِكُ) الوارد في هذا البيان الشَّريف وما شاكله أحد عناوين الإِمَامَةِ الإِلَهِيَّةِ.

عَالَمُ الرَّجْعَةِ ضَرُورَةٌ إِلَهِيَّةٌ لِاسْتِيعَابِ دِينِ الْإِسْلَامِ وَعِلْمُومِهِ وَمَعَارِفِهِ
وهكذا يَتَّضِحُ: عَالَمُ آخِرَةِ الدُّنْيَا (الرَّجْعَةُ)؛ فَإِنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ وَتَشْرِيعَاتِهِ وَأَحْكَامَهُ وَعِلْمُومَهُ وَمَعَارِفَهُ وَعَقَائِدَهُ لَمَّا كَانَتْ مِنْ أَفْعَالِ الْبَارِي (الْعَزِيزِ الْجَبَّارِ)؛ كَانَتْ غَيْرَ مَتْنَاهِ، وَفَعَلَهَا مَتِينًا وَغَيْرَ مَتْنَاهُ أَيْضًا.

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي، منها :
١- بيان قوله ﷺ ذكره: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمْدُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧].

→ ٢- إطلاق بيان وصية سيد الأنبياء ﷺ لأمير المؤمنين عليه السلام: «يا علي، إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق...». بحار الأنوار، ٦٨: ٢١٣/ ح ٨.

وحيث لا يمكن لعالم الدنيا الأولى استيعابه واستيعاب علومه ومعارفه اقتضت الضرورة الإلهية إلى عالم آخر يرتبط بهذه النشأة الأرضية؛ أطول عمراً، وأشد وأعظم قوة وهولاً، يرجع فيه قادة وأئمة وأولياء هذه النشأة الأرضية لإكمال وإتمام ما ألقى عليهم من مهام ومسؤوليات إلهية، وذلك العالم هو (عالم آخرة الدنيا)، أي: عالم الرجعة، عالم حكومة أهل البيت (صلوات الله عليهم).

بعد الالتفات: أن سيد الأنبياء ﷺ كما هو نبي ورسول هو إمام أيضاً، بل هو إمام الأئمة عليهم السلام.

وإلى كل هذا تشير بيانات الوحي، فلاحظ :

أولاً: بيان أمير المؤمنين عليه السلام: «... وأخذ ميثاق الأنبياء بالإيمان والنصرة لنا، وذلك قوله ﷺ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ [آل عمران: ٨١] يعني: لتؤمنن بمحمد ﷺ ولتنصرن وصيته، وستنصرونه جميعاً... ولم ينصرن أحد من أنبياء الله ورسله، وذلك لما قبضهم الله إليه، وسوف ينصرونني، ويكون لي ما بين مشرقها إلى مغربها، وليبعثن الله أحياء من آدم إلى محمد ﷺ كل نبي مرسل، يضربون بين يدي بالسيف هام الأموات والأحياء والثقلين جميعاً، فيا عجباً، وكيف لا أعجب من أموات يعيثنهم الله أحياء يلبنون زمرة زمرة بالتلبية: لبيك لبيك يا داعي الله، قد تخللوا بسكك الكوفة، قد شهروا سيوفهم على عواتقهم ليضربون بها هام الكفرة، وجابرتهم وأتباعهم من جبارة الأولين والآخرين حتى ينجز الله ما وعدهم في قوله ﷺ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥]؛ أي: يعبدونني آمنين لا يخافون أحداً من عبادي ليس عندهم تقية. وإن لي الكرة بعد الكرة، والرجعة بعد الرجعة، وأنا صاحب الرجعات ←

→ والكُرَات، وصاحب الصَّلوات والنقعات، والدَّوَلات العجيبات ...». بحار الأنوار، ٥٣: ٤٦/ح ٢٠.

ثانياً: بيان الإمام الباقر عليه السلام: «في قول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ [المدثر: ١-٢]. يعني: بذلك مُحَمَّدٌ ﷺ وقيامه في الرَّجعة ينذر فيها. وفي قوله: ﴿إِنهَا لِأَخَذَى الْكِبَرِ * نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٣٥-٣٦] يعني: مُحَمَّدٌ ﷺ نذيراً للبشر في الرَّجعة. وفي قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨] في الرَّجعة». مختصر البصائر: ١١٣-١١٤/ح ٨٨-٣٤.

ثالثاً: بيان الإمام الصادق عليه السلام، عن عبد الكريم بن عمرو الخثعمي، قال: «سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: إِنَّ إبليس قال: ﴿أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الأعراف: ١٤] فَأَبَى اللَّهُ ذَلِكَ عَلَيْهِ، فقال: ﴿فَأَنْكَرَ مِنْ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ [الحجر: ٢٧-٢٨]؛ فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ظَهَرَ إبليس لعنه الله في جميع أشياعه منذ خلق الله آدم إلى يوم الوقت المعلوم، وهي آخر كَرَّةٍ يَكْرُهَا أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، فقلتُ: وَإِنَّهَا لَكُرَّاتٌ؟ قال: نعم، إِنَّهَا لَكُرَّاتٌ وَكُرَّاتٌ، ما من إمام في قرن إِلَّا وَيَكْرُ مَعَهُ الْبِرَّ وَالْفَاجِرَ فِي دَهْرِهِ حَتَّى يُدْبِلَ اللَّهُ ﷻ الْمُؤْمِنَ مِنَ الْكَافِرِ. فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ كَرَّ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في أصحابه، وجاء إبليس في أصحابه، ويكون ميقاتهم في أرض من أراضي الفرات، يقال لها: (الروحاء) قريب من كوفتكم، فيقتتلون قتالاً لم يقتتل مثله منذ خلق الله ﷻ العالمين، فكأنِّي أَنْظِرُ إِلَى أَصْحَابِ عَلِيِّ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) قد رجعوا إلى خلفهم القهقريّ مائة قدم، وكأنِّي أَنْظِرُ إِلَيْهِمْ وَقَدْ وَقَعَتْ بَعْضُ أَرْجُلِهِمْ فِي الْفِرَاتِ. فعند ذلك يهبط الجَبَّارُ ﷻ في ظِلِّ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقَضَى الْأَمْرَ، رسول الله ﷺ أمامه بيده حربة من نور، فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ إبليس رَجَعَ الْقَهْقَرِيُّ نَاكِصاً عَلَى عَقْبِيهِ، فيقول له أصحابه: أَيْنَ تَرِيدُ وَقَدْ ظَفِرْتَ؟! فيقول: ﴿إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾ [الأنفال: ٤٨]، ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحشر: ١٦] فيلحقه النَّبِيُّ ﷺ فيطعنه طعنةً بين كتفيه، فيكون هلاكه وهلاك جميع أشياعه، فعند ذلك يُعْبَدُ اللَّهُ ﷻ وَلَا يُشْرَكَ بِهِ شَيْئاً. ويملك

→ أمير المؤمنين عليه السلام أربعاً وأربعين ألف سنة حتى يلد الرجل من شيعته علي عليه السلام ألف ولد من صلبه ذكراً، في كل سنة ذكراً، وعند ذلك تظهر الجنتان المدهامتان عند مسجد الكوفة وما حوله بما شاء الله». بحار الأنوار، ٥٣: ٤٣/ح ١٢. مختصر البصائر: ١١٥-١١٧/ح ٩١-٣٧.

رابعاً: ورد في بيان الروايات: أَنَّ الرَّجْعَةَ مِنْ عَالَمٍ وَآخِرَةِ الدُّنْيَا، وَمُدَّتْهَا أَرْبَعَةُ أَخْمَاسِ عُمُرِ الدُّنْيَا، فلاحظ: ما رواه حمran بن أعين: «عمر الدنيا مائة ألف سنة، لسائر الناس عشرون ألف

سنة، وثمانون ألف سنة لآل محمد عليه وعليهم السلام». بحار الأنوار، ٥٣: ١١٦/ح ٢٢. مختصر البصائر: ٤٩٤/ح ٥٥٧-٥٠.

المعاد تجلي للتوحيد في مقام الإياب والعودة إلى الله ﷻ

وهكذا المعاد، فإنه تجلي للتوحيد؛ وَأَنَّ الْإِيَابَ وَالْأَوْبَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ - الْمُسَمَّى - (تقدس ذكره)، وهذه غاية حتمية لا بُدَّ منها.

فلاحظ: بيانات الوحي، منها:

١- بيان قوله تقدس ذكره: ﴿وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ [الكهف: ٤٨]. ودلالته واضحة.

٢- بيان قوله تعالى ذكره: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦].

بتقريب: أَنَّ (اللام) الدَّاخِلَةَ عَلَى لَفْظِ الْجَلَالَةِ (الله) بمعنى: (من)، فيكون المعنى: (كُنَّا مِنْ تِلْكَ الْحَقِيقَةِ الْمُقَدَّسَةِ).

ومعنى مرتبة: (إليه راجعون): نرجع إلى نفس تلك الحقيقة. ويُعبرُ أهل المعرفة عن هذه المرتبة بـ: (جنة الذات).

٣- بيان دعاء النَّاحِيَةِ الْمُقَدَّسَةِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ ... بما نطق فيهم من مشيتك، فجعلتهم معادن لكللماتك ... وآياتك ومقاماتك ... بدوها منك، وعودها إليك ...». بحار الأنوار، ٥٩: ٣٩٣. ما ورد في (الهداية الكبرى)، ٤٤٩/ح ٥٦.

→ ودلالته واضحة.

وبالجملة: هناك قاعدة معرفية تكوينية أُستفيدت من بيانات أهل البيت عليه السلام، حاصلها: «أَنَّ نقطة البدء لكل مخلوق هي نقطة النهاية»، هذا هو معنى 'المعاد' في الجملة.

حكمة المرسل مُنعكسة في حكمة المرسل

وَمِنْ ثَمَّ وَرَدَ بَيَانُ قَوْلِهِ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي بِمَنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّاتَيْنِ بِمَا كُنتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩]. ومعناه: أَنَّ حكمة المرسل مُنعكسة في حكمة المرسل.

ومنه يتَّضح: رَدُّ عمر بن الخطاب على سيِّد الأنبياء صلَّى الله عليه وآله: «إِنَّ الرَّجُلَ لِيَهْجُرَ» [بحار الأنوار، ٣٠: ٥٣٥]، فَإِنَّهُ رَدٌّ عَلَى اللَّهِ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَهُ وَاخْتَارَهُ وَانْتَخَبَهُ وَاصْطَفَاهُ.

الأمْر الثالث:

عدم تغيُّر إرتباطات أهل البيت عليه السلام بعالمنا هذا بعد الانتقال لعالم البرزخ

إِنَّ مَعْنَى مَا وَرَدَ فِي الْعَدِيدِ مِنْ بَيَانَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ عليه السلام - مِنْهَا :

١- بَيَانُ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ مَنْصُماً إِلَيْهِ بَيَانُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا وَعَلَى آلِهِمَا): «... أَيُّهَا النَّاسُ، خُذُوهَا عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ صلَّى الله عليه وآله: «إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ، وَيَبْقَى مَنْ بَقِيَ مِنَّا وَلَيْسَ بِبَالٍ»، فَلَا تَقُولُوا بِمَا لَا تَعْرِفُونَ، فَإِنَّ أَكْثَرَ الْحَقِّ فِيمَا تَنْكُرُونَ...». نهج البلاغة، خ ٨٦: ١٤٣.

٢- بَيَانُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَنْصُماً إِلَيْهِ بَيَانُ الْإِمَامِ الْحَسَنِ وَالْبَاقِرِ وَالصَّادِقِ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ)، عَنْ سَمَاعَةَ، قَالَ: «دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام وَأَنَا أُحَدِّثُ نَفْسِي، فَرَأَنِي فَقَالَ: مَا لَكَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ؟ تَشْتَهِي أَنْ تَرَى أَبَا جَعْفَرٍ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: قُمْ فَادْخُلِ الْبَيْتَ، فَدَخَلْتُ فَإِذَا هُوَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام. وَقَالَ: أَتَيْتُ قَوْمٌ مِنَ الشَّيْعَةِ الْحَسَنِ ←

→ ابن عَليّ عليه السلام بعد قتل أمير المؤمنين عليه السلام فسأله فقال: تعرفون أمير المؤمنين إذا رأيتموه؟ قالوا: نعم، قال: فارفعوا السّتر، فرفعوه فإذا هم بأمير المؤمنين عليه السلام لا ينكرونه، وقال أمير المؤمنين: يموت مَنْ مات مِنّا وليس بميّت، ويبقى من بقي مِنّا حُجّة عليكم». بحار الأنوار، ٢٧: ٣٠٣ - ٣٠٤ / ح ٤. بصائر: ٧٨.

٣- بيان أبي الحسن عليه السلام، عن سماعة، قال: «كنت عند أبي الحسن عليه السلام فأطلت الجلوس عنده فقال: أَتُحِبُّ أَنْ تَرَى أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام؟ فقلتُ: وددتُ واللّهِ فقال: قم وادخل ذلك البيت، فدخلتُ البيت فإذا أبو عبد الله عليه السلام قاعد» [بحار الأنوار، ٢٧: ٣٠٣ / ح ٥] - ليس ما فهمه بعض العرفاء والصوفيّة من أَنَّ أهل البيت عليهم السلام لم يموتوا ولم يُدفنوا، بل معناه: أنَّهم (صلوات اللّهُ عليهم) ماتوا ودفنوا لكنّهم بعد الموت وانتقلهم إلى عالم البرزخ لم تمت ارتباطاتهم وتصرّفاتهم في عالمنا الأرضي هذا، فيتصرّفون (صلوات اللّهُ عليهم) في هذه النشأة الأرضيّة ويُدبرون ويُدبرون أحوال وشؤون مخلوقاتنا بأبدانهم عليهم السلام البرزخيّة كتصرّفاتهم وإدارتهم وتديرهم لأحوالهم وشؤونهم قبل موتهم عليهم السلام، ويبقى ارتباطهم بهذه النشأة الأرضيّة على حاله من دون تغيير واختلاف . وبهذا البدن البرزخي يتّصل المعصوم منهم وهم في عالم البرزخ بالإمام الحي، كـ: الإمام الحُجّة ابن الحسن عليه السلام.

الأمَر الرَّابِع:

الإمام عليه السلام وهو في عالم الأرحام يُحيط بشؤون عالم الدُّنيا

الثَّابِت في بيانات أهل البيت (صلوات اللّهُ عليهم): أَنَّ المعصوم عليه السلام يسمع الصَّوت وهو جنين في بطن أمّه بعد انعقاد نطفته بأربعين يوماً، ويُرَوِّده اللّهُ (جَلَّ قدسه) علماً وحِسّاً يرى من خلاله كُلَّ قطرة تنزل من السَّماء - سواء أكانت قطرة إغاثة، أو قطرة إبادة، أو قطرة مطر - أي: يرى عليه السلام جملة المعلومات الإحصائيّة حول كوكب الأرض.

→ وعليه: فلا معنى لطرح التساؤل التالي: هل المعصوم عليه السلام يعلم ويعرف الموضوعات ويحيط بها؟

والجواب: أن هناك إصراراً في مدرسة أهل البيت (صلوات الله عليهم) على أن لدى المعصوم عليه السلام منظومة إحصائيات بعالم الدنيا الأولى، بل بجميع عوالم الخلقة ومخلوقات غير المتناهية من بداية الخلقة إلى ما لا نهاية.

فلاحظ: بيانات الوحي، منها:

أولاً: بيان خطبة أمير المؤمنين عليه السلام: «... أنا محصي الخلائق وإن كثروا...». مشارق أنوار اليقين: ٢٧٠.

ثانياً: بيانه عليه السلام أيضاً: «... وأنا الشاهد يوم الدين ... وأنا الذي أحصيت كل شيء عدداً بعلم الله الذي أودعني، و بسرّه الذي أسرّه إلى محمد ﷺ وأسرّه النبي ﷺ إليّ...». بحار الأنوار، ٥٣: ٤٦ - ٤٩/ح ٢٠.

ثالثاً: بيان الدعاء: «اللهم إني أسألك باسمك الذي به تقوم السماء ... وبه أحصيت عدد الرمال، وزنة الجبال، وكيل البحار...». بحار الأنوار، ٥٢: ٦ - ٧/ح ٥.

وبيانه: «اللهم ... وأسألك باسمك الأعظم الذي به تقوم السماء والأرض ... وبه أحصيت عدد الآجال، ووزن الجبال وكيل البحار ...». بحار الأنوار، ٨٣: ١٠/ح ٧٥.

وبيانه: «... اللهم إني أسألك بأسمائك التي بها ... أحصيت عدد الرمال، وورق الأشجار، وكيل البحار، وقطر الأمطار، وما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار...». بحار الأنوار، ٨٨: ٨٣.

وبيانه: «اللهم ... أسألك باسمك الذي به ... أحصيت عدد الثرى والرمل، وورق الأشجار، وقطر البحور...». بحار الأنوار، ٩٢: ١٥٤ - ١٥٥/ح ٢.

وبيانه: «... اللهم إني أسألك باسمك الذي تقوم به السماوات ... وبه أحصيت كيل البحور، وزنة الجبال...». بحار الأنوار، ٩٤: ٢٩١.

→ وتقریب الدلالة مُتَوَقَّف على بیان مُقَدِّمَتین :

الأوَّلُ: أَنَّ اللهَ (تعالى ذكره) أَحْصَى بِأَسْمَائِهِ - كاسم: العليم واللطيف والخبير والرَّقِيب والشَّهيد والمُحْصِي والقَيُّوم - جميع مخلوقاته وشؤونها وأحوالها وَأَفْعَالِهَا وكأَفَّة ما يَتَعَلَّقُ بها في جملة العوالم غير المتناهية.

الثَّانِيَّة: أَنَّ أَهْلَ الْبَيْت (صلوات الله عليهم) بطبقات حقائقهم وأنوارهم الصَّاعِدَةُ هم الأَسْمَاءُ الإِلَهِيَّةُ - فعَلِيَّةٌ كانت أم ذاتِيَّةٌ - .

فانظر: بيانات الوحي، منها :

١- بيان أمير المؤمنين (عليه السلام): «... إِنِّي لَأَعْرِفُ بِطَرُقِ السَّمَاوَاتِ مِنْ طَرُقِ الْأَرْضِ، نَحْنُ الْأَسْمَاءُ الْمَخْزُونُونَ، نَحْنُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى الَّتِي إِذَا سُئِلَ اللَّهُ ﷻ بِهَا أَجَابَ...». بحار الأنوار، ٢٧: ٣٣- ٤٠/ ح ٥. المحتضر: ٧١- ٧٦.

٢- بيانه (عليه السلام) أيضاً: «... أَنَا الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى الَّتِي أَمَرَ أَنْ يُدْعَى بِهَا...». مشارق أنوار اليقين: ٢٦٩.

٣- بيان الإمام الباقر (عليه السلام): «... نَحْنُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى الَّتِي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْعِبَادِ عَمَلًا إِلَّا بِمَعْرِفَتِنَا...». بحار الأنوار، ٢٥: ٢٥/ ح ٧. المحتضر: ١٢٩.

٤- بيان الإمام الصادق (عليه السلام): «نَحْنُ وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى الَّذِي لَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِمَعْرِفَتِنَا، قَالَ: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]». بحار الأنوار، ٩١: ٦. تفسير العياشي، ٢: ٤٢.

٥- بيان الإمام الرضا (عليه السلام): «إِذَا نَزَلَتْ بِكُمْ شِدَّةٌ فَاسْتَعِينُوا بِنَا عَلَى اللَّهِ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿وَكَلِمَةُ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]». بحار الأنوار، ٩١: ٥/ ح ٧. تفسير العياشي، ٢: ٤٢.

ودلالة الجميع واضحة.

والنتيجة: أَنَّ أَهْلَ الْبَيْت (صلوات الله عليهم) بأنوارهم وطبقات حقائقهم الصَّاعِدَةُ - في عَالَمِ السَّامِيَّةِ؛ عَالَمِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الإِلَهِيَّةِ؛ وَالْمُعَبَّرُ عَنْهُ فِي بَيَانَاتِ الْوَحْيِ بِعَنْوَانِ: (عنده) - يُحْصَوْنَ كُلُّ شَارِدَةٍ وَوَارِدَةٍ عَنِ الْمَخْلُوقَاتِ وَشُؤْنِهَا ←

→ وَأَحْوَالُهَا وَأَفْعَالُهَا وَسَائِرُ مَا يَتَعَلَّقُ بِهَا؛ فِي كَافَّةِ الْعَوَالِمِ غَيْرِ الْمُنْتَهَايَةِ؛ مِنْ بَدَايَةِ عَالَمِ الْخَلْقَةِ وَالْوُجُودِ وَالْإِمْكَانِ إِلَى مَا لَا نَهَايَةَ.
الأمر الخامس:

خليفة الله آية إلهية كبرى
أحد معاني عنوان (خليفة الله): آية إلهية كبرى، فَمَنْ يُشَاهِدْ كَأَنَّمَا شَهِدَ اللَّهُ ﷻ وَلَقَاهُ.
الأمر السادس:

خليفة الله مرآة تتجلى فيها كمالات وشؤون الذات المقدسة
المُرَادُ مِنْ مَعْنَى عُنْوَانِ (خليفة الله) الْوَاردُ فِي بَيَانَاتِ الْوَحْيِ، مِنْهَا: بَيَانُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] لَيْسَ كَاسْتِخْلَافٍ مَخْلُوقٍ عَنْ مَخْلُوقٍ، وَلَا زَمَهُ الْإِنْجِسَارُ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ: تَجَلَّى اللَّهُ، وَمِرَاةٌ تَتَجَلَّى فِيهَا صِفَاتُ اللَّهِ وَأَسْمَائِهِ وَكِمَالَاتِهِ مِنْ دُونِ أَيِّ إِنْجِسَارٍ عَنْ قُدْرَتِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَلَوْ كَانَ بِمَقْدَارِ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ، وَإِلَّا - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ تَعَالَى - لَدَبَّ الْعَجْزُ فِي ذَاتِهِ تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا.
الأمر السابع:

سجود جملة الملائكة لطبقات حقائق أهل البيت ﷺ الصَّاعِدَةِ
إِنَّ مَا وَرَدَ فِي بَيَانِ قَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْمُلُونَ * [البقرة: ٣١-٣٣] بَرَهَانٌ وَحْيَانِيٌّ مُشِيرٌ لِمَوْجُودَاتِ حَيَّةٍ شَاعِرَةٍ عَاقِلَةٍ، خَارِجَةٌ عَنْ عَوَالِمِ الْمَلَائِكَةِ وَالسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِيْنَ، وَهِيَ حَقَائِقُ أَهْلِ الْبَيْتِ ﷺ الصَّاعِدَةِ، فَمَلَائِكَةُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِيْنَ لَمَّا لَمْ يَعْرِفُوا هَذِهِ الْأَسْمَاءَ دَلَّ →

→ على أنَّها مخلوقات شريفة من عوالم فوق السَّمَاوَات والأَرْضِينَ، وفوق عوالم جملة الملائكة.

وإلى هذا تُشير بيانات الوحي الأخرى، منها :
بيان سيّد الأنبياء ﷺ: «... إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ آدَمَ فَأَوْدَعَنَا صَلْبَهُ وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ بِالسُّجُودِ لَهُ تَعْظِيماً لَنَا وَإِكْرَاماً، وَكَانَ سَجُودَهُمْ لِلَّهِ ﷻ عِبَادِيَّةً، وَلِآدَمَ إِكْرَاماً وَطَاعَةً؛ لَكُونَنَا فِي صَلْبِهِ ...». بحار الأنوار، ١٨ : ٣٤٦ / ح ٥٦. علل الشرائع: ١٣ - ١٤. عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١٤٤ - ١٤٦.
ودلالته واضحة.

الأمر الثامن:

المباشر للأفعال الإلهية طبقات حقائق أهل البيت عليه السلام الصّاعدة

إِنَّ مَا وَرَدَ فِي بَيَانِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ) فِي جَوَابِهِ عَلَى سُؤَالِ الزَّنَدِيقِ عَنِ الْبَارِي - الْمُسَمَّى - ﷻ وَصِفَاتِهِ، قَالَ: «... فَيُعَانِي الْأَشْيَاءَ بِنَفْسِهِ؟ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: هُوَ أَجَلٌ مِنْ أَنْ يُعَانِيَ الْأَشْيَاءَ بِمُبَاشَرَةٍ وَمُعَاجَلَةٍ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ صِفَةُ الْمَخْلُوقِ الَّذِي لَا تُجْبِئُ الْأَشْيَاءُ لَهُ إِلَّا بِالْمُبَاشَرَةِ وَالْمُعَاجَلَةِ، وَهُوَ مُتَعَالٍ نَافِذُ الْإِرَادَةِ وَالْمَشِئَةِ، فَعَالٌ لِمَا يَشَاءُ» [أصول الكافي، ١: ٦٠-٦١ / ح ٦] برهانٌ وحيانيٌّ مِنْ بَدِيعِ الْمَعَاجِزِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْمَعْرِفِيَّةِ الرَّهْبِيَّةِ وَالْمَهُولَةِ لِأَهْلِ الْبَيْتِ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ)، وَلَوْلَاهُمْ لَمَا التَفَتَ إِلَى هَذِهِ النُّكْتَةِ وَالتَّقَيُّمِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْمَعْرِفِيَّةِ اللَّطِيفَةِ وَالذَّقِيقَةِ بَشَرِ قَطُّ، بَلْ لَمْ يَشَمَّ رَاحَتَهَا جَمْلَةُ الْمَخْلُوقَاتِ وَفِي كَافَّةِ الْعَوَالِمِ. وَهَذَا بَرَهَانٌ سَاطِعٌ عَلَى عُلُوِّ مَقَامَاتِهِمْ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) وَشُؤْنِهِمْ وَكِمَالَتِهِمْ، وَدَالٌّ عَلَى انْتِهَالِ عُلُومِهِمْ عليه السلام وَمَعَارِفِهِمْ مِنْ مَعِينِ الْحُضْرَةِ الرُّبُوبِيَّةِ مِنْ دُونِ وَاسِطَةٍ.

وهو دالٌّ على أَنَّ الَّذِي يُبَاشِرُ الْأَفْعَالِ الْإِلَهِيَّةَ وَيَأْتِي بِهَا مَخْلُوقَاتُ إِلَهِيَّةٍ مُكْرَمَةٍ، وَقَدْ أَشَارَ الْكَمِ الْغَفِيرُ الْهَائِلُ مِنْ بَيَانَاتِ الْوَحْيِ الْآخِرَى إِلَى أَنَّ رَأْسَ هَرَمِ تِلْكَ الْمَخْلُوقَاتِ الْمُكْرَمَةِ: طَبَقَاتُ حَقَائِقِ أَهْلِ الْبَيْتِ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) الصَّاعِدَةُ،

منها :

→ أَوَّلًا: بيان أمير المؤمنين عليه السلام: «أَنَا دَحَوْتُ أَرْضَهَا، وَأَنْشَأْتُ جِبَالَهَا، وَفَجَّرْتُ عَيُونَهَا، وَشَقَقْتُ أَنْهَارَهَا، وَغَرَسْتُ أَشْجَارَهَا، وَأَطَعَمْتُ ثَمَارَهَا، وَأَنْشَأْتُ سَحَابَهَا، وَأَسْمَعْتُ رَعْدَهَا، وَنَوَّرْتُ بَرْقَهَا، وَأَضْحَيْتُ شَمْسَهَا، وَأَطْلَعْتُ قَمَرَهَا، وَأَنْزَلْتُ قَطْرَهَا، وَنَصَبْتُ نَجُومَهَا، وَأَنَا الْبَحْرُ الْقَمَقَامُ الزَّآخِرُ، وَسَكَنْتُ أَطْوَادَهَا، وَأَنْشَأْتُ جَوَارِي الْفَلَكَ فِيهَا، وَأَشْرَقْتُ شَمْسَهَا، وَأَنَا جَنْبُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ، وَقَلْبُ اللَّهِ وَبَابُهُ الَّذِي يُؤْتَى مِنْهُ، ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا أَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَأَزِيدِ الْمُحْسِنِينَ، وَبِي وَعَلَى يَدَيَّ تَقُومُ السَّاعَةُ، وَفِيَّ يَرْتَابُ الْمَبْطُلُونَ، وَأَنَا الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ، وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ، وَبِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ». بحار الأنوار، ٣٩: ٣٤٨/ح ٣٠. مناقب آل أبي طالب، ١: ٥١٢-٥١٤.

ثانيًا: بيانه عليه السلام أيضاً: «... وَأَنَا الْأَوَّلُ وَأَنَا الْآخِرُ، وَأَنَا الْبَاطِنُ وَأَنَا الظَّاهِرُ، وَأَنَا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، وَأَنَا عَيْنُ اللَّهِ، وَأَنَا جَنْبُ اللَّهِ وَأَنَا أَمِينُ اللَّهِ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ... وَأَنَا أَحْيِي وَأَنَا أُمِيتُ، وَأَنَا حَيٌّ لَا أَمُوتُ». بحار الأنوار، ٣٩: ٣٤٧.

ثالثًا: بيانه عليه السلام أيضاً: «... أَنَا الَّذِي حَمَلْتُ نُوحًا فِي السَّفِينَةِ بِأَمْرِ رَبِّي، وَأَنَا الَّذِي أَخْرَجْتُ يُونُسَ مِنْ بَطْنِ الْحُوتِ بِإِذْنِ رَبِّي، وَأَنَا الَّذِي جَاوَزْتُ بِمُوسَى بْنِ عِمْرَانَ الْبَحْرَ بِأَمْرِ رَبِّي، وَأَنَا الَّذِي أَخْرَجْتُ إِبْرَاهِيمَ مِنَ النَّارِ بِإِذْنِ رَبِّي، وَأَنَا الَّذِي أَجْرَيْتُ أَنْهَارَهَا، وَفَجَّرْتُ عَيُونَهَا، وَغَرَسْتُ أَشْجَارَهَا بِإِذْنِ رَبِّي، وَأَنَا عَذَابُ يَوْمِ الظَّلَّةِ، وَأَنَا الْمَنَادِي مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ قَدْ سَمِعَهُ الثَّقَلَانُ: الْجَنُّ وَالْإِنْسُ، وَفَهُمَهُ قَوْمٌ، إِنِّي لِأُسْمِعَ كُلَّ قَوْمٍ [يَوْمَ خ.ل.] الْجَبَّارِينَ وَالْمُنَافِقِينَ بِلُغَاتِهِمْ، وَأَنَا الْخَضِرُ عَالِمُ مُوسَى، وَأَنَا مُعَلِّمُ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ، وَأَنَا ذُو الْقَرْنَيْنِ، وَأَنَا قُدْرَةُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ ... إِنَّ مَيِّتًا لَمْ يَمُتْ، وَغَائِبًا لَمْ يَغِبْ، وَإِنْ قَتَلْنَا لَنْ يُقْتَلُوا ... لِأَنَّا آيَاتُ اللَّهِ وَدَلَالُهُ، وَحُجَجُ اللَّهِ وَخُلَفَاؤُهُ وَأُمَنَاؤُهُ وَأَثَمَتُهُ، وَوَجْهُ اللَّهِ وَعَيْنُ اللَّهِ وَلِسَانُ اللَّهِ، بِنَا يُعَذِّبُ اللَّهُ عِبَادَهُ، وَبِنَا يُثِيبُ ... وَلَوْ قَالَ قَائِلٌ: لَمْ وَكَيْفَ وَفِيمَ؟ لَكُفِرَ وَأَشْرِكُ؛ لِأَنَّهُ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ... أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ بِإِذْنِ رَبِّي ...». بحار الأنوار، ٢٦: ٢/ح ١. ←

→ رابعاً: بيان سيّد الأنبياء ﷺ، مخاطباً أمير المؤمنين عليه السلام: «يا عَلِيُّ، كُنْتَ مع الأنبياء سِرّاً، ومعِي جَهراً». معارج العلي: (مخطوط).

خامساً: بيان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): «كُنْتُ مع الأنبياء باطناً، ومع رسول الله ظاهراً». مصباح الهداية: ١٤٢.

سادساً: بيان الإمام الصادق عليه السلام مخاطباً أبا حنيفة، عن كنز الفوائد للكراجكي، قال: «ذكر: أَنَّ أبا حنيفة أَكَلَ طعاماً مع الإمام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام؛ فلَمَّا رفع عليه يده من أَكله قال: الحمد لله ربّ العالمين، اللَّهُمَّ إِنَّ هذا مِنْكَ ومن رسولِكَ. فقال أبو حنيفة: يا أبا عبد الله، أَجَعَلْتَ مع الله شريكاً؟ فقال له: ويلكَ، إِنَّ الله تعالى يقول في كتابه: ﴿وَمَا نَقْمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [التوبة: ٧٤]، ويقول في موضع آخر: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ سَيُؤْتِينَا اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ٥٩]. فقال أبو حنيفة: والله لَكَأَنِّي ما قرأتها قطُّ من كتاب الله، ولا سمعتها إِلَّا في هذا الوقت. فقال أبو عبد الله عليه السلام: بَلَى، قَدْ قرأتها وسمعتها، ولكنَّ الله تعالى أَنزَلَ فِيكَ وفي أَشْبَاهِكَ: ﴿إِنَّمَا عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا﴾ [محمد: ٢٤]، وقال: ﴿كَلَّا بَلْ رَأَى عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]». بحار الأنوار، ٤٧: ٢٤٠/ح ٢٥. كنز الفوائد للكراجكي: ١٩٦.

سابعاً: بيان أمير المؤمنين عليه السلام: «... وَلَوْ لَا ما نَهَى اللهُ عنه من تزكية المرء نفسه لذكر ذاكِرُ فضائل جَمَّةٍ تعرَّفها قلوبُ المؤمنين، وَلَا تَمُجُّها آذانُ السَّامِعِينَ، فدَعُ عَنْكَ مَنْ مالت به الرِّمِيَّةُ؛ فَإِنَّا صَنائِعُ رَبُّنا، والنَّاسُ بَعْدُ صَنائِعُ لَنَا...». بحار الأنوار، ٣٣: ٥٧-٦٠/ح ٣٩٨. نهج البلاغة/ باب: المختار من كُتُب أمير المؤمنين عليه السلام/ ٢٨ - من كتاب له عليه السلام إلى معاوية جواباً: ٤١١ - ٤١٥.

ثامناً: بيان النَّاحِيَةِ الْمُقَدَّسَةِ: «... ونحن صَنائِعُ رَبُّنا، والخلق بعد صَنائِعنا...». بحار الأنوار، ٥٣: ١٧٨ - ١٨٠/ح ٩. غيبة الشيخ: ١٨٤ - ١٨٥. الاحتجاج: ٢٥٣.

→ ودلائلها قد اتَّضحت؛ فإنَّه بعدما كانت طبقات حقائق أهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة: وسائط الفيض الربوبي، والسَّبب والباب والحجاب والرباط الإلهي الأدنى بين الخالق (جلّ وتقدَّس) وجملة العوالم وسائر المخلوقات كانت عللاً فاعليَّة؛ تفيض الوجود على ما تعلَّقت به المشيئة والإرادة الإلهية، فخلقت السَّماوات والأرضين ومن فيهنَّ وما بينهنَّ بأيدي وقوى أهل البيت (صلوات الله عليهم) الصَّاعدة. إذن: طبقات حقائق أهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة إضافة لكونها عللاً غائيَّة هي علل فاعليَّة؛ إذ الباري (تقدَّست أسماؤه) - كما تقدَّم - يتنزَّه عن مباشرة الأشياء بنفسه، بل مُنزَّه عنها، وإنَّما هي من شأن المخلوقات المُكرَّمة؛ لاحتياج الخلق والإماتة والإحياء والإيجاء، وسائر الأشياء والمفاعيل إلى مُحاذاة وقرب وحركة، وملازمة وملازمة ومباشرة ومعالجة، واستنزال وزوال وما شاكلها من أفاعيل وصفات وشؤون المخلوقات، والباري (عظمت آلاؤه) مُنزَّه عن جميع ذلك بالضرورة الوحيانيَّة والعقليَّة.

فانظر: بيانات الوحي الأخرى، منها :

١- بيانه عليه السلام أيضاً: «... يا ظاهراً بلا مشافهة، يا باطناً بلا ملازمة ... يا أولاً بغير غاية، يا آخراً بغير نهاية، يا قائماً بغير انتصاب، يا عالماً بلا اكتساب ...». بحار الأنوار، ٨٣: ٣١٤ - ٣١٥/ح ٦٧.

٢- بيان الإمام الكاظم عليه السلام: «... فَمَنْ ظَنَّ بِاللَّهِ الظَّنَّ فَقَدْ هَلَكَ وَأَهْلَكَ، فاحذروا في صفاته من أنْ تقفوا له على حَدٍّ من نقص أو زيادة، أو تحريك أو تحرك، أو زوال أو استنزال، أو نهوض أو قعود، فإنَّ الله تعالى عن صفة الواصفين، ونعت النَّاعتين، وتوَهُمُ الْمُتَوَهُِّمِينَ». بحار الأنوار، ٣: ٣١١ - ٣١٢/ح ٥. الكافي، ١: ١٢٥.

٣- بيان الإمام الرضا عليه السلام: «... عظم ربِّي وجلَّ أَنْ يكون في صفة المخلوقين ...». بحار الأنوار، ٤: ٤٠/ح ١٨.

ومن ثَمَّ اقتضت الضرورة لمخلوقات مُكرَّمة تفعل أفاعيل الذات الإلهية الأزليَّة المقدَّسة، وتقوم مقامه (تقدَّس ذكره)، وهي على طبقات، طبقاتها الصَّاعدة: ←

→ (حقائق أهل البيت الأطهار صلوات الله عليهم)، وطبقاتها النَّازلة: (الملائكة المقرَّين وأجنادهم)، فإسرافيل عليه السلام - مثلاً - يحيي، لكنَّ إحياء طبقات حقيقة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) أرقى وأعلى، وأشف وألطف، وأعظم قوَّة وسلطنة وهيمنة من دون قياس. وعزرائيل عليه السلام مميت، لكنَّ إماتة طبقات حقيقة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) أرقى وأعلى، وأشف وألطف، وأعظم قوَّة وسلطنة وهيمنة من دون قياس، وعلى هذا قس ما يقوم به سائر الملائكة عليهم السلام ك: (ميكائيل عليه السلام الموكل في إيصال الأرزاق إلى المخلوقات)، و(جبرئيل عليه السلام الموكل في الإحياء النَّازل)، و(رضوان عليه السلام الموكل في الجنان ونعيمها)، و(مالك عليه السلام الموكل في جهنم وجحيمها وعذابها)، فإنَّ الطبقات الصَّاعدة لهذه الأفاعيل صادرة من طبقات حقيقة أمير المؤمنين وسائر طبقات حقائق بقيَّة أهل البيت بعد طبقات حقيقة سيِّد الأنبياء (صلوات الله عليهم أجمعين).

ومن ثمَّ يتَّضح: كم هائل وخطير ومهول جدًّا من بيانات الوحي المعرفيَّة والعقليَّة الأخرى - الآتي (إن شاء الله تعالى) ذُكر ما يُمثِّل بعض طوائفها - التي حام حومها أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، لكنَّهم لم يطوفوا طورها؛ لعدم تحمُّلهم ما ورد فيها من حقائق وحيانيَّة ومعرفيَّة وعقليَّة، ومقامات ومراتب وفضائل وكمالات جليلة وعظيمة وخطيرة جدًّا لأهل البيت (صلوات الله عليهم)، صادمة ومذهلة ومرعبة، وصاكة لأسماع العوالم والمخلوقات، وفوق طاقة التَّصوُّر والتَّعقُّل، فعمدوا إلى إسقاط حُجَّتِها سنداً من خلال رمي رواياتها - مع أنَّهم من أعمدة وأساطين أصحاب الأئمة عليهم السلام - ب: الغلو، والتَّخليط، ونقل المناكير وما شاكلها، أو إسقاط حُجَّتِها متونها من خلال يِّ أعناق دلالاتها، وتشبثوا له بأمور تشبث الغريق بلحيته، أو التَّوقُّف فيها، وإحالة أمرها إلى أهلها (صلوات الله عليهم) على أحسن الأحوال.

لكنَّه: بعد أن أسْتَسَمَّنت ذا ورم - حصلت هذه الطفرة العلميَّة والعقائديَّة والمعرفيَّة التي نعيش الآن أيَّامها المباركة، المنتشلة من الظلمات والغواشي، والمُقرَّبة إلى عوالم النُّور والحبور، والبهاء والسرور، المُخرجة لِنُّ له عينين من الحُجُب الظلمانيَّة -

→ بزغت هذه البيانات وغيرها ماثلة لكل عين، ماثلة لكل سمع، وتجلت بحور خضم زاخرة، يعبُّ عبابها، وتصطبب أمواجها، فيها درر زاهرة، وجواهر ناصعة، ونور ساطع في عقول المخلوقات كالشمس الضاحية، وأدلة وحيانية قطيعة الصدور والدلالة بالقطع العقلي، بل والوحياني، ودلائل ظاهرة قاطعة، وبراهين واضحة باهرة، وحجج بالغة ساطعة على شيء جسيم، يفوح منها مدى عظمة أهل البيت الأطهار (صلوات الله عليهم)، فكن ذا عينين تفرز بالحسينين، فقد ألزمتك وأفحمتك الحجة، بعد أن أستفحل الدليل وانسدَّ طريق الإنكار بما لا يخفى أو يُستر، فلا يبقى مجال لموقف الشك أو ميدان لمُشكِّك، فاصغ إليها سمعك، وذلل لها فهمك، واشغل لها قلبك؛ لتعرف من أين تُؤكل الكنف؛ لتلتقط درر الحقيقة من بحور بياناتها، وهي وإن بُعد الباحث والمُحقِّق والعارف في الغور والغوص فيها، لكنّه لا ينال حقيقة بحورها المُواجهة، ولا يدرك قُعوها الوهاجة، ومن ثمَّ تصبح آراء أولئك وتأويلاتهم كمثل غيم علا فاستعلت، ثمَّ استغلظ فاستوى، ثمَّ تمزَّق فانجلا رويدا، ويتضح أنَّها كالشمس بلا حجاب وستار على غير أصل فني، وقاعدة صناعية، فيكون منهج خدعة مُحالف لما قامت عليه بيانات الوحي، بل ظاهرة التكليف، بيئة التوليد، تخطب على نفسها أنَّها فخفخة قول بمن داخله الشك واستولى عليه الرّيب، مُحجّرة للعقول وممّية للحقائق، وأباطيل خُيِّلَت لهم وخُلِطت عليهم، ومفتريات اختلقوها من تلقاء أنفسهم. وهذا ليس سبّا وحطّا لمقام أولئك، وإنَّما بيان حقيقة. والسلام.

خارطة جملة عوالم الخلقة برسم وتخطيط أهل البيت عليهم السلام

وَمِنْ كُلِّ مَا تَقَدَّمَ يَتَّضِحُ: أَنَّ الْمُسْتَفَادَ مِنْ بَيَانَاتِ الْوَحْيِ: أَنَّ خَارِطَةَ مَسَارِ جَمَلَةِ عَالَمِ الدُّنْيَا بِرَسْمِ وَتَخْطِيطِ أَهْلِ الْبَيْتِ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ)، بَلْ وَخَرَائِطُ مَسَارَاتِ كَافَّةِ الْعَوَالِمِ وَجَمِيعِ مَخْلُوقَاتِهَا، ك: عَالَمِ الْبَرْزَخِ، وَعَالَمِ الرَّجْعَةِ، وَعَالَمِ الْقِيَامَةِ، وَعَالَمِ الْآخِرَةِ الْأَبَدِيَّةِ، وَعَوَالِمَ مَا بَعْدَهَا، بَلْ وَعَوَالِمَ مَا قَبْلَ هَذِهِ النِّشْأَةِ الْأَرْضِيَّةِ لَمْ تَكُنْ إِلَّا بِتَخْطِيطِهِمْ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) وَهَنْدَسَتِهِمْ وَتَنْفِيزِهِمْ.

فانظر: بيانات الوحي، منها:

→ ١- بيان أمير المؤمنين عليه السلام - المتقدّم :- «... أنا دحوتُ أرضها، وأنشأتُ جبالها، وفجّرتُ عيونها، وشققتُ أنهارها، وغرستُ أشجارها، وأطعمتُ ثمارها، وأنشأتُ سحابها، وأسّمتُ رعداها، ونوّرتُ برقها، وأضحيتُ شمسها، وأطلعتُ قمرها، وأنزلتُ قطرها، ونصبتُ نجومها ... وسكنتُ أطوادها، وأنشأتُ جوارى الفلك فيها، وأشرقَت شمسها ... ادخلوا الباب سجّداً أغفر لكم خطاياكم وأزيد المحسنين، بي وعلى يديّ تقوم السّاعة...». بحار الأنوار، ٣٩: ٣٤٨.

٢- بيانه عليه السلام أيضاً: «... أنا مُنزل الملائكة منازلها ... أنا المُنادي لهم: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ بأمر قيّوم لم يزل ... أنا صاحب الهبات بعد الهبات ولو أخبرتكم لكفرتم ... أنا منشئ الأنام ... أنا صاحب النجوم، أنا مُدبّرُها بأمر ربّي ... أنا المُعطي، أنا المُبذل، أنا القابض يدي على القبض ... أنا صاحب القطر والمطر، أنا صاحب الزلازل والخسوف ... أنا صاحب الغيث بعد القنوط...». مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام، الخطبة الافتخارية: ١٦٥ - ١٦٦.

٣- بيان خطبته عليه السلام أيضاً: «أنا عندي مفاتيح الغيب ... أنا أقمّتُ السّماوات بأمر ربّي ... أنا أمر الحي الذي لا يموت، أنا ولي الحقّ على سائر الخلق ... أنا المفوّض إليّ أمر الخلائق، أنا خليفة الإله الخالق ... أنا أرسيتُ الجبال الشّاخات، وفجّرتُ العيون الجارية ... أنا مُقدّرُ الأقوات، أنا ناشر الأموات، أنا منزل القطر، أنا مُنوّر الشّمس والقمر والنجوم، أنا قيّم القيامة ... أنا محصي الخلائق وإن كثروا ...». مشارق أنوار اليقين: ٢٦٩ - ٢٧٠.

٤- بيانه عليه السلام أيضاً، الوارد في حقّ أهل البيت عليه السلام: «... هذا كلّهُ لآلِ مُحَمَّدٍ لا يُشاركهم فيه مُشارك ... خلقهم الله من نور عظمته، وولّاهم أمر مملكته ...». بحار الأنوار، ٢٥: ١٦٩ - ١٧٤ / ح ٣٨.

٥- بيانه عليه السلام أيضاً، عن سلمان (رضوان الله عليه)، قال: «... وإنّ الله ﷻ جعل أمر الدّنيا إليّ ... قال سلمان: ... ثُمَّ إنّ أمير المؤمنين عليه السلام أمر الريح فسارت بنا إلى جبل قاف فأنتهيت [فأنتهينا خ. ل] إليه، وإذا هو من زمّردة خضراء وعليها [وعليه خ. ل] ملك على صورة النسر، فلمّا نظر إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال الملك: ←

→ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وصيَّ رسولِ اللَّهِ وخليفته، أَتأذن لي في الكلام؟ فَردَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وقال له: إِنَّ شئتَ تكلِّم، وَإِنْ شئتَ أَخبرْتُكَ عَمَّا تَسألُنِي عنه. فقال الملك: بل تقول أنت يا أمير المؤمنين. قال: تُريد أن آذن لك أن تزور الخضر عليه السلام، قال: نعم، فقال عليه السلام: قد أَذنتُ لك ... فقال سليمان: يا أمير المؤمنين، رأيتُ الملك ما زار الخضر إِلَّا حين أخذ إذنكَ. فقال عليه السلام: والذي رفع السماء بغير عمدٍ، لو أن أحدهم رام أن يزول من مكانه بقدر نفسٍ واحدٍ لَمَا زال حتَّى آذن له، وكذلك يصير حال ولدي الحسن، وبعده الحسين وتسعة من ولد الحسين... والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إني لأملك من ملكوت السماوات والأرض ما لو علمتم ببعضه لَمَا احتَمَلَه جَنَانُكُمْ...». بحار الأنوار، ٢٧: ٣٣-٤٠/ح ٥. المحتضر: ٧١-٧٦.

٦- بيان الإمام الباقر عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ لم يزل فرداً مُتَفَرِّداً في الوحداية، ثُمَّ خلق مُحَمَّدًا وعليًا وفاطمة عليها السلام... وفَوَّضَ أمرَ الأشياءِ إليهم في الحكم والتصرف والإرشاد، والأمر والنهي في الخلق؛ لأنَّهم الولاة فلهم الأمر والولاية والهداية، فهم أبوابه ونوابه وحجابه، يُحلَّلون ما شاء، ويُجرِّمون ما شاء، ولا يفعلون إِلَّا ما شاء، عباد مُكرَّمون، لا يسبقونه بالقول، وهم بأمره يعملون...». بحار الأنوار، ٢٥: ٣٣٩/ح ٢١.

٧- بيان الإمام الصادق عليه السلام، عن المفضل بن عمر، قال: «... فقلتُ له: يا بن رسول الله، فعلي بن أبي طالب عليه السلام يُدخلُ مُحَبَّةَ الجنةِ ومبغضه النَّارَ أو رضوان ومالك؟ فقال: يا مفضل ... فعلي بن أبي طالب عليه السلام إِذَا قَسِمَ الجنةُ والنَّارُ عن رسول الله ﷺ، ورضوان ومالك صادران عن أمره بأمر الله (تبارك وتعالى)، يا مفضل، خُذْ هذا؛ فَإِنَّهُ من مخزون العلم ومكنونه، لا تخرجه إِلَّا إلى أهله». بحار الأنوار، ٣٩: ١٩٤-١٩٦/ح ٥. علل الشرائع: ٦٥.

٨- إطلاق بيانه عليه السلام، عن إسماعيل بن عبد العزيز، قال: «قال لي جعفر بن مُحَمَّدٍ عليه السلام: إِنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ كان يُفَوِّضُ إليه ... وَإِنَّ اللَّهَ فَوَّضَ إلى مُحَمَّدٍ ﷺ نبيّه فقال: ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، فقال رَجُلٌ: إِنَّمَا كان رسول الله ﷺ مفوضاً إليه في الزرع والصرع، فلوئى جعفر عليه السلام عن عنقه ←

→ مُغَضَّبًا، فقال: في كُلِّ شيءٍ، واللَّه في كُلِّ شيءٍ». بحار الأنوار، ١٧: ٩ / ح ١٦.
بصائر الدرجات: ١١١ - ١١٢.

٩- بيان زيارتهم (صلوات الله عليهم) الجامعة: «...السَّلام عليكم يا أهل بيت النبوة، وموضع الرسالة ... وقادة الأمم ... وساسة العباد ... إصْطَفَاكُمْ بعلمه ... وفَوَّضَ إليكم الأمور، وجعل لكم التدبير، وعَرَفَكُمْ الأسباب ... وأعطاكم المقاليد، وسَخَّرَ لكم ما خلق ... إِيَابَ الخلقِ إليكم، وحسابهم عليكم، وفصل الخطاب عندكم ... وأمره إليكم ... لم تزالوا بعين الله وعنده، وفي ملكوته تأمرون، وله تخلفون، وإِيَّاهُ تُسَبِّحُونَ، وبعرشه محذقون، وبه حافُونَ حتَّى مَرَّ بِكُمْ علينا، فجعلكم في بيوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ ويُذَكَرَ فيها اسمه ...». بحار الأنوار، ٩٩ / الزيارة الثالثة: ١٤٦ - ١٥٩.

١٠- بيان زيارة أمير المؤمنين (عليه السلام) عليك يا أمير المؤمنين عَلِيِّ ابن أبي طالب ... السَّلام عليك يا ... صاحب الدنيا ... السَّلام عليك يا حافظ سرِّ الله، وممضي حكم الله، ومجلى إرادة الله، وموضع مشيئة الله ... وولي الملك الدَّيَّان ... السَّلام عليك يا عماد الجَبَّار ... السَّلام عليك يا مشهوراً في السَّمَاوات العُليا، ومعروفاً في الأَرْضين السَّابعة السفلى ... السَّلام عليك أَيُّهَا النَّازِلُ مِنَ عَلِيَّينَ، والعَالِمُ بِمَا فِي أَسْفَلِ السَّافِلِينَ ... اجْتَبَاكَ اللَّهُ لقدرته، فجعلكَ عصا عزِّه، وتابوت حكمته ...». بحار الأنوار، ٩٧: ٣٤٧ - ٣٥٢. المزار الكبير: ٩٧ - ١٠١.

ودلالة الجميع واضحة، ولا غبار عليها.

ومن ثَمَّ لا تكون بياناتهم المعرفية وسيرهم وأفعالهم (عليه السلام) استراتيجية حضارة فحسب، بل واستراتيجية عوالم ومخلوقات لا يعيها سائر البشر، بل ولا سائر الأنبياء والملائكة المقرَّين (عليهم السلام). ومن ثَمَّ فلسفة بياناتهم (صلوات الله عليهم) وسيرهم وأفعالهم ليست محدودة بآمد زمني دنيوي، بل ولا بعالم الدنيا برمته؛ فَإِنَّ ساحة القدس الإلهية وظفتهم لرسم خارطة مسار جملة العوالم وطُرَّ المخلوقات.

→ ومنه يتّضح: مدى وضوح جملة الخريطة التكوينية واستراتيجية العوالم ومخلوقاتهما لدى أهل البيت (صلوات الله عليهم).
الأمر التاسع:

إشتداد حاجة المخلوقات المكرّمة للذّات المقدّسة
إنّه كلّما عظمت عطية الخالق تبارك وتعالى لمخلوق كلّما اشتدّت وعظمت حاجة وفقر ذلك المخلوق إليه تقدّس ذكره أكثر.
ومنّه تتّضح: نُكْتة وفلسفة وسرّ بيانات الوحيّ الواردة في حقّ أحوال سيّد الأنبياء ﷺ؛ وأنّه أعبد مخلوق على الإطلاق.
وهذه معادلة مُعقّدة.
الأمر العاشر:

خطورة علوم أهل البيت ﷺ
إنّ ما ورد في بيان الإمام الصّادق ﷺ: «إنّ أمرنا سرّ مستسر، وسرّ لا يفيدهِ إلّا السّرّ، وسرّ على سرّ، وسرّ مقنّع بسرّ» [بحار الأنوار، ٢: ٧١/ح ٣١] برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ على أنّ أمر أهل البيت ﷺ مُقنّع، وفوقه ستار، وفوق الستار غطاء.
ومنّه يتّضح: أنّ بعض الكنايات الواردة في بيانات الوحي لا تصل إليها درجة الدّلالة الاستعماليّة، وبعضها الآخر لا تصل إليها الدّلالة التفهيميّة، والثالث لا تصل إليها الدّلالة الجدّيّة، فالكتمان غير موجود في بيانات أهل البيت ﷺ - كحال بيانات القرآن الكريم - لكن لدرجة البيان سلام طويلة.
الأمر الحادي عشر:

المراد من عنوان: (السبيل الأقصد) الوارد في حقّ أهل البيت ﷺ
أحد المعاني المحتملّة لعنوان: (السبيل الأقصد) الوارد في بيان زيارة الإمام الجواد ﷺ: «... السّلام على الباب الأقصد...» [بحار الأنوار، ٩٩: ٢٢] كوصف له ولسائر أهل البيت ﷺ: ما يؤصّل باختصار إلى المقصود.

فانظر: بيانات الوحي، منها:

١- بيان أمير المؤمنين عليه السلام: «... وأنا جنب الله، وأنا يد الله»^(١).

٢- بيانه عليه السلام أيضاً: «... وأنا يد الله، وأنا باب الله»^(٢).

→ الأمر الثاني عشر:

(المُحَدَّث) أَحَدُ الْمَقَامَاتِ الْإِعْتِقَادِيَّةِ

إنَّه من الأمور الصَّروية عند مُحَدِّثي ومُفسِّري الفريقين، منهم: أصحاب الصَّحاح الستَّة وابن حجر العسقلاني في شرح الباري وما يعتقدون به: عدم صحَّة دعوى حصر المقامات الإعتقاديَّة بالرَّسول والنَّبِيِّ، بل هناك مقام آخر، وهو (المُحَدَّث).

لكن: مَنْ يُطَالع كُتُب المخالفين الكلاميَّة سيجد أنَّهم حصروا المقامات الاعتقاديَّة بالرسول والنَّبِيِّ. ومن ثمَّ ذهب الطَّبري [في كتاب (الجامع لأحكام القرآن)، ج ٤:

٨٢] في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢] إلى نبوة مريم عليها السلام، ونصَّ

عبارته: «فقد قيل: إنَّ الكمال المذكور في الحديث - أي: «كَمُلَ من الرِّجال كثير، ولم يَكْمُل من النِّساء غير مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون...» - يعني به النُّبوة،

فيلزم عليه أن تكون مريم عليها السلام وآسية نبيَّتين، وقد قيل بذلك، والصَّحيح: أنَّ مريم نبيَّة؛ لأنَّ الله تعالى أوحى إليها بواسطة الملك كما أوحى إلى سائر النُّبيِّين...».

وهي كما ترى ظاهر التَّكليف، بيَّنة التَّوليد، تخطب على نفسها أنَّها على غير أصلٍ فنيٍّ، وقاعدة صناعيَّة؛ فلا تنفي الحقيقة ولا تُعتم عليها، وتكون لهجة خدعة

للعقل منها نبوة.

والحقُّ: أنَّ مريم عليها السلام مُحَدِّثة، وفاطمة (صلوات الله عليها) سيِّدتها، وأكبر المُحَدِّثين.

(١) بحار الأنوار، ٢٤: ١٩٨/ح ٢٥.

(٢) المصدر نفسه: ١٩٤/ح ١٦.

٣- بيانه ﷺ أيضاً: «... وأنا يد الله المبسوطة على عباده بالرحمة والمغفرة»^(١). (٢)

أي: أنا قوة الله، وقدرته، وهيمته، وسلطته، وبطشه، وبسطه، وقبضه.

(١) بحار الأنوار، ٢٤: ١٩٩/ح ٢٧.

(٢) ينبغي الالتفات: أَنَّ الشَّرَائِطَ الفِسيولوجِيَّةَ والجِنِيَّةَ لبدن أمير المؤمنين ﷺ أعظم من الشَّرَائِطَ الفِسيولوجِيَّةَ والجِنِيَّةَ لبدن الإمام الحسن والحسين ﷺ فضلاً عن أبدان سائر أئمة أهل البيت ﷺ؛ فَإِنَّهُمْ وَإِنْ كَانُوا فِي الْفَضْلِ سَوَاءً، لَكِنْ بَدَنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ بَدَنًا إِصْطِفَائِيًّا خَاصًّا، لَهُ خُصُوصِيَّاتُهُ وَمُمَيَّزَاتُهُ الْخَاصَّةُ، وَمِنْ ثَمَّ وَرَدَ فِي بَيَانَاتِ الْوَحْيِ الْإِلَهِيِّ: أَنَّهُ لَا تَحْصُلُ فِي جَيْشٍ هُوَ فِيهِ الْهَزِيمَةُ الْبَتَّةُ، وَمَا يَتَوَجَّهُ فِي جَيْشٍ إِلَّا وَكَانَ نَصِيْبُهُ النَّصْرُ، فَلِذَا وَرَدَ فِي بَيَانَاتِ الْوَحْيِ الْآخَرَى: أَنَّهُ الْأَكْثَرُ رَجُوعًا فِي عَالَمِ الرَّجْعَةِ - عَالَمِ آخِرَةِ الدُّنْيَا - .

فلاحظ: بيانات الوحي، منها:

بيانه (صلوات الله عليه): «... وَإِنَّ لِي الْكَرَّةَ بَعْدَ الْكَرَّةِ، وَالرَّجْعَةَ بَعْدَ الرَّجْعَةِ، وَأَنَا صَاحِبُ الرَّجَعَاتِ وَالْكَرَّاتِ، وَصَاحِبُ الصَّوْلَاتِ وَالنَّقِمَاتِ وَالِدُّوْلَاتِ الْعَجِيبَاتِ، وَأَنَا قَرْنٌ مِنْ حَدِيدٍ...». بحار الأنوار، ٥٣: ٤٧/ح ٢٠. معاني الأخبار: ٥٩.

لكن: مع كُلِّ هذه الخصائص والعظمة يُشْفَى جسده بريق سيّد الأنبياء (صلوات الله عليهما وعلى آلهما)، بل ويُزَقُّ من ذلك الرِّيقُ العلم والحلم والفقّه والحكمة لصدّره ﷺ الشّريف، كما ورد ذلك في بيان حديث الدّار، الحاوي على معارف عظيمة.

[استعمالات حقيقة من دون شائبة تجوز]

وهذه استعمالات منه (صلوات الله عليه) حقيقة، من دون أي شائبة مجاز، فإن هذه الغايات - أي: قوّة الله، وقدرته، وهيمته، وسلطته، وبطشه، وبسطه، وقبضه - مخلوقات وآيات إلهية عظيمة وعجبية ومهولة جدًّا، من عالم الأسماء والصفات الإلهية، وهي بعض طبقات حقيقته (صلوات الله عليه) الصّاعدة في مرتبة عالم الأسماء والصفات الإلهية.

وإلى هذا تشير بيانات الوحي الأخرى، منها :

بيانه (صلوات الله عليه) أيضاً: «... وكلُّ ما في الذّكر الحكيم، والكتاب الكريم^(١)، والكلام القديم من آية تذكر فيها: العين والوجه واليد والجنب فالمراد منها الولي، لأنّه جنب الله، ووجه الله، يعني: حقّ الله، وعلم الله، وعين الله، ويد الله، فهم الجنب العليّ، والوجه الرضي، والمنهل الرّوي، والصراط السّوي، والوسيلة إلى الله، والوصلة إلى عفوه ورضاه، سرّ الواحد والأحد، فلا يُقاس بهم من الخلق أحد، فهم... ومبدأ الوجود وغايته، وقدرة الرّبّ ومشيّته... فهم الكواكب العلوية، والأنوار العلوية... والأسرار الإلهية المودعة في الهياكل البشريّة...»^(٢).

(١) ينبغي للباحث والمستنبط إكتشاف كلّ نصّ روائيّ يُقابل أيّ نصّ قرآني.

(٢) بحار الأنوار، ٢٥: ١٦٩ - ١٧٤/ح ٣٨.

[إيضاح جم غفير من بيانات الوحي]

ومنه تتضح: كثير من بيانات الوحي، منها:

أولاً: بيان سيّد الأنبياء ﷺ مخاطباً أمير المؤمنين صلوات الله عليه: «يا عليّ، كُنْتُ مع الأنبياء سرّاً، ومعهم جهرّاً»^(١).

ثانياً: بيانه (صلوات الله عليه): «كُنْتُ مع الأنبياء باطناً، ومع رسول الله ظاهراً»^(٢).

ثالثاً: بيانه عليه السلام أيضاً: «... أنا الذي حملتُ نوحاً في السفينة بأمر ربّي، وأنا الذي أخرجتُ يونس من بطن الحوت بإذن ربّي، وأنا الذي جاوزتُ بموسى بن عمران البحر بأمر ربّي، وأنا الذي أخرجتُ إبراهيم من النار بإذن ربّي، وأنا الذي أجريتُ أنهارها، وفجّرتُ عيونها، وغرستُ أشجارها بإذن ربّي، وأنا عذاب يوم الظلّة، وأنا المنادي من مكان قريب قد سمعه الثقلان: الجنّ والإنس، وفهمه قوم، إنّي لأسمع كلّ قوم»^(٣) الجبارين والمنافقين بلغاتهم، وأنا الخضر عالم موسى، وأنا معلّم سليمان بن داود، وأنا ذو القرنين، وأنا قدرة الله ﷻ... لا تسمونا أرباباً وقولوا في فضلنا ما شئتم؛ فإنّكم لن تبلغوا من فضلنا كُنّه ما جعله الله لنا؛ ولا معشار العشر؛ لأنّ آيات الله ودلائله... ولو قال قائل: لم، وكيف، وفيهم؟ لكفر وأشرك؛ لأنّه لا يسأل عمّا يفعل، وهم يسألون... مَنْ آمَنَ بما قلتُ، وصدّق بما بيّنتُ وفسّرتُ وشرحتُ

(١) معارج العليّ: (مخطوط).

(٢) مصباح الهداية: ١٤٢.

(٣) في نسخة: (كلّ يوم).

وأوضحْتُ ونوّرتُ وبرهنْتُ فهو مؤمن مُتَمَتِّحُنْ، إِمْتَحَنَ الله قلبه للإيمان، وشرح صدره للإسلام، وهو عارف مستبصر، قد انتهى وبلغ وكمل، وَمَنْ شَكَ وَعِنْدَ وَجْهِ وَوَقَفَ وَتَحَيَّرَ وَارْتَابَ فهو مُقَصَّرٌ وناصب ... أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ بِإِذْنِ رَبِّي، أَنَا أُنبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ، وما تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ بِإِذْنِ رَبِّي، وَأَنَا أَعْلَمُ بِضَمَائِرِ قُلُوبِكُمْ، وَالْأَنَّمَةُ مِنْ أَوْلَادِي ﷺ يَعْلَمُونَ وَيَفْعَلُونَ هَذَا إِذَا أَحَبُّوا وَأَرَادُوا ... وَنَحْنُ إِذَا شِئْنَا شَاءَ اللهُ ^(١)، وَإِذَا كَرِهْنَا كَرِهَ اللهُ، الْوَيْلُ كُلُّ

(١) يجدر الالتفات في المقام إلى الأمرين التَّالِيَيْنِ :
الأمر الأول:

المشيئة الإلهية مخلوق عظيم ومهول

إِنَّ مَبْحَثَ الْمَشِيئَةِ الْإِلَهِيَّةِ مَبْحَثٌ مُهِمٌّ جَدًّا، وَصَعْبٌ وَمُسْتَصْعَبٌ، وَحَصَلَتْ فِيهِ مَعَارِكٌ عِلْمِيَّةٌ خَطِيرَةٌ بَيْنَ مَتَكَلِّيِ الْإِمَامِيَّةِ، بَلْ وَبَيْنَ الْعُرَفَاءِ، وَالْمَشِيئَةِ الْإِلَهِيَّةِ مَخْلُوقٌ رَهيبٌ وَعَظِيمٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِ عَالَمِ التَّكْوِينِ، يَأْتِي فَوْقَ عَالَمِ الْعَقْلِ وَتَحْتَ الْعَرْشِ، وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ التَّقَرُّرِ لِلْأَشْيَاءِ، وَهُوَ أَحَدُ طَبَقَاتِ حَقَائِقِ أَهْلِ الْبَيْتِ ﷺ الصَّاعِدَةِ. وَقَدْ يُعْبَرُ أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ عَنْ مَخْلُوقَاتِهِ - اقْتِبَاسًا مِنْ بَيِّنَاتِ الْوَحْيِ - بِ: (الْأَعْيَانِ الثَّابِتَةِ). وَيُعْبَرُ عَنْهَا الْفَلَاسِفَةُ بِ: (الصُّورِ الْمُرْتَسِمَةِ)؛ فَإِنَّهُمْ حَسَبُوا أَنَّهَا مُجَرَّدُ صُورٍ. وَالْحَقُّ: أَنَّهُ عَالَمٌ خَطِيرٌ، وَمَخْلُوقَاتُهُ مَهُولَةٌ وَعَظِيمَةٌ جَدًّا وَغَيْرُ مَتْنَاهِيَّةٍ. وَقَدْ يُعْبَرُ عَنْهُ فِي بَيِّنَاتِ الْوَحْيِ بِعُنْوَانِ: (الْمَاءِ)، فَإِنَّ (الْأَلْفَ) مُنْقَلِبَةٌ عَنْ (وَاوٍ)، وَ(الْهَمْزَةُ) عَنْ (هَاءٍ)، فَيَكُونُ أَصْلُ كَلِمَةٍ: (مَاءٍ): مَوْهَ، بِمَعْنَى: (مَاهِيَّةٌ)؛ أَيْ: حَقَائِقُ الْأَشْيَاءِ. وَسُمِّيَتْ الْحَقَائِقُ: أَشْيَاءً وَذَلِكَ لِتَعَلُّقِ الْمَشِيئَةِ الْإِلَهِيَّةِ بِهَا. إِذَنْ: لِعُنْوَانِ (الْمَاءِ) الْوَاردِ فِي بَيِّنَاتِ الْوَحْيِ الْمَعْرِفِيَّةِ رَمْزِيَّةٌ عَجَبِيَّةٌ وَعَظِيمَةٌ فِي مَبَاحِثِ التَّوْحِيدِ الْوَارِدَةِ أَيْضًا فِي بَيِّنَاتِ الْوَحْيِ الْمَعْرِفِيَّةِ، وَحَاكِ لَطَبَقَاتٍ مِنْ عَوَالِمِ التَّكْوِينِ.

وهذا ما تُشير إليه بَيِّنَاتُ الْوَحْيِ، مِنْهَا :

→ بيان الإمام الباقر عليه السلام، عن جابر الجعفي، قال: «جاء رجل من علماء أهل الشام إلى أبي جعفر عليه السلام فقال: جئت أسألك عن مسألة لم أجد أحداً يُفسّر لها لي، وقد سألت ثلاثة أصناف من الناس، فقال كلٌّ صنّفٍ غير ما قال الآخر! فقال أبو جعفر عليه السلام: وما ذلك؟ فقال: أسألك ما أوّل ما خلق الله تعالى من خلقه؟ فإنّ بعض من سألتَه قال القدرة، وقال بعضهم العلم، وقال بعضهم الرُّوح، فقال أبو جعفر عليه السلام: ما قالوا شيئاً، اخبرك: أنّ الله علا ذكره كان ولا شيء غيره، عزيزاً ولا عزّ؛ لأنّه كان قبل عزّه ... فأوّل شيء خلقه من خلقه الشيء الذي جميع الأشياء منه وهو الماء ...» [بحار الأنوار، ٥٤: ٦٦ - ٦٧/ح ٤٤. توحيد الصدوق: ٣٢]، أي ماهيّة الأشياء.

الأمر الثاني:

عنوان (الشيء) تارة يصحّ استعماله في الذات المقدّسة وأخرى لا يصحّ

إنّ لفظ وعنوان (الشيء) تارة يصحّ إطلاقه على الباري - المسمّى - (تقدّس ذكره)؛ وذلك إن أُريد به أصل التّحقّق والواقعيّة والحقيقة.

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي، منها:

١- بيان الحديث القدسي، مُحاطباً سيّد الأنبياء عليه السلام في المعراج: «... يا أحمد، أنا شيء لا كالأشياء...» [بحار الأنوار، ٣٨: ٣١٢/ح ١٤. الطّرائف: ٣٨. كشف الغمّة: ٣١].

٢- بيان الإمام الصّادق عليه السلام، في جوابه على سؤال الزنديق حين سأله عن الله ما هو؟ قال: «هو شيء بخلاف الأشياء، أرجع بقولي: شيء إلى إثبات معنًى، وإنّه شيء بحقيقة الشّيئيّة، غير أنّه لا جسم ولا صورة». [بحار الأنوار، ٣: ٢٦٠/ح ٨].

٣- بيان إمضاء الإمام أبي الحسن عليه السلام، عن اليقطيني، قال: «قال لي أبو الحسن عليه السلام: ما تقول: إذا قيل لك: أخبرني عن الله تعالى: شيء أم لا شيء هو؟ قال: فقلتُ له: قد أثبت تعالى نفسه شيئاً حيث يقول: ﴿قُلْ أَيْ شَيْءٌ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩]، فأقول: إنّ شيء لا كالأشياء؛ إذ في نفْيِ الشّيئيّة

→ عنه إبطاله ونفيه. قال لي: صدقت وأصبّت». بحار الأنوار، ٣: ٢٦٢-٢٦٣/ح ١٩.

ودلالته - كدلالة سابقه - واضحة.

الشيء والشيئية اسم وصفة إلهية ذاتية

وبهذا المعنى يكون الشيء اسم إلهي ذاتي، والشيئية صفة إلهية ذاتية مُتقدِّمان على الأحد والواحد، وهما اسمان إلهيان ذاتيان، وعلى الأحديّة والواحدية، وهما صفتان إلهيتان ذاتيتان.

إِذَنْ: (الشيء) و(الشيئية) الواردان في بيانات الوحي المعرفية؛ وكاسم من أسماء الله الحسنی الذاتية؛ وصفة إلهية ذاتية، وهما بعض طبقات حقائق أهل البيت (عليه السلام) الصاعدة مملوكان لله - المسمى - (تقدّس ذكره)، ومُهيمن عليهما كهيئته على سائر مخلوقاته، وأحد مصاديق بيان قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الذُّنُوبَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

لولا أهل البيت (عليه السلام) لَمَا أَمَكْنَ لمخلوق شَمَّ رائحة التفكيك بين الاسم الإلهي ومسماه

ثُمَّ إِنَّ قَضِيَّةَ الفصل والتفكيك بين الله المسمى (جَلَّ وتقدّس) وجملة الأسماء والصفات الإلهية - ذاتية كانت أم فعلية - لم يلتفت إليها ويشم رائحتها مخلوق قطُّ قبل إشارة بيانات أهل البيت (عليه السلام) إليها.

الإطلاق والاستعمال الآخر الوحياني لمعنى الشيء والشيئية

وتارة أُخرى لا يصح إطلاقه - على الباري (المسمى) (جَلَّ وتقدّس)؛ - وذلك إن أُريد به الواقعية والحقيقة التي تعلّقت بها المشيئة الإلهية. وإلى هذا تُشير بيانات الوحي الأخرى، منها:

→ بيان الإمام الصادق عليه السلام، عن جميع بن عمرو، قال: «قال لي أبو عبد الله عليه السلام: أي شيء «الله أكبر»؟! فقلت: الله أكبر من كل شيء، فقال: وكان ثم شيء فيكون أكبر منه؟! فقلت: فما هو؟ قال: الله أكبر من أن يوصف». توحيد الصدوق: ٣٠٦/ح ٢.

ودلالته واضحة.

وهذا النحو من الاستعمال لا يصح إطلاقه إلا على المخلوقات. وعليه: يكون المخلوق بهذا المعنى ليس اسم فاعل، بل اسم مفعول، ومعناه: أن المخلوق لا حقيقة له وراء فعل الخالق (جل شأنه)، ومن ثم عبّر جملة من متقدمي الفلاسفة والمتكلمين خطأ: «أن الخالق (جل ذكره) - أعوذ بالله تعالى - جوهر والمخلوقات أعراض».

وهذا التعبير وإن كان خاطئاً، لكن مرادهم: إيصال فكرة ذكرتها بيانات الوحي، وهي: أن من يدقق في واقعيات وحقائق المخلوقات فسيرها أنها ليست جواهرًا قائمة بنفسها، بل أفعالا كالأعراض؛ فإن تمام شراشر المخلوقات وأبعضها وسائر شؤونها وأحوالها ليست لها واقعية وحقيقة وراء فعل باريها (جل ثناؤه).

وهذه قاعدة وضابطة معرفية عظيمة وخطيرة؛ فإنه لا يوجد للمخلوق حالة أو وصف لم يكن حدثاً ولا فعلاً من أفعال باريه (عز اسمه)، فتمام حقيقة المخلوق أنه عين فعل خالقه (عز وجهه)، وإذا اعتقد المخلوق بغير هذا فقد ارتطم بنفسه الخدعة التي زل بها إبليس، كما أشار إلى ذلك بيان قوله تعالى، المقتصر لخبره: ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ [الأعراف: ١٢].

وإلى كل هذا تشير بيانات الوحي، منها:

١- بيان خطبة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): «كل شيء خاضع له، وكل شيء قائم به، غنى كل فقير...». بحار الأنوار، ٤: ٣١٧-٣١٨/ح ٤٣.

٢- بيان دعاء الجوشن الكبير: «... يا من كل شيء كائن له، يا من كل شيء موجود به... يا من كل شيء قائم به...». بحار الأنوار، ٩١: ٣٨٨-٣٨٩/ح ٢. البلد

الأمين: ٤٠٢-٤١١.

الويل لِمَنْ أنكر فضلنا وخصوصيتنا، وما أعطانا الله رَبُّنَا؛ لَأَنْ مَنْ أنكر شيئاً مِمَّا أعطانا الله فقد أنكر قدرة الله ﷻ ومشيبته فينا ... ويطيعنا كُلَّ شيءٍ حتَّى السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ، والشَّمْسِ والقمر والنجوم، والجبال والشَّجر والدواب والبحار، والجنَّة والنَّار ... فهذا معرفتي بالنورانيَّة، فتمسَّك بها راشداً؛ فَإِنَّهُ لَا يبلغ أَحَدٌ من شيعتنا حدَّ الإستبصار حتَّى يعرفني بالنورانيَّة^(١)، فإذا عرفني

→ ودلالته - كدلالة سابقة - واضحة.

وهذا أحد تفاسير كثير من بيانات الوحي، منها:

أولاً: بيان قوله عزَّ قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨].

ثانياً: بيان قوله عزَّ من قائل: ﴿لَمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

ثالثاً: بيان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) الوارد في حديث الحقيقة، في جوابه على سؤال كميل بن زياد رضي الله عنه: «ما الحقيقة؟ قال: ... محو الموهوم مع صحوا المعلوم ...». جامع الأسرار ومنبع الأنوار: ٢٨ - ٢٩.

وعليه: فإذا اعتقد المخلوق في حق نفسه أو غيره من المخلوقات أَنَّ له حول أو قوَّة أو وجود أو واقعيَّة وحقيقة في عَرَضٍ أو في طول حول وقوَّة الله (تبارك وتعالى) وحقيقته فقد ارْتَظَمَ بِشِرَاكِ الشُّرْكِ الخفي.

(١) ينبغي صرف النَّظَر في المقام إلى القضايا التَّالية:

القضية الأولى:

عوالم النُّور على طبقات

إِنَّ المقصود من (عوالم النُّور) الواردة في بيانات الوحي: عوالم فوق عَالَمِ الآخرة الأبدية - عَالَمِ الجنَّة والنَّار الأبديتين - تتصاعد إلى العرش، بل وفوقه.

إِذَنْ: عوالم النُّور على طبقات، بعضها دون العرش، والآخر في مرتبة العرش، والثالث فوق العرش.

القضية الثانية:

ليس لعوالم النُّور مقادير جسمانيَّة بحسب بيانات الوحي

→ إِنَّ عَالَمَ النُّورِ ليس بموصوف في بيانات الوحي - كبيان سورة النُّور - بأوصاف المقادير الجسمانيَّة، ومن ثَمَّ ليس له طول ولا عرض ولا عمق ولا زمان ولا مكان، نعم له شِدَّةٌ وضعف. لكنَّه ليس مُجَرَّدًا بقولٍ مُطلقٍ حتَّى عن الحاجة والمدد الإلهيِّ.

القضية الثالثة:

أنوار حقائق أهل البيت عليهم السلام على طبقات

المُسْتَفاد من بيانات الوحي: أَنَّ لِعَالَمِ النُّورِ عوالم وطبقات ومراتب، وَمِنْ ثَمَّ ورد في بيانات الوحي: أَنَّ أنوار أهل البيت عليهم السلام على طبقات، فَمِنْ نور سيِّد الأنبياء صلَّى الله عليه وآله أُشْتُقَّ نور ثانٍ وثالث لحقيقته صلَّى الله عليه وآله الصَّاعِدَة، وعلى هذا قس أنوار حقائق سائر أهل البيت عليهم السلام الصَّاعِدَة.

لكن: غفل البعض ووقع في اشتباه فاحش؛ وظنَّ وحدة مراتب النُّور وعوالمه. ومنه تتَّضح كثير من بيانات الوحي، منها:

بيانات الوحي المُشيرة لِعَالَمِ العرش؛ فبعضها تُثبِت أَنَّ العرش خُلِقَ من نور سيِّد الأنبياء صلَّى الله عليه وآله، وبعضها الآخر تُثبِت أَنَّ نوره صلَّى الله عليه وآله خُلِقَ مِنْ تَحْتِ العرش.

فانظر: بيانات الوحي المُشيرة إلى النَّحو الأوَّل، منها:

بيان سيِّد الأنبياء صلَّى الله عليه وآله: «... خَلَقْنَا الله نحن حيث لا سماء مبنية ولا أرض مدحية ولا عرش ولا جنة ولا نار، كُنَّا نُسَبِّحُه حين لا تسبيح، ونُقَدِّسه حين لا تقديس، فلمَّا أَرَادَ الله بدء الصنعة فتق نورى فخلق منه العرش؛ فنور العرش من نورى، ونورى من نور الله، وَأَنَا أَفْضَلُ مِنَ العرش...». بحار الأنوار، ٢٥: ١٦ / ح ٣٠. ودلالته واضحة.

ولاحظ: بيانات الوحي الأخرى المُشيرة إلى النَّحو الثاني، منها:

١- بيان الإمام الصَّادق عليه السلام: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِينَ استوى على العرش فأمر نورين من نوره فطافا حول العرش سبعين مرَّةً فقال عليه السلام: هذان نوران لي مُطيعان، فخلق اللهُ من ذلك النُّورَ مُحَمَّدًا وعليًّا والأصفياء من ولده عليهم السلام...». بحار الأنوار، ٢٥: ٤٢١ / ح ٣٣.

→ ٢- بيانه ﷺ أيضاً: «خلقنا الله من نور عظمته ثُمَّ صَوَّرَ خلقنا من طينةٍ مخزونةٍ مكنونةٍ من تحت العرش، فأسكن ذلك النُّور فيه؛ فكَتَبْنَا نحن خلقاً وبشراً نورانيَّين ...». بحار الأنوار، ٢٥: ١٣-١٤ / ح ٢٦. بصائر الدرجات: ٧.
ودلالته - كدلالة سابقة - واضحة.
القضية الرابعة:

العرش من عوالم الأجسام

الثَّابِتُ في مجموعة منظومة بيانات أهل البيت ﷺ: أَنَّ العرش كائن ذي روح.
وعوالم الأرواح عوالم جسمانيَّة لطيفة، فيكون العرش من عوالم الأجسام.
وهذه جوهرة ثمينة، وأمر يصعب الوقوف عليه.
القضية الخامسة:

مركزية العرش

إنَّ العرش عبارة عن مركز ومُنْطَلَق السَّيْطَرَةِ والسَّلْطَنَةِ والقدرة والقوَّة، وهو العلم غالباً.
القضية السادسة:

إمتداد العوالم الجسمانيَّة إلى ما فوق العرش

المُسْتَفَاد من مجموع بيانات أهل البيت ﷺ: أَنَّ هناك عوالم جسمانيَّة فوق عَالَم الآخرة الأبدية، بل فوق عَالَم العقل، منها: ١- عَالَم العرش. ٢- عَالَم الكرسي. ٣- عَالَم القلم. ٤- ولا يبعد عَالَم اللوح.
القضية السابعة:

خطورة بيان سيِّد الأنبياء ﷺ الوارد في رواية زينب العطارَة

إِنَّ ما ورد في بيان سيِّد الأنبياء ﷺ في رواية زينب العطارَة والتي ذكرها كفهرسة ومختصر إجمالي لعوالم الخلقة، وشارحة لعظمة فعل الله ﷻ المُنْبِئ عن عظمة →

→ فاعلها العزيز الجبار لم يوجد لها نظير في كُتُب جملة البشر قط، بل ولا في الكُتُب السماوية السابقة.
القضية الثامنة:

التفاوت في الغلظة واللطافة واسع بين مواد النشأة الأرضية والبرزخ وسائر العوالم الجسمية

إنَّ التفاوت في الغلظة واللطافة بين المادة الأرضية والمادة البرزخية، بل وبين نفس مواد نشأتنا الأرضية هذه، وبين نفس مواد نشأة عالم البرزخ على مراتب ودرجات. ومن ثمَّ ورد في بيانات الوحي: (أَنَّ الموتى في عالم البرزخ ليسوا على طبقة واحدة)؛ فالبعض منهم يلبث في مراتب دانية من عالم البرزخ حافة بنشأتنا الأرضية هذه، ولربما يبقى الكثير منهم مُدَّة من الزَّمان - بعد موتهم - لا يتمكَّنون من إقْناع أنفسهم بمفارقتهم لحياتهم في نشأتهم الدُّنيويَّة الأولى؛ والسَّبب: إمَّا لطبيعة مادَّتهم، أو لكثرة تعلُّقاتهم القلبية بهذه النشأة، فتكون موادَّهم البرزخية بالتَّبَع ثقيلة أيضاً تمنعهم من الارتقاء لدرك أنَّهم دخلوا في عالم ونشأة وبيئة جديدة.

وبالجملة: المواد البرزخية كمواد عالم الدنيا الأولى على درجات في الغلظة واللطافة، ومن ثمَّ تفاوت بالتَّبَع وبشكل شاسع جداً قُدرة سُكَّانها في القابلية والعلم والمعرفة والإحاطة والحركة والإنطلاق.

وعلى هذا قس سائر العوالم كعالم الآخرة الأبدية؛ فإنَّه على درجات في الكثافة والغلظة واللطافة واسعة وعظيمة جداً، ومن ثمَّ كانت الجنة الأبدية ويران جهنم الأبدية أيضاً على طبقات واسعة جداً.

القضية التاسعة:

تشابك الطاقات في عوالم السموات

إنَّ أحد التفسيرات العصرية لبيان قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ [الذاريات: ٧] أنَّ في السماء طاقات مُتشابكة من دون أيِّ فراغ.

بها كان مستبصراً بالغاً كاملاً قد خاض بحراً من العلم، وارتقى درجة من الفضل، واطَّلَعَ على سرٍّ مِنْ سِرِّ الله، ومكنون خزائنه» (١). (٢)

→ وهذه الطَّاقات - بحسب لغة العقل - أجسام لطيفة غير مرئية بالعين المجردة؛ لكونها جواهر لها مقادير ومديات ومجالات جغرافية؛ ومسافات جوهرية (طول وعرض وعمق جوهرى).

القضية العاشرة:

الوقوف على عالم الخلقة والمخلوقات أحد أبواب المعرفة الإلهية
 إِنَّ مَا وَرَدَ فِي بَيَانِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَسِينُوا أَنَّهُ هُوَ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣] برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ على أَنَّ الوقوفَ على عوالم الخلقة المهولة ومخلوقاتِها العظيمة والإِطلاعَ عليها أحدُ أبوابِ المعرفة الإلهية الخطيرة.
 (١) بحار الأنوار، ٢٦: ١-٧/ح ١.

(٢) يجدر صرف النظر في المقام إلى الأمرين التَّالِيَيْنِ :
 الأمر الأوَّل:

الغلو في حقِّ أهل البيت ﷺ كاشف عن صدور أمور عظام منهم

إِنَّ مَا أَتَى بِهِ الْعُلَاةُ مِنْ غُلُوٍّ فِي حَقِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (صلوات الله عليه) وَإِنْ كَانَتْ أُمُوراً سَلْبِيَّةً، لَكِنَّهَا تَكْشِفُ عَنْ صُدُورِ إِزْهَاصَاتٍ غَيْبِيَّةٍ شَوَّهَتْ مِنْهُ ﷺ، لَكِنْ قَرَأَهَا الْبَعْضُ بَعْدَ زَلَلَةٍ بِقِرَاءَةِ خَاطِئَةٍ وَمَنْحَرَفَةٍ.

وعلى هذا قس حال سائر أهل البيت ﷺ، فذاك سيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَتَقَاتَلُونَ عَلَى نَخَامَتِهِ وَغَسَالَةِ وَضِوْءِهِ، كَمَا رَوَاهُ الْفَرِيقَانِ، وَمَعْنَاهُ: مَشَاهِدَتُهُمْ لِإِزْهَاصَاتٍ غَيْبِيَّةٍ صَدَرَتْ مِنْ بَدَنِهِ الشَّرِيفِ.

وذاك الإمام زين العابدين (صلوات الله عليه) حينما انْفَرَجَ لَهُ النَّاسُ فِي طَوَافِ الْحَجِّ سَمَاطِينَ لِيَسْتَلِمَ الْحَجَرُ الْأَسْوَدَ مَعَ كَثَافَةِ وَزْحَةِ الْحَجِيجِ، مَعَ أَنَّ رَئِيسَ الدَّوْلَةِ الْعَظْمَى (هشام بن عبد الملك) مَعَ مَالِهِ مِنْ حَرَسٍ وَحَاشِيَةٍ لَمْ يَتِمَكَّنْ مِنْ ذَلِكَ.

فانظر :

ما ذكر في الحليّة، والأغاني وغيرهما: «حج هشام بن عبد الملك فلم يقدر على الاستلام من الزحام فنُصِبَ له منبر فجلس عليه، وأطاف به أهل الشام، فبينما هو كذلك إذ أقبل عليّ بن الحسين عليه السلام وعليه إزار ورداء، من أحسن الناس وجهاً وأطيبهم رائحة، بين عينيه سجادة كأثنا ركة عنز، فجعل يطوف فإذا بلغ إلى موضع الحجر تنحى الناس حتى يستلمه هيبة له، فقال شامي: من هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال: لا أعرفه؛ لئلا يرغب فيه أهل الشام، فقال الفرزدق وكان حاضراً: لكنني أنا أعرفه...». بحار الأنوار، ٤٦: ١٢٤ - ١٢٥/ح ١٧.

ومعناه: عدم نظر عموم المسلمين للإمام عليه السلام كإنسان عادي، بل رجُل غيبي، وما قاموا به لم يكن وليد صدفة، وإنما رأوا منه (صلوات الله عليه) إزهاصات غيبية. الأمر الثاني:

الإقرار بالعجز عن معرفة كنهه الباري أصدق ما يصدر من المخلوق

إنَّ الدَّما في المعرفة: استيقاظ الباحث إلى أنَّ السير طويل فيها لانهائية ولا حدَّ له، ومن ثمَّ أتمَّ معرفة بالله تعالى تحصل لدى المخلوق: إقراره بالعجز عن إكتناهِ حقيقة الذات الإلهية الأزليّة المقدَّسة، ومن يعتقد أنَّ معرفته بالله تعالى وصلت إلى أوجها وإلى حدِّ النهاية فقد ارتطمَ في خضيض الجهل المُركَّب، فلذا أكَّدت بيانات أهل البيت (صلوات الله عليهم) على أنَّه لا يمكن للمخلوق أن يُقيم في معرفة التَّوحيد إلَّا وأنَّ يقول: «ما عرفناك حقَّ معرفتك» [بحار الأنوار، ١١٠: ٣٤].

وهذا ما يُشير إليه بيان الضابطة المعرفية: «العجز عن المعرفة معرفة تامّة».

إذن: الاعتراف بالعجز عن معرفة كنهه الذات الإلهية المقدَّسة هو حقيقة وتام المعرفة، فبالإقرار بالعجز عن معرفة كنهه الذات المقدَّسة؛ وأنَّه لا حدَّ ولا نهاية ولا يُحاط بذاته المقدَّسة تقدَّس ذكره تكون هذه المعرفة عين الحقيقة والواقعية، وهي الإشارة الوحيدة والصَّادقة في المقام.

ودلالته - كدلالة سابقه - واضحة.

[نكتة تأويلات المعصوم عليه السلام لأمثال هذه البيانات]

[عدم تحمُّل قابليَّات الطرف تُلجئ المعصوم عليه السلام إلى التَّأويل]

وما حمل بعض أهل البيت - كالإمام الباقر - (صلوات الله عليهم) بعض ألفاظ ما شاكل ألفاظ هذه البيانات الوحيانيَّة على معانيها المجازيَّة ذلك: مراعاة لحال الطرف المُخاطَب، فلعدم: استعداده وقابليَّته وتحمُّله لمعانيها ومضامينها وحقائقها الخطيرة العجيبة العالية، وخوفاً عليه من الوقوع في الزَّيغ والضلال والإنجراف اضْطُرُّوا عليهم السلام إلى تأويلها، وإلَّا فقبل بيان الإمام المتأخِّر - كالإمام الباقر عليه السلام - سيعتقد بعض المؤمنين - حتماً وعلى أقلِّ التقادير - وقد يعملون طوال عقود من الزَّمان بمعاني وحقائق ألفاظها، فلو كانت غير مرادة لزم وقوعه في الزَّيغ والضلال والإنجراف،

→ ثُمَّ إِنَّ هَذَا النِّفْيَ لَيْسَ نِفْيًا وَتَعْطِيلًا بِقَوْلٍ مُّطْلَقٍ، وَإِنَّمَا نِفْيُ إِكْتِنَاهُ، وَنِفْيُ إِحْاطَةِ بِالذَّاتِ الْمُقَدَّسَةِ، وَهُوَ تَثْبِيتٌ وَإِقْرَارٌ بِالْوَاقِعِيَّةِ، وَبِأَصْلٍ مُّطْلَقٍ الْحَقِيقَةِ.

هَذَا هُوَ النَّهْجُ وَالصَّارِطُ الْمُسْتَقِيمُ، نَهْجٌ وَصَرِاطٌ أَهْلُ الْبَيْتِ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ)، أَصْحَابُ الْجَادَةِ الْوَسْطَى الَّتِي لَا تُخْرَجُ إِلَى عَوْجٍ، وَلَا تُزِيلُ عَنْ مَنْهَجِ الْحَقِّ، وَهَذَا النَّهْجُ وَالصَّارِطُ فِي حَالٍ سَيْرٍ دَائِمٍ لَا انْقِطَاعَ لَهُ أَبَدًا.

وَبِالْجُمْلَةِ: دَعْوَى إِكْتِنَاهُ الْمَخْلُوقَ لِكُنْهِ الذَّاتِ الْمُقَدَّسَةِ تَوْقُفٌ وَمَوْتُ لِمَسِيرَتِهِ الْمَعْرِفِيَّةِ، كَحَالٍ مَنْ يَدَّعِي تَعْطِيلَ مُّطْلَقِ الْمَعْرِفَةِ الْإِلَهِيَّةِ، فَإِنَّهُ تَوْقُفٌ وَمَوْتُ لِمَسِيرَتِهِ الْمَعْرِفِيَّةِ أَيْضًا. وَالْحَقُّ يَكْمُنُ فِي: «الْأَمْرُ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ»، وَمَعْرِفَةٌ مِنْ وَجْهِ.

ويكون السَّبب في ذلك إطلاق بيانه عليه السلام. لكنَّهم (صلوات الله عليهم) قد حذَّروا أتباعهم ومواليهم من تبيان الحقائق الحقَّة لغير أهلها وغير الحقَّة بطريقٍ أولى، كاستعمال المجازات من دون حَفِّها بقرائن. فبدلُ ذلك: أنَّ ما ذكره أمير المؤمنين وسائر أهل البيت عليهم السلام من بيانات وحيانيَّة مهولة وخطيرة محمولة على معانيها الحقيقيَّة.

[الأدلة المانعة من نشر الحقائق الوحيانيَّة عند غير أهلها]

[المعصوم عليه السلام يراعي في طرحه للحقائق عقليَّة الطرف وقابليَّته واستعداده]

فلاحظ:

١- ما ورد عن جابر بن يزيد الجعفي، قال: «حدَّثني أبو جعفر عليه السلام تسعين ألف حديث لم أُحدِّث بها أحداً قطُّ، ولا أُحدِّث بها أحداً أبداً... فقلت لأبي جعفر عليه السلام: جُعِلْتُ فداك، إنَّكَ قد حمَلتني وقرأ عظيمًا بما حدَّثتني به من سرِّكم الَّذي لا أُحدِّث به أحداً، فربَّما جاش في صدري حتَّى يأخذني منه شبه الجنون. قال: يا جابر، فإذا كان ذلك فاخرج إلى الجبال^(١): فاحفر حفيرة ودلَّ رأسك فيها، ثمَّ قل: حدَّثني مُحَمَّد بن عَلِيٍّ بكذا وكذا^(٢).

٢- بيان الإمام الصادق عليه السلام: «خالطوا النَّاس بما يعرفون، ودعوهم ممَّا ينكرون، ولا تحملوا على أنفسكم وعلينا، إنَّ أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله

(١) في نسخة: (الجبان).

(٢) بحار الأنوار، ٢: ٦٩/ح ٢٢.

إِلَّا مَلِكٌ مُّقَرَّبٌ، أَوْ نَبِيٌّ مَرْسَلٌ، أَوْ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ اِمْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ»^(١).

ودلالته - كدلالة سابقه - واضحة.

بل سيرتهم (صلوات الله عليهم) قائمة على ذلك.

فانظر:

أولاً: بيان الإمام الصادق عليه السلام، عن سفيان الثوري، قال: «سألت جعفر ابن محمد عليه السلام عن (ن)^(٢)، فقال: هو نهر في الجنة ... ثُمَّ قَالَ وَحَقِّقْ لِقَلَمٍ: أَكْتُبْ، فَسَطَرَ الْقَلَمُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ ... قَالَ سَفِيَانٌ: فَقُلْتُ لَهُ: يَا بَنَ رَسُولَ اللَّهِ، يَبْنَ لِي أَمْرَ اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ وَالْمَدَادِ فَضَّلَ بَيَانًا، وَعَلَّمَنِي مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ. فَقَالَ: يَا بَنَ سَعِيدٍ، لَوْلَا أَنَّكَ أَهْلٌ لِلْجَوَابِ مَا أَجَبْتُكَ، فَنُونَ ... قَالَ: ثُمَّ قَالَ لِي: قُمْ يَا سَفِيَانُ فَلَا أَمِنْ عَلَيْكَ»^(٣).

ثانياً: بيان الإمام الرضا عليه السلام^(٤)، عن علي بن الحسين بن فضال، عن أبيه، قال: «سألت الرضا عليه السلام فَقُلْتُ لَهُ: لَمْ كُنِّي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَبِي الْقَاسِمِ؟ فَقَالَ: لِأَنَّهُ كَانَ لَهُ ابْنٌ يُقَالُ لَهُ: قَاسِمٌ؛ فَكُنِّي بِهِ. قَالَ: فَقُلْتُ: يَا بَنَ رَسُولَ اللَّهِ، فَهَلْ تَرَانِي أَهْلًا لِلزِّيَادَةِ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، أَمَّا عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَنَا وَعَلِيٌّ أَبَوَا هَذِهِ الْأُمَّةِ؟» قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: أَمَّا عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَ لْجَمِيعِ أُمَّتِهِ، وَعَلَيٌّ

(١) بحار الأنوار، ٢: ٧١/ح ٣٠.

(٢) الواردة في بيان قوله تعالى: ﴿وَالْقَلَمُ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١].

(٣) بحار الأنوار، ٥٤: ٣٦٨/ح ٥. معاني الأخبار: ٢٣.

(٤) لا بأس بالالتفات في المقام إلى القضية التالية وهي: أَنَّ المأمون العباسي لم يجعل الإمام الرضا (صلوات الله عليه) ولياً للعهد من تلقاء نفسه، بل لضغط الشارع الإسلامي، وإلّا فلماذا لم يأت بأحد فقهاء العامة؛ أو أحد رموزهم السياسية.

بمنزلته فيهم^(١)؟ قلت: بلى، قال: أما علمت أن علياً قاسم الجنة والنار؟ قلت: بلى. قال: فقيل له: أبو القاسم؛ لأنه أبو قاسم الجنة والنار...»^(٢).

ودلالته - كدلالة سابقة - واضحة على أن الإمام عليه السلام يراعي - في طرحه وضحه للمعلومة - عقلية السائل، واستعداده وقابليته ومدى تحمله لمضامين بيانات الوحي، وحقائقها الخطيرة المهولة غير المتناهية.

ثالثاً: بيانه عليه السلام أيضاً، عن الوشاء، قال: «قال لي الرضا عليه السلام ابتداءً: إن أبي كان عندي البارحة، قلت: أبوك؟ قال: أبي، قلت: أبوك؟ قال: أبي، قلت: أبوك؟ قال: في المنام، إن جعفرًا عليه السلام كان يجيء إلى أبي فيقول: يا بني إفعل كذا، يا بني إفعل كذا، يا بني إفعل كذا، قال: فدخلت عليه بعد ذلك فقال لي: يا حسن، إن منامنا ويقظتنا واحدة»^(٣).^(٤)

ودلالته واضحة، فإنه عليه السلام ذكر المنام تورية؛ وذلك لضعف عقل السائل، كما أشار عليه السلام إليه آخرًا.

(١) في العلل: «وَعَلِيَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيهِمْ بِمَنْزِلَتِهِ». وفي العيون: «وَعَلِيَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْهُمْ».

أقول: لعل ما موجود في العيون هو الأصح. (حاشية البحار).

(٢) بحار الأنوار، ١٦: ٩٥/ح ٢٩. علل الشرائع: ٥٣ - ٥٤. معاني الأخبار: ٢٠. عيون الأخبار: ٢٣٨-٢٣٩.

(٣) بحار الأنوار، ٤٩: ٨٧/ح ٤. قرب الإسناد: ٢٠٢.

(٤) ينبغي الالتفات: أن مبنى أصحاب المدارس المعرفية البشرية في باب البرزخ كان قائماً على تجرّد عالم البرزخ تجرّداً تاماً. ومن ثم وقعوا في أزمة معرفية وعلمية من عدّة جهات:

منها: أنهم ذهبوا إلى عدم تكامل عالم البرزخ.

والحق: أن عالم البرزخ من العوالم المادية الجسمانية، بل له مادة غليظة. وحيث لا إشكال في قبوله للتكامل.

نعم، عالم البرزخ من حيث الغلظة واللطفة ليس على طبقة فاردة، بل على طبقات.

[توضيح لمضمون هذا البيان الثالث]

ومضمون هذا البيان نفس مضمون بيان سيّد الأنبياء ﷺ، عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «... أَيُّهَا النَّاسُ، خُذُوهَا عَنْ خَاتِمِ النَّبِيِّينَ ﷺ^(١): «إِنَّهُ

(١) ينبغي الالتفات في المقام إلى التّنبّهات التّالية:
التّنبّه الأول:

هُوَ لُ وَخَطُورَةُ مَعْرِفَةِ حَقِيقَةِ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ

معرفة حقيقة سيّد الأنبياء ﷺ ولو بالحدّ الأدنى لازمة على كلّ مسلم
إنّ معرفة حقيقة سيّد الأنبياء ﷺ لازمة وضروريّة ولو بالمقدار الأدنى، وتنعكس
على إسلام وإيمان المُطَّلِع عليها إنّ كان مسلماً فضلاً عن المؤمن، لكنّها ذو شُعَب
مَهْوَلَةٌ وَخَطِيرَةٌ، وَكُلَّمَا ارْتَقَتْ مَعْرِفَةُ الْمَخْلُوقِ بِسَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ كَلَّمَا ارْتَقَتْ مَعْرِفَتُهُ
بَدِينِ الْإِسْلَامِ ظَاهِراً وَبَاطِناً، فَمَنْ دُونَ مَعْرِفَتِهِ ﷺ لَا يُمْكِنُ مَعْرِفَةُ مَدَى عَظَمَةِ
دِينِ الْإِسْلَامِ، بَلْ وَلَا يُمْكِنُ تَصَوُّرُ خُلُودِهِ مِنْ دُونَ مَعْرِفَةِ مَدَى خَطُورَةِ أَدْوَارِهِ ﷺ
وَمَهَامَّتِهِ وَمَسْئُولِيَّاتِهِ فِي عَوَالِمِ الْخَلْقَةِ وَالْوُجُودِ - لَاسِيَا الْعَوَالِمِ الصَّاعِدَةِ - وَمَخْلُوقَاتِهَا
غَيْرِ الْمُنْتَاهِيَةِ.

وعصارة القول: لَا يُمْكِنُ التَّمَسُّكُ بِحَقِيقَةِ دِينِ الْإِسْلَامِ وَبِالْإِيْمَانِ مَعَ التَّهَوُّنِ
بِمَعْرِفَةِ حَقِيقَةِ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ.

التّنبّه الثّاني:

إنحطاط معرفة المدارس البشريّة بحقيقة سيّد الأنبياء ﷺ وبنبوته

إنّ معرفة سيّد الأنبياء ﷺ محلّ لغط لدى البشريّة في العصر الرّاهن؛ وذلك
لإعتقادها على الثقافة النّبويّة لدى مذاهب المخالفين؛ فانحطّت - والعياذ باللّهِ
تعالى - معرفتهم بالنّبوة وبحقيقته ﷺ.

→ بخلاف ما عليه مدرسة أهل البيت (صلوات الله عليهم)؛ فإن معرفتها بالنبوة وبحقيقة سيد الأنبياء ﷺ معرفة عظيمة ومهولة وخطيرة جداً، وتبني على أن الوارد في بيانات القرآن الكريم، بل وفي بيانات السنة الشريفة: أن لتعريف حقيقته ﷺ وتعريف حقيقة نبوته أجناساً وفصولاً وخواصاً خطيرة ومذهلة جداً، وأخذت فيها أركاناً منها:

- ١- إن بعض طبقات حقيقته ﷺ المتوسطة ملائكية.
- ٢- إن بعض طبقات حقيقته ﷺ الصاعدة فضلاً عما فوقها فوق حقيقة القرآن الكريم الصاعدة.
- ٣- إن طبقات حقيقته ﷺ الصاعدة مُحيطات وحي زخار لا تنزف أبداً، وحقيقة القرآن الكريم ووحيه هطلة من نعيم جبال أمواج محيطات حقيقته ﷺ الغيبية المملوكية غير المتناهية.

التنبيه الثالث:

(الذكر) أحد نعوت سيد الأنبياء وسائر أهل البيت ﷺ

إن أحد أسماء ونعوت سيد الأنبياء ﷺ الواردة في بيانات القرآن الكريم: (الذكر)، ومن ثم: (أهل الذكر)، هم: أهل بيت سيد الأنبياء (صلوات الله عليهم)، كحال (يس) و(آل ياسين).

التنبيه الرابع:

جملة كُمل المخلوقات تحت أُمّت سيد الأنبياء ﷺ وهيمنته وتعليمه

الآن جملة كُمل المخلوقات من أنبياء وأوصياء وأصفياء ﷺ تحت أُمّت سيد الأنبياء ﷺ وهيمنته وتعليمه.

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي، منها:

أولاً: بيان قوله عزّ من قائل: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١].

→ فَإِنَّ كَلِمَةَ (على) الواردة في هذا البيان الشَّريف دَالَّةٌ عَلَى الْإِسْتِعْلَاءِ وَالْهِيمَنَةِ، ومعناه: أَنَّ الْبَارِيَّ تَقَدَّسَ ذِكْرُهُ أَعْطَى لِسَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ أَمَانَةً وَصَلَاحِيَّةً وَهِيمَنَةً عَلَى سَائِرِ كُمُلِ الْمَخْلُوقَاتِ، بَلْ كَافَّةِ الْمَخْلُوقَاتِ قَبْلَ هَذَا الْعَالَمِ الْأَرْضِيِّ وَمَعَهُ وَبَعْدَهُ مِنْ عَوَالِمِ الْخَلْقَةِ غَيْرِ الْمُنْتَاهِيَةِ. وَهَذَا أَحَدُ الْأَرْكَانِ الْمُهِّمَةِ الَّتِي يَنْبَغِي أَخْذَهَا فِي تَعْرِيفِ مَا هِيَ وَحَقِيقَةِ نُبُوَّتِهِ ﷺ وَمَاهِيَّتِهِ وَحَقِيقَتِهِ ﷺ.

ثَانِيًا: بَيَانُ زِيَارَتِهِ ﷺ: «... السَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ أَمِينِ اللَّهِ عَلَى وَحْيِهِ، وَعِزَائِمِ أَمْرِهِ، الْخَاتَمِ لِمَا سَبَقَ، وَالْفَاتِحِ لِمَا اسْتَقْبَلَ، وَالْمُهَيْمِنِ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ وَرَحْمَةِ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ...». بحار الأنوار، ٩٨: ٢٠٩.

وَدَلَالَتُهُ قَدْ انْتَضَحَتْ؛ فَإِنَّهُ جِيءَ بِكَلِمَةِ (على) فِي هَذَا الْمَقْطَعِ مِنْ بَيَانِ الزِّيَارَةِ الشَّرِيفَةِ فِي مُورَدَيْنِ: أَوَّلُهَا: «أَمِينِ اللَّهِ عَلَى وَحْيِهِ، وَعِزَائِمِ أَمْرِهِ». ثَانِيهَا: «وَالْمُهَيْمِنِ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ» الدَّالَّةُ عَلَى الْإِسْتِعْلَاءِ وَالْهِيمَنَةِ عَلَى جَمْلَةِ أَنْوَاعِ الْوَحْيِ الْإِلَهِيِّ وَالْمَعْرِفَةِ الْإِلَهِيَّةِ وَالتَّوْحِيدِ، مِنْهَا: مَا أُوحِيَ إِلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَجَمْلَةِ الْأَوْصِيَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

التَّنْبِيهِ الْخَامِسُ:

ذَاتُ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ وَذَوَاتُ سَائِرِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِحُورِ وَحْيِ زَخَّارَةٍ لَا تَنْقُطُ أَبَدًا إِنَّ نُبُوَّةَ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ لَا تَنْقُطُ أَبَدًا مَا دَامَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي خَلْقِهِ.

وهذا ما تُشِيرُ إِلَيْهِ بَيَانَاتُ الْوَحْيِ؛ مِنْهَا:

١- بَيَانُ قَوْلِهِ تَعَالَى ذِكْرَهُ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠].

٢- بَيَانُ قَوْلِهِ ﷺ ذِكْرَهُ: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى *
إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * [النجم: ٢-٤].

وَدَلَالَتُهُ - كَدَلَالَةِ سَابِقِهِ - وَاضِحَةٌ؛ فَإِنَّ مُرْجِعَ ضَمِيرِ (هُوَ) - فِي الْآيَةِ الثَّلَاثَةِ كَمُرْجِعِهِ فِي الْآيَتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ، أَي: فِي كَلِمَةِ (صَاحِبُكُمْ) وَ(يَنْطِقُ) - ذَاتُ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ، وَحَيْثُ عُبِّرَ عَنْهَا بِ: صِيغَةِ الْفِعْلِ الْمَضَارِعِ (يُوحَى) الدَّالِّ عَلَى

→ الاستمرار التجديدي التأييدي دلّ على أنّ ذات سيّد الأنبياء ﷺ بحر وحي لا نفاذ ولا انقطاع له أبداً.

وهذه المكرمة الإلهية تأتي أيضاً في ذوات سائر أهل البيت عليه السلام؛ فإنّ ذواتهم المقدسة بحور وحي زخّارة لا انقطاع لها أبد الآباد ودهر الدهور وعبر عوالم الخلقة غير المتناهية.

نعم، وحي ذواتهم (صلوات الله عليهم) وحي علم لدني، كحال ذات سيّد الأنبياء ﷺ؛ فإنّ فيها ينبوعين من الوحي الإلهي: أحدهما: وحي نبوة وبالواسطة. والآخر: وحي إمامة إلهية وعلم لدني ومن دون واسطة.

بعد الالتفات: أنّ سيّد الأنبياء ﷺ كما هو نبي الأنبياء هو إمام الأئمة، وأوّل مصاديق عنوان (أهل البيت صلوات الله عليهم).

فانظر: بيانات الوحي، منها:

١- بيان الإمام الصادق عليه السلام، عن صالح بن سهل، قال: «كُنْتُ جالِساَ عنده فقال لي ابتداءً منه: يا صالح بن سهل، إنّ الله جعل بينه وبين الرسول رسولا، ولم يجعل بينه وبين الإمام رسولا. قال: قلت: وكيف ذاك؟ قال: جعل بينه وبين الإمام عموداً من نور ينظر الله به إلى الإمام، وينظر الإمام به إليه، فإذا أراد علم شيء نظر في ذلك النور فعرفه». بصائر الدرجات، ٢: ٣٤٠-٣٤١/ ١٥٧١-٢.

٢- بيان الإمام الهادي عليه السلام في أجوبته على مسائل يحيى بن أكثم، قال: «... وأما قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧] فهو كذلك، لو أنّ أشجار الدنيا أقلام، والبحر يمدّه سبعة أبحر وانفجرت الأرض عيوناً لنفدت قبل أن تنفذ كلمات الله ... ونحن كلمات الله التي لا تنفذ ولا تدرك فضائلنا ...». بحار الأنوار، ١٠: ٣٨٦ - ٣٩٠/ ح ١. تحف العقول: ٤٧٦ - ٤٨١.

ودلالاتها واضحة.

إذن: وحي سيّد الأنبياء وسائر أهل البيت (صلوات الله عليهم) لا ينقطع أبداً. ←

→ بل كُلَّمَا تصاعدت العوالم كُلَّمَا كانت نُبوَّتُهُ ﷺ وإنباءهُ وإمامةُ أهل البيت ﷺ ووحِيها أعظم وأخطره؛ فَنُبوَّتُهُ ﷺ وإنباءهُ وإمامةُ أهل البيت ﷺ ووحِيها في عالم البرزخ أعظم وأخطر من دون قياس من نُبوَّتِهِ ﷺ وإنباءهِ وإمامةُ أهل البيت ﷺ ووحِيها في عالم الدنيا الأولى، ونُبوَّتُهُ ﷺ وإنباءهُ وإمامةُ أهل البيت ﷺ ووحِيها في عالم الرجعة أعظم وأخطر من دون قياس من نُبوَّتِهِ ﷺ وإنباءهِ وإمامةُ أهل البيت ﷺ ووحِيها في عالم البرزخ، ونُبوَّتُهُ ﷺ وإنباءهُ وإمامةُ أهل البيت ﷺ ووحِيها في عالم القيامة أعظم وأخطر من دون قياس من نُبوَّتِهِ ﷺ وإنباءهِ وإمامةُ أهل البيت ﷺ ووحِيها في عالم الآخرة الأبديّة أعظم وأخطر من دون قياس من نُبوَّتِهِ ﷺ وإنباءهِ وإمامةُ أهل البيت ﷺ ووحِيها في عالم القيامة، ونُبوَّتُهُ ﷺ وإنباءهُ وإمامةُ أهل البيت ﷺ ووحِيها في عالم الآخرة الأبديّة.

وعلى هذا قس أدواره ﷺ وأدوارهم (صلوات الله عليهم) ومسؤولياتهم فكلَّمَا تصاعدت العوالم عظمت وزاد خطرها وهولها أكثر.

التنبيه السادس:

سيد الأنبياء وسائر أهل البيت ﷺ أعظم ترجمان على الإطلاق لوحي السماء إنَّ ما ورد في بيان زيارة سيد الأنبياء ﷺ: «السَّلام على رسول الله أمين الله على وحيه...». [بحار الأنوار، ٩٧: ١٤٨] برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ على أنَّ سيد الأنبياء ﷺ أعظم ترجمان على الإطلاق لوحي الذات الإلهية الأزليّة المقدّسة، وعميد أُمماء ومسؤولي عالم جملة الوحي الإلهي.

وبيانها: «وعزائم أمره» برهانٌ وحيانيٌّ آخر دالٌّ على أنَّه لا تُعهد الشؤون الإلهية المهولة والخطيرة إلَّا لسيد الأنبياء ﷺ وتبعاً له أمير المؤمنين وسائر أهل البيت ﷺ؛ لأنَّهم منه: «بمنزلة الضَّوء من الضَّوء» [بحار الأنوار، ٦٤: ١٠٠]،

→ وما عداها فتعهد لسائر كُمل المخلوقات، ك: روح القدس، واسرافيل، وجبرئيل، وميكائيل، وعزرائيل، وملك السماء، وملك المطر، وهلمَّ جرّاً.
التَّنبية السَّابع:

سَيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ عَمِيدُ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ وَمُرِيهِمْ وَمُزَكِّيهِمْ وَمُعَلِّمُهُمْ
إِنَّ مَا وَرَدَ فِي بَيَانِ زِيَارَةِ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ (صلوات الله عليه) الْمُتَضَمِّنَةَ لَزِيَارَةِ جَدِّهِ
سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ: «السَّلَامُ عَلَى أَمِينِ اللَّهِ عَلَى رِسَالَاتِهِ، وَعَزَائِمِ رُسُلِهِ، وَمَعْدِنِ
الْوَحْيِ وَالتَّنْزِيلِ...» [بحار الأنوار، ٩٧: ٣٣٦] برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ عَلَى أَنَّ الْعَمِيدَ
وَالْمُشْرِفَ وَالْمُرَاقِبَ وَالْمُزَكِّيَّ وَالْمُرِّيَّ وَالْمُعَلِّمَ لَجُمْلَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ ﷺ لَيْسَ هُوَ إِلَّا
سَيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ بِطَبَقَاتِ حَقِيقَتِهِ الصَّاعِدَةِ.
التَّنبية الثَّامِن:

قَوَالِبُ بَيَانَاتِ الْوَحْيِ الْمُشِيرَةِ لَطَبَقَاتِ حَقِيقَةِ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ النَّازِلَةِ
إِنَّ مَا وَرَدَ فِي بَيَانَاتِ الْوَحْيِ الْوَارِدَةِ فِي حَقِّ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ، مِنْهَا:
أَوَّلًا: بَيَانُ قَوْلِهِ جَلَّ قَوْلُهُ: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ
يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ تَخَضِعُونَ﴾ [آل عمران: ٤٤].
ثَانِيًا: بَيَانُ قَوْلِهِ عَزَّ قَوْلُهُ: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ
مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩].
ثَالِثًا: بَيَانُ قَوْلِهِ عَزَّ مَنْ قَائِلٌ: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُ بِمِيمِنِكَ
إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨].
رَابِعًا: بَيَانُ قَوْلِهِ عَزَّ ذَكَرَهُ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا
الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ [الشورى: ٥٢].
بِرَاهِينٌ وَحَيَانِيَّةٌ نَازِلَةٌ إِلَى الْمَرَاتِبِ النَّازِلَةِ مِنْ طَبَقَاتِ حَقِيقَةِ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ،
وَكَيْنُونَتُهُ الْبَدَنِيَّةُ وَالنَّفْسَانِيَّةُ النَّازِلَةُ.
وما وَرَدَ فِي بَيَانَاتِ الْوَحْيِ الْأُخْرَى الْوَارِدَةِ فِي حَقِّهِ ﷺ، أَيْضًا، مِنْهَا:

- ١- بيان قوله جلَّ اسمه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].
- ٢- بيان قوله جلَّ ذكره: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١].
- ٣- بيان قوله جلَّ وعزَّ: ﴿وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٨].
- ٤- بيان قوله جلَّ ثناؤه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦].
- براهينٌ وحيانيةٌ ناظرةٌ إلى كينونة سيِّد الأنبياء ﷺ النُّوريَّة وطبقات حقيقته الصَّاعدة في عوالم النُّور.
- وحقيقة سيِّد الأنبياء ﷺ النُّوريَّة الصَّاعدة تهيمن على جملة الحقائق والمخلوقات وعوالمها غير المتناهية، ومن ثَمَّ تهيمن على أكمل مُطلق المخلوقات بعد حقيقته ﷺ حقيقة أمير المؤمنين عليه السلام بطبقاتها النُّوريَّة الصَّاعدة وغيرها، وتهيمن أيضاً على طبقات المخلوق الثالث بعد حقيقتيهما (صلوات الله عليهما وعلى آلهما) حقيقة فاطمة الزَّهراء عليها السلام بطبقاتها النُّوريَّة الصَّاعدة وغيرها، وعلى هذا قس حال حقائق سائر أهل البيت عليه السلام بحسب مراتبهم في الإصطفاء.
- وهذه القوالب وما شاكلها الواردة في بيانات الوحي المعرفيَّة والعقليَّة لا يُتسامح معها في الاستظهارات المعرفيَّة والعقليَّة؛ لأنَّ اللُّغة المُستعملة في البحوث والأبواب المعرفيَّة والعقليَّة لغة معرفيَّة وعقليَّة وهي تختلف اختلافاً سنخياً عن اللُّغات الاعتباريَّة، منها: اللُّغة العرفيَّة.
- وبالجملة: لا يوجد في مُدافَّة الألفاظ والعناوين والقوالب الواردة في أبواب المعارف الإلهيَّة وأبحاثها؛ والتَّدقيق فيها مُساححة وتَسْيِيب.

→ التنبية التاسع:

ما يستكنه النبي في بواطن ذاته أعظم من جملة أنواع الرياضات

وقع كثير من أصحاب المعارف البشرية وأصحاب النزعات الفلسفية والعلمانية والثقافية في ورطة الإخفاق بمعرفة حقيقة النبي؛ فظنوا أن الأنبياء ﷺ أناس انقياديون وتابعون، وليست لديهم حرية التفكير وقوة الرأي، وهذا التصور أثر على جملة من الفلاسفة القدماء، فكانوا لا ينظرون - والعياذ بالله تعالى - إلى الأنبياء ﷺ نظرة إجلال وتعظيم، فيعتقدون أن النبي مجرد مُتلقٍ للوحي، ومُتعبّد به أكثر ممّا هو باحث عن الحقيقة، وفاحص ومُنقّب عنها، ومُتفكّر بها.

لكنّها: ظنون فاسدة وخطأ واشتباه، وتوهّمات كاذبة أملتّها عليهم أنفسهم الأمّارة بالسوء، وجراة على تلك الدّوات المقدّسة لا تحفّى على ذي لبّ، وهذه الظنون وأمّالها جارية مجرى من يُريد إبطال نور الشّمس بالنفخ فيها؛ فإنّ المُتمعّن في بيانات الوحي الزاهرة وسير الأنبياء الطّاهرة يراها صارخة بخلاف ذلك، وتحمل في طيّاتها نظر الهُزء والسخرية بتلك الآراء، وتبتسم ابتسامات الاستخفاف والإزدراء بها، فإنّ حقيقة الأنبياء ﷺ شيء آخر؛ فما يستكنه النبي في بواطن ذاته أخطر وأعظم هولاً من دون قياس من جملة أنواع الرياضات: العقلية والفكرية والروحية والنفسية والبدنية الصّادرة من أعظم المرتاضين عقلياً وفكرياً وروحياً ونفسياً وبدنياً.

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي، منها :

بيان سيّد الأنبياء ﷺ: «... ولا بَعَثَ اللَّهُ نبيّاً ولا رسولاً حتّى يستكمل العقل، ويكون عقله أفضل من جميع عقول أمّته. وما يُضمّر النبي في نفسه أفضل من اجتهد المُجتهدين...». بحار الأنوار، ١: ٩١ - ٩٢/ح ١٢. أصول الكافي، ١:

١٢/ح ١١.

→ وَمِنْ ثَمَّ مَا وَرَدَ فِي بَيَانَاتِ الزِّيَارَاتِ الْوَارِدَةِ فِي حَقِّ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ: أَنَّ أَحَدَ أَوْصَافِهِ ﷺ: (الْفَاحِصُ عَنِ الْمَعْرِفَةِ وَالتَّوْحِيدِ وَالْغَائِصُ فِيهِمَا).
فَانْظُرْ:

بَيَانُ زِيَارَتِهِ ﷺ: «... وَعَلَى مُحَمَّدٍ الْخَالِصِ مِنْ صِفَتِكَ، وَالْفَاحِصِ عَنِ مَعْرِفَتِكَ، وَالْغَائِصِ الْمَأْمُونِ عَلَى مَكْنُونِ سِرِّكَ بِمَا أَوْلَيْتَهُ مِنْ نِعْمَتِكَ بِمَعُونَتِكَ ...». بَحَارُ الْأَنْوَارِ، ٩٩: ١٦٨.

إِذَنْ: أَحَدُ الْأَرْكَانِ الْمُهَمَّةِ الَّتِي يَجِبُ أَخْذُهَا فِي تَعْرِيفِ حَقِيقَةِ النُّبُوَّةِ: تَعَقُّلُ النَّبِيِّ إِجْمَالاً وَبشْكَلٍ فَطْرِيٍّ لْجُمْلَةِ أَسْرَارِ الْوَحْيِ وَالْمَعْرِفَةِ الْإِلَهِيَّةِ وَالتَّوْحِيدِ وَحَقَائِقِ الْمَلَكُوتِ قَبْلَ أَنْ يُوْحَى إِلَيْهِ تَفْصِيلاً.

التَّنْبِيهِ الْعَاشِرُ:

حَقَائِقُ أَهْلِ الْبَيْتِ ﷺ عَلَى طَبَقَاتٍ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ

هَنَّاكَ نُكْتَةً مُهِمَّةً جِدًّا يَنْبَغِي صَرْفُ النَّظَرِ إِلَيْهَا، حَاصِلُهَا: أَنَّ خَلْقَةَ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ الْجَسَمَانِيَّةِ عِدَّةُ طَبَقَاتٍ، مِنْهَا: أَبْدَانُهُ ﷺ الْكُلِّيَّةُ وَالْجَزْئِيَّةُ، وَنَفُوسُهُ الْكُلِّيَّةُ وَالْجَزْئِيَّةُ، وَأَرْوَاحُهُ الْكُلِّيَّةُ وَالْجَزْئِيَّةُ، وَعَقُولُهُ الْكُلِّيَّةُ وَالْجَزْئِيَّةُ.

وَعَلَى هَذَا قَسَ خَلْقَةُ سَائِرِ أَهْلِ الْبَيْتِ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) الْجَسَمَانِيَّةِ.

وَكَذَا قَسَ حَقَائِقُهُ ﷺ وَحَقَائِقُهُمْ ﷺ النُّورِيَّةِ؛ فَإِنَّهَا عَلَى طَبَقَاتٍ أَيْضاً.

وَمِنْهُ تَتَضَّح: كَثِيرٌ مِنْ بَيَانَاتِ الْوَحْيِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ طَبَقَةً مِنْ طَبَقَاتِ حَقِيقَةِ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ النُّورِيَّةِ مُشْتَقَّةٌ مِنْ طَبَقَةٍ أُخْرَى مِنْ طَبَقَاتِ حَقِيقَتِهِ النُّورِيَّةِ؛ أَوْ مِنْ طَبَقَاتِ أَنْوَارِ حَقَائِقِ سَائِرِ أَهْلِ الْبَيْتِ ﷺ الصَّاعِدَةِ، وَهَكَذَا طَبَقَةٌ مِنْ طَبَقَاتِ حَقِيقَتِهِ ﷺ النُّورِيَّةِ الصَّاعِدَةِ أُشْتُقَّ مِنْهَا الْعَرْشُ، وَطَبَقَةٌ أُخْرَى مِنْ طَبَقَاتِ حَقِيقَتِهِ ﷺ النُّورِيَّةِ أُشْتُقَّتْ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ.

فَلَا حَظَّ: بَيَانَاتِ الْوَحْيِ الْوَارِدَةِ فِي النَّحْوِ الْأَوَّلِ، مِنْهَا:

يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ، وَيَبْلَى مَنْ بَلِيَ مِنَّا وَلَيْسَ بِبَالٍ...» (١). (٢).

→ بيان سيّد الأنبياء ﷺ: «... فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ بَدْءَ الصَّنْعَةِ فَتَقَى نَوْرِي فَخَلَقَ مِنْهُ الْعَرْشَ، فَنَوَّرَ الْعَرْشَ مِنْ نَوْرِي، وَنَوَّرِي مِنْ نَوْرِ اللَّهِ، وَأَنَا أَفْضَلُ مِنَ الْعَرْشِ...». بحار الأنوار، ٢٥: ١٦-١٧/ح ٣٠.

ودلالته واضحة على أَنَّ الْعَرْشَ خُلِقَ مِنْ حَقِيقَةِ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ النُّورِيَّةِ الصَّاعِدَةِ.

وانظر: بيانات الوحي الأخرى الواردة في النَّحْوِ الثَّانِي، منها:
أَوَّلًا: بيان الإمامين الباقر والصادق ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ مُحَمَّدًا مِنْ طِينَةِ جَوْهَرَةٍ تَحْتَ الْعَرْشِ...». بحار الأنوار، ٢٥: ٨/ح ١١. بصائر الدرجات، ١: ٥٠/ح ٦٤.

ثانيًا: بيان الإمام الصادق ﷺ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِينَ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ فَأَمَرَ نَوْرَيْنِ مِنْ نَوْرِهِ فَطَافَا حَوْلَ الْعَرْشِ سَبْعِينَ مَرَّةً، فَقَالَ ﷺ: هَذَانِ نَوْرَانِ لِي مُطِيعَانِ، فَخَلَقَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ مُحَمَّدًا وَعَلِيًّا وَالْأَصْفِيَاءَ مِنْ وَلَدِهِ ﷺ...». بحار الأنوار، ٢٥: ٢١/ح ٣٣.

ودلالتهما واضحة؛ على أَنَّ طَبَقَةَ مِنْ طَبَقَاتِ حَقِيقَةِ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ النُّورِيَّةِ خُلِقَتْ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ.

وعليه: فَمَنْ أَرَادَ أَنْ لَا يَخْتَلِ مَسِيرَهُ الْبَحْثِي عَنْ حَقِيقَةِ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ وَحَقَائِقِ سَائِرِ أَهْلِ الْبَيْتِ (صلوات الله عليهم) الْإِطْلَاعَ عَلَى تَعَدُّدِ طَبَقَاتِ حَقِيقَتِهِ ﷺ وَطَبَقَاتِ حَقَائِقِهِمْ ﷺ الْمُشَارَ إِلَيْهَا فِي بَيَانَاتِ الْوَحْيِ.

(١) نهج البلاغة، خ ٨٦: ١٤٣.

(٢) إن معنى ما ورد في هذا البيان الوحياني الشريف وأشباهه ونظائره ليس ما فهمه بعض العرفاء والصُّوفِيَّةِ مِنْ أَنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ (صلوات الله عليهم) لَمْ يَمُوتُوا وَلَمْ يُدْفَنُوا، بَلْ مَعْنَاهُ: أَنَّهُمْ (صلوات الله عليهم) مَاتُوا وَدُفِنُوا لَكِنَّهُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ وَانْتَقَالِهِمْ إِلَى عَالَمِ الْبَرَزَخِ لَمْ تَمُتْ ارْتِبَاطَتُهُمْ وَتَصَرُّفَاتُهُمْ فِي عَالَمِنَا الْأَرْضِيِّ هَذَا، ←

وبيان الإمام الباقر عليه السلام: «جاء النَّاسُ إلى الحسن بن عليٍّ عليه السلام فقالوا: أرنا من عجائب أبيك التي كان يرينا ! فقال: وتؤمنون بذلك؟ قالوا: نعم، نؤمن والله بذلك. قال: أليس تعرفون أبي؟ قالوا جميعاً: بل نعرفه، فرفع لهم جانب الستر فإذا أمير المؤمنين عليه السلام قاعد، فقال: تعرفونه؟ قالوا بأجمعهم: هذا أمير المؤمنين عليه السلام، ونشهد أنك أنت ولي الله حقاً، والإمام من بعده، ولقد أريتنا أمير المؤمنين عليه السلام بعد موته كما أرى أبوك أبا بكر رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد قبا بعد موته. فقال الحسن عليه السلام: ويحكم أما سمعتم قول الله تعالى: ﴿وَكَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءُ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾^(١)، فإذا كان هذا نزل فيمن قُتِلَ في سبيل الله ما تقولون فينا؟ قالوا: آمناً وصدّقنا يا بن رسول الله»^(٢).

وبيان الإمام الصادق عليه السلام، عن سماعه، قال: «دخلتُ على أبي عبدالله عليه السلام وأنا أحدث نفسي، فرآني فقال: مالك تُحدث نفسك؟ تشتهي أن ترى أبا جعفر؟ قلتُ: نعم، قال: قم، فادخل البيت. فدخلتُ فإذا هو أبو

→ فيتصرّفون (صلوات الله عليهم) في هذه النشأة الأرضية ويديرون ويُدبرون أحوال وشؤون مخلوقاتنا بأبدانهم عليهم السلام البرزخية كتصرّفهم وإدارتهم وتدبيرهم لأحوالها وشؤونها قبل موتهم عليهم السلام، وتبقى ارتباطاتهم بهذه النشأة الأرضية على حالها من دون تغَيُّر واختلاف.

وبهذا البدن البرزخي يتصل المعصوم منهم وهم في عالم البرزخ بالإمام الحي؛ كـ: الإمام الحجة ابن الحسن عليه السلام.

(١) البقرة: ١٥٤.

(٢) بحار الأنوار، ٤٣: ٣٢٨-٣٢٩/ح ٨.

جعفر عليه السلام، وقال: أتى قومٌ من الشيعة الحسن بن علي عليه السلام بعد قتل أمير المؤمنين عليه السلام فسألوه فقال: تعرفون أمير المؤمنين إذا رأيتموه؟ قالوا: نعم، قال: فارفعوا الستر، فعرفوه فإذا هم بأمير المؤمنين عليه السلام لا ينكرونه، وقال أمير المؤمنين: يموت من مات مِنَّا وليس بميت، ويبقى من بقي مِنَّا حُجَّةً عليكم^(١).

وبالجملة: لو كانت حقيقة ألفاظ بيان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) المتقدّم وما شاكله محمولة على معانيها المجازيّة، ولا يصحّ الاعتقاد والعمل بمعانيها وحقائقها الحقيقيّة فمّا الدّاعي لأمير المؤمنين (صلوات الله عليه) - والذي لم يجز في عدله وقسطه خرق بصرٍ في الهواء، ولا همس قدمٍ في الأرض إلاّ بحقّه، وهو حامي الحقيقة، والمجادل والمدافع عنها، وباسط بساط العدل والجلالة، والمحامي عن الدّين، وعن المسلمين من الوقوع في الضلال والزّلل والزّيغ والانحراف - إلى بيانها بهذه الطّريقة وبهذه الألفاظ المعرفيّة والعقائديّة الخطيرة الزلقة، وتركها على إطلاقها، وهو أمير الكلام، ولم يؤوّل جلّها هو ولا غيره من سائر أهل البيت (صلوات الله عليهم) بعدما كان عليه السلام كثيراً ما يردّها كما ورد ذلك في بياناتهم عليهم السلام، وبعدها كان يُحتمل في حقّ بعض المُكلّفين حمل ألفاظها على معانيها الحقيقيّة، والاعتقاد والعمل بها، ولازمه الوقوع في الزّلل والزّيغ والضلّال والانحراف المعرفي والعقائديّ الخطير، وقد حدّرت بيناتهم عليهم السلام الشّريفة من ذلك الأسلوب.

(١) بحار الأنوار، ٢٧: ٣٠٣ - ٣٠٤/ح ٤. بصائر الدرجات: ٧٨.

إِنْ قُلْتَ: إِنَّهُ بعدما كان استعمال اللفظ وإرادة معانيه المجازية أسلوب من أساليب أهل البيان والفصاحة والبلاغة واللغة^(١) فاستعمل أمير

(١) سُمِّيَت اللغة العربية بذلك لأنَّ فيها إظهار واعراب وبيان وإفصاح عمَّا تقتضيه

الفطرة، المُشار إليها في بيانات الوحي، منها:

١- بيان قوله عزَّ من قائل: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ وَلَكِنِ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النور: ٣٠].

٢- بيان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): «... فبعث فيهم رسله، وواتر إليهم أنبياءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منسي نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ، ويثيروا لهم دفائن العقول، ويروهم آيات المقدرة...». نهج البلاغة، الخطبة الأولى: ٤٥-٤٦.

والفطرة عبارة عن ولاية الله تعالى، وولاية سيّد الأنبياء ﷺ، وولاية سائر أهل البيت (صلوات الله عليهم). وهذا هو دين الله القويم.

فلاحظ: بيانات الوحي المعرفية، منها:

بيان تفسير الإمام الصادق (صلوات الله عليهم): «في قول الله ﷻ: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]، قال: التوحيد، ومحمد رسول الله، وعليّ أمير المؤمنين». بحار الأنوار، ٣: ٢٧٨/ح ٩.

ومنه يتضح: عنوان ولفظ (العربي)؛ فإنَّ معناه: المؤمن، وهو عنوان شامل لصاحب القومية العربية وغيره من الأعاجم؛ فبمقتضيات فطرته يعرب ويُفصح عن إيمانه بالله وبرسوله ﷺ، وبأهل البيت (صلوات الله عليهم).

وإلى هذا المعنى تُشير بيانات الوحي الأخرى، منها:

بيان الإمام الصادق (صلوات الله عليه): «... إِنَّ الْعَرَبَ لَا تَبْغُضُ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ...».

[بحار الأنوار، ٨: ٢٢/ح ١٦. ثواب الأعمال: ٢٠٢] أي: أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ ←

المؤمنين ﷺ - وهو إمام البيان والفصاحة والبلاغة - ألفاظ هذه البيانات الشريفة وأراد معانيها المجازية.

قلت: إنه بعدما كان يُحتمل في حق بعض المكلفين قبل بيان التّأويل والحمل على المعاني المجازية الصّادرة عن الإمام الباقر ﷺ مثلاً، أو مَنْ إطلع على بيان أمير المؤمنين ﷺ ولم يطلع على بيان الإمام الباقر ﷺ مثلاً؛ الحامل له على معانيه المجازية، أو إطلع على بيان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ولم يكن هناك تأويل وحمل على المعاني المجازية، أو قرينة صارفة عن هذه الألفاظ من قبله (صلوات الله عليه) أو من قبل سائر أهل البيت (صلوات الله عليهم)؛ كما هو حال الجَم الغفير من هذه البيانات الوحيانية الشريفة، فإنهم (صلوات الله عليهم) أطلقوها ولم يؤوّلوها ويحملوها على معانيها المجازية أو يقرنوها بقرائن تصرفها عن معانيها الحقيقية، واعتقد وعمل هذا البعض بالمعاني الحقيقية لألفاظها، ولازمه الوقوع في الزلل والزيف والضلال والإنحراف المعرفي والعقائدي الخطير، فعلى العاقل اجتناب هذا

→ وبرسوله ﷺ وبسائر أهل البيت ﷺ لا يبغضون أمير المؤمنين وبقية أهل البيت ﷺ.

وكذا يتّضح: عنوان ولفظ (الأعجمي)؛ فإنّ معناه: الضّال، ومنكوس الفطرة.

طبيعة اللغة العربية ونكتة اختيارها لنزول القرآن بلسانها

ومن كلّ هذا تتّضح: نكتة نزول القرآن الكريم باللغة العربية؛ فإنّها مُفتحة بطبيعتها على معاني متعدّدة، وفيها بيان وإحكام لم يوجد في لغة أخرى قطّ، توصل إلى حقائق غير متناهية.

الأسلوب^(١)، وأمير المؤمنين عليه السلام بعدما كان سيّد العقلاء ورأس هرمهم بعد سيّد الأنبياء صلى الله عليه وآله، وهو المعصوم الملتفت لهذه الإحتياجات وغيرها، ولم توجد ضرورة ملجئة إلى استعمال هذا الأسلوب في المقام، فيحصل جزم ويقين من استعمالاته واستعمالات سائر أهل البيت (صلوات الله عليهم) في المقام إرادتهم لمعانيها الحقيقية.

وهذا برهان عقلي ووجداني دال على أنّ أمير المؤمنين وسائر أهل البيت (صلوات الله عليهم) حينما يستعملون هذه الألفاظ والعناوين الوحيانيّة في أبواب المعارف والعقائد يقصدون بها معانيها الحقيقية.

نعم، إذا ظهرت أمارات عدم تحمّل الطرف، أو علّم (صلوات الله عليه) بعدم قابليّته واستعداده لتحمل معانيها وحقائقها الخطيرة الزلّة أوّلها؛ دفعاً عن وقوعه في الزيغ والزلل والضلال والإنحراف. بخلاف من له القابليّة والاستعداد على تحمّل معانيها وحقائقها الموهلة من خُصّ شيعتهم (صلوات الله عليهم) - ك: سلمان، وأبي ذرّ، وجابر الجعفي - فالإمام عليه السلام يبقّيها على حالتها من دون تأويل، فلاحظ بياناتهم (صلوات الله عليهم)؛ الّتي ذكرت فيها ألفاظ دالّة على معاني وحقائق خطيرة وموهلة جدّاً، حاكية لعلو مقاماتهم وشؤونهم وكمالاتهم وفضائلهم، وكان الطرف من خُصّ شيعتهم عليهم السلام فإنّك ستجدهم (صلوات الله عليهم) يطلقونها ويقيمونها دالّة

(١) أي: إطلاق الألفاظ وعدم حقّها بقرائن دالّة على معانيها المجازيّة إن كانت هي المقصودة.

على معانيها الحقيقية من دون تأويل وحمل على معانيها المجازية.

وهذه النكتة تجري في جملة بيانات الوحي الواردة في أبواب المعارف إن أمكن حملها على معانيها الحقيقية كما هو الحال في المقام.

ولكَ أَنْ تقول: إِنَّ الحقيقة على درجاتٍ وطبقاتٍ ومراتبٍ غير متناهية: في البدو والسطح والظاهر، والعمق والغور، والباطن وباطن الباطن جميعها مرادة، لكنَّ بيانها يكون من باب بيان الصحيح والأصح، والحقُّ والأحقُّ، أحدها: ابتدائيٌّ؛ يُعطى ك معلومة لضعفاء العقول، كحال إيصالها لتلامذة الصُّفوف الابتدائية - ك: (تأويل الألفاظ وحملها على معانيها المجازية) - ؛ فإنَّها^(١) وإن كانت حقَّة، لكنَّها خالية من العمق والغور، وهذا هو أسلوب الوحي في إيصال المعلومة لضعفاء المُكلِّفين - وإن كان من المؤمنين -؛ ممَّن لا يتحمَّل مرتبة أعلى من العقائد والمعارف الإلهية.

وإلى هذا تشير بيانات الوحي الأخرى - إضافة إلى ما تقدَّم - منها:

١- بيان أمير المؤمنين عليه السلام: «... والله لو ناديتُ في عسكري هذا بالحقِّ الَّذي أنزل الله على نبيِّه، وأظهرته ودعوتُ إليه، وشرحتُه وفسرته على ما سمعتُ من نبيِّ الله صلَّى الله عليه وآله ما بقي فيه إلَّا أَقَلُّه وأزَلُّه وأرذلُه، ولاستوحشوا منه، ولتفرَّقوا عني...»^(٢).

(١) مرجع الضمير: (المعلومة الابتدائية المُعطاة لضعفاء العقول).

(٢) بحار الأنوار، ٧٢: ٤١٣/ح ٦٤.

وظاهره: أَنَّهُ (صلوات الله عليه) ليس بناظرٍ إلى مرتبة تنزيل وظاهر معاني وحقائق بيانات الوحي، بل إلى مراتب تأويلها وبواطنها وأصول حقائقها ومآلاتها وغاياتها، وبيان معانيها وحقائقها الخفية الخطيرة الموهلة، الدالة على مقامات ومراتب حقائق أهل البيت (صلوات الله عليهم) الصاعدة، وكمالاتهم وفضائلهم الرفيعة السامية، التي لا غاية لعددتها، ولا نهاية لمدها، ولا نفاد لأمدّها، نور الأنوار، ومحل سرّ الأسرار، وعنصر الأبرار، والسبيل والمنهاج، والماء الشّجّاج، والبحر العجّاج، والتي لا يرتقيها الحافر، ولا يوفي عليها الطائر، فتلك المعاني والحقائق إنّ كشف نقابها، وبُيِّنَتْ وُشِّرَتْ وُفِّسَتْ لِاسْتَوْحَاشِ منها عسكره ومواليه وشيعته (صلوات الله عليه)، وتفرّقوا عنه.

وألفاظ التنزيل ومعانيها وحقائقها وإن كانت صحيحة وحقّة، لكن تأويلها وأصل حقائقها ومآلاتها وغاياتها؛ ومعانيها الخفية أصحّ وأحقّ. ومعناه: أَنَّ الإمام بالحقيقة على مراتب غير متناهية في بحورٍ مّوّاجة؛ لا يُدرك طرفها، ولا يبلغ عمق غورها.

٢- بيان إِمضائه (صلوات الله عليه) لِمَا ذكره سلمان عليه السلام: « دخل سلمان عليه السلام على أمير المؤمنين فسأله عن نفسه، فقال: يا سلمان، أَنَا الَّذِي دُعِيتَ الْأُمَمَ كُلَّهَا إِلَى طَاعَتِي فَكَفَرْتَ فَعُدَّتْ بِالنَّارِ، وَأَنَا خَازِنُهَا عَلَيْهِمْ حَقًّا، أَقُولُ يَا سَلْمَانَ: إِنَّهُ لَا يَعْرِفُنِي أَحَدٌ حَقَّ مَعْرِفَتِي إِلَّا كَانَ مَعِيَ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى ... قَالَ سَلْمَانُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَقَدْ وَجَدْتُكَ فِي التَّوْرَةِ كَذَلِكَ، وَفِي الْإِنْجِيلِ كَذَلِكَ

بأبي أنت وأُمِّي يا قتيل كوفان، والله لولا أن يقول النَّاسُ: واشوقاه، رحم الله قاتل سلمان لقلتُ فيكَ مقالاً تشمئزُّ منه النفوس؛ لأنَّك حُجَّةُ الله الَّذي به تاب على آدم، وبك أنجي يوسف من الجبِّ، وأنتَ قصَّةُ أيوب، وسبب تغيُّر نعمة الله عليه ...» (١).

٣- بيانه (صلوات الله عليه)، الوارد في حقِّ سلمان، مخاطباً أبا ذرٍّ رضي الله عنه: «... فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا أبا ذر، إنَّ سلمان لو حدَّثكَ بما يعلم لقلتُ: رحم الله قاتل سلمان، يا أبا ذر، إنَّ سلمان باب الله في الأرض، من عرفه كان مؤمناً، ومن أنكره كان كافراً، وإنَّ سلمان مِنَّا أهل البيت» (٢).

ودلالتهما قد اتَّضحت؛ فإنَّهما ليسا بناظرين إلى مرتبة التَّنزيل؛ وظاهر معاني وحقائق بيانات الوحي، بل إلى درجات وطبقات ومراتب تأويلها وبواطنها وأصول حقائقها، ومآلاتها وغاياتها، وبيان معانيها وحقائقها الخفية الخطيرة المهولة، الدَّالَّة على مقامات وطبقات ومراتب حقائق أهل البيت (صلوات الله عليهم) الصَّاعدة، وكمالاتهم وفضائلهم الرِّفِعة السَّامية، الَّتِي إنَّ بَيْنَها من اطلع عليها - ك: سلمان - لزم عند الطَّرْف الآخر - صاحب القابليَّة النَّازلة، والإستعداد الهابط - الحُكْم عليه ب: الكفر والشرك والغلو، ثمَّ استحلال دمه، وهتك عرضه، وسلب أمواله. فأَيُّ خطورة وهول وعظمة، وأَيُّ رفعة وكمال تتَّصف به مقامات وشؤون وأحوال وحقائق أهل البيت

(١) بحار الأنوار، ٢٦: ٢٩٢-٢٩٣/ح ٥٢. كنز الفوائد: ٢٦٤-٢٦٥.

(٢) بحار الأنوار، ٢٢: ٣٧٣-٣٧٤/ح ٢. رجال الكشي: ١٠.

صلوات الله عليهم. ولعلَّ سلمان مع ما له من مقام عظيم لو اطلع على ما في قلب أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) لقال في حقِّه عليه السلام كما يقول أبو ذر في حقِّه عليه السلام. وهذا ما تشير إليه بيانات الوحي، الدالة على أنَّ بعض مراتب علومهم (صلوات الله عليهم) لا يتحمَّلها مخلوق قطُّ إلاَّ هم صلوات الله عليهم.

فانظر :

بيان الإمام الصادق عليه السلام، عن أبي الصَّامت، قال: «سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: إِنَّ من حديثنا ما لا يحتمله ملكٌ مُقَرَّب، ولا نبيٌّ مُرْسَل، ولا عبدٌ مؤمن. قُلْتُ: فَمَنْ يحتمله؟ قال: نحن نحتمله»^(١).

إذْنُ: هذه البيانات الوحيانيَّة الثلاثة دالة على أنَّ الحقيقة ومعانيها وبياناتها على درجات وطبقات ومراتب غير متناهية في السَّطح والغور والباطن، تُعطى وتُزَرَّق للمخلوقات بقدر تحمُّلها واستعداداتها وقابليَّاتها.

هذا هو أسلوب الوحي وأسلوب رجالاته - كما هو أسلوب العقلاء - في ضَخِّ المعلومة وإيصالها للطَّرف.

٤- بيان الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ أمرنا سرٌّ مستتر، وسرٌّ لا يفيدُه إلاَّ السرُّ، وسرٌّ على سرٍّ، وسرٌّ مقنع بسرٍّ»^(٢).

٥- بيانه عليه السلام أيضاً: «إِنَّ أمرنا هو الحقُّ، وَحَقُّ الحقِّ، وهو الظَّاهر،

(١) بحار الأنوار، ٢: ١٩٣/ح ٣٦.

(٢) المصدر نفسه: ٧١/ح ٣١.

وباطن الظاهر، وباطن الباطن، وهو السرّ، وسرّ السرّ، وسرّ المستسر^(١)، وسرّ مقنّع بالسرّ^(٢).

ودلالته - كدلالة سابقه - قد اتّضحت، وأصبحت لا غبار عليها.

إذن: هذه وما شاكلها من الآيات والصفات والأسماء الإلهية^(٣) التي

(١) في نسخة: (وسرّ المستسر).

(٢) بحار الأنوار، ٢: ٧١/ح ٣٣.

(٣) يجدر صرف النظر في المقام إلى الأمور التالية:

الأمر الأول:

للحقائق وجودات أربعة

قُرّر في المباحث العقلية: أنّ للشيء الواحد وجودات أربعة :

أحدها: الوجود الكتبي (النقشي).

ثانيها: الوجود اللفظي.

ثالثها: الوجود الذهني (المعنى).

رابعها: الوجود الخارجي.

والأولان وجودان إعتباريان، والأخيران وجودان حقيقيّان، نعم الوجود الذهني

بداية الوجود الحقيقي.

ومنه يتّضح: أنّ الوجودات الكتبية لبيانات القرآن الكريم وللصفات والأسماء

الإلهية وإن كانت عظيمة ومقدّسة ويُحرّم على المُحدّث مسّها، لكن عظمتها

وقدسيّتها أفيضت عليها من قدسيّة العين الخارجيّة والوجودات العينية وحقائقها

الصّاعدة.

ومنه يتّضح أيضاً: أنّ من يلتفت إلى هذه الأقسام الأربعة المبدّهة فستفتح له آفاقاً

لفهم اللّغة العقلية.

→ الأمر الثاني:

الفارق بين الاسم الإلهي ومسماه

إنَّ الاسم الإلهي - ك: اسم (الله) - مخلوق من المخلوقات الإلهية المقدسة، وليس هو المسمى - صاحب الذات الإلهية الأزلية المقدسة -، بل نعت له وحاكٍ عنه، وهو - الاسم الإلهي -: نوع بهاء وجلال وجمال حاكٍ وكاشف عن بهاء وجلال وجمال الذات الإلهية المقدسة.

نزوع فطرة المخلوق نحو الكمال المطلق

ثمَّ إنَّ النزعة الفطرية لدى جملة المخلوقات وفي كافة العوالم غير المتناهية على شدتها وضعفها والهة ومُتَحَيِّرة ومُنْجَذِبَة، وتنزع بشدة في سير دائم ومستمر نحو مطلق الكمال، وهو: (الذات الإلهية الأزلية المقدسة)، فلمعان غير المحدود هو الذي يقض مضجع كل محدودٍ للتكامل.

وإلى هذا أشارت بيانات الوحي، منها:

١- بيان قوله تَقْدَسِ ذكره: ﴿فَاقُمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

٢- بيانه ﷺ: «... وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَطْلُبُونَهُ كَمَا تَطْلُبُونَهُ أَنْتُمْ». بحار الأنوار، ٦٦: ٢٩٢.

ولا بُدَّ للكمال من طريق ووسيلة، ولا تتناهى الوسائل والطرق إلى حدٍّ. وحقائق أهل البيت (صلوات الله عليهم) لا سيما طبقاتها الصاعدة رأس هرم تلك الطرق والوسائل في جملة العوالم ولدى جميع المخلوقات؛ فلا يمكن لمخلوق البتة ولا لأعماله وعباداته الوصول لساحة القدس الإلهية إلا عن طريقها.

الأمر الثالث:

استعمال الاسم الإلهي طريقي وموضوعي

→ إِنَّ اسْتِعْمَالَ الْإِسْمِ الْإِلَهِيِّ ك: اسْم (اللَّهِ) عَلَى نَحْوَيْنِ، فَتَارَةً يُطْلَقُ وَيُرَادُ بِهِ الْمُسَمَّى، وَمَا وَرَاءَ الْإِسْمِ الْإِلَهِيِّ، أَيْ: الذَّاتُ الْإِلَهِيَّةُ الْأَزَلِيَّةُ الْمُقَدَّسَةُ، وَأُخْرَى يُطْلَقُ وَيُرَادُ بِهِ نَفْسُ الْإِسْمِ الْإِلَهِيِّ، وَهُوَ: مَخْلُوقٌ عَظِيمٌ وَخَطِيرٌ وَمَهُولٌ جَدًّا، مِنْ مَخْلُوقَاتِ عَالَمِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ، يَحْكِي الذَّاتُ الْإِلَهِيَّةُ الْأَزَلِيَّةُ الْمُقَدَّسَةُ مِنْ وَجْهِهِ، مَهِيْمٌ عَلَى مَا تَحْتَهُ مِنْ عَوَالِمٍ وَمَخْلُوقَاتٍ، وَيَتَصَرَّفُ فِيهَا تَصَرُّفَ اللَّطِيفِ فِي الْأَغْلَظِ، فَهُوَ: «دَاخِلٌ فِيهَا لَكِنْ لَا بِالْمَزَاوِلَةِ وَالْمَازَحَةِ، وَخَارِجٌ عَنْهَا لَكِنْ لَا بِالْمَزَاوِلَةِ وَالْمَفَارِقَةِ».

والاستعمال الأول هو الأكثر إنسباقاً إلى الذهن، وهو استعمال آلي وطريقي للوصول إلى ما وراء حقيقته وواقعته الشريفة، والاستعمال الثاني موضوعي. ثُمَّ إِنَّهُ يَنْبَغِي الْإِلْتِفَاتُ: أَنَّ الْأَلِيَّةَ وَالْمَوْضُوعِيَّةَ لَيْسَتْ فِي لَفْظِ الْإِسْمِ الْإِلَهِيِّ الْمُقَدَّسِ، وَلَا فِي مَعْنَاهُ، بَلْ فِي مَا وَرَاءَ الْمَعْنَى مِنْ وَاقِعِيَّةٍ وَحَقِيقَةٍ مُقَدَّسَةٍ، فَيُنْظَرُ إِلَى تِلْكَ الْوَاقِعِيَّةِ وَالْحَقِيقَةِ الْمُقَدَّسَةِ تَارَةً بِمَا هُوَ آيَةٌ وَعَلَامَةٌ مُشِيرٌ وَحَاكِي لِلذَّاتِ الْإِلَهِيَّةِ الْأَزَلِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ، وَأُخْرَى بِمَا هُوَ كَوَاقِعِيَّةٌ وَحَقِيقَةٌ وَوُجُودٌ مُقَدَّسٌ، مَخْلُوقٌ خَطِيرٌ وَمَهُولٌ وَعَظِيمٌ جَدًّا مِنْ عَالَمِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ؛ عَالَمِ السَّرْمَدِ وَالْأَزَلِ، وَالْمُعَبَّرُ عَنْهُ فِي بَيَانَاتِ الْوَحْيِ بِ: عُنْوَانٍ: (عنده). فالتفت.

الأمر الرابع:

وحدة حقيقة الصفات الإلهية وما يُسانخها من حقائق الأسماء الإلهية

سيأتي (إن شاء الله تعالى) في مبحث: (الصفات والأسماء الإلهية): أَنَّ الصِّفَاتِ الْإِلَهِيَّةَ وَمَا يُسَانَخُهَا مِنَ الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ، ك: صِفَةٍ (الْأُلُوْهِيَّةِ) وَاسْمِ (اللَّهِ)، وَ(الْقِيُومِيَّةِ) وَ(الْقِيُومِ) مُتَّحِدَانِ ذَاتًا مُتَغَايِرَانِ بِالِاعْتِبَارِ الذَّهْنِيِّ، كَحَالٍ: اسْمُ الْمَصْدَرِ وَالْمَصْدَرُ بِلِحَازٍ مَعْنَاهُمَا وَوَاقِعُهُمَا عِنْدَ مَشْهُورِ الْأُصُولِيِّينَ؛ فَإِنَّهُمْ قَالُوا: إِنَّهُمَا مُتَّحِدَانِ وَدَالَّانِ بِلِحَازِ الْمَعْنَى وَالْوَقَاعِ عَلَى الْحَدَثِ فَحَسَبَ، وَالتَّكْثُرُ يَحْصُلُ فِي اللَّحَازِ الذَّهْنِيِّ؛ فَإِنْ لَاحِظَ الذَّهْنُ الْحَدَثَ بِمَا هُوَ شَيْءٌ فِي نَفْسِهِ مَعَ قَطْعِ النَّظَرِ ←

→ عن كونه وصفاً للغير أطلق عليه: (اسم مصدر). وإن لاحظته بما هو حالة للغير - أعم من أن يكون ذلك الغير فاعل الحدث أو الذي وقع عليه الحدث - أطلق عليه: (مصدر)، ومن ثم تكون جميع المصادر معانٍ حرفية. وهذه الضابطة ذكرها صاحب الكفاية.

وللتوضيح: لاحظ المثالين التاليين:

١- عطاء (اسم مصدر). أعطى، وإعطاء (مصدر).

٢- نبات (اسم مصدر). أنبت، وإنبات (مصدر).

هكذا حال الصفات والأسماء الإلهية المسانخة لها، فإنَّها مُتَّحِدَانِ ذاتاً وواقعاً، ومتغايران بالاعتبار واللحاظ الذهني، فإنَّ الذَّهن إنَّ لاحظ الصِّفة الإلهية من دون نسبتها إلى الذات الإلهية الأزليَّة المُقدَّسة عبَّرَ عنها: (صفة إلهية)، مثالها: (القيومية). وإنَّ لاحظها منسوبة إلى الذات الإلهية الأزليَّة المُقدَّسة عبَّرَ عنها: (اسم إلهي)، مثالها: (القيوم).

الأمر الخامس:

دولة الأسماء الإلهية

إنَّ المراد من أيام الأسماء الإلهية الواردة في بيانات الوحي كبيان قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]: عوالم وتجليات الأسماء والصفات الإلهية. ويُعبَّر عنها أهل المعرفة بـ: (دولة الأسماء).

ثمَّ إنَّ يوم الأسماء والصفات الإلهية أعظم من يوم عالم القيامة المشار إليه في بيان قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مَقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤].

الأمر السادس:

لمطلق الفعل الإلهي حركة

→ إِنَّ مَا وَرَدَ فِي بَيَانِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًا صَفًا﴾ [الفجر: ٢٢] بِرَهَانٍ وَحَيَانِيٍّ دَالٍّ عَلَى أَنَّ لِفِعْلِ اللَّهِ - لَا لذَاتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - حَرَكَةً.
لَكِنْ: ذَهَبَ الْمُجَسِّمَةُ (وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ تَعَالَى) إِلَى ثُبُوتِهَا لِلذَّاتِ الْإِلَهِيَّةِ الْأَزَلِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ أَيْضاً (سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا).

الْأَمْرُ السَّابِعُ:

تَنْزَهُ الذَّاتُ الْمُقَدَّسَةُ عَنْ مُطْلَقِ صِفَاتِ الْمَخْلُوقَاتِ

إِنَّ الْبَارِي - الْمُسَمَّى - تَقَدَّسَ ذِكْرُهُ مُنْزَهُ عَنْ جُمْلَةِ مَخْلُوقَاتِهِ، مِنْهَا: الْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ الْإِلَهِيَّةُ؛ فَعَلِيَّةٌ كَانَتْ أَمَّ ذَاتِيَّةٌ؛ فَإِنَّ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الذَّاتِيَّةِ - فَضْلاً عَنْ غَيْرِهَا - تَعَدُّدٌ وَكَثْرَةٌ، وَالكَثِيرُ غَيْرُ الْوَاحِدِ، وَالْوَاحِدُ مُنْزَهُ عَنِ الْكَثِيرِ؛ لِأَنَّ الْكَثِيرَ يَعْنِي: حُدُودَ وَنَهَايَاتٍ وَفَوَاصِلَ، وَهَذِهِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ حُدُودَ خَلْقِيَّةٍ؛ لَكِنَّهَا نَمَطٌ مِنَ الْحُدُودِ؛ فَإِنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ مَتْنَاهِيَّةٍ فِي نَفْسِهَا، لَكِنَّهَا فِي قِبَالِ بَعْضِهَا الْآخَرِ لَهَا نَهَايَاتٌ وَحُدُودٌ، وَهَذِهِ النِّهَايَاتُ وَالْحُدُودُ لَيْسَتْ بِنَهَايَاتٍ وَحُدُودٍ خَلْقِيَّةٍ، بَلْ حُدُودٌ وَتَنَاهِي الشُّؤُنِ الْإِلَهِيَّةِ، فَالاسْمُ الْإِلَهِيُّ (الْأَوَّلُ) - مَثَلًا - وَإِنْ كَانَ غَيْرَ مَتْنَاهِيٍّ بِنَفْسِهِ وَبِالْأَوَّلِيَّةِ، لَكِنَّهُ إِذَا قُوِيَ بِالاسْمِ الْإِلَهِيِّ (الْآخَرِ) - مَثَلًا - صَارَ مَتْنَاهِيًّا وَمَحْدُودًا؛ فَلَا يُغْنِي ذِكْرُ الْاسْمِ الْإِلَهِيِّ (الْأَوَّلِ) عَنِ الْاسْمِ الْإِلَهِيِّ (الْآخَرِ)، وَكَذَا الْعَكْسُ، وَهَكَذَا لَا يُغْنِي ذِكْرُهُمَا عَنِ ذِكْرِ الْاسْمِ الْإِلَهِيِّ (الْحَيِّ) - مَثَلًا -، وَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ لَا يُغْنِي ذِكْرُهُمَا عَنِ ذِكْرِ الْاسْمِ الْإِلَهِيِّ (الْعَالِمِ) - مَثَلًا -، وَهَلُمَّ جَرًّا، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْكَمَالَ الْمَوْجُودَ فِي وَصْفِ الْأَوَّلِ وَالْأَوَّلِيَّةِ - مَثَلًا - لَا يُغْنِي عَنِ كَمَالِ سَائِرِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ، وَلَا يَسْتَوْعِبُ كَامَلَاتِ الذَّاتِ الْإِلَهِيَّةِ الْأَزَلِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ. وَمَعْنَاهُ: أَنَّ كَمَالَ اللَّهِ - الْمُسَمَّى - جَلَّ شَأْنُهُ أَوْسَعُ وَأَعْظَمُ مِنْ جُمْلَةِ كَامَلَاتِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ، وَيُحِيطُ بِهَا، فَعَلِيَّةٌ كَانَتْ - تِلْكَ الْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ - أَمَّ ذَاتِيَّةً.

وَيُعَبَّرُ أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ - اقْتِبَاسًا مِنْ بَيَانَاتِ الْوَحْيِ - عَنْ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ بِ: (دَوْلَةُ الْأَسْمَاءِ)، وَمَعْنَاهُ: أَنَّ لِكُلِّ اسْمٍ إِلَهِيٍّ وَصِفَةٍ إِلَهِيَّةٍ دَوْلَتَهُ.

→

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي، منها:

- ١- بيان قوله تعالى: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].
 - ٢- بيان دعاء الافتتاح: «... ايقنْتُ أَنَّكَ أَنْتَ أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ في موضع العفو والرحمة، وَأَشَدُّ الْمُعَاقِبِينَ في موضع النِّكَالِ والنِّقْمَةِ، وأعظم المُتَجَبِّرِينَ في موضع الكبرياء والعظمة...». بحار الأنوار، ٩٤: ٣٣٧. كتاب الاقبال: ٤٧ - ٥٧.
- ود لالتها قد اتضحت.

وهذا بخلاف ما تحرّصته الأشاعرة - والعياذ بالله تعالى -؛ فإنهم ذهبوا إلى خواء الذات الإلهية المقدّسة من الكمالات، وأنّ كما لها بالصفات الإلهية. والحق: أنّ الذات المقدّسة جامعة لكافة الكمالات، وكمالات الأسماء والصفات الإلهية مُترشّحة منها. وتصوير هذه الدرجة - مع أنّها مذكورة في بيانات الوحي - عصت على أصحاب مدارس البشر المعرفية، منهم: الملا صدرا والسيد الطباطبائي. نعم هضمها بدرجة ما أهل المعرفة. ومنه يتضح: أنّه لم يُنزّه الذات المقدّسة مخلوق قطّ عبر جملة العوالم كما نزّهه أهل البيت (صلوات الله عليهم).

الأمر الثامن:

نفي التّعطيل والتّشبيه في مقام الأسماء والصفات والأفعال الإلهية

نفي التّعطيل والتّشبيه في مقام الشّهادات الثلاث

شمول كلمة التّوحيد للشّهادات الثلاث

الثّابت في بيانات الوحي: أنّ التّعطيل والتّشبيه كما أنّها باطلان في مقام توحيد ومعرفة الذات الإلهية الأزليّة المقدّسة باطلان أيضاً في مقام الأسماء والصفات والأفعال الإلهية.

ومعناه: عدم كفاية نفي التّعطيل والتّشبيه في مقام أصل المعرفة الإلهية، بل أنّ يُضاف إليها نفيها في مقام الأسماء والصفات والأفعال الإلهية، وحيث إنّ الولاية الإلهية فعل من الأفعال الإلهية فمن ينفيها ويحدها وينفي مقام نصب القيادة ←

→ الإسلامية فقد عطلَّ الله ﷻ والتَّوحيد - ليس في مقام وصعيد التشريع فحسب، بل و - في مقام وصعيد التنفيذ والتَّكوين والأفعال الإلهية، ويكون حاله كحال اليهود القائلين - والعياذ بالله تعالى -: أَنَّ الله مغلوب على أمره، ويده مغلوله في مقام الأفعال، لا سيما الأفعال الكبرى: المجتمعية والحضارية والمتعلّقة بمصير البشرية والبيئة والنَّشأة الأرضية والكون، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يُدُّ اللَّهُ مَغْلُولَةً غَلَتْ أَيْدِيَهُمْ وَلَعَنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤]. ودلالته واضحة.

وبالجملة: النبوة مظهر توحيدي في مقام تشريع الأحكام الإلهية، والإمامة مظهر توحيدي أيضاً لكن في مقام الولاية والحاكمة الإلهية وتطبيق الأحكام الإلهية، ومن ثمَّ من لم يعتقد بخليفة الله لم يعتقد بتوحيد الله (تعالى ذكره). وإلى هذا أشارت بيانات الوحي، منها:

بيان الإمام الرضا (صلوات الله عليه)، عن إسحاق بن راهويه، قال: «لَمَّا وافى أبو الحسن الرضا عليه السلام نيسابور وأراد أن يخرج منها إلى المأمون اجتمع عليه أصحاب الحديث، فقالوا له: يابن رسول الله ترحل عنا ولا تُحدِّثنا بحديث فنستفيده منك - وكان قد قعد في العمارة - فَأَطْلَعَ رأسه وقال: سمعتُ أبي موسى ابن جعفر سمعت يقول: سمعتُ أبي جعفر بن محمد يقول: سمعتُ أبي محمد بن عليّ يقول: سمعتُ أبي عليّ بن الحسين يقول: سمعتُ أبي الحسين بن عليّ بن أبي طالب يقول: سمعتُ أبي أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب - عليه السلام - يقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: سمعتُ جبرئيل يقول: سمعتُ الله ﷻ يقول: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حِصْنِي، فَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ عَذَابِي . قال: فَلَمَّا مَرَّتِ الرَّاحِلَةُ نادانا: بشروطها، وأنا من شروطها». بحار الأنوار، ٣: ٧/ ح ١٦.

وهذا برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ على أَنَّ كلمة التَّوحيد (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) ليست تهليل وتوحيد في مقام الذات الإلهية الأزلية المقدسة وأصل المعرفة الإلهية فحسب، بل وفي مقام الصفات والأسماء والأفعال الإلهية كتشريع الأحكام الإلهية وهو ←

→ مضمون الشهادة الثانية، وولاية الله ﷻ وحاكميته وتطبيق الأحكام الإلهية، وهو مضمون الشهادة الثالثة.

ومنه يتضح: الجَم الغفير من بيانات الوحي، منها:

١- بيان الحديث القدسي الوارد في حديث المعراج: «... يا مُحَمَّد، إِنَّكَ رَسُولِي إِلَى جَمِيعِ خَلْقِي، وَإِنَّ عَلِيًّا وَلِيِّي وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَلَى ذَلِكَ أَخَذْتُ مِيثَاقَ مَلَائِكَتِي وَأَنْبِيَائِي وَجَمِيعِ خَلْقِي وَهُمْ أَرْوَاحٌ مِنْ قَبْلِ أَنْ أَخْلُقَ خَلْقًا فِي سَمَائِي وَأَرْضِي...». بحار الأنوار، ١٨: ٣٩٩/ح ١٠١. المحتضر: ١٤٣-١٤٦.

٢- بيان الحديث القدسي أيضاً، عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيْثُ خَلَقَ الْخَلْقَ ... أَخَذَ الْمِيثَاقَ عَلَى النَّبِيِّ فَقَالَ: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ ثُمَّ قَالَ: وَأَنَّ هَذَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّ هَذَا عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالُوا: بَلَى، فَثَبَّتَ لَهُمُ النَّبُوَّةَ، وَأَخَذَ الْمِيثَاقَ عَلَى أُولِي الْعِزْمِ: أَنِّي رَبُّكُمْ، وَمُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، وَعَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَوْصِيَائِهِ مِنْ بَعْدِهِ وَلَا أَمْرِي وَخُزَّانَ عِلْمِي... قَالُوا: أَقْرَرْنَا وَشَهِدْنَا يَا رَبِّ...». بحار الأنوار، ٢٦: ٢٧٩/ح ٢٢. بصائر الدرجات: ٢١.

٣- بيان سيّد الأنبياء مُحاطباً أمير المؤمنين (صلوات الله عليهما وعلى آلهما): «يَا عَلِيُّ، أَنْتَ خَيْرُ الْبَشَرِ، لَا يَشْكُ فَيْكَ إِلَّا كَافِرٌ». بحار الأنوار، ٢٦: ٣٠٨/ح ٧٢. المحتضر: ١٥١.

٤- بيانه ﷺ أيضاً: «الْمُخَالَفُ لِعَلِيِّ بَعْدِي كَافِرٌ، وَالشَّائِكُ بِهِ مُشْرِكٌ مُغَادِرٌ...». بحار الأنوار، ٢٧: ٢٢٦/ح ٢٢. مشارق الأنوار: ٨.

٥- بيان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): «... وَإِنَّ الْعَرْشَ لَمْ يَسْتَقِرَّ حَتَّى كُتِبَ عَلَيْهِ بِالنُّورِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، عَلِيُّ وَلِيُّ اللَّهِ». بحار الأنوار، ٢٥: ١٧٤/ح ٣٨.

٦- بيان الإمام الباقر (صلوات الله عليه): «... كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءٌ غَيْرُهُ وَلَا مَعْلُومٌ وَلَا مَجْهُولٌ، فَأَوَّلُ مَا ابْتَدَأَ مِنْ خَلْقِ خَلْقِهِ أَنْ خَلَقَ مُحَمَّدًا ﷺ وَخَلَقْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ مَعَهُ مِنْ نُورِهِ وَعَظَمَتِهِ ... ثُمَّ بَدَأَ اللَّهُ تَعَالَى ﷻ أَنْ يَخْلُقَ الْمَكَانَ فَخَلَقَهُ، وَكُتِبَ عَلَى الْمَكَانِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، عَلِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَوَصِيِّهِ ... ثُمَّ خَلَقَ اللَّهُ الْعَرْشَ فَكُتِبَ عَلَى سَرَادِقَاتِ الْعَرْشِ مِثْلُ ذَلِكَ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ ←

→ فكتب على أطرافها مثل ذلك، ثُمَّ خلق الجنة والنَّار فكتب عليها مثل ذلك، ثُمَّ خلق الملائكة وأسكنهم السَّماء، ثُمَّ تراءى لهم الله تعالى وأخذ عليهم الميثاق له بالربوبية، ولَمُحَمَّدٌ ﷺ بالنبوة، وَلِعَلِّيٌّ ﷺ بالولاية ... ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ ﷻ خلق الهواء فكتب عليه: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَصِيَّهُ ... ثُمَّ خلق الله الجنَّ وأسكنهم الهواء وأخذ الميثاق منهم بالربوبية، وَلَمُحَمَّدٌ ﷺ بالنبوة، وَلِعَلِّيٌّ ﷺ بالولاية ... ثُمَّ خلق الله تعالى الأرض فكتب على أطرافها: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَصِيَّهُ ... فبذلك ... قامت السموات بغير عمد وثبتت الأرض، ثُمَّ خلق الله تعالى آدم ﷺ ... ثُمَّ أخرج ذريته من صلبه فأخذ عليهم الميثاق له بالربوبية، وَلَمُحَمَّدٌ ﷺ بالنبوة، وَلِعَلِّيٌّ ﷺ بالولاية، أقرَّ منهم مَنْ أقرَّ، وَجحد مَنْ جحد ...». بحار الأنوار، ٢٥: ١٧-٢٠ / ح ٣١.

ودلالة الجميع واضحة على أَنَّ هناك تقارن وترابط أكيد بين الأركان الثلاثة لكلمة التَّوْحِيد - أي: الشَّهادَات الثلاث -؛ مأخوذة بشرط المجموع.

الأمر التاسع:

توجُّه المخلوق لغير باريه إحدى ترجمات الألوهية

هناك عدَّة تراجم لمعنى الألوهية، منها: أَنَّهُ ما أَنَّ يصمد المخلوق ويتوجَّه لواقعية أو غيرها إِلَّا وقد ألَّهها، فما أَنَّ يضع المخلوق إصْبَعَه على مخلوق آخر أو اعتقد باستقلاليتته وإنحيازه عن ساحة القدس الإلهية وَأَنَّ له كيانه الخاص إِلَّا وقد ألَّهه، بل ما أَنَّ يتخرَّص في ذهنه أو يتوهم إستقلالية ذاته أو غيرها إِلَّا وقد أشرك بالله ﷻ وَارْتَضَمَ بَدْرَكَة من دَرَكَات الشرك الخفي، وكان مصداقاً لبيانات الوحي الواردة في المقام، منها: بيان قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

إِذَنْ: هناك ترجمة أخرى للألوهية يجدر الالتفات إليها، حاصلها: أَنَّهُ ما أَنَّ يظنَّ المخلوق باستقلالية ذاته أو إستقلالية مخلوق ما عن ساحة القدس الإلهية إِلَّا وقد ألَّه ذاته أو ذلك المخلوق، وأشرك في باريه العزيز الجبار.

→ وبالجملية: معنى 'تأليه غير الله - المُسمَّى - تبارك وتعالى': صمود المخلوق وتوجهه لغير باريه - المُسمَّى - ﷻ.
الأمر العاشر:

استحالة معرفة الذات المقدسة بالكُنه إمكانية معرفة الذات الإلهية من وجه

هناك معضلة رشيقة ودقيقة وعميقة تدق غموضاً ذكرها العرفاء والصُوفية، أصلها مقتبس من بيانات الوحي، لكنهم اتبعوا بعض السنة تلك البيانات فارتطموا بمحذور التعطيل الخفي؛ فقالوا: إنَّ غيب الغيوب لا يظهر أبداً؛ لأنَّ لازم كلِّ ظهور وإثبات تعيُن وتحديد وتقوقع، والباري سبحانه وتعالى لا يُحدُّ بأيِّ تعيُن، فلا ظهور ولا حكاية ولا معرفة له سبحانه. وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي، منها: بيان سيّد الأنبياء ﷺ: «... وما عرفناك حقَّ معرفتك». بحار الأنوار، ٦٨: ٢٣.

فإنَّ (ما) الواردة في هذا البيان الشَّريف نافية لإمكان معرفته (سبحانه وتعالى)، وتعينه.

والحقُّ: أنَّ (ما) في هذا البيان الشَّريف وإنَّ كانت نافية للمعرفة، لكنَّها نافية لشطر من المعرفة، وهو: معرفة الذات الإلهية الأزلية المقدسة بالكُنه والاكتناه، فلا يُمكن معرفة ذاته (ﷻ) بالكُنه؛ وبأوصاف عين ذاته المقدسة تحقُّقاً. وهذا أحد تفاسير بيان قوله جلَّ قوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

وهذا المقدار لا ينفي إمكان معرفة الذات الإلهية المقدسة بالآيات ومن وجه، ولا يلزم منه التعيين؛ لأنَّه بعد ما كانت ذات الباري ﷻ غير متناهية وغير محدودة كانت حكايته بالآيات والأسماء والصفات الإلهية ومرادفاتا الإلهية العقلية غير متناهية وغير محدودة أيضاً؛ فلا تعيُن ولا تحديد ولا تقوقع للذات المقدسة.

→ ولعلّ معنى الاسم الإلهي المستأثر والمستتر - والذي هو باطن لا يظهر أبداً وأزلاً ولا يطلّع عليه أحد - بهذا اللّحاظ؛ فلا ظهور له؛ لأنّه لا وقوف له ولا تناهي ولا محدوديّة في إرائته وحكايته للذّات المقدّسة بعدما كانت فوق ما لا يتناهى بها لا يتناهى مُدّة وعُدّة وعُدّة. وهذا لا يستلزم تعيين ولا تحديد ولا تقوقع، ولا تشبيه ولا تعطيل.

الأمر الحادي عشر:

شمول بيانات الوحي المعرفيّة لجملة العوالم وكافّة المخلوقات

إنّ ما ورد في بيان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): «... إنَّ ربِّي لا يوصف بالبُعد ... هو في الأشياء على غير ممازجة، خارج منها على غير مبالغة ... داخل في الأشياء لا كشيءٍ في شيءٍ داخل، وخارج منها لا كشيءٍ من شيءٍ خارج ...». توحيد الصدوق: ٢٩٨-٢٩٩/ح ١، وما شاكلة من بيانات معرفيّة إلهيّة براهين وحيانيّة عقلية خالدة، ومعادلات نوريّة باهرة لا تختصّ بنشأتنا الأرضيّة هذه وبالثقلين - الإنس والجنّ - بل شاملة لجملة النّشآت والعوالم ولكافّة المخلوقات، كعالم: الرّجعة والبرزخ والقيامة والآخرة الأبديّة وما بعدها؛ ومن ثمّ الاعتقاد بهذه البيانات الوحيانيّة واجب على كلّ المخلوقات وفي جميع العوالم غير المتناهية. والنّكته: واضحة؛ فإنّ هذه البيانات الوحيانيّة لمّا كانت بيانات إلهيّة معرفيّة كانت من دين الإسلام؛ وهو: شامل لجملة العوالم ومخلوقات غير المتناهية؛ فتكون شاملة أيضاً لجملة تلك العوالم ومخلوقات غير المتناهية.

الأمر الثاني عشر:

دخول الذّات المقدّسة في جملة شراشر المخلوقات

إنّ معنى ما يُقال: إنّ الله تعالى داخل في كلّ شيءٍ: أنّ قدرته وهيمنته وسيطرته نافذة في جملة الأشياء وكافّة شراشرها وشؤونها وحقائقها.

→ إِذَنْ: المراد من الدُخول الوارد في بيان القاعدة المعرفية الوحيانية: «داخل في الأشياء لا بالمجازة...»: النفود الإلهي، والإحاطة والقدرة الإلهية.
الأمر الثالث عشر:

تنزه الباري عن شائبة عالم الأرواح

هناك نظرية كانت معشعشة لدى أصحاب المذاهب الاعتقادية البشرية، بل وكثير من أصحاب الملل والنحل القديمة، والتثليث المسيحي، وكانت سبباً لإنحرافاتهم، حاصلها: (أنَّ الباري سبحانه وتعالى - والعياذ بالله - هو روح الأرواح). وبطلانها من أوضح الواضحات، بل الرُّوح جسم لطيف، وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي، بل صريح بيان الإمام الصادق عليه السلام: «... والرُّوح جسم رقيق...» [بحار الأنوار، ٦: ٢١٦/ح ٨. الاحتجاج، ٢: ٩٦]؛ فمهما تلطّفت الرُّوح لا تخرج عن عالم الأجسام، والباري تبارك وتعالى مُنزه عن الجسميّة بالضرورة الوحيانية والعقلية، فيكون مُنزهاً عن مُطلق الأرواح، بل مقتضى الصّابطة الوحيانية والعقلية: «أنَّ كُلَّ ذي روح لأبَدُ أَنْ يأخذه نوم أو سنة» والباري جلّ قدسه مُنزه عنها بالضرورة الوحيانية والعقلية، فيكون مُنزهاً عن الرُّوح بالضرورة الوحيانية والعقلية أيضاً.

وسبب ارتطامهم بهذا الضلال: إعتقادهم أنَّ للطّاقات أرواحاً لطيفة، وهذه القضية وإن كانت حقّة في نفسها، لكن لا دخالة لهذه اللطافة بالألوهية.

الأمر الرابع عشر:

عظمة الخلقة دالة على عظمة خالقها

إنَّ ما ورد في بيان الإمام الباقر (صلوات الله عليه): «إِيَّاكُمْ والتَّفَكُّر في الله، ولكن إذا أَرَدْتُمْ أَنْ تَنْظُرُوا إلى عظمتِهِ فانظُرُوا إلى عَظِيم خَلْقِهِ» [أصول الكافي، ١/ب: ٣٠: ٦٦ - ٦٧/ح ٧] توصية وحيانية وعقلية عظيمة، وميزان وحياني ←

→ وعقلي عظيم جداً، دالٌّ على أَنَّ عَظَمَةَ الخلق وعظيم فعل الخالق (عَلَّمَ) آية إلهية عظيمة لإدراك عَظَمَةَ الخالق (جَلَّ شأنه)، وحيث إِنَّه (تعالى ذكره) غير متناهٍ وغير محدودٍ، بل فوق مالا يُتَنَاهَى بما لا يُتَنَاهَى كانت عَظَمَةُ الخلقة الإلهية وخطرها وهولها غير متناهية وغير محدودة أيضاً، وإلَّا لكان الخالق (جَلَّ وتقدس) متناهياً ومحدوداً، وهو كما ترى.

وبالجملة: لَمَّا كان الخلق مضافاً ومنتسباً لخالقه (جَلَّ ذكره) - وهذا ليس إنتساب يلد ويولد، بل إنتساب فعل لفاعل وخلق لخالق - أُفِضَتْ عليه - وبالتبع وحكاية وبالغير - وتجلَّت فيه جملة من صفات خالقه (جَلَّ جلاله)، منها: عدم التناهي وعدم المحدودية في العَظَمَةِ والهول والخطر. ولا غُلُو ولا شطط في ذلك؛ بعد ما لم تأتِ تلك الصِّفَات من المخلوق، بل من خالقه (عَلَّمَ).

كُلُّ تَقْصِيرٍ يَسْتَبْطِنُ غُلُوًّا وَكَذَا الْعَكْسُ

ثُمَّ إِنَّ مَنْ لَمْ يُطَهَّرْ باطن فكره من شُبْهَةِ الْغُلُوِّ - كالوهابية والسَّلَفِيَّة والأشعرية وغيرهم من الفرق المنحرفة، بل ومن الوسط الدَّاخِلِي - فسيرتطم لا محالة بورطة التَّقْصِيرِ؛ وهو أَشَدُّ جُرْماً ومَحْذُوراً ومُؤَاخَذَةً وبعُداً عن ساحة القدس الإلهية من ورطة الْغُلُوِّ؛ فَإِنَّ الْمُسْتَفَادَ من البرهان العقلي - كما تقدَّم وما سيأتي بيانه (إِنْ شاء الله تعالى) -: أَنَّ فِي باطن كُلِّ تَقْصِيرٍ غُلُوًّا، وفي باطن كُلِّ غُلُوٍّ تَقْصِيرٌ، كحال التَّعْطِيلِ والتَّشْبِيهِ، والتَّفْرِيطِ والإِفْرَاطِ، والجَبَرِ والتَّفْوِيزِ، والسَّلَامَةِ في سلوك الجَادَّةِ الوَسْطَى: (الأمر بين الأمرين) جَادَّةُ أَهْلِ الْبَيْتِ (صلوات الله عليهم)، المنزلة الوَسْطَى، دقيقة الوزن حَادَّةُ اللِّسَانِ، صعبة التَّرَقِّي إِلاَّ على الحاذق الذَّكِي، وَالَّتِي مَنْ تَقَدَّمَها غرق في بحر الإفراط، وَمَنْ تَأَخَّرَ عنها زهق في بَرِّ التَّفْرِيطِ، وهي: (المعرفة بالآيات الإلهية) على وفق الصُّوَابِطِ الوَحْيَانِيَّةِ والعَقْلِيَّةِ، بها تتحقَّق معرفة إلهية عظيمة وخطيرة ومهولة جداً.

→ الأمر الخامس عشر:

حكاية الأفعال الإلهية على ضربين

إِنَّ لِعَظَمَةِ بعض الأفعال الإلهية - كما ورد في بيانات الوحي المستفيضة، بل المتواترة، وبألسن مختلفة - لا يُلاحظ فيها لون ولا يُشَمُّ منها رائحة المخلوقية، ولا يُرى فيها شائبة أنانية المخلوق وذاتية وجبل فرعونية ذاته؛ لفنائها في الآيتية والحكاية والتجلي عن الذات الإلهية الأزلية المقدسة، وخلوصها في إظهار هول وعظمة باريتها تقدس ذكره، فلا تُري ولا تدعو إلى نفسها، بل - تُري وتدعو إلى - باريتها ليس إلا، فهي السبيل إليه وآياته الكبرى، وتُسمى: أفعال وآيات وأسماء وصفات إلهية وهلمَّ جرّاً من مرادفات الإلهية العقلية الذاتية. وإذا قيل عنها: أنّها عين الذات الإلهية المقدسة فيلزم أن تكون عينها حكاية.

نظيرها :

أولاً: المرأة شديدة: الصقل، والصفاء، والفناء، والحكاية، والانعكاس؛ فإنّها بعدما كانت فانية فناء حكاية في محكيها، فلا تُري نفسها، بل محكيها انطبعت فيها كافة صفات وشؤون محكيها - الشاخص الخارجي -، وأخذت صورتها بالتبع جملة صفاته وأسمائه وشؤونه إلا ما خرج موضوعاً وتخصّصاً.

وإلى هذا أشارت بيانات الوحي، منها :

بيان خطبة أمير المؤمنين صلوات الله عليه: «الحمد لله الذي ... تتلقاه الأذهان لا بمشاعرة، وتشهد له المرائي لا بمحاضرة، لم تحط به الأوهام، بل تجلّى لها بها، وبها امتنع منها، وإليها حاكمها...». بحار الأنوار، ٤: ٢٦١/ح ٩.

ثانياً: (الصرح) الوارد في قضية بلقيس مع النبي سليمان عليه السلام، الواردة في بيان قوله جلّ قوله: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤]، فإنه لشدة خلوصه وصفائه وانعكاسه وتمرد وفناء ذاته

في الحكاية، فلم يُرِ نفسه، بل محكيه - اللجة، أي: الماء الغزير - انعكست فيه - ←

→ الصَّرح - جميع صفاته - المحكي، أي: اللِّجَّة - وأَسْمَاءُ وشؤونُه، فحسبته ماءً غزيراً فكشفت عن ساقِها لتتخطَّاهُ، وَلَمَّا أُخْبِرَتْ بالواقع؛ وأَنَّهُ: (صرح مُمَرَّد) تَمَرَّدَتْ ذاته وفنيت في حكاية ذبه آمنت بالله تعالى من دون نظر وتدبُّر ومهلة وتردُّد؛ لِإِلْتِقَاطِهَا إشارة معرفيَّة توحيدِيَّة إلى معنى تجلِّي وظهور الذات الإلهيَّة الأَرلِّيَّة المُقَدَّسَة في المخلوقات المُكْرَمَة.

وهذا بخلاف الأفعال والآيات والأَسْمَاءُ والصِّفَات الفعلِيَّة - بالمعنى الأَخْص - ومرادفاتُها الإلهيَّة العقلِيَّة؛ فَإِنَّهَا وَإِنْ كانت عَظِيمة الخَلْقَة والخطر، وعَظُمَتِهَا دَالَّةٌ على عَظَمَة باريها عَجَّلَ أيضاً، وحاكِية عن الذات المُقَدَّسَة أيضاً، لكنَّها ليست فانية في الحكاية، بل تُري نفسها وذاتِيَّاتها.

مثالها: السَّمَاوَات، كَالسَّمَاءِ الأَوَّلِي، ومَجَرَّاتُها وكواكبُها ونجومُها. ثُمَّ إِنَّ الأَفْعَال والآيات والأَسْمَاءُ والصِّفَات الذَّاتِيَّة الإلهيَّة العقلِيَّة ومرادفاتُها العقلِيَّة على مراتب وطبقات؛ لكون الخُلُوص والفناء في الحكاية على مراتب وطبقات. وعلى هذا قس الأَفْعَال والآيات والأَسْمَاءُ والصِّفَات الإلهيَّة الفعلِيَّة ومرادفاتُها العقلِيَّة.

الأمر السَّادس عشر:

حكاية الآيات الإلهيَّة ومرادفاتُها لِلسَّاحَة الإلهيَّة لا تعطيل فيها ولا تشبيه
إِنَّ رُؤْيَا الآيات الإلهيَّة ومرادفاتُها الإلهيَّة العقلِيَّة لا تعطيل فيها ولا تشبيه، بل توحيد لله تبارك وتعالى وتحميد وتمجيد وتعظيم له جَلَّ وعلا، وتنزيهه عن أَنْ يَكْتَنِهُه ويقتنصه ويحتوشه أحد.

الأمر السَّابع عشر:

شمول عنوان (الآفاق) للآفاق الجسَمانيَّة والروحانيَّة والملكوئيَّة
إِنَّ ما ورد في بيان قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَسْتَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣] برهانٌ وحيانيٌّ شاملٌ للآفاق الجسَمانيَّة والروحيَّة والملكوئيَّة وغيرها.

→ الأمر الثامن عشر:

تَوْهُمُ الجَسَمَانِيَّاتِ فِي المَعْرِفَةِ الإِلَهِيَّةِ

إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْآفَاتِ الَّتِي يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ الْإِلْتِفَاتُ إِلَيْهَا، وَاجْتِنَابُهَا، وَعَدَمُ الْوُقُوعِ فِي فَخَاخِهَا - وَالَّتِي حَذَّرَتْ مِنْهَا وَأَكَّدَتْ عَلَيْهَا بِشَدَّةِ بَيَانَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ -: (شَوَائِبُ الرُّؤْيَا الْجَسَمَانِيَّةِ، وَشَوْبُهَا وَاخْتِلَاطُهَا فِي المَعْرِفَةِ الإِلَهِيَّةِ)؛ فَإِنَّ طَبِيعَةَ الْإِنْسَانِ وَفِكْرَهُ وَذَهَنَهُ وَوَهْمَهُ تَنْزَلِقُ فِي بَابِ التَّوْحِيدِ - مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ - إِلَى شَبهِ الْجَسَمَانِيَّةِ.

الأمر التاسع عشر:

أَبِينِ نَقَائِصَ عَالَمِ الْأَجْسَامِ: الْخُدُودُ الْمَقْدَارِيَّةُ

إِنَّ الصُّوَرَ الْجَسَمَانِيَّةَ وَالْجِسْمَ وَالْجَسَمَانِيَّاتِ وَأَحْكَامَهَا وَشُؤْنَهَا وَإِنْ كَانَتْ مُكَبَّلَةً بِعِدَّةِ زَوَايَا مِنَ النِّقَائِصِ، لَكِنْ أَبِينَهَا: الْخُدُودَ الْمَقْدَارِيَّةَ، فَإِنَّ صَاحِبَهَا لَا يَتَوَاجَدُ إِلَّا فِي ظَرْفِهِ.

الأمر العشرون:

التَّدَبُّرُ فِي بَيَانَاتِ الْوَحْيِ يَهْدِمُ التَّوْهُمَاتِ الْجَسَمَانِيَّةَ

إِنَّ مَنْ يَتَدَبَّرُ فِي التَّنْفِ وَاللَّطَائِفِ الْمَذْكُورَةِ فِي بَيَانَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْمَعْرِفَةَ الْعَقْلِيَّةَ فَسِرْعَانِ مَا تَنْقَشِعُ وَتَنْهَدِمُ تَوْهُمَاتُهُ مِنَ الرُّؤْيَا الْجَسَمَانِيَّةِ أَوْ الْجَسْمِيَّةِ أَوْ التَّنَاهِي لِلذَّاتِ الْمُقَدَّسَةِ.

الأمر الحادي والعشرون:

أَحَدُ فَوَائِدِ قُوَّةِ الْوَهْمِ

إِنَّ قُوَّةَ الْوَهْمِ لَدَى الْإِنْسَانِ وَإِنْ كَانَتْ مَشَاغِبًا قَوِيًّا جِدًّا لِإِدْرَاكَاتِهِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْقَلْبِيَّةِ، وَخَطَرًا يُوجِبُ انْزِلَاقَاتَ مَعْرِفَتِهِ؛ وَارْتِطَامَاتِ بَدْعَايَاتِ أَحْكَامِ الْجِسْمِ وَشُؤْنِهِ فِي المَعْرِفَةِ الإِلَهِيَّةِ - كَمَا حَصَلَ ذَلِكَ لِبَعْضِ الْمُتَكَلِّمِينَ وَالْفَلَاسِفَةِ وَالْعُرَفَاءِ، -

→ مع أنهم ينفون في الظاهر والباطن الجسائية عن الواقعية الأزلية السرمديّة - لكنها مفيدة في جوانب أخرى، ك: (إباء المخلوق من تصوّر عدم وجود الواقعية).
الأمر الثاني والعشرون:

شبهة الوحدة الشخصية والحلول

ذهب جملة من العرفاء والصوفيّة إلى القول بالوحدة الشخصية، وعدم وجود حصّ للمخلوقات من الوجود والواقعية أصلاً، بدعوى: أنّ نفي وجود المخلوقات نوع تعظيم لوجود الله تبارك وتعالى.
لكنّه: اشتباه وغفلة شنيعة؛ فإنّهم لم يلتفتوا إلى أنّ وجود المخلوق القائم بالله ﷻ مظهر لوجوده (جلّ ذكره)، ولعظمته وهيئته وقوّته وقدرته، كما أكّدت على ذلك العديد من بيانات الوحي.

مضافاً: أنّ ما ورد في بيانات الوحي، منها: بيان الإمام الباقر عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ مِنْ خَلْقِهِ، وَخَلَقَهُ خَلْقٌ مِنْهُ...» [أصول الكافي، ١/ب - ٢٤: ٥٩/٥ ح] براهين وحيانية دالة على قاعدة معرفيّة نافية لشبهة الوحدة الشخصية والحلول بصيغتها القديمة والحديثة.

وقد وردت هذه القاعدة في بيانات الوحي بقوالب أخرى عديدة، منها:

١- بيان قوله عزّ قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].

بتقريب: أنّ المراد من كلمة (على) الواردة في هذا البيان الشريف: استعلاء وسيطرة وهيمنة الرحمن ﷻ على جملة الوجود والكمال، وكافة عوالم عالم الإمكان ومخلوقاتهما، فإنّها سواء بالنسبة إليه جلّ ذكره، ومقهورة له، وغير مُستقلّة عنه البتّة فأين يوجد للمخلوقات كينونة وانحياز واستقلالية عن خالقها جلّت آلاؤه ليأتي أصحاب الوحدة الشخصية والحلول ليدعوا: أنّه إذا لم نُقل بالوحدة الشخصية والحلول يلزم استقلالية المخلوق عن خالقه، ولازمه انحسار ذات الخالق وتضييق قدرته وهيئته. وبيان الآية الكريمة هذا يُثبت أنّه ليس للمخلوقات البتّة وجود وكينونة وانحياز واستقلالية عن بارئها العزيز الجبار، بل جملة المخلوقات تحلّيات

→ لفعله وقدرته، فكافة المخلوقات وعوالمها غير المتناهية ليست إلا مظهراً لعظمته وقدرته وهيمنته (تقدس ذكره)، وليست لها كينونة تُري أو تعكس غير الله وعظمته، فالباري عزّ وجهه يتجلّى ويظهر فيها، وهي تظهر عظمته وقدرته وهيمنته، فاين هذا الإنحياز والاستقلالية، ومن ثمّ يتّضح: أنّ أصل ما فرضه أصحاب الوحدة الشخصية والحلول مغالطة ظاهرة.

٢- بيان أمير المؤمنين عليه السلام: «... إِنَّ رَبِّي لَا يوصف بالبُعد ... هو في الأشياء على غير ممازجة، خارج منها على غير مباينة ... داخل في الأشياء لا كشيء في شيء داخل، وخارج منها لا كشيء من شيء خارج». بحار الأنوار، ٤: ٢٧/ح ٢.

ودلالته قد اتّضحت من سابقه؛ فإنّ هذا الدخول ليس بدخول جغرافي، وإنّما دخول تجلّي وظهور إشراقي، ودخول قدرة ونفوذ واستعلاء وهيمنة.

٣- بيان دعاء كميل: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسَّعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ... وبِعَظَمَتِكَ الَّتِي مَلَأَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وسلطانك الذي علا كُلُّ شَيْءٍ ... وبِأَسْمَائِكَ الَّتِي مَلَأَتْ أَرْكَانَ كُلِّ شَيْءٍ ...». الإقبال، ٣: ٣٣١. مصباح المتّجهد: ٨٤٤. مصباح الزائر: ٣١٧. البلد الأمين: ١٨٨.

ودلالته قد اتّضحت أيضاً.

٤- بيان دعاء الجوشن الكبير: «... يَا مَنْ تَوَاضَعَ كُلُّ شَيْءٍ لِعَظَمَتِهِ، يَا مَنْ اسْتَسَلَّمَ كُلُّ شَيْءٍ لِقُدْرَتِهِ؛ يَا مَنْ ذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لِعِزَّتِهِ، يَا مَنْ خَضَعَ كُلُّ شَيْءٍ لِهَيْبَتِهِ، يَا مَنْ انْقَادَ كُلُّ شَيْءٍ مِنْ خَشْيَتِهِ ...». بحار الأنوار، ٩١: ٣٨٥.

الأمر الثالث والعشرون:

جملة من الفلاسفة القدماء حلوليون

اعترف الحكيم الشيعي الملاً صدرا: أنّ جملة من الفلاسفة القدماء حلوليون، فقولهم: «أنّ الله - والعايز بالله تعالى - روح الأرواح» نحو حلول.

الأمر الرابع والعشرون:

استعمالات (الكيف) و (الآين) في بيانات الوحي

→ إنَّ لعنوان: (الكيف) و(الآين) الواردين في بيانات الوحي إستعمالين:

أحدهما: يُطلقان ويُراد بهما سنخ ونمط وجودي غني بالذات، وليساهما عارضين أو حادثين، وهذا النحو يثبت للذات الإلهية الأزلية المقدسة، وإليه أشارت بيانات الوحي منها:

١- بيان تقرير أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) لسؤال الجاثليق: «... قال: فأخبرني عن الله ﷻ أين هو؟ قال ﷻ: هو ها هنا، وها هنا، وها هنا...». بحار الأنوار، ٣٠: ٧١.

٢- بيان الإمام الصادق (صلوات الله عليه): «سبحان مَنْ لَا يَعْلَمُ كَيْفَ هُوَ إِلَّا هُوَ...». بحار الأنوار، ٣: ٣٠١/ح ٣٥.

فُراد من الآين والكيف في هذين البيانين الوحيَّين وما شاكلهما: مُطلق الحقيقة والواقعية الأزلية المقدسة.

ثانيهما: يُطلقان ويُراد بهما الحقيقة والواقعية الحادثة والعارضة - ك: غضب المخلوق وحزنه وفرحه -، وهذا النحو منفي بالضرورة الوحيانية والعقلية عن الذات الإلهية الأزلية المقدسة. وإليه أشارت بيانات الوحي، منها:

بيان سيّد الأنبياء ﷺ: «... إِنَّ الْخَالِقَ... كَيْفَ الْكَيْفِ فَلَا يُقَالُ لَهُ: كَيْفَ، وَأَيْنَ الْآيْنِ، فَلَا يُقَالُ لَهُ: أَيْنَ...». بحار الأنوار، ٣: ٣٠٣ - ٣٠٤/ح ٤٠.

الأمر الخامس والعشرون:

عنوان (القديم الزماني)

يُعبرُ الباحثون من أصحاب المدارس المعرفية البشرية - كالفلاسفة والمتكلمين والعرفاء - عن عنوان (القديم الزماني) بأنّه: أَرْزِيَّ زَمَانِيَّ.

لكن: بيانات الوحي لا تطلق عنواني (الأزلي) على القديم الزماني؛ لأنَّ الأزلي وعاءٌ لعالم السَّرمَد، وهو عالم أعظم من عالم الدهر.

→ نعم، عالم الدهر كما كانت طبيعته قديمة زماناً، وليست له بداية زمانية صحَّ إطلاق عنوان (القديم الزماني) عليه. هذا وقد كَفَرَ الْمُتَكَلِّمُونَ كُلٌّ مَنْ يَطْلُقُ عنوان (الْقَدَمَ الزَّمَانِي) على المخلوقات؛ لاستلزامه التَّأْلِيه.

والْحَقُّ: أَنَّ صِفَةَ (الْقَدَمَ الزَّمَانِي) صِفَةٌ يَتِمَّتَعُ بِهَا عَالَمُ الدَّهْرِ، قَدْ أُفِضَتْ عَلَيْهِ وَتَجَلَّتْ وَظَهَرَتْ فِيهِ مِنَ الْقَدَمِ الْإِلَهِيِّ، وَحِينَئِذٍ لَا إِشْكَالَ، وَلَا يُلْزَمُ مَحْذُورُ التَّأْلِيهِ وَمَا شَاكَلَهُ.

الأمر السادس والعشرون:

الَّذِي تَجَلَّى لِلنَّبِيِّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَضِيَّةِ الْجَبَلِ مَلِكِ مِنَ الْكَرُوبِيِّينَ

ورد في بيانات الروايات المُفسَّرة لبيان قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣] أَنَّ الَّذِي تَجَلَّى لِلْجَبَلِ هُوَ مَلِكٌ مِنَ الْكَرُوبِيِّينَ. فانظر: بيانات الوحي، منها:

بيان الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ الْكَرُوبِيِّينَ قَوْمٌ مِنْ شِيعَتِنَا مِنَ الْخَلْقِ الْأَوَّلِ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ خَلْفَ الْعَرْشِ، لَوْ قَسَمَ نُورٌ وَاحِدٌ مِنْهُمْ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ لَكِفَاهُمْ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا أُنْ سَأَلَ رَبَّهُ مَا سَأَلَ؛ أَمَرَ وَاحِدًا مِنَ الْكَرُوبِيِّينَ فَتَجَلَّى لِلْجَبَلِ فَجَعَلَهُ دَكًّا». بحار الأنوار، ١٣: ٢٢٤/ح ١٨. بصائر الدرجات: ٢١.

الأمر السابع والعشرون:

الكَرُوبِيِّينَ مَخْلُوقَاتٍ جَسَمَانِيَّةٍ شَرِيفَةٍ فَوْقَ عَالَمِ الْآخِرَةِ الْأَبَدِيَّةِ

إِنَّ الْمُسْتَظْهَرَ مِنْ جُمْلَةٍ مِنْ بَيَانَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ - مِنْهَا: مَا تَقَدَّمَ -: أَنَّ لِلْكَرُوبِيِّينَ أَجْسَامًا لَطِيفَةً أَعْلَى مِنْ جِسْمِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ الْأَبَدِيَّتَيْنِ، وَلَهُمْ ذَبْذَبَاتٌ إِحْسَاسٌ بِالْوَحْيِ الْإِلَهِيِّ الْمُوَحَّى لِلنَّبِيِّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَمَا أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ بَيَانُ دَعَاءِ السَّمَاتِ: «... وَأَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ بِمَجْدِكَ الَّذِي كَلَّمْتَ بِهِ عَبْدَكَ وَرَسُولَكَ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْمَقْدَسِينَ فَوْقَ إِحْسَاسِ الْكَرُوبِيِّينَ، فَوْقَ غَمَائِمِ النُّورِ فَوْقَ تَابُوتِ الشَّهَادَةِ...». بحار الأنوار، ٨٧: ٩٧ - ٩٩. مصباح المتهجد: ٢٩٢ - ٢٩٥.

تُشير إليها كثيراً بيانات أهل البيت عليه السلام؛ لاسيما بيانات أمير المؤمنين عليه السلام حقائق تكوينية، ومخلوقات: مهولة، وخطيرة، وعظيمة جداً، ومهيمنة على جملة العوالم وسائر المخلوقات، من مخلوقات عالم الصفات والأسماء الإلهية وهي: طبقات حقائق أهل البيت عليه السلام الصاعدة، والمُشتقة والمتجلية^(١)

تكليم سيد الأنبياء عليه السلام أرفع من تكليم النبي موسى عليه السلام

ثم إن تكليم سيد الأنبياء عليه السلام أعظم من تكليم النبي موسى عليه السلام؛ لأن تكليمه عليه السلام من فوق احساس الكروبيين وفوق غمام التور وفوق تابوت الشهادة، أما تكليم سيد الأنبياء عليه السلام فإنه من فوق حُجب النور.

(١) ينبغي الالتفات في المقام إلى القضايا التالية:

القضية الأولى:

خطورة بحث التجلي والظهور

إن عنوان (التجلي) الوارد في بيانات الوحي وفي أبواب المعارف الإلهية طلسم معرفي وأحجية معرفية، ولغز لم تفك شفراته أبداً وأزلاً.

إذن: بحث التجلي والظهور من أغمض وأعقد المباحث المعرفية التي تفرّدت بها بيانات الوحي الإلهي، وأحد إعجازاتها العلمية.

وقد بيّنه بألسن متعددة، منها: الاسم الإلهي، والآية والصفة الإلهية ومرادفاتها الإلهية العقلية.

ومن ثماره: نصف مباني ضلالات متعددة، منها: الحلول، والوحدة الشخصية، والتناسخ، والتجسيم، والجبر، والتفويض.

القضية الثانية:

النسبة بين الخالق والمخلوق بنحو التجلي والظهور

→ إِنَّ مَنْ أَعْقَدَ وَأَعْظَمَ الْأَزْمَاتِ الْمَعْرِفِيَّةَ وَالْعَقَائِدِيَّةَ وَالْفِكْرِيَّةَ، وَمَسَائِلَ الْمَلَلِ وَالنَّحْلِ: مَعْرِفَةُ النَّسَبَةِ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ؛ فَأَنْكَرَهَا بَعْضُ، وَأَثْبَتَهَا آخَرُ، لَكِنْ بِنَحْوِ التَّوْلِيدِ وَالتَّوَالِدِ.

وَالْحَقُّ: ثَبُوتُهَا، لَكِنْ بِنَحْوِ التَّجَلِّيِّ وَالظُّهُورِ. وَلَهُ جُمْلَةٌ مِنَ الثَّوَابِتِ، مِنْهَا:

١- إِنَّ الصَّلَةَ وَالنَّسَبَةَ بَيْنَ الْحَاكِيِ وَالْمَحْكِيِّ - الْآيَةِ وَذِيهَا - لَيْسَتْ نِسْبَةً: تَوْلِيدٌ، أَوْ تَبْعِيضٌ، أَوْ حُلُولٌ، أَوْ عَيْنِيَّةٌ، أَوْ إِمْتِزَاجٌ، أَوْ تَجَانُسٌ، أَوْ مِثْلٌ، بَلْ حِكَايَةٌ وَمِثْلٌ، وَهِيَ مِنْ أَغْمَضِ النَّسَبِ وَأَعْقَدُهَا.

٢- إِنَّ حِكَايَةَ التَّجَلِّيِّ وَالظُّهُورِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ عَيْنَ الْمَحْكِيِّ؛ وَحِكَايَةً بِالْكُنْهِ، لَكِنَّهَا لَيْسَتْ سِرَاباً وَتَبَدُّداً، بَلْ حَقِيقَةٌ؛ وَحِكَايَةٌ مِنْ وَجْهِ.

٣- إِنَّ حَقِيقَةَ الْحَاكِيِ وَالْمُظْهِرِ تَابِعَةٌ لِلْمَحْكِيِّ وَالظَّاهِرِ.

نَظِيرُهُ: الصُّورَةُ الْمَرَاتِيَّةُ؛ فَإِنَّهُ لَوْلَا وَجُودُ ذِي الصُّورَةِ لَمَا كَانَتْ لِلصُّورَةِ الْمَرَاتِيَّةِ حَظٌّ مِنَ الْوُجُودِ وَالْحَقِيقَةِ وَالْحِكَايَةِ وَالظُّهُورِ.

القضية الثالثة:

فناء ذوات بعض المخلوقات المقدسة في الحكاية

إِنَّ لِعَظَمَةِ بَعْضِ الْأَفْعَالِ الْإِلَهِيَّةِ لَا تَجِدُ فِيهَا لَوْنٌ وَلَا تَشْمُ مِنْهَا رَائِحَةُ الْمَخْلُوقِيَّةِ، وَلَا تَظْهَرُ فِيهَا شَائِبَةُ أَنْانِيَّةِ الْمَخْلُوقِ، وَلَا فِرْعَوْنِيَّةَ ذَاتِهِ؛ وَذَلِكَ لِفَنَائِهَا فِي الْآيَتِيَّةِ وَالتَّجَلِّيِّ وَحِكَايَةِ ذِيهَا (الذَّاتِ الْإِلَهِيَّةِ الْأَزَلِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ)، وَخُلُوصِهَا فِي إِظْهَارِ عَظَمَةِ الْبَارِيِّ - الْمُسَمَّى - صَاحِبِ الذَّاتِ الْإِلَهِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ، وَمِنْ ثَمَّ لَا تُرِي نَفْسَهَا، بَلْ مُحْكِيَّهَا، فَكَانَتْ هِيَ السَّبِيلُ إِلَيْهِ وَآيَاتُهُ الْكُبْرَى.

وَلِكُونَ الْخُلُوصَ عَلَى طَبَقَاتٍ وَدَرَجَاتٍ كَانَتْ هَذِهِ الْأَفْعَالُ الْإِلَهِيَّةُ فِي حِكَايَةِ الذَّاتِ الْمُقَدَّسَةِ عَلَى طَبَقَاتٍ وَدَرَجَاتٍ أَيْضاً.

والمُنْتَزَلَة منها طبقات ومراتب ذواتهم.

وهذه الطبقات الصَّاعِدَة - المُنْتَجَلِيَّة منها طبقات ذوات أهل البيت عليه السلام - لَمَّا كانت مرآة صافية تحكي المُسَمَّى: (الذَّات الإلهيَّة الأزليَّة المقدَّسة) دون الاسم، ولا يشوبها شائبة الأنا والمخلوقيَّة كانت صفات وأسماء إلهيَّة؛ لا تخالطها ماهية محدودة، فلا تلحظ فيها ماهيَّة: (مُحَمَّد، وعليّ، وفاطمة، والحسن، والحسين)، بل (حميد، وأعلى، وفاطر، ومحسن، وقديم الإحسان)، فلشدَّة صفائها وحاكويَّتها وحكايتها أَضْمَحَلَّت فيها الماهيَّة المحدودة وجنبه المخلوقيَّة، فصارت مرآة صافية لا تُري نفسها، بل محكيَّها: (الذَّات الإلهيَّة الأزليَّة المُقدَّسة).

ولكونها مبدأ ومنشأ تجلّي واشتقاق طبقات ومراتب ذوات أهل البيت عليه السلام المتوسِّطة والنَّازلة صحَّ إسنادها لذواتهم (صلوات الله عليهم)،

→ القضية الرَّابِعة:

ارتطام جملة من أصحاب المدارس البشريَّة بالتَّشبيه بداعي التَّنزيه
يظنُّ خطأً كثيرٌ من المتكلِّمين وأصحاب المدارس الإسلاميَّة الأخرى: أنَّ في بعض الأفعال التي تُنسب إلى المخلوقات المُكرَّمة - كأهل البيت (صلوات الله عليهم) ورؤساء الملائكة - غُلُوءاً، ولا يصحُّ نسبتها إِلَّا لِلَّهِ عزَّ وجلَّ، والحال أنَّ نسبتها إليه تعالى تستلزم النَّقص والتَّشبيه في حقِّه (جَلَّ شأنه).
وبالجملة: ارتطم في ورطة التَّشبيه ونسبة النَّقص إلى ساحة القدس الإلهيَّة - من حيث لا يشعرون - كثير من المتكلِّمين وأصحاب المدارس الإسلاميَّة بداعي تنزيه السَّاحة الإلهيَّة.

واستعمالها فيها استعمالاً حقيقياً من دون أيّ تجوُّز وتكلف؛ لأنَّ الجميع يعود إلى حقائقهم (صلوات الله عليهم)، والتفاوت حصل في مراتب وطبقات حقائقهم ﷺ، فطبقات حقائقهم ﷺ الصَّاعِدَة: (آيات وأسماء وصفات إلهية)، من مخلوقات عالم السَّرمَد والأزل؛ عالم الأسماء والصفات الإلهية، وطبقات حقائقهم ﷺ النَّازِلَة؛ المُترشِّحة والمُتجَلِّية من تلك الطبقات: (ذواتهم (صلوات الله عليهم)؛ الأربعة عشر معصوماً)، وحينئذٍ لا تحتاج هذه الاستعمالات إلى تأويل وحمل على المجازية، ما دام الجميع يرجع إلى حقيقة واحدة، فهم ﷺ: (صفات وأسماء إلهية) بلحاظ عالم الصفات والأسماء الإلهية، وهم: (أهل بيت العصمة والطَّهارة) بلحاظ العوالم النَّازِلَة؛ المُتجَلِّية من عالم الصفات والأسماء الإلهية، وصَحَّ أَنْ يُقال: إِنَّهُمْ ﷺ بلحاظ طبقاتهم الصَّاعِدَة: (صفات وأسماء إلهية)، وبلحاظ طبقاتهم النَّازِلَة: (أربعة عشر معصوماً) فتأمَّل جيِّداً.

وإِنْ شئتَ قلتَ - ببيان آخر ^(١) -: إِنَّ ذوات أهل البيت ﷺ إِذا

(١) هذا بيان آخر - في قوس الصعود إِنَّ صَحَّ التَّعبير - يُثبِتُ أيضاً الفضائل والكمالات والصفات والأسماء الإلهية؛ وعلوِّ مقامات الذات الإلهية الأزلية المقدَّسة من دون تأليه لطبقات حقائق أهل البيت ﷺ الصَّاعِدَة؛ بعدما تنمحي فيها جنبه الأنا والمخلوقية والماهية المحدودة؛ فتُصبح صفات وأسماء إلهية. وبالجملة: مرَّ فيما تقدَّم بيان، وهذا بيان آخر تُثبِت فيه لحقائق أهل البيت ﷺ الصَّاعِدَة والصفات والأسماء الإلهية.

أَمَّا الأوَّل - وهو ناظر إلى قوس التَّزول إِنَّ صَحَّ التَّعبير - فقد تقدَّم.

تصاعدت طبقاتها؛ وتَشَفَّفت، واشتدَّ تلطفها وخلوصها، وتجردت تجرُّداً تامًّا، ووصلت إلى طبقةٍ ومرتبةٍ من عَالَمِ الصِّفات والأَسْماءِ الإلهية انمحت فيها ذواتهم ﷺ وماهياتهم الخاصة، وجنبه المخلوقة، فلا تُري تلك الطبقات ذواتها، بل محكيها؛ فلا يُرى فيها ماهية: (محمد، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين)، بل (حميد، وأعلى، وفاطر، ومُحسن، وقديم الإحسان)، فلشدّة صفائها وحكايتها اِضْمَحَلَّت فيها الماهية المحدودة وجنبه المخلوقة، فصارت مرآة شديدة الشفافية والصِّفاء؛ لا تُري نفسها، بل محكيها (الذات الإلهية المقدسة)، وحينئذٍ يصحُّ وصف أهل البيت الأطهار ﷺ بلحاظ هذه الطبقة - أي: طبقة ومرتبة عَالَمِ الصِّفات والأَسْماءِ الإلهية - أيضاً بالصِّفات والأَسْماءِ الإلهية؛ لِانْعِكَاسِها فيها، فهذه الطبقة بعدما كانت آيات وصفات وأَسْماءِ إلهية؛ فكما تُثَبَّت الفضائل وصفات الكمال وعلو المقامات والأَسْماءِ الإلهية للمُسَمَّى - أي: للذات الإلهية الأزلية المقدسة - تُثَبَّت أيضاً لهذه الطبقة والمرتبة؛ باعتبارها صفات وأَسْماءِ إلهية؛ فعدم التناهي، والأزل، والأبد وسائر الصِّفات والأَسْماءِ الإلهية ك: (القيومية)، و(الواحدية)، و(الأحدية)، و(الصِّمد)، و(الخالق)، و(الغافر) كما هي ثابتة للذات الإلهية الأزلية المقدسة ثابتة أيضاً للصِّفات والأَسْماءِ الإلهية من دون ريب ولا

→ وأما الثاني - وهو ناظر إلى قوس الصُّعود إن صحَّ التعبير - وهو ما نحن فيه، فتكون هذه الطبقة والمرتبة التي تُحْيَت وفُنيَت فيها جنبه الأنا والمخلوقة والماهية المحدودة لذوات أهل البيت ﷺ بنفسها صفات وأَسْماءِ إلهية للذات الإلهية الأزلية المقدسة من دون واسطة. فتكون صفات وأَسْماءِ (للذات الإلهية الأزلية المقدسة) أيضاً.

إشكال ولا محذور كمحذور الغلو.

نعم، هذه الصّفات والأسماء الإلهيّة لا تتّصف بها طبقات حقائق أهل البيت عليه السلام الصّاعدة بالذّات والأصالة، وإنّما بالتّبع ومن الغير؛ لأنّ تلك الطبّقات والصّفات والأسماء الإلهيّة بعدما لم يشبها شائبة الأنا والمخلوقيّة وماهيّة محدودة كانت شديدة الصّفاء، لا تحكي نفسها، بل محكيّها، ولقوّة انعكاسها انطبعت فيها وأخذت وصف ذمها وجماله وكماله، بخلاف كمالات وصفات وأسماء الذّات الإلهيّة الأزليّة المقدّسة؛ فإنّها ثابتة له (تقدّس ذكره) بالأصالة وبالذّات.

وبالجملة: الفارق بين الذّات الإلهيّة الأزليّة المقدّسة وتلك الطبّقات والصّفات والأسماء الإلهيّة هو: الفارق بين: (ما منه الوجود أصالة وبالذّات)، و(ما منه الوجود بالتّبع وحكاية وبالغير).

والأوّل: ثابت للذّات الإلهيّة الأزليّة المقدّسة أزلاً وأبداً ليس إلّا.

والثّاني: وجود ظليّ وحاكٍ؛ يأتي في المخلوقات المكرّمة: الصّفات والأسماء الإلهيّة: طبقات حقائق أهل البيت عليه السلام الصّاعدة.

نظيره: الصّورة المرآتيّة المنعكسة عن الواقعيّة الخارجيّة، والحاكية لها؛ فإنّها تأخذ جميع صفات وكمالات تلك الواقعيّة وتنعكس فيها، وإلّا لزم التّعطيل^(١)،

(١) ينبغي الالتفات: أنّ من يتدبّر في التّعطيل فسيجد أنّ في حاقّه وباطنه تشبيه؛ ومن يتدبّر في حاق وباطن التشبيه فسيجد أنّ فيه تعطيل. وعليه: قس التّقصير والغلو، والجبر والتّفويض.

لكن: هذه الصفات والكمالات ليست ثابتة بالأصالة وبالذات للصورة المرآتية، وإنما مفاضة ومُنْعَكسة عليها من الواقعية الخارجيّة، فتأمل جيّداً.

[خلوّ المقام وهذه الأبحاث من شائبة الغلوّ]

[لا شائبة ولا شبهة غلوّ في مقامات أهل البيت عليهم السلام]

ولخطورة هذه الأبحاث المعرفيّة والتّوحيديّة نُعيد ما ذكرناه سلفاً بشيءٍ من التّفصيل، فنقول: ثمّ أعلم أنّه لا تُوجد في جملة هذه الأبحاث وما سيأتي (إن شاء الله تعالى) أيّ شائبة غلوّ - وخروج عن الجادة والمنزلة الوسطى التي ليلها كنهارها جادة ومنزلة أهل البيت (صلوات الله عليهم)، وهي

→ تفسير بيانات الوحي للقدريّة بالجبر تارة وبالتّفويض أخرى

وَمِنْ ثَمَّ فُسِّرَتِ الْقَدَرِيَّةُ تَارَةً بِالْجَبْرِ، وَأُخْرَى بِالتَّفْوِيضِ.
وَالنُّكْتَةُ: أَنَّ بَاطِنَ الْجَبْرِ تَفْوِيضٌ، وَبَاطِنُ التَّفْوِيضِ جَبْرٌ. فحقيقة وروح الجبر تؤول إلى تفويض، وحقيقة وروح التّفويض تؤول إلى جبر. وَمِنْ ثَمَّ يَكُونُ كِلَا التَّفْسِيرَيْنِ وَجِيه.

والحقّ يكمن - في جميع ذلك - في سلوك (الأمر بين الأمرين)؛ وجادة أهل البيت (صلوات الله عليهم) الوسطى؛ وصراطهم المُستقيم.

أحد لغات قاعدة: (الأمر بين الأمرين)

ثمّ إنّ ما ورد في بيان قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، برهانٌ وحيانيٌّ ولغةٌ رياضيّةٌ أخرى لبيان قاعدة: (أمر بين الأمرين) الوحيانيّة، تفهمها الشعوب المتحضّرة في العصر الراهن والأسرة الدوليّة؛ فإنّها دالّان على عدم تناهي طبقات العلوم والمعلومات.

الديانة التي من تقدّمها مرق، ومن تحلّف عنها محق، ومن لزمها لحق، والتي لا تخرج إلى عوج، ولا تزيل عن منهج الحق، ولا تجد لها بديلاً، ولن تجد لها تحويلاً، نعم، هي دقيقة الوزن، حادّة اللسان، صعبة الترقّي حتّى على الحاذق اللبيب - لأنّا نعصّ بضرس قاطع على ضابطة وقاعدة معرفيّة وعقليّة بديهيّة، مستفادة من بيانات الوحي، ضربها وقنّنها علماء المعقول في القرنين الأخيرين في باب الغلوّ والتقصير، سيأتي (إن شاء الله تعالى) بيانها في بابها، مضروبة للتمييز بين الغلوّ والتقصير في صفات الخالق - المُسمّى - صاحب الذات الإلهيّة الأزليّة المقدّسة (جلّ ذكره) وأسمائه وأفعاله وكمالاته وشؤونه، وصفات المخلوق وأسمائه وأفعاله وكمالاته وشؤونه، وهي: «أنّ صفات الخالق - المُسمّى - (تقدّس ذكره) وأسمائه وأفعاله وكمالاته وشؤونه تحكمها وواقعة في إطار ضابطة: (ما منه الوجود)، بخلاف صفات المخلوق وأسمائه وأفعاله وكمالاته وشؤونه فتحكمها وواقعة في إطار ضابطة: (ما به الوجود)».

فصفة: (عدم التناهي) وسائر الصّفات والأسماء الإلهيّة - كالأسماء الذاتيّة الواردة في سورة الإخلاص: (الأحد، والصمد، ولم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد) - والأفعال والكمالات والشؤون الإلهيّة إذا نُسبت وأُسندت إلى الخالق - المُسمّى - (جلّ وتقدّس) كصفات وأسماء وأفعال وكمالات وشؤون إلهيّة فالمراد منها: (ما منه الوجود). أمّا إذا نُسبت وأُسندت إلى المخلوق كصفات وأسماء وأفعال وكمالات وشؤون مخلوقة فالمراد منها: (ما به الوجود)، وحينئذٍ لا إشكال ولا شبهة ولا شائبة غلوّ في المقام؛ بعدما أفيضت في المخلوق وتجلّت وظهرت وانعكست فيه من الدّات الإلهيّة

الأزليّة المقدّسة، فأين شائبة الغلوّ بعدما كان الجميع من ساحة القدس الإلهيّة.

بل هذه الضابطة أُستُحدثت في الآونة الأخيرة وتوسّعت بقاعدة وضابطة بديهيّة أيضاً، أكثر دقّة وغوراً وعمقاً، وهي: «أنّ ما منه الوجود على ضربين: أحدهما: (ما منه الوجود أصالة وبالذات). الآخر: (ما منه الوجود حكاية ومن الغير)».

والأوّل مختصّ ومنحصر بـ: (الذات الإلهيّة الأزليّة المقدّسة) أزلاً وأبداً.

وإلى هذا تشير بيانات الوحي، منها:

١- بيان قوله جلّ قوله: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعَاهُ سَاجِدِينَ﴾^(١).

٢- بيان قوله عزّ قوله: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾^(٢).

ودلالاتهما قد اتّضحت.

والثّاني وجود ظلّي وحاكٍ، يأتي في الممكنات، مفاض عليها من ساحة القدس الإلهيّة.

نظيره: المرآة المنطبعة فيها صورة الشّاخص الخارجيّ.

وإلى هذا تُشير بيانات الوحي الأخرى، منها:

١- بيان قوله عزّ من قائل الحاكّي لخبر النّبّي عيسى عليه السلام^(٣) في

(١) ص: ٧٢.

(٢) الزمر: ٤٢.

(٣) لا بأس بصرف النظر في المقام إلى الأمرين التّالين:

اِحْتَجَا جَاهُ عَلِيٍّ بَنِي إِسْرَائِيلَ: ﴿أَنْبِيَا أَخْلُقْ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَانْفُخْ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئِ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَنْبِئَكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١).

٢- بيان قوله تقدّس ذكره: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَكَّهْ رُسُلَنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ (٢).

٣- بيان قوله تعالى ذكره: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ يَضْرِبُونَ وَجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ (٣).

٤- بيان قوله جلّ ذكره: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ

→ الأمر الأول:

معاجز النَّبِيِّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بحوث طَبِيعَة

إِنَّ ولادة النَّبِيِّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: وإحيائه للموتى وإبرائه للأكمه والأبرص كلّ ذلك بحوث طَبِيعَة.

الأمر الثاني:

لا زال النَّبِيُّ عِيسَى وَالْيَاسُ وَادْرِيسُ وَالْخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ على شريعة سيّد الأنبياء ﷺ إِنَّ النَّبِيَّ عِيسَى وَالْيَاسَ وَادْرِيسَ وَالْخَضِرَ - على مَنْ قال بنبوّته - ﷺ ومنذُ بعثة سيّد الأنبياء ﷺ ولا زالوا تابعون إلى شريعته ﷺ ومنهاجه وطريقته، ولا يحقّ لهم التّخلف عن ذلك؛ لكونهم لا زالوا أحياء يُرزقون.

(١) آل عمران: ٤٩.

(٢) الأنعام: ٦١.

(٣) محمّد: ٢٧.

رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ»^(١).

ودلالة الجميع واضحة.

٥- بيان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): «... يا أَيُّهَا النَّاسُ، لَعَلَّكُمْ لَا تَسْمَعُونَ قَائِلًا يَقُولُ مِثْلَ قَوْلِي بَعْدِي إِلَّا مَفْتَرٍ... أَنَا مَوْتَمُ الْبَنِينَ وَالْبَنَاتِ، أَنَا قَابِضُ الْأَرْوَاحِ...»^(٢).

٦- بيانه (صلوات الله عليه) أيضاً: «... أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ بِإِذْنِ رَبِّي، أَنَا أَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ، وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ بِإِذْنِ رَبِّي وَأَنَا عَالِمُ بَضَائِرِ قُلُوبِكُمْ، وَالْأَنْثَمَةُ مِنْ أَوْلَادِي عَلَيْهِ السَّلَامُ يَعْمَلُونَ وَيَفْعَلُونَ هَذَا إِذَا أَحَبُّوا وَأَرَادُوا...»^(٣).

ودلالته - كدلالة سابقه - واضحة، ومضمونه نفس مضمون البيانات الوحيانية المتقدمة، لا سيما البيان الأول؛ فإنَّ أمير المؤمنين وسائر أهل البيت (صلوات الله عليهم) لَمَّا كانوا أشرف وأكمل المخلوقات، وأعلاها وجوداً ومقاماً ورتبةً، وكانوا وسائط الفيض الإلهي لجملة العوالم وسائر المخلوقات فما أُعطي لسائر جملة المخلوقات من شرفٍ وعزَّةٍ وكمالٍ وفضلٍ ومقامٍ ورتبةٍ فبالأولى يُعطى لهم (صلوات الله عليهم) وزيادة.

وهذا برهانٌ عقليٌّ بديهيٌّ.

ومن ثَمَّ ما تمتَّع به النَّبِيُّ عيسى عليه السلام وسائر المخلوقات المكرَّمة؛ منهم: إسرائيل وعزرائيل عليه السلام تمتَّع به أهل البيت (صلوات الله عليهم) وزيادة؛

(١) السجدة: ١١.

(٢) بحار الأنوار، ٥٣: ٤٥/ح ١.

(٣) المصدر نفسه، ٢٦: ١-٧/ح ١.

فيحيون ويميتون بفعلِ ألطف، وأعظم هيمنة، وأشدُّ سلطنة وقدرة وقوَّة على وفق القاعدة؛ ومن دون أيِّ شائبة غُلُوٍّ في المقام.
بل البراهين والبيانات الوحيانيَّة قائمة على ذلك.
فلاحظ، منها :

١- بيان الإمام زين العابدين عليه السلام، عن الثمالي، قال: «قلتُ له: جُعِلْتُ فداك، الأئمَّة يعلمون ما يُضمَر؟ فقال: علمتُ واللَّه ما علمت الأنبياء والرُّسل، ثمَّ قال لي: أزيدك؟ قلتُ: نعم. قال: ونزاد ما لم تزد الأنبياء»^(١).

٢- بيان الإمام الصادق عليه السلام: «إنَّ عيسى بن مريم عليه السلام أعطي حرفين كان يعمل بهما، وأُعطي موسى عليه السلام أربعة أحرف، وأُعطي إبراهيم عليه السلام ثمانية أحرف، وأُعطي نوح خمسة عشر حرفاً، وأُعطي آدم خمسة وعشرين حرفاً، وإنَّ الله تبارك وتعالى جمع ذلك كله لمحمَّد صلَّى الله عليه وآله^(٢)، وإنَّ اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً، أعطى^(٣) محمّداً عليه السلام اثنين وسبعين حرفاً، وحجب عنه حرفاً واحداً»^(٤).

ودلالته - كدلالة سابقه - واضحة.

[الإماتة وبقية الأفعال الإلهية على طبقات]

وَمِنْ كُلِّ مَا تَقَدَّمَ يَتَضَح: أَنَّ الإِمَاتَةَ عَلَى مَرَاتِبٍ وَطَبَقَاتٍ وَدَرَجَاتٍ مِنْ

(١) بحار الأنوار، ٢٦: ٥٥/ح ١١٤. بصائر الدرجات: ٦٦.

(٢) في البصائر: (وإنَّه جمع الله ذلك لمحمَّد صلَّى الله عليه وآله وأهل بيته).

(٣) في البصائر: (أعطى الله).

(٤) بحار الأنوار، ١٧: ١٣٤/ح ١١. أصول الكافي، ١: ٢٣٠. بصائر الدرجات: ٥٧.

حيث الغلظة واللطافة.

أحدها: ما يقوم به جنود عزرائيل عليه السلام^(١).

(١) ينبغي الالتفات في المقام إلى القضايا التالية:

القضية الأولى:

إحتياج عزرائيل عليه السلام في عملية قبض الأرواح إلى محاذاة وما شاكلها

يحتاج عزرائيل عليه السلام في عملية قبض الأرواح إلى مُحاذاة وإن كانت محاذاة ملكوتية. ومهمة عزرائيل عليه السلام الإلهية في قبض الأرواح شاملة لأرواح: البشر والجنّ والملائكة والحيوانات والنباتات.

ثم إنه يجب تنزيه فعل إماتة الباري (تقدس ذكره) عن فعل إماتة عزرائيل عليه السلام، وذلك لإحتياج فعله عليه السلام إلى نوع ملابسة روحية، وهو (تقدس آلاؤه) متى غابت الأرواح عنه كيما يحتاج إلى ملابستها والقرب منها.

القضية الثانية:

هيمنة عزرائيل عليه السلام أشمل من هيمنة جنده

إن عزرائيل عليه السلام يهيمن ويقبض أرواح الملائكة والإنس والجنّ والحيوانات والنباتات. بخلاف جنده؛ فإنهم يهيمنون على نوع من المخلوقات، فبعضهم يهيمن ويقبض أرواح الإنس فقط، والآخر يهيمن ويقبض أرواح الجنّ فحسب، والثالث يهيمن ويقبض أرواح الحيوانات حسب.

ومعناه: أن مساحات الهيمنة والاستواء تختلف بين المخلوقات.

القضية الثالثة:

نزع الروح

من يشاهد حالة موت الحيوانات ونزع أرواحها فسيجد أنها تعيش حالة ترقب ومحاربة ومواجهة ومصارعة شيئاً خفياً ينبغي استئلال روحها.

ثانيها: ألطف وأشف، وهي: ما يقوم به عزرائيل عليه السلام.

ثالثها: ألطف وأشف ممّا يقوم به عزرائيل عليه السلام، وهي: ما يقوم به الاسم الإلهي (المميت)، وهو: أحد طبقات حقيقة أمير المؤمنين وحقائق بقيّة أهل البيت (صلوات الله عليهم) الصّاعدة في مرتبة الأسماء والصفات الإلهيّة. وهذا ما تُشير إليه بياناتهم (صلوات الله عليهم)، منها: ما تقدّم، ويضاف إليها: بيان أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً، مُحاطباً الحارث الهمداني: «يا حار همدان، من يمت يرني، من مؤمن أو منافق قبلاً»^(١). وبيانه (صلوات الله عليه) أيضاً، عن عبد الرحيم القصير، قال: «قلت لأبي جعفر عليه السلام: حدّثني صالح بن ميثم، عن عباية الأسدي أنّه سمع عليّاً عليه السلام يقول: واللّه، لا يبغيضني عبد أبداً يموت على بغضي إلاّ رأي عند موته حيث يكره، ولا يحبّني عبداً أبداً فيموت على حبّي إلاّ رأي عند موته حيث يحب. فقال أبو جعفر عليه السلام: نعم، ورسول الله ﷺ باليمين»^(٢).

رابعها: وهي الألف والاشدّ على الإطلاق والمهيمنة على جميع ذلك ما يقوم به: (المُميت) - المُسمّى - صاحب الذات الإلهيّة الأزليّة المقدّسة. وعلى هذا قس الإحياء وبقية الأفعال والصفات والأسماء والشؤون^(٣).

(١) بحار الأنوار، ٦: ١٨١.

(٢) المصدر نفسه، ٣٩: ٢٣٨/ح ٢٥. فروع الكافي، ٣: ١٣٢-١٣٣.

(٣) هناك خلط حصل لدى البعض بين الفاعل بالآلة - كحال عزرائيل وإسرافيل وجندهما عليه السلام - والفاعل بالتّجليّ - كحال الباري المُسمّى (تعالى ذكره)، والأسماء والصفات الإلهيّة؛ طبقات حقائق أهل البيت عليه السلام الصّاعدة - وحكم بالوحدة.

فأين الغلو في المقام.

هذا ما يسمح به المجال وسيأتي (إن شاء الله تعالى) مزيد بيان وأدلة؛
عن هذه القضية المعرفية والعقائدية المعقدة والمهمّة والخطيرة فانتظر.

→ والحقُّ: أنَّ بينهما فرق وبون شاسع؛ فإنَّ الفاعل بالآلة ناقص؛ لإحتياجه إلى حركة،
وقرب وبُعد، ومُوازاة، ومباشرة ومعالجة. بخلاف الفاعل بالتَّجَلِّي؛ فإنَّه أكمل
أنواع الفاعل، ولا نقص فيه؛ ومن ثَمَّ لا يحتاج إلى جملة ذلك.
وإلى هذا تُشير بيانات الوحي، منها :

بيان الإمام الصادق عليه السلام في ردّه على سؤال الزنديق: «... فما هو؟ قال أبو
عبدالله عليه السلام: هو الرَّبُّ، وهو المعبود، وهو الله... قال السائل: فيُعاني الأشياء
بنفسه؟ قال أبو عبدالله عليه السلام: هو أَجَلُّ من أن يُعاني الأشياء بمباشرة ومعالجة؛ لأنَّ
ذلك صِفَةُ المخلوق الَّذي لا تَجِيءُ الأشياءُ له إِلَّا بالمباشرة والمعالجة، وهو مُتَعَالٍ
نافذُ الإرادة والمشيئة، فعَلَّ لِمَا يَشَاءُ». أصول الكافي، ١: ٥٩ - ٦١/ح ٦.

ودلالته واضحة.

[أُمُورٌ يَجْدُرُ الِاتِّفَاتُ إِلَيْهَا]

لكن قبل الرجوع إلى صلب الموضوع يجدر الالتفات إلى الأمور التالية:

الأمر الأول:

تَعْصِي الْبَعْضِ عَنْ قَبُولِ مَا وَرَدَ فِي حَقِّ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

العجب مِمَّنْ يدَّعي ويزعم انتسابه إلى مدرسة أهل البيت صلوات الله عليهم وهو لا يقبل بيانات الوحي الواردة في حقهم، ويرفض طرق العامة فضلاً عن طرق الخاصة، وكأنه يقطع نفسه عن تراث السُّنَّة الشريفة.

وقد حكمت كلمة المسلمين بالإجماع على مَنْ يقطع نفسه عن هذا التراث العظيم والخطير ب: الخروج عن مِلَّة المسلمين؛ فَإِنَّ أَقْلَ وَأَدْنَى مراتب الإسلام؛ ولا يصير الشخص من عبدة الشَّيْطَان^(١) بقوله بالروايات المتواترة بين الفريقين.

(١) مشكلة (إبليس) وأزمته السرمديّة في الخلقة، التي تذكرها بيانات الوحي لبدء طريق الشَّرِّ تكمن في عدم الولاية لولي الله ﷺ.

وشعاره ليس الإلحاد، بل التَّوْحِيد، لكن بكفر وإنكار الوسائط. وَمِنْ ثَمَّ ورد في بيانات أهل البيت (صلوات الله عليهم) أَنَّهُ يُحَاجِّجُ جملة من الأنبياء ﷺ في التَّوْحِيد، ويدَّعي أَنَّهُ أدقُّ تنظيراً في بعضها. وهذا المذهب نفس مذهب الوهابية والسُّلَفِيَّة حَذَو النَّعْلِ بِالنَّعْلِ. وهو نفس عبادة الشَّيْطَانِ الْمُتَّخِذَةِ في العصر الرَّاهِن، نعم هذه العبادة على مذاهب، وتلبَّس بموضات مختلفة؛ كيما لا تُكشَف، وهي قائمة على الفواحش والفجور، وسفك الدماء، وهتك الأعراض، وسلب الأموال.

والإنسان وإن كان حرّاً في ذلك، لكن: عليه أن يعلن عن نفسه، ويكون صريحاً مع الآخرين، ولا يخدعهم، ولا يُشبه ولا يُزيّف عليهم: أنّه من المُتشبّثين ببيانات الثقلين، والصدق هو الأهم، والخداع معيب ودجل ومكر وخديعة.

وإلى أصحاب هذا الخطّ تشير بيانات الوحي، منها :

بيان سيّد الأنبياء ﷺ: «... أيّها النَّاسُ، مالكم إذا ذُكر إبراهيم وآل إبراهيم أشرق وجوهكم، وإذا ذكر مُحمّد وآل مُحمّد قست قلوبكم وعبست وجوهكم؟! والذي نفسي بيده لو عمل أحدكم عمل سبعين نبياً لم يدخل الجنة حتّى يحبّ هذا أخي عليّاً وولده، ثمّ قال ﷺ: إنّ لله حقّاً لا يعلمه إلّا أنا وعليّ، وإنّ لي حقّاً لا يعلمه إلّا الله وعليّ، وله حق لا يعلمه إلّا الله وأنا»^(١).

ودلالته واضحة؛ فإنّ أصحاب هذا الخطّ والمنهج والمسلوك ومن جرى على شاكلتهم يُحاولون بكلّ ما أُوتوا من صنعة - بدعوى التّحقيق - هدم كلّ ما ورد من شُرُونِ وأحوالٍ ومقاماتٍ وفضائلٍ وكمالاتٍ في حقّ أهل البيت صلوات الله عليهم تحت ذريعة: الغلوّ؛ وما شاكله من ادّعاء: ضعف السند أو الدلالة أو عدم المقبوليّة؛ وإنّ كان ذلك ثابتاً بعشرات، بل بمئات الطُّرق والبيانات الوحيانيّة والسّير والنقول التّاريخيّة وما شاكلها، وكانت دلالاتها صريحة وواضحة كالشمس الضاحية ولا غبار عليها، وفي مقابل ذلك لا

(١) بحار الأنوار، ٢٧: ١٩٦/ح ٥٦. الروضة: ١٤٧.

يتورَّعون ولا تجد هذه الحساسة موجودة عندهم في حقِّ سائر المخلوقات، فيتشَبَّثون من دون أيِّ تقوى بكُلِّ شاردةٍ وواردةٍ، كتشَبُّث الغريق بالطحلب؛ لإثبات مقامات لهم^(١) وكرامات وفضائل وكمالات، ولا يعتنون بسندها ولا بدالاتها، فما عدا ممَّا بدا.

الأمر الثاني:

أعظم ظلامة لأهل البيت عليهم السلام جفوتهم في علومهم

إِنَّ أَعْظَمَ ظُلَامَةَ وَقَطِيعَةَ تَحْصِلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ أَهْلِ الْبَيْتِ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ: هَجْرَانِهِمْ وَجَفَوْتِهِمْ فِي عُلُومِهِمْ؛ لَاسِيَا الْعَقَائِدِيَّةَ وَالْمَعْرِفِيَّةَ، وَأَعْظَمَ وَأَكْبَرَ وَصَالٍ وَصَلَةٍ تَحْصِلُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ عليهم السلام - وَالَّذِي أَمَرَنَا اللَّهُ تعالى بِصَلَتِهِ -، وَأَعْظَمَ وَأَخْطَرَ رَحِمَ نَصْلُهَا وَتَوَاصُلَ مَعَهَا: الْإِتِّصَالُ بِهِمْ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَالتَّوَاصُلُ مَعَهُمْ فِي عُلُومِهِمْ لَاسِيَا الْعَقَائِدِيَّةَ وَالْمَعْرِفِيَّةَ.

الأمر الثالث:

زيادة المعرفة بأهل البيت عليهم السلام

إِنَّ زِيَادَةَ مَعْرِفَةِ الْمَخْلُوقِ بِأَهْلِ الْبَيْتِ عليهم السلام تَوْجِبُ عُلوَّ مَرَاتِبِهِ وَدَرَجَاتِهِ؛ وَعُلوَّ تَكَامُلِ جَوْهَرِهِ.

(١) مرجع الضمير: سائر المخلوقات.

الأمر الرابع:

تعظيم المخلوق

إِنَّ تعظيم المخلوق مهما بلغ إذا كان على وفق الموازين والأُسُس والأصول والقواعد الوحيانية لا يكون إِلَّا عين التَّوْحِيد، وليست فيه شائبة ورائحة الغُلُو والتَّأْلِيه. فالتفت.

الأمر الخامس:

التعامل مع معارف أهل البيت عليه السلام

التَّقصير أَشدَّ جرماً ومُؤاخَذةً ونحطاطاً من الغلو

ينبغي الالتفات: أَنَّا نتعامل في هذه المسائل والمطالب المعرفية مع علوم أهل البيت عليه السلام ومعارفهم وعقائدهم، وهي جسيمة وعظيمة وخطيرة جداً، بعض مراتبها لا يحتملها مَلَكٌ مُّقَرَّبٌ - ك: جبرئيل عليه السلام ^(١) - ولا نبيٌّ مرسل - ك: النبيِّ إبراهيم عليه السلام - ولا مؤمنٌ مُّمْتَحَنٌ - ك: سلمان رضوان الله عليه -.

(١) لا بأس بالالتفات إلى أَنَّ اسم (جبرئيل عليه السلام) مأخوذ من الجبروت والجبر، ولهما معنيان:

الأوَّل: الغضب والقدرة. فلذا كان جبرئيل عليه السلام مظهرًا لغضب الله تعالى وقدرته وبطشه وجبروته؛ ومن ثَمَّ جرى العذاب الإلهي لكثير من الأقوام السَّالفة - كقوم لوط - على يديه.

الثَّاني: جبر النقص بالكمال، ومن ثَمَّ كان جبرئيل عليه السلام يمدُّ الأنبياء والأوصياء عليه السلام بالوحي والعلم اللدني، بل ويمدُّ غيرهم من موارد جبر الكائنات.

فانظر: بيانات الوحي، منها:

بيان الإمام الصادق عليه السلام، عن أبي الصّامت، قال: «... إِنَّ حَدِيثَنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ، شَرِيفٌ كَرِيمٌ، ذِكْوَانٌ ذَكِيٌّ وَعَرٌّ، لَا يَحْتَمِلُهُ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَلَا مُؤْمِنٌ مُتَحَنٌّ. قُلْتُ: فَمَنْ يَحْتَمِلُهُ جُعِلَتْ فِدَاكَ؟ قَالَ: مَنْ شَتَّنَا يَا أَبَا الصّامِتِ. قَالَ أَبُو الصّامِتِ: فَظَنَنْتُ أَنَّ لِلَّهِ عِبَادًا هُمْ أَفْضَلُ مِنْ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ»^(١).

ودلالته واضحة.

لكن: الشك والتّرديد فيها - بعد قيام الدليل القطعي عليها - يكشف عن وجود تقصير وعداء ونصب خفيّ لأهل البيت عليهم السلام.

فلاحظ: بيانات الوحي، منها:

بيان أمير المؤمنين عليه السلام: «... لَا تَسْمُونَا أَرْبَابًا وَقُولُوا فِي فَضْلِنَا مَا شِئْتُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا مِنْ فَضْلِنَا كُنْهَ مَا جَعَلَهُ اللَّهُ لَنَا، وَلَا مَعْشَارَ الْعَشْرِ؛ لِأَنَّا آيَاتُ اللَّهِ وَدَلَالَتُهُ ... وَلَوْ قَالَ قَائِلٌ: لَمْ، وَكَيْفَ، وَفِيمَ؟ لَكُفْرٌ وَأَشْرَكٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ... مَنْ آمَنَ بِمَا قُلْتُ وَصَدَّقَ بِمَا بَيَّنْتُ وَفَسَّرْتُ وَشَرَحْتُ وَأَوْضَحْتُ وَنَوَّرْتُ وَبَرَهَنْتُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ مُتَحَنٌّ، اِمْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ، وَشَرَحَ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ، وَهُوَ عَارِفٌ مُسْتَبْصِرٌ، قَدْ انْتَهَى وَبَلَغَ وَكَمَلَ، وَمَنْ شَكَّ وَعِنْدَ وَجْهِهِ وَوَقَفَ وَتَحَيَّرَ وَارْتَابَ فَهُوَ مُقَصِّرٌ وَنَاصِبٌ...»^(٢).

(١) بحار الأنوار، ٢: ١٩٢/ح ٣٤.

(٢) المصدر نفسه، ٢٦: ١ - ٧/ح ١.

ودلالته واضحة، بعد الالتفات: أَنَّ النصب والعداء لأهل البيت عليه السلام وإن عدّه بعض العامة: خمسة عشرة دركة؛ لكن واقعه لا حدّ ولا مُتَهَيّ له، وليس له إلّا لظى. وعلى المخلوق تحديد موقفه من طبقات حقائق أهل البيت عليه السلام ومن معارفهم وعلومهم؛ فإنّه على أقلّ تقدير أَنَّ الإبتعاد عنهم عليه السلام وعن علومهم ومعارفهم لاسيما العقائديّة تقصير جليّ، وهو أشدّ ذنباً وجُرمًا وانحطاطاً من الغلوّ فيهم عليه السلام وفيها.

والوجه: أَنَّ الباري تعالى طعن في قرآنه الكريم على النصاريّ وعتهم بالضالين؛ لغلوّهم في النبيّ عيسى عليه السلام، لكنّه جلّ شأنه طعن في قرآنه الكريم أيضاً على بني إسرائيل بأشدّ من ذلك وعتهم بـ: (المغضوب عليهم)؛ وذلك لتقصيرهم في معرفته عليه السلام، وبين التّعيرين بون شاسع، يكشف عن مدى جرم التّقصير وشناعته وانحطاطه؛ لاسيما في معرفة علوم أهل البيت عليه السلام وحقائقهم لاسيما طبقاتها الصّاعدة.

وعليه: فليلتفت الهارب من شائبة الغلوّ في أهل البيت عليه السلام ومعارفهم وعلومهم أن لا يرتطم من حيث لا يشعر بمحذور التّقصير، وهو الأشنع والأشدّ جرماً وانحطاطاً ومُؤاخذه لاسيما في حقّ أهل البيت عليه السلام وعلومهم ومعارفهم لاسيما العقائديّة؛ وذلك عن طريق الإبتعاد وعدم التّعرّض لمعارفهم وعقائدهم عليه السلام الواردة في طبقات حقائقهم لاسيما الصّاعدة. والنّجاة تكمن في الجادّة الوسطى، وهي: (الأمر بين الأمرين)، وذلك عن طريق الأخذ ببيانات الوحي الواردة في حقّهم بعد عرضها على مُحكمات الشرع والدين.

بل ورد في بيانات الوحي: أَنَّ التَّقْصِيرَ فِي حَقِّ أَهْلِ الْبَيْتِ (صلوات الله عليهم) وعقائدهم ومعارفهم ومقاماتهم وشؤونهم وأحوالهم أشنع وأشدُّ جرماً - والعياذ بالله تعالى - من النصب؛ لأنَّ النصب عدااء لشيعتهم؛ بخلاف التقصير فإنه عدااء لهم ﷺ، وأيُّ جرمٍ أعظم وأخطر من هذا.

فانظر: بيانات الوحي، منها :

١- جواب الإمام الصادق عليه السلام عن سؤال المُفَضَّل بن عمر^(١)، قال: «... يا مولاي، مَنْ الْمُقَصِّرُ...؟ قال: يا مُفَضَّل، هم الَّذِينَ هَدَاهُم اللهُ إِلَى فَضْلٍ عَلِمْنَا، وَأَفْضَى إِلَيْهِمْ سَرَرْنَا فَشَكُّوا فِينَا، وَأَنْكَرُوا فَضْلَنَا... قال المُفَضَّل: يا مولاي، أليس قد روينا عنكم أَنَّكُمْ قُلْتُمْ... والتَّالِي نلحقه بنا، قال: ... التَّالِي هم من خيار شيعتنا، القائلين بفضلنا، المُسْتَمْسِكِينَ بِحَبْلِ اللهِ وَحَبْلَنَا، الَّذِينَ يَزِدَادُونَ بِفَضْلِنَا عِلْماً، وَإِذَا وَرَدَ عَلَى أَحَدِهِمْ خَيْرٌ قَبْلَهُ وَعَمَلٌ بِهِ وَلَمْ يَشْكُ فِيهِ، فَإِنْ لَمْ يَطْقِهِ رَدُّهُ إِلَيْنَا، وَلَمْ يَرِدْ عَلَيْنَا...»^(٢).

٢- بيانه عليه السلام أيضاً: «... النَّاصِبَةُ أَعْدَاؤُكُمْ، وَالْمُقَصِّرُ أَعْدَاؤُنَا؛ لِأَنَّ النَّاصِبَةَ تُطَالِبُكُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا عَلَيْنَا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعِثْمَانَ، وَلَا يَعْرِفُوا مِنْ فَضْلِنَا شَيْئاً، وَالْمُقَصِّرُ قَدْ وَافَقَكُمْ عَلَى الْبَرَاءَةِ مِمَّنْ ذَكَرْنَا، وَعَرَفُوا فَضْلَنَا فَأَنْكَرُوهُ وَجَحَدُوهُ، وَقَالُوا: هَذَا لَيْسَ لَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ بَشَرٌ مِثْلُنَا، وَقَدْ صَدَقُوا أَنَّنَا بَشَرٌ

(١) إِنَّ الْمُفَضَّلَ بْنَ عُمَرَ كَانَ مِنَ النَّوَابِ الْخَاصِّينَ لِلْإِمَامِ الصَّادِقِ (صلوات الله عليه)، وهو ذو قدم راسخ في المعرفة وأسرار المعارف والعقائد.

(٢) الهداية الكبرى: ٤٣١.

مِثْلَهُمْ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ بِمَا يُفَوِّضُهُ إِلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ فَنَحْنُ نَفْعَلُ بِإِذْنِهِ ...»^(١).

ودلالتها واضحة. ومن ثَمَّ وجب على العاقل - لاسيما مَنْ تَزَيَّيْ بجلباب العلم - بذل قصار جهده للخروج عن هذه الدائرة وعنوان التقصير وما يصاحبه من الأمراض النفسية والمعنوية - ك: الجهل المُركَّب، والقناعات المُسَبَّقة، والشكَّ والرَّيبة والتردُّد في قبول ما قام عليه الدَّلِيل من مقامات لأهل البيت (صلوات الله عليهم) وشؤونهم وأحوالهم.

والإنسان وإن كان حُرّاً في تصرُّفاته واعتقاداته لكننا أحببنا التَّنبُّه على ذلك.

الأمر السادس:

نُكْتَة عدم استيعاب عقول المخلوقات لشؤون أهل البيت عليه السلام

إنَّه لَمَّا كانت هذه المعارف الإلهية بكرة لم تُفْتَق من قبل قطُّ بهذا الشكل والبيان الموجود في سلسلة المعارف الإلهية هذه، ولم يُنْبَس بها بنت شفة - مع أنَّ بيانات الوحي زاخرة بها - فمن الطبيعي يحصل فيها توقُّف وتردُّد لدى مَنْ يُخْبِر من ضعيفي الإيمان بمقاماتهم (صلوات الله عليهم) وبصفاتهم وأسمائهم وكمالاتهم وفضائلهم وشؤونهم وأحوالهم؛ وإن قام عليها الدَّلِيل القطعي.

مضافاً: أنَّ ما جادت به يد ساحة القدس الإلهية على أهل البيت (صلوات الله عليهم) عطايا لا تتحمَّل تصوُّرها طاقة وقابلية مخلوق قطُّ،

ولا يمكن خطورها على بالٍ قَطُّ فمن الطبيعي أيضاً حصول توقُّف وتردُّد لدى من يطلَّع عليها من ضعيفي الإيمان أو يُخبر بها وإن قام عليها الدليل القطعي. بعد الالتفات: أنَّ لازم ذلك التوقُّف والشك والتردُّد: إلحاد وشرك وكفر بالله (العزير الجبار). وهذا ما نبَّهت عليه وحذرت منه بيانات الوحي، منها:

١- إطلاق بيان الحديث القدسي: «... يا مُحَمَّد ... وعزِّي وجلالي، لو لقيني جميع خلقي يشكُّون فيكَ طرفة عين، أو يبغضون صفوتي مِنْ ذُرِّيَّتِكَ لأدخلتهم ناري ولا أبالي...»^(١).^(٢)

-
- (١) بحار الأنوار، ١٨: ٣٩٧/ح ١٠٠. اليقين في أُمرة أمير المؤمنين: ٨٩ - ٩١.
(٢) يجدر الالتفات في المقام إلى القاعدة المعرفية التالية:

الأدب في باب الإصطفاء انعكاس لحقائق ومقامات إلهية

هناك قاعدة جارية في أبواب المعارف مُهمّة جدًّا، ينبغي صرف النظر إليها. لكن غفل عنها الكثير، بل يستهينون بها ولم يدركوا مغزاها، وهي: «أنَّ الأدب في باب الإصطفاء عبارة عن انعكاسات حقائق. كما أنَّ الفضائل في باب الإصطفاء - أيضاً - الواردة في بيانات الوحي ليست مُجاملات، بل كاشفة عن حقائق ومراتب كمالات ومقامات إلهية».

وعليه: فالآداب بين الباري (جَلَّ ثناؤه) والأصفياء، أو بين نفس الأصفياء كاشف عن كمالات ومقامات إلهية يتمتّع بها الأصفياء.

تعامل أم البنين وأولادها مع الحسين عليه السلام

ومنه يتّضح: أنَّ الأدب الحاصل من أبي الفضل العباس وإخوته ووالدتهم أم البنين مع سيّد شباب أهل الجنة عليه السلام دليل على تمتّعهم بكمالات ومقامات إلهية.

→ ومن ثمَّ ذكر علماء المعقول في العلوم العقلية: «أنَّ الآداب انعكاس لهيئات الأخلاق».

وبعبارة أخرى: أنَّ لغة الفضائل ولغة المدح والمديح الواردة في بيانات الوحي: أحد مناهج ولغات بيانات الوحي المعرفية، ومعناها: الحجية، بخلاف لغة: (الذم)، فإنَّها تعني في بيانات الوحي المعرفية وفي لغة العقل العملي: عدم الحجية.

ومنه يتَّضح: ما ورد في كثير من بيانات الوحي المعرفية، وفي مواطن وموارد عديدة الدائمة والمعانة لأفعال بعض زوجات سيِّد الأنبياء ﷺ - كما ورد ذلك في سورة التحريم، ومعناها: لغة من لغات المعارف والعقائد الإلهية - معلنة ومثبتة: أنَّ زوجات سيِّد الأنبياء ﷺ لا يتمتَّعن بالحجية الإلهية ولا بالإصطفاء الإلهي.

وعلى ضده قس المدح والثناء الخاص والصادر في بيانات الوحي في حقَّ أهل البيت ﷺ - كالوارد في سورة الدهر وسورة الحشر -؛ فإنَّه ليس كالمدح والثناء البشري، ولا كالمدح والثناء بمقتضى العادة أو العرف، وإنَّها مدح وثناء إلهي ناسوتي وناموسي إلهي، بُيِّنَ فيه فضائل أهل البيت ﷺ وكما لا تتم وكراماتهم ومقاماتهم الإلهية بصورة خاصَّة، ومعناه: تتمُّع أهل البيت (صلوات الله عليهم) بالحجية الإلهية، وبالإصطفاء الإلهي، وبوجوب طاعتهم.

وبعبارة أخرى: أنَّ بيانات الوحي تُعبِّر في مواد كثيرة عن حقائق المعارف والعقائد الإلهية بلغات خاصَّة - لا عامَّة - عديدة، فبدل أنَّ يُبيِّن الباري ﷻ أحد فضائل ومقامات أهل البيت ﷺ الإلهية - مثلاً - بلغة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا الْأَمْرَ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، يُبيِّنُ بلسانٍ ولغةٍ أخرى، كلغة: ﴿وَهُوَ بِالْأَقْصَى الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم: ٧-٩]، أو بلغة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وسائر المدح والثناء الذي لم يُخصَّ الباري تعالى به أحدًا من هذه الأمة إلاَّ أهل البيت (صلوات الله عليهم).

→ وهذا التخصيص وهذه الموازين والحفاوة والكرامة والوجاهة الصادرة من ساحة القدس الإلهية ليست موازين وحفاوة وتكريم وتوجيه بشراً أو عرفاً أو عادةً جارية، وإنما موازين ربوبية وناسوتية وناموسية إلهية قائمة على وفق قاعدة: «ليس بين الله ﷻ وأحد قرابة». وعليه: فحينما يصحر الباري جلّ شأنه بفضائل ويأتي ببناء ومدائح في حق مخلوق فمعناه: اصطفاء إلهي؛ وحجية؛ ووجوب طاعة؛ ووجوب ولاية إلهية، غاية الأمر أن هناك فارقاً بين لغة بيانات الوحي المصرحة، ك: بيان قوله جلّ قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا أَمْرُ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، ولغتها المعرّضة، ك: بيان قوله عزّ من قائل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب: ٣٣]، فإن لغة الأولى لغة عقل نظري، بخلاف لغة الثانية؛ فإنّها لغة عقل عملي.

إذن: لغة الكرامات والفضائل والمدائح الواردة في بيانات الوحي لغة حجية إلهية، ولغة معارف وعقيدة إلهية، وليست (والعياذ بالله تعالى) لغة شعر أو نثر، أو مديح بترنم فيه مسحة خيال أو مداعبات للخيال، ومن ثمّ يؤكد الباري جلّ قدسه كراراً ومراراً: أن ما ورد في قرآنه الكريم ليس شعر شاعر وما شاكلة، وإنما هو عبارة عن كشف عظيم للحقائق والواقعيّات الكونية المهولة الثابتة في عوالمها غير المتناهية.

فانظر: بيانات الوحي، منها:

بيان قوله عزّ من قائل: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ [يس: ٦٩].

برهانٌ وحيانيٌّ عظيمٌ يُثبت حجية اصطفاء الزّهاء ﷺ

ومنه يتّضح: برهاناً وحيانياً عظيماً على حجية الزّهاء (صلوات الله عليها)؛ فإنّ الباري في قرآنه الكريم ركّز عليها في مواطن وموارد عديدة، منها:

٢- بيان سيّد الأنبياء ﷺ: «إِنَّ حَدِيثَ آلِ مُحَمَّدٍ صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ، لَا يُؤْمَنُ بِهِ إِلَّا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، أَوْ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، أَوْ عَبْدٌ اِمْتَحَنَ اللَّهَ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ... وَإِنَّمَا الْهَالِكُ: أَنْ يُحَدِّثَ بِشَيْءٍ مِنْهُ لَا يَحْتَمِلُهُ فَيَقُولُ: وَاللَّهِ، مَا كَانَ هَذَا شَيْئًا، وَالْإِنْكَارُ هُوَ الْكُفْرُ»^(١).

٣- بيانه ﷺ في وصيته لابن عباس الواردة في حقِّ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): «... يَا بَنَ بْنَ عَبَّاسٍ إِحْذَرُ أَنْ يَدْخَلَكَ شَكٌّ فِيهِ؛ فَإِنَّ الشَّكَّ فِي عِلِّيٍّ كُفْرٌ بِاللَّهِ تَعَالَى»^(٢).

→ ١- بيان قوله عزّ قوله: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١].

٢- بيان قوله عزّ ذكره الوارد بخصوصها وبنيتها (صلوات الله عليهم): ﴿وَيُطْعَمُونَ فِي الْمَوَاقِفِ الْوُجُوهَ وَالْأَسْرَارَ * إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نَرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا غُيُوبًا فَنُطْفِرُكُمْ﴾ [الإنسان: ٨-١٠].

وعلى هذا قس بيان آية التطهير وسائر بيانات الوحي الواردة بخصوصها وسائر أهل البيت (صلوات الله عليهم)؛ فإنّها براهين وحيانيّة، ولغة من لغات المعارف والعقائد الإلهيّة، تُثبت: أَنَّ لَفَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ (صلوات الله عليها) حُجَّةٌ إلهيّة واصطفاء إلهيّة.

وهذه نُكْتَةٌ مُهمّةٌ في منظومة معارف وعقائد الوحي الإلهي، يلزم صرف النظر إليها وإلى هذه اللُّغة والتَّعامل معها.

(١) بحار الأنوار، ٢: ١٨٩/ح ٢١.

(٢) المصدر نفسه، ١٦: ٣٢٠/ح ٧٤. مجالس ابن الشَّيْخ: ٦٤ - ٦٥. فضائل شاذان بن

جبرئيل: ٧-٥. الروضة: ١٥٦.

٤- بيان الإمام الباقر عليه السلام، عن جابر بن يزيد، قال: «... يا جابر، حديثنا صعب مستصعب، أمرد، ذكوان، وعر أجرد، لا يحتمله واللّه إلا نبيّ مُرْسَل، أو ملكٌ مُقَرَّب، أو مؤمنٌ مُتَحَن، فإذا ورد عليك يا جابر شيءٌ من أمرنا فلان له قلبك فاحمد الله، وإن أنكرته فردّه إلينا أهل البيت، ولا تقل: كيف جاء هذا؟ وكيف كان؟ وكيف هو؟ فإنّ هذا واللّه الشرك باللّه العظيم»^(١).
ودلالاتها واضحة.

وبالجملة: لعظم هول ما أُعطي لأهل البيت (صلوات الله عليهم) وعظم خطره يحصل لدى من يطّلع عليها أو يُخبر بها وإن كان بدليلٍ قطعيٍّ يقينيٍّ توقُّفاً أو شكّاً أو تردُّداً أو إلحاداً أو شركاً أو كفراً بعضه جليّ، والآخر خفيّ على دركات غير متناهية، مشمولة ببيان قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾^(٢)، يرجع إلى مدى تحمّل قابليّات واستعدادات المخلوق.

الأمر السابع:

الإصلاح الأكبر يكمن في بث البصيرة

إعداد الكلّ لمركزيّة المعصوم من أهل البيت عليه السلام

إنّ الإصلاح الأكبر يقوم على بث البصيرة في الأمّة الإسلاميّة

(١) بحار الأنوار، ٢: ٢٠٨/ح ١٠٢.

(٢) يوسف: ١٠٦.

والإيمانية، بل في كافة البشرية.

وأكبر طريق صلاح وإصلاح: إعداد الكل لمركزية المعصوم عليه السلام، وبث منهاج أهل البيت صلوات الله عليهم، لكن: لا بالية تُنفّر الطرف.

وهذا الطريق يحتاج إلى توازن، وهو صعب ومستصعب. والمُحكّم في المقام قاعدة: (لا يسقط الميسور بالمعسور).

الأمر الثامن:

كافة أسباب القوة والقدرة بيد أهل البيت عليهم السلام

إنّ جميع أسباب: القوة والقدرة والقيادة والإدارة والحكم وما شاكلها بيد أهل البيت (صلوات الله عليهم)، لكنهم يستعملونها بطريقة سلمية، مدنيّة، حضارية. فراجع بيناتهم (صلوات الله عليهم) وسيرهم وأحوالهم وشؤونهم تجد صدق ما نقول واضحاً وجليّاً.

الأمر التاسع:

عدل أهل البيت عليهم السلام أحد أسباب قوتهم واقتدارهم

إنّ أحد أسباب قوّة وقدرة أهل البيت (صلوات الله عليهم): أنّهم ينصفون عدوّهم قبل أن ينصفوا وليّهم، فذاك أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) يأمر ذويه بإنصاف قاتله ابن ملجم (لعنة الله عليه) حتّى في صغائر ومُحقّرات الأمور، مع أنّه اعتدى عليه بالغدر والغيلة والفتك والدجل، وبدناءة لا أخلاقية في المواجهة والمجابهة، بل ولا أخلاقية في العدوان، ومع

كُلُّ هذا وغيره لم يكن لِعَيِّ الطُّهر (صلوات الله عليه) إِلَّا الإنصاف معه،
فَأَيُّ نفس هذه.

الأمر العاشر:

تطهير النفس من شُبْهة الغُلُوِّ

إِنَّ مَنْ لم يُطَهَّر باطن فكره من شُبْهة الغُلُوِّ - كالوهابية والسلفية
والأشعرية وَمَنْ شَاكَلَهُمْ من الْفِرَقِ المنحرفة بعضها من الوسط الداخلي -
فسيرتطم لا محالة - شَعَرَ بذلك أم لا - بمحذور التَّقْصِير؛ فَإِنَّ كُلَّ غُلُوٍّ -
وبحسب ما عليه البرهان العقلي - فيه تقصير، وكذا العكس، شبهه التشبيه
والتعطيل، فَإِنَّ بينهما استلزم أيضاً، والجاذبة الوسطى جاذبة أهل البيت
(صلوات الله عليهم) تكمن في: (الأمر بين الأمرين)، وهي: المعرفة
بالآيات الإلهية، وهذا أمرٌ معرفيٌّ عظيم جداً.

الأمر الحادي عشر:

الغُلُوُّ والتَّقْصِيرُ أحدهما يستبطن الآخر

إِنَّ معنى الغُلُوِّ ليس ما يظنُّه الكثير من أَنَّهُ إعطاء الحقَّ وزيادة، بل إيفاء
بما للشيء من حقيقةٍ وزيادة.

ثُمَّ إِنَّه ينبغي الالتفات: أَنَّ في كُلِّ غُلُوٍّ تقصير وفي كُلِّ تقصير غُلُوٌّ.

بيان ذلك يتمُّ من خلال البيان الرياضي والهندسي التَّالي، وهو: أَنَّهُ لو

أريد توزيع مادة مُعَيَّنة على أقسام ولتكن ثلاثة - فلو فرض أنَّه أنقص من مادة القسم الأوَّل شيء، وحصل فيه تقصير فسيحصل تلقائيًّا غُلُوٌّ في أحد القسمين الآخرين أو في كليهما؛ فَإِنَّه لا بُدَّ أَنْ يُدْفَعَ ما أُخِذَ من القسم الأوَّل: إمَّا لأحد القسمين أو لكليهما.

وعلى هذا قس العكس؛ فَإِنَّه لو دُفِعَ للقسم الأوَّل أكثر من مادَّته وحصل فيه غُلُوٌّ فلازمه وقوع التَّقْصِير في أحد القسمين الآخرين أو في كليهما. ومنه يَتَّضِح: أَنَّ اتباع السَّقِيفَةِ حينما قَصَّروا في حَقِّ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ونفوا عنهم العصمة والإمامة وما شاكلها، أثبتوها عمليًّا لأَصْحَابِ السَّقِيفَةِ، وجعلوا الفقهاء الأربعة ناموس الدِّين وأئِمَّتَه.

وعلى هذا قس حال الصوفيَّة والعرفاء؛ فَإِنَّهم يسلبون خصوصيَّات ثابتة لأهل البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ ويثبتونها لغيرهم.

وبالجملة: أَنَّ مَنْ يَقْصُر في جهةٍ كما لو قَصَرَ في عصمة أهل البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ وإمامتهم ومقاماتهم وشؤونهم وغيرها فلا بُدَّ أَنْ يدفع بتلك العصمة والإمامة والمقامات وغيرها إلى غيرهم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومن ثَمَّ حصول غُلُوٍّ في حَقِّ ذلك الغير.

إِذْنُ: كُلُّ مُغَالٍ مُقْصِرٍ، وكُلُّ مُقْصِرٍ مُغَالٍ، والنَّجاة تكمن في سلوك الجادة الوسطى التي لا نهاية لها، جادة أهل البيت (صلوات الله عليهم)، والتي لا تخرج إلى عوج، ولا تزيل من منهج الحق.

الأمر الثاني عشر:

عظمة وخطر وهول الرؤية العقائدية

هناك فارق بين الرؤية العقائدية من جهة والرؤية الفكرية والسياسية والأخلاقية وفقه الفروع من جهة أخرى؛ فإن طبيعة الرؤية العقائدية رؤية جبارة واسعة الأفق والمدى، وعبارة عن ملفات وبرامج تبقى فعالة في العوالم اللاحقة؛ فلذا صارت العقيدة أصل الدين وعروته الوثقى، ومن ثم من يتمسك بالعقيدة والمعرفة الحقّة تكون له أمان عبر جملة العوالم غير المتناهية وضمان واثق جداً أعظم من دون قياس من وفقه الفروع^(١)؛ فلذا من يمتلك معلومات وخريطة ورؤية عقائدية ومعرفة يُنتقل به من عالم إلى آخر من دون أن يعثره اضطراب أو حيرة أو بلبلة؛ لكون الخريطة العقائدية والمعرفة

(١) لا بأس بالالتفات إلى أن مقصود الفقهاء والمتكلمين من أن تفاصيل العقائد من الفروع: أنها لا تُخرج من لا يعتقد بها من حومة الإيمان. نعم قد يحرم نفسه ويُفوت عليها في الآخرة الأبدية مراتب وكمالات وفضائل أبدية صاعدة.

فانظر: بيانات الوحي، منها:

بيان أبي جعفر عليه السلام: «فضل إيمان المؤمن بحمله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ [القدر: ١] وتفسيرها على من ليس مثله في الإيمان بها كفضل الإنسان على البهائم. وإن الله تعالى ليدفع بالمؤمنين بها عن الجاحدين لها في الدنيا لكمال عذاب الآخرة لمن علم أنه لا يتوب منهم ما يدفع بالمجاهدين عن القاعدين، ولا أعلم في هذا الزمان جهاداً إلا الحج والعمرة والجوار». بحار الأنوار، ٢٥: ٧٤ / ح ٦٣. كنز الفوائد: ٣٩٥-٣٩٨.

للعوالم اللَّاحِقَة - كَعَالَم: البرزخ، والرَّجْعَة، والقيامة، والآخرة الأبدية وما بعدها - مكشوفة ومعلومة لديه من البداية، فتهون عليه أهوال تلك العوالم، ولا تحصل لديه مفاجئة واضطراب.

بخلاف مَنْ حَرَمَ نفسه أو حُرِمَ من تلك المعلومات والخريطة والرؤية العقائدية والمعرفية؛ فَإِنَّهُ سرعان ما يضطرب بمُجَرَّدِ إتيابه أو إعتراه حالة في بدنه أو في نفسه أو في روحه أو عقله أو قلبه أو سرّه أو خفيّه أو أخفاه؛ كمفارقة كُلِّ واحدةٍ من هذه الطَّبَقَاتِ لحقيقته.

بعد الإلتفات: أَنَّ أهوال كُلِّ عَالَمٍ من العوالم الصَّاعِدَة بالنسبة إلى ما قبلها من أهوال العوالم النَّازِلَة أكثر اضطراباً وأخطر إنزلاقاً.

وبالجملة: طبيعة الرؤية العقائدية: رؤية واسعة المدى، عظيمة الشأن والتأثير والهيمنة والتَّحَكُّم في توازن المخلوق - لاسيما الإنسان - في جملة شؤونه وحالاته، وعبر كافة العوالم غير المتناهية؛ لاسيما في العوالم الصَّاعِدَة.



[رجوع إلى صلب الموضوع]

المثال الثاني: لفظ: (العين)؛ فإنه لم يُوضع حقيقة لمعنى الجسم الكروي الشَّحْمِي المعهود، بل لغايتها، وهي: ما يُدرك ويُبصر به، والعين الشَّحْمِيَّة مبدأ ومنطلق وآلة لحصول هذه الغاية، وحينئذٍ يصدق لفظ: (العين) حقيقة إذا حصلت تلك الغاية؛ سواء حصلت بالعين الشَّحْمِيَّة أم بغيرها.

وعليه: فإن أُستعمل لفظ: (العين) في خصوص معنى العين الشَّحْمِيَّة بخصوصيَّتها الحسيَّة^(١) الماديَّة كان استعمالاً مجازياً، وإن أُستعمل في المعنى

(١) يجدر الالتفات في المقام إلى الأمور التالية :
الأمر الأول:

الحواس الخمس موجودة في جملة أبدان العوالم الجسمانيَّة
إنَّ الحواسَّ الخمس لا تنحصر بأدوات الحواسَّ الخمس الدنيويَّة الغليظة المعهودة، بل تشمل حواسَّ العوالم الأخرى، ك: عالم البرزخ وعالم القيامة وعالم الآخرة الأبدية وما بعدها.

الأمر الثاني:

الحواسَّ الخمس تُفَعَّل في عالم الآخرة الأبدية

إنَّ ما ورد في بيانات الوحي، منها :

١- بيان قوله جلَّ قوله: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ [الكهف: ٣١].

٢- بيان قوله عزَّ قوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾ [الواقعة: ٢٥].

الجامع بين معنى المصداق الحسي المادي - وهو: (العين الشحيمة) - وغاياته - ك: (الإبصار) - كان استعمالاً حقيقياً، وهذه الغايات مخلوقات وآيات في عوالم صاعدة.

وهذا ما تشير إليه بيانات الوحي الوافرة الباهرة، منها:

١- بيان أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا علم الله، وأنا قلب الله الواعي، ولسان الله الناطق، وعين الله الناضرة، وأنا جنب الله...»^(١).

٢- بيان أبي جعفر عليه السلام: «نحن حُجَّةُ الله، ونحن باب الله، ونحن لسان الله، ونحن وجه الله، ونحن عين الله في خلقه، ونحن ولادة أمر الله في عباده»^(٢).

وهذه جواهر وحقائق تكوينية، ومخلوقات: باهرة، وخطيرة، ومهولة، وعظيمة جداً؛ من مخلوقات: (عالم الصفات والأسماء الإلهية)، وهي بعض طبقات حقائق أهل البيت عليه السلام الصاعدة؛ في مرتبة: (عالم الصفات والأسماء

→ براهين وحيانية دالة على تفعيل الحواس الخمس في عالم الآخرة الأبدية، لكنها حواس الجسم الأخروي.
الأمر الثالث:

قاعدة: «الحس لا يثبت بالحس»

إن قاعدة: «الحس لا يثبت بالحس» قاعدة بديهية؛ فإن الشيء لا يكون دالاً ومدلولاً من جهة واحدة وفي آن واحد.

(١) بصائر الدرجات، ١: ١٤٣/ح ٢٦٣- ١٣. توحيد الصدوق: ١٦٣/ح ١.

(٢) بصائر الدرجات، ١: ١٣٧/ح ٢٥١- ١. الكافي، ١: ١٤٥/ح ٧.

الإلهية)، مُتَجَلِّية ومُشْتَقَّة منها: (طبقات ذواتهم ﷺ النازلة)، و(طُرِّ العوالم)، و(جملة المخلوقات)؛ كالعرش^(١)، وما فوقه، وما دونه. فتأمل جيداً واغتنم.

وهذه المعارف الوحيانية الإلهية الخطيرة، المشحونة بها بيانات أهل البيت ﷺ كانوا ﷺ يؤولونها؛ ويحملونها على معانيها المجازية لِمَنْ تبدوا عليه أمارات عدم التَّحَمُّل؛ دفعاً عن وقوعه في الضلال والزَّيغ والانحراف، فَإِنَّ علومهم ومعارفهم ﷺ لا يتحمَّلها إِلَّا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، أَوْ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، أَوْ عبدٌ مُؤْمِنٌ امتحن الله قلبه للإيمان.

فانظر: بيانات الوحي، منها:

أَوَّلًا: بيان سيِّد الأنبياء ﷺ: «إِنَّ حَدِيثَ آلِ مُحَمَّدٍ صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ، لَا يُؤْمِنُ بِهِ إِلَّا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، أَوْ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، أَوْ عَبْدٌ أَمْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ، فَمَا وَرَدَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَدِيثِ آلِ مُحَمَّدٍ (صلوات الله عليهم) فَلَا تَنْتَ لَهُ قُلُوبَكُمْ وَعَرَفْتُمُوهُ فَاقْبَلُوهُ، وَمَا أَشْمَأَزَتْ قُلُوبَكُمْ وَأَنْكَرْتُمُوهُ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى الْعَالَمِ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَإِنَّمَا الْهَالِكُ أَنْ يُحَدِّثَ بِشَيْءٍ مِنْهُ لَا يَحْتَمِلُهُ فَيَقُولُ: وَاللَّهِ، مَا كَانَ هَذَا شَيْئًا وَالْإِنْكَارُ هُوَ الْكُفْرُ»^(٢).

ثانيًا: بيان الإمام الباقر عليه السلام، عن جابر بن يزيد، قال: «... حديثنا

(١) يجدر الالتفات: أَنَّ (العرش) هو مركز القدرة. ومنشأ القدرة وينبوعها وقوامها الأساس هو: العلم، فيكون قِوَامُ العرش هو: العلم.

(٢) بحار الأنوار، ٢: ١٨٩/ح ٢١.

صعب مستصعب، أمرد، ذكوان، وعر، أجرد لا يحتمله والله إلا نبي مرسل، أو ملك مقرب، أو مؤمن ممتحن، فإذا ورد عليك يا جابر شيء من أمرنا فلان له قلبك فاحمد الله، وإن أنكرته فردّه إلينا أهل البيت، ولا تقل: كيف جاء هذا؟ وكيف كان وكيف هو؟ فإنّ هذا والله الشك بالله العظيم^(١).

ثالثاً: بيانه عليه السلام أيضاً: «إنّ حديث آل محمد صعب مستصعب، ثقل مُقنّع، أجرد ذكوان، لا يحتمله إلا ملك مقرب، أو نبي مرسل، أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان، أو مدينة حصينة، فإذا قام قائمنا نطق وصدقه القرآن»^(٢).

رابعاً: بيانه عليه السلام أيضاً: «إنّ حديثنا هذا تسمّز منه قلوب الرّجال، فمن أقرّ به فزيده، ومن أنكره فذروه، إنّه لأبدّ من أن تكون فتنة يسقط فيها كلّ بطانة ووليّة حتّى يسقط فيها من كان يشقّ الشّعرة بشعرتين حتّى لا يبقى إلا نحن وشيعتنا»^(٣).

خامساً: بيان الإمام الصادق عليه السلام: «خالطوا النّاس بما يعرفون، ودعوهم ممّا ينكرون، ولا تحملوا على أنفسكم وعلينا، إنّ أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا ملك مقرب، أو نبي مرسل، أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان»^(٤).

(١) بحار الأنوار، ٢: ٢٠٨/ح ١٠٢.

(٢) المصدر نفسه: ١٩١/ح ٢٧.

(٣) المصدر نفسه: ١٩٣/ح ٣٩.

(٤) المصدر نفسه: ٧١/ح ٣٠.

ودلالة الجميع واضحة ولا غبار عليها.

بل بعض طبقات علومهم (صلوات الله عليهم) لا يتحملها ملك
مُقَرَّب ك: جبرئيل عليه السلام - ولا نبي مرسل - ك: النبي إبراهيم عليه السلام - ولا مؤمن
مُمتَحَن - ك: سلمان رضي الله عنه - إِلَّا مَنْ شَاؤُوا صلوات الله عليهم.

فلاحظ: بيانات الوحي الباهرة الأخرى، منها:

بيانه عليه السلام، عن أبي الصّامت أيضاً، قال: «إِنَّ حَدِيثَنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ،
شَرِيفٌ كَرِيمٌ، ذَكَوَانٌ ذَكِيٌّ وَعَرٌ، لَا يَحْتَمِلُهُ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَلَا
مُؤْمِنٌ مُتَمَحَّنٌ. قُلْتُ: فَمَنْ يَحْتَمِلُهُ جُعِلْتُ فِدَاكَ؟ قَالَ: مَنْ شِئْنَا يَا أَبَا
الصَّامِتِ. قَالَ أَبُو الصَّامِتِ: فَظَنَنْتُ أَنَّ لِلَّهِ عِبَاداً هُمْ أَفْضَلُ مِنْ هَؤُلَاءِ
الثَّلاثَةِ»^(١).

ودلالته واضحة.

بل بعض طبقات علومهم (صلوات الله عليهم) لا يتحملها أيضاً
مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَلَا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ اِمْتَحَنَ اللهُ قَلْبَهُ لِلإِيْمَانِ إِلَّا هُمْ
(صلوات الله عليهم) ليس إلا.

فانظر: بيانات الوحي الباهرة الأخرى، منها:

أولاً: بيان الإمام الباقر عليه السلام: «إِنَّ حَدِيثَنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ، ذَكَوَانٌ
أَجْرَدٌ، لَا يَحْتَمِلُهُ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَلَا عَبْدٌ اِمْتَحَنَ اللهُ قَلْبَهُ

(١) بحار الأنوار، ٢: ١٩٢/ح ٣٤.

للإيمان، أمّا الصعب فهو الذي لم يُركب بعد، وأمّا المستصعب فهو الذي يُهرّب منه إذا رأى، وأمّا الذكوان فهو ذكاء المؤمنين، وأمّا الأجرد فهو الذي لا يتعلّق به شيء من بين يديه، ولا من خلفه، وهو قول الله: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾^(١)، فأحسن الحديث حديثنا، لا يحتمل أحد من الخلائق أمره بكماله حتّى يحده، لأنّ مَنْ حدّ شيئاً فهو أكبر منه^(٢).

ثانياً: بيان الإمام الصادق عليه السلام المتقدّم، عن أبي الصّامت، قال: «إنّ من حديثنا ما لا يحتمله ملكٌ مُقَرَّب، ولا نبيٌّ مُرْسَل، ولا عبدٌ مؤمن. قلتُ: فمن يحتمله؟ قال: نحن نَحْتَمِلُهُ»^(٣).

ودلالته - كدلالة سابقه - واضحة أيضاً.

وهذا بخلاف مَنْ يتلقّى بياناتهم (صلوات الله عليهم) وعلومهم ومعارفهم الخطيرة المهولة بالقبول والرضا والإيمان؛ فإنّهم (صلوات الله عليهم) يبقونها على حالها من دون تأويل. فلاحظ تلك البيانات الوحيانيّة تجد صدق ما نقول واضحاً.

وحيث يُحتمل في حقّ مُتَلَقِّيها حملها على معانيها الحقيقيّة، فلو كان مقصوده عليه السلام منها ليست تلك المعاني الحقيقيّة، بل المجازيّة لزم في حقّه عليه السلام تأويلها وحملها على تلك المعاني المجازيّة، وإلّا لزم في حقّ مُتَلَقِّيها وحاملها

(١) الزمر: ٢٣.

(٢) بحار الأنوار، ٢: ١٩٤.

(٣) المصدر نفسه: ١٩٣/ح ٣٦.

على معانيها الحقيقية الوقوع في الزلل والزيف والضلال والانحراف المعرفي والعقائدي وهو الأخطر، لكن حيث إنَّ المعصوم عليه السلام في مقام دفع ورفع هذه المحاذير في حقِّ المخلوقين؛ فعدم حمله (صلوات الله عليه) تلك الألفاظ على معانيها المجازية دليل على إرادته معانيها الحقيقية. فتأمل جيداً.

المثال الثالث: لفظ: (الكلام)؛ فإنه لم يوضع حقيقة لمعنى الألفاظ والكلام الاعتباري، بل لغايته، وهي: الإيجاد التكويني، وهو أعظم من دون قياس من إيجاد معاني الأشياء بالاعتبار وبالأَمْواج الصَّوتية^(١).

وعليه: فإنَّ أُسْتَعْمِلَ لفظ: (الكلام) في خصوص معنى الألفاظ والكلام الاعتباري بخصوصيته الحسية المادية كان استعمالاً مجازياً، وإنَّ أُسْتَعْمِلَ في المعنى الجامع بين معنى المصداق الحسي المادي - وهو: (الألفاظ والكلمة الاعتبارية والكلام الاعتباري) - وغاياته - ك: (الإيجاد التكويني) - كان استعمالاً حقيقياً.

وإلى هذا تشير بيانات الوحي، منها:

١- بيان قوله تقدّس ذكره: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَةُ آفَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾^(٢).

(١) النسبة بين معاني الألفاظ ومصاديقها التكوينية نسبة تكوينية من دون فرض وجعل واعتبار معتبر، بخلاف المصاديق الاعتبارية، فأصل مصاديقها للمعنى بالفرض والجعل والاعتبار.

(٢) النساء: ١٧١.

٢- بيان قوله جلّ قدسه: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمْدُهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(١).

وقد ورد في تفسيره: أنَّ المراد من الكلمات - في هذا البيان الشريف - أهل البيت عليهم السلام.

فانظر: بيانات الوحي، منها:

بيان الإمام الهادي عليه السلام، عن موسى بن محمد بن الرضا؛ قال: «لقيت يحيى بن أكثم في دار العامة فسألني عن مسائل فجئت إلى أخي علي بن محمد ... فقلتُ له: جُعِلْتُ فداك، إنَّ ابن أكثم كتب يسألني عن مسائل لأفتيه فيها، فضحك ثم قال: فهل أفتيته؟ قلتُ: لا، قال: ولم؟ قلتُ: لم أعرفها. قال: وما هي؟ قلتُ: كتب يسألني عن قول الله: ... ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمْدُهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ ما هذه الأبحر؟ وأين هي؟ ... قال أكتب إليه ... بسم الله الرحمن الرحيم، وأنت فألهمك الله الرشد، أتاني كتابك، وما امتحنتنا به من تعنتك؛ لتجد إلى الطعن سبيلاً إنَّ قصرنا فيها، والله يكافئك على نيّتك، وقد شرحنا مسائلك فأصغ إليها سمعك، وذلل لها فهمك، واشغل بها قلبك، فقد لزمتك الحجة، والسلام. سألت عن قول الله تعالى: ... ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمْدُهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾، فهو كذلك، لو أنَّ أشجار الدنيا أقلام والبحر يمدّه سبعة أبحر وانفجرت الأرض عيوناً لنفدت قبل أن تنفذ

كلمات الله... ونحن كلمات الله التي لا تنفذ ولا تدرك فضائلها...»^(١).

ودلالته واضحة ولا غبار عليها.

٣- بيان أمير المؤمنين عليه السلام: «... وأنا كلمة الله التي يجمع بها المفرق ويفرق بها المجتمع...»^(٢).

٤- بيانه عليه السلام أيضاً: «أنا كلام الله الناطق...»^(٣).

ودلالة - كدلالة سابقة - واضحة.

وما تقدّم من أبحاث تأتي في المقام أيضاً؛ لأنّ الجميع ترتضع من ثدي واحد.

المثال الرابع: لفظ: (الاسم)؛ فإنّه لم يوضع حقيقة لمعنى الأمواج الصّوتية، بل لغاياته، وهي: العلامة والسمة. وهي الأعظم من دون قياس.

وعليه: فإنّ أُستعملَ لفظ: (الاسم) في خصوص معنى ما يُتلفّظ به بخصوصيته الحسية المادية كان استعمالاً مجازياً، وإنّ أُستعمل في المعنى الجامع بين معنى المصداق الحسي المادي - وهو: (معنى ما يُتلفّظ به) - وغاياته - ك: (العلامة والسمة) - كان استعمالاً حقيقياً.

نعم، إطلاق: (الاسم) على الموج الصّوتي فيه مساحة ظاهرة؛

(١) بحار الأنوار، ١٠: ٣٨٦-٣٩٠/ح ١. تحف العقول: ٤٧٦-٤٨١.

(٢) بحار الأنوار، ٥٣: ٤٧/٢٠.

(٣) المصدر نفسه، ٣: ٥٤٦.

لاحتياجه إلى فرضٍ وتخيّلٍ واعتبارٍ، فلا يكتسب معنى 'الإسميّة' إلاّ بذلك. بخلاف صدقه على الغاية، فإنّه ينطبق عليها ويصدق حقيقة من خلال عالم التكوين والحقيقة العينيّة من دون أيّ مساححة، وهو الأسمى.

وإلى هذا النحو تُشير بيانات الوحي، منها:

١- بيان قوله جلّ جلاله: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١).

بتقريب:

أولاً: أنّ (لام الملك) الدّاخلّة على اسم الجلالة (اللّه) دالّة على وجود مغايرة حقيقة بين المالك؛ أي: (اللّه) المُسمّى - أي: صاحب الذات الإلهيّة الأزليّة المُقدّسة - والمملوك؛ أي: (اللّه) الاسم الإلهي وسائر الأسماء الإلهيّة الحُسنَى.

ثانياً: أنّ غير المُسمّى - أي: صاحب الذات الإلهيّة الأزليّة المُقدّسة - لا يكون إلاّ مخلوقاً، فتكون الأسماء الإلهيّة منها: (اسم اللّه) مخلوقات من مخلوقاته (تقدّس ذكره) المُكرّمة.

ثالثاً: أنّ مخلوقات العوالم الصّاعدة وموجوداتها - لا سيما عالم الأسماء والصّفات الإلهيّة - لا تكون إلاّ وجودات مهولة، حيّة شاعرة، محيطّة بها

دونها، ومهيمنة عليها هيمنة وإحاطة اللطيف^(١) بالأغلظ؛ فهي داخلة فيها، لكن لا بالمجازة والمزاولة، وخارجة عنها، لكن لا بالمباينة والمزايلة، ولا يشوب مخلوقات العوالم الصاعدة شوب الإعتبار المتعارف.

ومنه يتّضح: أن المراد من الفعل في مباحث المعارف الإلهية ما يشمل - إضافة للعرض في مقابل الجوهر - الجواهر المخلوقة.

وكذا الصفة؛ فإن المراد منها في مباحث المعارف الإلهية أيضاً ما يشمل - إضافة للهيئة الوجودية العارضة - الجواهر المخلوقة؛ وذلك إذا لوحظت نعت بنحو الصفات الفعلية لخالقها.

رابعاً: أن حقائق هذه المخلوقات الشريفة الصاعدة لا سيما الأسماء والصفات الإلهية ليست هي إلا حقائق أهل البيت عليهم السلام الصاعدة بالتقريب المتّقدم.

والنتيجة: أن الأسماء الإلهية الحسنی مخلوقات مهولة صاعدة، وعلامات عالية وسامية علوية باهرة، وسمات ودلالات وآيات دالة وحاكية ومشيئة للذات الإلهية الأزلية المقدسة، وهي^(٢) من أوائل المخلوقات الباهرة العظيمة الكريمة عليه سبحانه وتعالى من جهة الكرامة التكوينية الباهرة،

(١) أحد معاني اللطافة المذكورة في بيانات أهل البيت (صلوات الله عليهم): سوائية واستواء وعدم تفاوت قدرة الباري تعالى في حق مخلوقاته، وإلا لدبّ - والعياذ بالله تعالى - النقص فيه.

(٢) مرجع الضمير: (الأسماء الإلهية الحسنی).

والغاية منها: الدلالة على السَّاحة الإلهية المقدَّسة، والإشارة إليها، وحكاية شُؤونها.

وهذه الأسماء الإلهية الحسنی - كما تقدَّم - هي طبقات حقائق أهل البيت (صلوات الله عليهم) الصَّاعدة من مخلوقات عالم السَّرمَد والأزل: (عالم الأسماء والصفات الإلهية).

وهذا ما صرَّحت به بيانات الوحي، منها:

١- بيان أمير المؤمنين عليه السلام: «... وأنا أسماء الله الحسنی، وأمثاله العليا، وآياته الكُبرى ...»^(١).

٢- بيانه عليه السلام أيضاً: «... نحن الاسم المخزون المكنون، نحن الأسماء الحسنی التي إذا سئل الله سبحانه بها أجاب ...»^(٢).

٣- بيان الإمام الباقر عليه السلام: «... عرفنا مَنْ عرفنا وجهلنا من جهلنا، نحن الأسماء الحسنی التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلا بمعرفتنا ...»^(٣).

٤- بيان الإمام الصادق عليه السلام: «نحن واللَّه الأسماء الحسنی الذي لا يقبل من أحدٍ إلا بمعرفتنا، قال: ﴿فادعوه بها﴾»^(٤).

٥- بيان الإمام الرضا عليه السلام: «إِذَا نَزَلَتْ بِكُمْ شِدَّةٌ فَاسْتَعِينُوا بِنَا عَلَى اللَّهِ،

(١) بحار الأنوار، ٥٣: ٤٧/ح ٢٠. مختصر البصائر: ١٣٢/ح ١٠٢-٢.

(٢) بحار الأنوار، ٢٧: ٣٨/ح ٥.

(٣) المصدر نفسه، ٢٥: ٥/ح ٧. المحتضر: ١٢٩.

(٤) بحار الأنوار، ٩١: ٦/ح ٧. تفسير العياشي، ٢: ٤٢.

وهو قول الله: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾^(١).

ودلالته - كدلالة سوابقه - واضحة ولا غبار عليها.

وعلى هذا قس: الأشباه والنظائر ومرادفات العقلية، ك: (قلب الله)، و(روح الله)، و(نفس الله)، و(جنب الله)، و(لسان الله)، و(أذن الله)، و(ذات الله)، و(حُجَّة الله)، و(وجه الله)، و(نور الله)، و(باب الله)، و(سبيل الله)، وهَلَمْ جَرًّا، فَإِنَّ لفظ وعنوان: (القلب)، و(الروح)، و(النفس)، و(الجنب)، و(اللسان)، و(الأذن)، و(الذات)، و(الحُجَّة)، و(الوجه)، و(النور)، و(الباب)، و(السبيل) لم توضع حقيقة للمصاديق والأجسام المعهودة، بل لمآلاتها وغاياتها وكماالاتها الأخيرة، وإذا أُضيفت إلى (الله) المُسمَّى تقدَّس ذكره كانت هذه المآلات والغايات: حقائق أهل البيت (صلوات الله عليهم) الصاعدة.

فانظر: بيانات الوحي، منها:

بيان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): «... وهذا كُلُّه لآل مُحَمَّد لا يُشاركهم فيه مشارك ... وكلُّ ما في الذكر الحكيم والكتاب الكريم والكلام القديم من آية تُذكر فيها العين والوجه واليد والجنب فالمراد منها الولي؛ لأنَّه جنب الله ووجه الله، يعني: حقَّ الله وعلم الله وعين الله ويد الله، فهم الجنب العلي والوجه الرضي والمنهل الروي والصراط السوي؛ والوسيلة

(١) بحار الأنوار، ٩١: ٦/ ح ٧.

إلى الله والوصلة إلى عفوهِ ورضاه. سرّ الواحد الأحد، فلا يُقاس بهم من الخلق أحد، فهم خاصّة الله وخالصته، وسرّ الدّيّان وكلمته، وباب الإيمان وكعبته، وحبّة الله ومحجّته، وأعلام الهدى ورايته، وفضل الله ورحمته، وعين اليقين وحقيقته، وصراط الحقّ وعصمته، ومبدء الوجود وغايته، وقدرة الرّبّ ومشيّته، وأمّ الكتاب وخاصّته، وفصل الخطاب ودلالته، وخزنة الوحي وحفظته، وآية الذّكر وتراجمته، ومعدن التنزيل ونهايته، فهم الكواكب العلويّة والأنوار العلويّة المشرقة من شمس العصمة الفاطميّة، في سماء العظمة المحمّديّة، والأغصان النبويّة النّابتة في دوحة الأحمديّة، والأسرار الإلهيّة المودعة في الهياكل البشريّة، والذريّة الزكيّة...» (١).

ودلالته واضحة.

وحينئذٍ لا يحتاج ما ورد منها في بيانات الوحي وما شاكلها إلى تأويل؛ وحمل على المعاني المجازيّة، بخلافه على القول الأوّل المتقدّم في صدر هذه المسألة.

المثال الخامس: لفظ: (القلم)؛ فإنّه لم يوضع حقيقة لمعنى الجسم المستطيل المعهود في الخارج، بل لغايته، وهي: إفاضة العلم والمعلومات.

وعليه: فإنّ أُستعمل لفظ: (القلم) في خصوص معنى الجسم المستطيل المعهود بخصوصيّته الحسيّة الماديّة كان استعمالاً مجازيّاً، وإنّ أُستعمل في

(١) بحار الأنوار، ٢٥: ١٦٩-١٧٤/ح ٣٨.

المعنى الجامع بين معنى المصداق الحسي المادي المعهود - وهو: (الجسم المُستطيل) - وغاياته - ك: معنى: (إفاضة العلم والمعلومات) - كان استعمالاً حقيقياً.

المثال السادس: لفظ: (اللّوح)، فإنّه لم يوضع حقيقة لمعنى ما يُكتب عليه، بل لغايته، وهي: مَنْ يجمع المعلومات ويستفيضها من مُعَلِّم فوقه، فالقلم مُعَلِّم، واللّوح مُتَعَلِّم جامع.

وإلى هذا وسابقه أشارت بيانات الوحي، منها :

١- بيان الإمام الصّادق عليه السلام - المتقدّم -، عن سفيان الثوري، قال: «سألت جعفر بن محمد عليه السلام: ... فقلت له: يابن رسول الله، بيّن لي أمر اللّوح والقلم والمداد فضل بيان، وعلمني ممّا علّمك الله. فقال: يابن سعيد لولا أنّك أهل للجواب ما أجبتك، ف: (نون)^(١): ملك يؤديّ إلى القلم، وهو ملك، والقلم يؤديّ إلى اللّوح، وهو ملك، واللّوح يؤديّ إلى إسرافيل ... ثمّ قال لي: قم يا سفيان فلا آمن عليك»^(٢).

٢- بيانه عليه السلام أيضاً، عن إبراهيم الكرخي، قال: «سألت جعفر بن محمد عليه السلام عن اللّوح والقلم، فقال: هما ملكان».

ودلالته - كدلالة سابقه - واضحة.

(١) إشارة إلى بيان قوله تعالى في بداية سورة: (القلم)، آية: ١.

(٢) بحار الأنوار، ٥٤: ٣٦٨/ح ٥. معاني الأخبار: ٢٣.

وعلى هذا قس الأَشْبَاه والنَّظَائِر، ك: (الصِّفَات والأَسْمَاء الإِلَهِيَّة)، و(العرش)، و(الكرسي)، و(الهواء)^(١)، و(حجب النُّور)، و(الثرى)^(٢)، و(الطُّور).

(١) ينبغي الالتفات: أَنَّ (الهواء) عنوان ذكرته بيانات الوحي للدلالة على عوالم علوية مهولة، منها:

١- تحت السَّماء الأولى وفوق عَالَم البحر المظلم وما تحته.

٢- فوق السَّماء السَّابعة.

٣- تحت العرش.

٤- فوق العرش، وكلّ ما تحته بالنسبة إليه كنقطة في بحرهِ الطَّمْطَام المتَلَاطِم، وعَبَّرَ عنه بيان سيّد الأنبياء ﷺ، في رواية زينب العطّارة: «كحلقة في فلاة قِيّ». بحار الأنوار، ٥٧: ٨٣/ح ١٠. توحيد الصدوق: ٢٦٩- ٢٧٠/ح ١.

وعلى هذا قس العوالم الثلاثة المُتَقَدِّمة بالنسبة إلى ما تحتها.

قال الجوهري: (الفلاة): المفازة. وال: (قِيّ) - بالكسر والتشديد - (فعل) من القواء، وهي: الأرض القفر الخالية.

(٢) يجدر الالتفات: أَنَّ عنوان: (الثرى) الوارد في بيانات الوحي يُطلق على عَالَم مهول، فوق عوالم الأرضين السَّبع، بل وفوق (عَالَم الديك)، و(عَالَم الصخرة)، و(عَالَم الحوت)، و(عَالَم البحر المظلم)، و(عَالَم الهواء)، فإنّ جميع هذه العوالم مع عظمتها وخطورة شأنها بالنسبة إليه كنقطة في بحرهِ الطمطم المتلاطم، وعَبَّرَ عنها بيان سيّد الأنبياء ﷺ - في رواية زينب العطّارة أيضاً - بالنسبة إليه: «كحلقة في فلاة قِيّ».

[المعرفة الإلهية الحقّة والتّوحيد الحقّ]

[لزوم تصفية وتنزیه المعاني المستعملة في الشّأن الإلهي]

ومن كلّ ما تقدّم يتّضح: أنّه من يُريد وصف الذات الإلهيّة الأزليّة المقدّسة والمخلوقات المكرّمة العالية فلا بُدّ من نزع الشّوائب الحاصلة من المصاديق عن معانيها.

وعليه: يجب أن تحصل للكلمات والألفاظ والأوصاف والمعاني المستعملة في معارف المدارس البشريّة في الشّأن الإلهي تصفية وتنقية وتنزیه، لكون طبيعة الدّهن البشري تتداعى إليه خصوصيّات المصاديق فيلصقها بالمعاني المجرّدة، وهذه القضية قد نبّهت عليها بيانات الوحي الشّريف، لكن لم يلتفت إليها إلى يومنا هذا الفلاسفة الماديّون والحداثيون^(١) والعلمانيون؛ فيمزجون شوائب المصاديق الماديّة المتعلّقة بالمعاني ويسحبونها إلى السّاحة الرّبوبيّة، مع أنّ هذه الشّوائب في الأصل ليست من صلب المعاني ومتنها.

ومنه يتّضح: أنّ من أراد الحصول على المعرفة الإلهيّة الحقّة والتّوحيد الحقّ فعليه تنزیه السّاحة الرّبوبيّة فكريّاً وواقعياً؛ فإنّ التّنزیه عمليّة فكريّة؛ تعني: تصفية المعاني عن شوائب الماديّات، بل عن مُطلق شوائب المخلوقات من دون تعطيل.

(١) ينبغي الالتفات: أنّ عنوان ومصطلح: التّشكيك والمُشكّك يُطلق قديماً على السفسطة والسفسطائي، وفي العصر الرّاهن على الحداثة والحداثيين. ويُعبّر عن الزّنديق في العصر الرّاهن بـ: المُشكّك والسفسطائي.

[حقائق التعاريف تكمن في الغايات]

ثُمَّ إِنَّ المعروف لدى المناطقة: أَنَّ تعريف الشَّيْء بغايته أَتَيْنَ وأكمل تعاريف هويَّته وحقيقته من تعريفه بجنسه وفصله، ومادَّته وصورته؛ فَإِنَّ لُبَّ الشَّيْء وروحه وحقيقته: غايته وكماله الأخير.

وَمِنْ ثُمَّ امتاز الإنسان بكماله الأخير - وهو: العقل، والروح الإنسانيَّة - عن الحيوانات.

[حقيقة ذات سيِّد الأنبياء ﷺ بفصلها الأخير]

[عدم التناهي من لوازم حقيقة سيِّد الأنبياء ﷺ]

[لا يمكن لمخلوق قطُّ الإحاطة بكنه حقيقة سيِّد الأنبياء ﷺ]

هذا وقد امتازت حقيقة سيِّد الأنبياء ﷺ عن غيره من جملة البشر وكافة المخلوقات بفصلها الأخير^(١)، وليس هو الجنبه البشريَّة، وإنَّما بأعظم

(١) ينبغي الالتفات إلى نكتة منهجيَّة مهمَّة جدًّا، تأتي في باب النبوة، وهي: أَنَّ معرفة ماهيَّة النبوة أمر تعبديّ توقفيّ توقفيّ من الله ﷻ، ومن ثُمَّ لا يمكن لبشر كالفلاسفة والمتكلِّمين حدّها، وإلا فلازمه زيغ وانحراف وتشبيه وجحود. بل مَنْ يدَّعي من طُرِّ المخلوقات معرفة كُنْه ذات وحقيقة سيِّد الأنبياء ﷺ فقد قال غلطاً، وتكلّف شططاً.

نعم، يمكن ادّعاء معرفته ﷺ من وجه، وبالهويَّة المُشخصَّة. وهذا ليس بغلو ولا تأليه، وإنَّما تعظيم للذات الإلهيَّة الأزليَّة المُقدَّسة، وحفظ لمقامات خلقه الله سبحانه وتعالى قبل أَنْ يكون تعظيم لذات سيِّد الأنبياء ﷺ؛ فَإِنَّ عظمة الفعل من عظمة الفاعل، وحيث إِنَّ ذات الباري تقدَّس ذكره غير مُتناهية ←

كمال يناله مخلوق قط^(١)، وهو: أَنَّ ذاته الشَّريفة عبارة عن وحي زَخَّار، وفيض وحي إلهي دائم لن ينقطع أزلاً وأبداً، لا في هذه النشأة ولا في العوالم والنشآت اللاحقة، بل والسَّابقة أيضاً، كعالم الذَّرِّ والميثاق، وعالم: البرزخ، والرجعة، والقيامة، والآخرة الأبدية وبعدها^(٢).

وإلى هذا أشارت بيانات وأدلة الوحي، منها:

الدَّلِيلُ الْأَوَّلُ: بيان قوله جلَّ قدسه: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٣).

بتقريب: أَنَّ ضمير: (هو) في البيان الشَّريف وبمقتضى السَّيِّاق ومرجع الضَّمير في الآيات الثلاث: أَنَّ مرجعه في الآية الثالثة نفس مرجعه في الآيتين السَّابقتين، وهو عائد على ذات وحقيقة سيِّد الأنبياء ﷺ، وقد عبَّرَ عنها

→ فكذا فعله. وعلى ضده قس استنقاص فعله جلَّ قدسه ودعوى تناهيه، فإنَّ لازمه نسبة نقص وحكم بتناهي (والعياذ باللَّهِ) الذات الإلهية الأزليَّة المقدَّسة.

(١) يجدر الالتفات: أَنَّ نعوت سيِّد الأنبياء ﷺ وسائر أهل البيت الأطهار عليهم السلام وأوصافهم وكناهم وأسماءهم ليست مدح وثناء فحسب، بل معارف يجدر بالمخلوق امتحان نفسه في كُلِّ يوم بواحدٍ منها؛ كيما يُقحم نفسه بمسؤولية ومعرفة جديدة. بخلاف السَّير على نحو وتيرة واحدة؛ فإنَّه نحو تكاسل.

(٢) ينبغي الالتفات: أَنَّ ما يقوم به سيِّد الأنبياء ﷺ وسائر أهل البيت الأطهار عليهم السلام من أدوار ومسؤوليات في عالم الآخرة الأبدية: أعظم شأنًا، وأرفع مسؤولية، وأخطر خطبًا من دون قياس من أدوار ما قاموا ويقومون وسيقومون بها في عالم الدنيا بنشأته الثلاث.

(٣) النجم: ٢-٤.

وحُصر حالها بـ: أُنْهَا وَحِي يُوْحِي، وحيث جيء بصيغة المضارع: (يُوْحِي) وهي تفيد التَّجَدُّد والإِستمرار التَّأْيِيدِي دَلَّ ذلك على أَنَّ ذَاةَ ﷺ: سحاب هاطل، وغيث هامل، وبحر زخَّار لا ينزف، وعين غزيرة، وروضة مطيرة، لا نهاية ولا انقطاع لوحيتها أبد الآباد ودهر الدهور ما زالت لِلَّهِ حاجة في خلقه.

الدَّلِيل الثَّانِي: بيان قوله جَلَّ وتقدَّس: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾ (١).

ودلالته قد اتَّضحت؛ فَإِنَّهُ في صدد بيان تعريف ماهيَّة وذات سيِّد الأنبياء ﷺ؛ وَأَنَّ لها جنبتين:

إِحْدَاهُمَا: بشريَّة، وهي ما أشار إليها بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾.

والأُخْرَى: وحيانيَّة، تُعَبَّرُ عن فصل ماهيَّة ذَاة ﷺ الأَخِير، وليس هو النَّاطِقِيَّة، بل ينبوع وحي أَبَانَهُ به عن الخلق؛ فوق عَالَمِ العقل، بل وفوق عَالَمِ النُّور، منهل رويٍّ، وصراط سوي لا نهاية له، وكنز لا يفند، وبحر مَوَاج لا ينزف ولا يُدْرِك طرفه، ولا يبلغ عمقه، يغرق فيه السَّبحاء، ويُحَار في درره العلماء، ويضيق بالسَّامع عرض الفضاء.

وإلى هذه الجنبَةِ أشار قوله تعالى: ﴿يُوْحَى إِلَيَّ﴾ فَعَبَّرَ عنها

بصيغة الفعل المضارع - كما في البيان الأول - المفيدة للتجدد والإستمرار التأييدي؛ والذي لن ينقطع في العوالم اللاحقة، بل والسابقة أيضاً.

الدليل الثالث:

وُيُمَثِّلُه:

أولاً: بيان سيّد الأنبياء ﷺ مخاطباً أمير المؤمنين عليه السلام: «... يا عليّ ... وأنت السبب فيما بين الله وبين خلقه بعدي ... يا عليّ، ما عرّف الله إلا بي ثم بك ...»^(١).

ثانياً: بيان الإمام الباقر عليه السلام: «ليس شيء أقرب إلى الله تعالى من رسوله...»^(٢).

ثالثاً: بيان الإمام الصادق عليه السلام: «أول من سبق من الرسل إلى بلي رسول الله ﷺ؛ وذلك أنه كان أقرب الخلق إلى الله تبارك وتعالى، وكان بالمكان الذي قال له جبرئيل - لَمَّا أُسْري به إلى السماء - تقدّم يا مُحَمَّد، فقد وطأت موطئاً لم تطأه ملك مُقَرَّب، ولا نبي مرسل^(٣)، ولولا أن روحه ونفسه كانت من ذلك المكان لما قدر أن يبلغه، فكان من الله ﷻ كما قال الله: ﴿فَكَانَ قَابَ

(١) بحار الأنوار، ٢٢: ١٤٧ - ١٤٨/ح ١٤١. كتاب: (سليم بن قيس): ٢١٥ - ٢١٦.

(٢) بحار الأنوار، ٢٤: ٢٠٢/ح ٣٦.

(٣) في المصدر: (لم يطأه أحد قبلك ملك ولا نبي مرسل).

قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿١﴾ أَي: بل أدنى فلما خرج الأمر من الله وقع إلى أوليائه عليهم السلام ... ﴿٢﴾.

رابعاً: بيان الزيارة الجامعة لأهل البيت عليهم السلام: «... فليس فوقكم أحد إلا الله، ولا أقرب إليه منكم، ولا أكرم عليه منكم ولا أحظى لديه...» (٣).

بتقريب يتوقف على مقدمات أربع:

الأولى: أن هذه البيانات الوحيانية - وغيرها الكثير - تُثبت أنه ليس أقرب للذات الإلهية الأزليّة المقدّسة من سيّد الأنبياء صلى الله عليه وآله (٤)؛ فهو الجنب العلي، والوجه الرضي، والوسيلة إلى الله، والوصلة إلى عفوه ورضاه، وسرّ الله الواحد الأحد، فلا يُقاس به من الخلق أحد.

الثانية: أن هذه البيانات الوحيانية وغيرها تثبت بإطلاقها: أن هذا القرب مُمتدّ أزلاً وأبداً.

(١) النجم: ٩.

(٢) بحار الأنوار، ٥: ٢٣٦/ح ١٢. تفسير عليّ بن إبراهيم: ٢٢٩ - ٢٣٠.

(٣) بحار الأنوار، ٩٧: ٣٤٤.

(٤) ينبغي الالتفات: أن المخلوق الذي ليس بينه وبين الذات الإلهية المقدّسة واسطة بقول مطلق ليس هو إلا سيّد الأنبياء صلى الله عليه وآله بطبقته الثورية الصاعدة، أمّا سائر المخلوقات منها طبقات ذات سيّد الأنبياء صلى الله عليه وآله النازلة وروحه ونفسه وبدنه فيبينها وبين الذات الإلهية الأزليّة المقدّسة واسطة بالضرورة. وهذا بحث يأتي (إن شاء الله تعالى) في باب الصفات والأسماء الإلهية والنبوة.

الثالثة: أَنَّ معنى هذا القرب: أَنَّ ذات سيّد الأنبياء ﷺ هي: واسطة العطاء والرحمة الإلهية، وواسطة المدد والفيض الإلهي الأول؛ المتدفق من الذات الإلهية الأزلية المقدسة في قوس النزول إلى عمّة العوالم وجملة المخلوقات، لا نفاد له ولا انقطاع، ولا يُسدّ بابه أبد الآباد؛ ما دام في الوجود مخلوق، وإلّا لَمَا كان للمخلوقات حظٌّ من الواقعية والوجود.

الرابعة: أَنَّ الوحي الإلهي بأبحاثه هو أحد هذه العطاءات والفيوضات الإلهية؛ المارةً أزلاً وأبداً في طبقات ذات سيّد الأنبياء ﷺ الصاعدة إلى سائر العوالم وكافة المخلوقات ^(١).

والنتيجة: أَنَّ ذات سيّد الأنبياء ﷺ بحر زخّار، وعين غزيرة بالوحي لا انقطاع لها أبد الأبدین ودهر الداهرين؛ فيكون علم الأنبياء في علمه، وسرّ

(١) إِنَّه يوجد فارق من دون قياس بين الأولويات المُخاطَب بها سيّد الأنبياء ﷺ وما يُخاطَب به سائر جملة المخلوقات - منها: سائر الأنبياء والمرسلين (منهم أولي العزم) والملائكة المُقَرَّبِينَ ﷺ - بل يعجز عن عشر معشارها سائر المخلوقات، ومن ثمّ لا يُخاطَب بها غيره ﷺ، لخروجها عن قدرة كافّة المخلوقات ومكنتهم، بل في جملة منها لا يتمكّن منها ولا يقدر عليها ثاني أشرف المخلوقات طُرّاً نفس سيّد الأنبياء أمير المؤمنين (صلوات الله عليهما وعلى آلهما)؛ لكون مقاماته ﷺ ومناصبه وصلاحياته الإلهية أعظم وأشدّ من جملة المخلوقات من دون قياس. ومن ثمّ كانت عبوديته ﷺ أعظم؛ فلذا كان طيلة حياته يجلس جلسة العبيد؛ كيما لا يسمح لنفسه من البروز ولو للحظة، وبمقدار حيّة من خردل.

وهذا بيان عظيم في شأن سيّد الأنبياء ﷺ دالٌّ على علوّ مقامه، وعدم قابليّة كافّة المخلوقات على وصف شأنٍ من شؤونه.

الأوصياء في سرّه، وعزّ الأولياء في عزّه كالقطرة في البحر، والذرة في القفر، فإنّه مهما بلغت علوم الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين وسائر كُمل المخلوقين إذا قيسَت إلى علمه ﷺ لا بُدَّ أن تكون محدودة، ولا توجد نسبة رياضية بين المحدود وغير المحدود، فتكون جملة علوم سائر المخلوقات بالنسبة إلى علمه كالعدم؛ لأنَّ نسبة المحدود إذا قيسَ إلى غير المحدود كانت صفراً على جهة الشّمال، وإلّا - أي: لو أُعطي المحدود في قبّال غير المحدود نسبة وقيمة وإن كانت ضئيلة جداً، كما لو كانت واحد بالترليون - لَلَزِمَ انقلاب ماهيّة وحقيقة غير المحدود، وصارت محدودة، وضرورة بطلان انقلاب الماهيّة والحقيقة من الواضحات؛ بل ولزم خلف الفرض.

[اتّضح جم غفير من بيانات الوحي]

[سيّد الأنبياء ﷺ نبيّ الأنبياء في العوالم السّالفة]

ومنه تتّضح: بيانات الوحي الواردة في حقّ بعض طبقات سيّد الأنبياء ﷺ النّازلة، منها:

أولاً: بيانه ﷺ، عن ابن عبّاس، قال: «قيل: يا رسول الله، متى كُنْتَ نبياً؟ قال: وآدم بين الرّوح والجسد»^(١).

ثانياً: بيان الإمام الصادق عليه السلام: « ما بعث الله نبياً أكرم من محمّد ﷺ، ولا خلق الله قبله أحداً، ولا أنذر الله خلقه بأحد من خلقه قبل محمّد، فذلك قوله تعالى: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى﴾^(٢)، وقال: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ

(١) الدر المنثور، ٨: ١٢٨.

(٢) النجم: ٥٦.

قَوْمَ هَادٍ^(١) فلم يكن قبله مطاع في الخلق، ولا يكون بعده إلى أن تقوم الساعة في كُلِّ قرنٍ إلى أن يرث الله الأرض وَمَنْ عليها^(٢).^(٣)

ثالثاً: بيانه عليه السلام أيضاً، عن علي بن معمر، عن أبيه، قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأَوَّلِ﴾ قال: إِنَّ الله تبارك وتعالى ما ذرأ الخلق في النذر الأول فأقامهم صفوفاً قدومه بعث الله مُحَمَّدًا ﷺ فآمن به قوم، وأنكره قوم، فقال الله: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأَوَّلِ﴾ يعني به: مُحَمَّدًا ﷺ حيث دعاهم إلى الله عز وجل في النذر الأول^(٤)».

رابعاً: بيانه عليه السلام أيضاً، عن المُفَضَّل، قال: «قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يامُفَضَّل، أما علمت أَنَّ الله تبارك وتعالى بعث رسول الله ﷺ وهو روح إلى الأنبياء عليهم السلام؛ وهم أرواح قبل خلق الخلق بألفي عام؟ قلت: بلى، قال: أما علمت أَنَّهُ دعاهم إلى توحيد الله وطاعته واتباع أمره، ووعدهم الجنة على ذلك، وأوعد مَنْ خالف ما أجابوا إليه وأنكر النار؟ فقلت: بلى^(٥)».

ودلالته - كدلالة سوابقه - واضحة، على أَنَّ سيّد الأنبياء ﷺ كان نبيّ الأنبياء في العوالم السَّابِقة، ويتمتع بوحى إلهي.

(١) الرعد: ٧.

(٢) بحار الأنوار، ١٦: ٣٧١/ح ٨٢. مجالس الشَّيخ: ٦٣.

(٣) إِنَّ لسيّد الأنبياء ﷺ أوسمة ومقامات سُودد كثيرة، أفاضتها عليه يد السَّماء لم يتمتع بها مخلوق قط لا من قبل ولا من بعد، منها: مقام وسُودد: إمام الأئمة على الإطلاق.

(٤) بحار الأنوار، ٥: ٢٣٤/ح ٧.

(٥) بحار الأنوار، ٢٩: ١٩٤ - ١٩٦/ح ٥. علل الشرائع: ٦٥.

[فصل حقائق سائر أهل البيت عليهم السلام بحر وحي لا نهاية له أيضاً]

وحيث إنَّ حقائق سائر أهل البيت (صلوات الله عليهم) الصَّاعِدَةُ مُترشَّحة ومُشتَقَّة ومُتَجَلِّية من حقيقة سيِّد الأنبياء صلوات الله عليه الصَّاعِدَةُ؛ كانت فصول حقائقهم عليهم السلام وبمقتضى قاعدة السنخية: بحر وحي زخار لا نهاية له أيضاً، أبد الآباد ودهر الدُّهور، في هذا العالَم وفي العوالم والنَّشآت السَّابقة واللاحقة.

نعم، وحي حقائق وذوات سائر أهل البيت (صلوات الله عليهم) ليس وحي نبوة، بل وحي علم لدنيّ. بخلاف وحي حقيقة سيِّد الأنبياء صلوات الله عليه، فإنَّه فضلاً عن كونه وحي نبوة هو وحي علم لدنيّ؛ فهو نبيّ الأنبياء وهو إمام الأئمة عليهم السلام، فتكون ذاته صلوات الله عليه الشَّريفة قد جمعت بين وحي النبوة بجميع مراتبه، ووحي الإمامة بكافة طبقاته أيضاً.

وإلى هذا أشارت بيانات الوحي، منها:

١- بيان أمير المؤمنين عليه السلام الوارد في حقِّ الإمام من أهل البيت عليهم السلام:
 «... الإمام ... ظاهره أمر لا يملك، وباطنه غيب لا يُدرَك ... جلَّ مقام آل مُحَمَّد صلوات الله عليهم عن وصف الواصفين، ونعت النَّاعتين، وأنَّ يُقاس بهم أحد من العالمين ... الإمام ... بشر ملكيّ، وجسد سماويّ، وأمر إلهيّ، وروح قدسيّ، ومقام عليّ، ونور جليّ، وسرّ خفيّ، فهو ملك الذات، إلهيَّ الصِّفات ... هذا كلّه لآل مُحَمَّد لا يُشاركهم فيه مشارك ... علم الأنبياء في علمهم، وسرّ الأوصياء في سرّهم، وعزّ الأولياء في عزّهم كالقطرة في البحر، والذِّرة في

القفر ... وَمَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ فَهُوَ شَقِيٌّ مَلْعُونٌ، يلعنه الله ويلعنه اللاعنون ...
فهم ... الأسرار الإلهية المودعة في الهياكل البشرية ...»^(١).

٢- إطلاق بيان الإمام الصادق عليه السلام: «كُلُّ مَا كَانَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ فَلَنَا مِثْلُهُ إِلَّا النَّبُوءَةُ وَالْأَزْوَاجُ»^(٢).

٣- بيان الإمام الهادي عليه السلام المتقدم، الوارد في تفسير بيان قوله تعالى:
«... وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا
نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ»^(٣) فهو كذلك، لو أَنَّ أشجار الدنيا أقلام، والبحر يمدّه
سبعة أبحر، وانفجرت الأرض عيوناً لنفدت قبل أَنْ تنفذ كلمات الله ...
ونحن كلمات الله التي لا تنفذ ولا تُدْرِك فضائلنا ...»^(٤).

ودلالته - كدلالة سابقه - واضحة، ولا غبار عليها.

[عصارة ما تقدم من القول المختار]

وعصارة ما تقدم: أَنَّ التَّعْرِيفَ النَّاصِجَ وَالسَّيِّدَ: أَنَّ تُعَرَّفَ حَقَائِقُ
الْأَشْيَاءِ وَتُبَيَّنَ بِ: عَوَاقِبِهَا وَنَهَايَاتِهَا وَمَثَالَاتِهَا وَغَايَاتِهَا وَكَمَالَاتِهَا الْآخِرَةِ، لَا
بِمَبَادِئِهَا وَمَصَادِقِهَا؛ فَإِنَّهُ تَعْرِيفٌ وَبَيَانٌ ابْتِدَائِيٌّ.

وهذه القضية شاملة لجملة العلوم، ك: علوم: (المعارف) وعلم: (التفسير)،

(١) بحار الأنوار، ٢٥: ١٦٩ - ١٧٤/ح ٣٨.

(٢) المصدر نفسه، ٢٦: ٣١٧/ح ٨٣.

(٣) لقمان: ٢٧.

(٤) بحار الأنوار، ١٠: ٣٨٦ - ٣٨٩/ح ١.

و(المنطق)، و(الكيمياء)، و(الفيزياء)، و(الاجتماع)، و(السياسة)، و(القانون)، و(الاقتصاد)، ففي طُر العلوم لا يمكن أن يُحكّم على الشّيء أو الحقيقة إلا بعاقبته ومآله ونهايات نتائجه.

إِذَنْ: حقيقة المعاني والحقائق ولَبَّ لبابها تكمن في نهاياتها ومآلاتها وغاياتها.

[تسمية أخرى لقاعدة: (خذ الغايات واترك المبادئ)]

ثُمَّ إِنَّ لهذه القاعدة تسمية أخرى، وهي تسمية حديثة أطلقها المُلَّا صدرا، واستعملها في مباحث المعارف ونظرية المعرفة الحديثة، وهي: « إِنَّ الألفاظ موضوعة لأرواح المعاني ولبابها، لا لأجسام المعاني وقشورها ».

وهذا المبحث وإن كان بسيطاً في صورته، لكنّه في غاية الأهميّة والخطورة، وتنجم عنه نتفٌ مُهمّة في قراءة بيانات الوحي المعرفيّة؛ لكنّها تمرّ على الذهن ولا يلتفت إليها.

[ارتطام إبليس في ورطته نتيجة عدم ملاحظة فصل آدم الأخير]

وهذا المحذور هو الَّذي أوقع إبليس (عليه اللّعة) في ورطته؛ فإنّه اقتصر في لحاظه على الجانب المادّي في آدم ﷺ، وغفل عن الجانب الرّوحي والنوري والمُجرّد فيه^(١).

فلاحظ: بيانات الوحي، منها:

١- بيان الإمام الصّادق ﷺ: «لَمَّا خلق الله السّماوات والأرض ... أمر

(١) مشكلة (إبليس) وأزمته السرمديّة في الخلقة، الّتي تذكرها بيانات الوحي لبدء طريق الشّر تكمن في عدم الولاية لولي الله ﷺ.

إِبْلِيسَ بالسَّجُودَ لآدَمَ، والسَّجُودُ: هو الطَّاعَةُ لا الصَّلَاةَ، فأبى واستكبر، وقال: لا أَسْجُدُ لبشر خلقتني من نار، وخلقته من طين، فافتخر على آدَمَ، وعصى الله^(١)، وقاس ويله النَّارَ بالنُّورِ، وظَنَّ أَنَّ النَّارَ أَفْضَلُ، ولو عَلِمَ أَنَّ النُّورَ الَّذِي فِي آدَمَ وهو الرُّوحُ الَّتِي نفخها الله فيه؛ كان أَفْضَلُ مِنَ النَّارِ الَّتِي خُلِقَ مِنْهَا إِبْلِيسُ لفسد قياسه^(٢).

٢- بيانه عَلَيْهِ السَّلَامُ أَيْضاً: «... إِنَّ أَوَّلَ مَنْ قَاسَ إِبْلِيسَ، قَالَ: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾»^(٣) قَاسَ مَا بَيْنَ النَّارِ وَالطِّينِ، وَلَوْ قَاسَ نُورِيَّةَ آدَمَ بِنُورِ النَّارِ عَرَفَ فَضْلَ مَا بَيْنَ النُّورَيْنِ، وَصَفَاءَ أَحَدَاهُمَا عَلَى الْآخَرِ^(٤).

(١) ينبغي الالتفات في المقام إلى الأمرين التاليين:

الأمر الأول:

أخطر ما في المعصية الولاء لإِبْلِيسَ

إِنَّ فِي بَاطِنِ كُلِّ مَعْصِيَةٍ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ دَرَكَةٌ مِنْ وِلَاةِ إِبْلِيسَ، وَهَذَا أَظْهَرَ وَأَخْطَرُ مَا فِي الْمَعْصِيَةِ.

الأمر الثاني:

الحسد طاقة إيجابية في النَّفْسِ لَكِنَّهَا إِنْ وَظِّفَتْ خَطَأً جَرَّتْ إِلَى الْعَدَاوَةِ

إِنَّ مَنْشَأَ (الحسد) شيء إيجابي وطاقة كامنه في النَّفْسِ عَظِيمَةٌ وَخَطِيرَةٌ جِدًّا، وَالْإِشْكَالُ فِي تَوْظِيفِ الْمَخْلُوقِ لَهَا فِي الْمَسَارِ الْخَاطِئِ. وَالْحَسَدُ يَجْرُ تَلْقَائِيًّا إِلَى الْغَفْرِ وَالْعَدَاوَةِ، وَمَنْ تَمَّ كُلُّ مَنْ عَاصَرَ أَهْلَ الْبَيْتِ (صلوات الله عليهم) وَكَانَ حَاسِدًا لَهُمْ جَرَّهَ ذَلِكَ تَلْقَائِيًّا إِلَى الْغَفْرِ مِنْهُمْ وَالْعَدَاوَةِ لَهُمْ.

(٢) الهداية الكبرى: ٥٢٦/ح ٦٦. علل الشرائع: ٨٧/ح ٣. الاختصاص: ١٠٩.

(٣) ص: ٧٦.

(٤) بحار الأنوار، ٦٣: ١٩٨/ح ١١. علل الشرائع: ٤٠ و ٨٢.

[وقوع الملائكة في ترك الأولى نتيجة عدم ملاحظة فصل آدم الأخير]

بل، وكذا الملائكة، وإن كان ما صدر منهم أخف وترك أولى^(١).

فانظر: بيانات الوحي، منها:

أولاً: بيان الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «... لأن الله تبارك وتعالى قال للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٢) فردُّوا على الله تبارك وتعالى، وقالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾^(٣) قال الله: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٤) وكان لا يحجبهم عن نوره، فحجبهم عن نوره سبعة آلاف عام، فلاذوا بالعرش سبعة آلاف سنة، فرحمهم وتاب عليهم...»^(٥).

ثانياً: بيان الإمام الرضا عليه السلام: «علَّة الطواف بالبيت: أَنَّ الله تبارك وتعالى قال للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ فردوا على الله تبارك وتعالى هذا الجواب، فعلموا أَنَّهُمْ أَذْنِبُوا، فندموا، فلاذوا بالعرش واستغفروا...»^(٦).

(١) الفارق بينهما: إن الملائكة ترعوي إذا ردعت، بخلاف إبليس.

(٢) البقرة: ٣٠.

(٣) البقرة: ٣٠.

(٤) الشعراء: ٣٤ - ٣٨.

(٥) بحار الأنوار، ٥٨: ٥٨/٤.

(٦) المصدر نفسه/ح ٥، وعلى منواله/ح ٧. علل الشرائع، ٢: ٩١. الدر المنثور، ١:

[الدليل على أحقية القول الثاني وقاعدة: (خذ الغايات واترك المبادئ)]

ويدلّ على أحقية القول الثاني - وهو: المختار - أدلّة، منها:

الأوّل: أنّ الألفاظ لو كانت موضوعة لمصاديق المعاني فلا بُدَّ أن تكون مرآة حاكية عن عالم الحسّ والمادّة فقط. لكنّ التالي باطل؛ بالضرورة والوجدان؛ فإنّ الألفاظ كما تحكي عن عالم الحسّ الغليظ والمادّة الغليظة تحكي أيضاً عن سائر العوالم، منها: النورية والمجردة؛ من دون فرق أو تكلف أو قرينة أو مجاز. فإذا بطل التالي فالمُقَدَّم مثله.

والنتيجة: أنّ الألفاظ موضوعة للمعاني الأعمّ من معاني الغايات ومعاني المبادئ.

الثاني: أنّ المعاني لمّا كانت بطبيعتها ذات سعة يُبصر بها أقصى الغيب؛ فلو كانت الألفاظ موضوعة للمصاديق الحسيّة الماديّة فحسب لكان فكر الإنسان وقوّته الإدراكية المشتركة مع كثير من المخلوقات محبوسة على عالم الحسّ والمادّة. لكنّه باطل بالضرورة والوجدان أيضاً. فإذا بطل التالي فالمُقَدَّم مثله.

والنتيجة: أنّ الألفاظ موضوعة للمعاني الأعمّ من معاني الغايات ومعاني المبادئ.

الثالث: أنّها لو كانت موضوعة للمصاديق الماديّة المحسوسة فقط؛ لزم من ذلك خلف غرض الواضع، وهو باطل بالوجدان أيضاً.

فإنّ الواضع بعد ما كان حكيماً فلا بُدَّ أن يكون غرضه من الوضع:

التخاطب بالألفاظ الموضوعية؛ للتعلم ونقل العلم والمعلومة للطرف الآخر، وهو لا يختص بالعوالم والمعلومات المحسوسة.

والنتيجة: أَنَّ الألفاظ موضوعية للمعاني الأعمُّ من معاني الغايات ومعاني المبادئ.

الرَّابِع: أَنَّ الثَّابِت بالوجدان: أَنَّ صِدْقَ المعنى في مصاديقه الحقيقية التَّكوينية الغيبية المملوكة والمُجَرَّدَة عن المادَّة؛ أَشَدُّ صِدْقاً من صِدْقِهِ على مصاديقه الفرضية الاعتبارية المادية.

وهذا برهان وجدائيٌّ دالٌّ على أَنَّ الألفاظ موضوعية للأعمِّ من المصاديق والغايات.

بيانه:

إِنَّ حقيقة النطق والكلمة والكلام وغاياتها: إبراز أمرٍ خفيٍّ كان مجهولاً ليصبح بعد ذلك معلوماً.

مثاله: إطلاق لفظ: (الكلمة) على خلقه النَّبِيِّ عيسى عليه السلام؛ فَإِنَّهُ إِطْلَاقٌ حَقِيقِيٌّ؛ لِأَنَّ فِي خَلْقِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِظْهَاراً وَإِبْرَازاً لِحَقَائِقَ وَأُمُورٍ شَتَّى، كانت غيبيةً ومُخْفِيَةً على المخلوقات ومجهولة لها، لتصبح بعد خلقته عَلَيْهِ السَّلَامُ معلومة ومشهودة، منها:

١- إِنَّ الْبَارِي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

٢- إِنَّهُ جَلٌّ وَتَقَدَّسَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ.

وعليه: فيكون الْبَارِي ﷻ بخلقته للنَّبِيِّ عيسى عليه السلام قد نطق وتكلَّم. بل

صِدْقُ الكلمة على خلقه النَّبِيُّ عيسى عليه السلام أَحَقُّ من صِدْقِهَا على الألفاظ الموضوعية؛ لِأَنَّهَا تحتاج - كيما تدلُّ على المراد - إلى جعلٍ وفرضٍ واعتبارٍ. بخلاف خلقته عليه السلام؛ فَإِنَّهَا دَالَّةٌ بنفسها تكويناً على عظمة الخالق سبحانه وتعالى.

[مؤيد]

ويؤيد أحقية القول الثاني وصحة قاعدة: (خذ الغايات واترك المبادئ) وحججيتها: إصرار بيانات الوحي على استعمال ألفاظها في الغايات والكلمات النهائية من دون أن يشعر المتصفح لها بوجودانه بشائبة المجازية؛ واعتمادها على قرينة صارفة ومُعينة.

وخذ على ذلك الأمثلة الآتية:

المثال الأول: بيان قوله جلَّ شأنه: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا كَلُوا مُدْبِرِينَ * وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١).

المثال الثاني: بيان قوله جلَّ جلاله: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنْ أَكْثَرُهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (٢).

ودلالتهما واضحة؛ فَإِنَّ الْبَارِي (تقدَّس ذكره) استعمل في المقام لفظ

(١) النمل: ٨٠ - ٨١ .

(٢) الفرقان: ٤٤ .

وعنوان: (الموتى) و(الصم) و(السمع)^(١) و(العمى) ليس في مبادئها

(١) لا بأس بالإلتفات في المقام إلى أنَّ قوَّة (السمع) من أبرز قوى وأعضاء الإنسان، ومن ثمَّ يكون إنتقال المعلومات والأفكار عبرها أقوى من انتقالها عبر سائر القوى كقوَّة البصر؛ فلذا من خصائص المسموع أنَّه يُعطى مساحات من الحقيقة أكثر من تغطية المرئي لها.

والثَّابت في البحوث والتَّقارير العلميَّة والدُّوليَّة الحديثة: أنَّ الإعلام المسموع - كالرَّاديو - يكشف عن معلومات (٦٠ - ٨٠٪) و(٤٠ - ٢٠٪) لهو، أمَّا الإعلام المرئي البصري - كالتلفاز - فأمره بالعكس؛ فإنَّه (٢٠ - ٤٠٪) يكشف عن معلومات، و(٨٠ - ٦٠٪) لهو.

ومن كُِّل هذا يتَّضح: أنَّ سرعة الفكر والعلم بالمسموع، بل والمكتوب أعظم من سرعة الفكر والعلم بالمرئي.

وهذا المبحث أحد مباحث باب النُّبوة وباب الإمامة الإلهيَّة؛ فإنَّ الوحي السمعي والوحي بالإلهام - كما هو طبيعة وحي الإمامة الإلهيَّة - أوسع مدى من الوحي البصري والرُّؤية البصريَّة - كما هو حال وحي النُّبوة -.

بل للسمع دور مؤثِّر في الرِّياضات الرُّوحيَّة وغيرها. بل الجامعة المفتوحة - والتي تقوم عبر المسموع - أكثر تأثيراً ونطاقاً وسعةً من الحضور المرئي.

ومَّا تقدَّم يتَّضح: أنَّ قدرة الإنسان السَّمعيَّة في طبقات روحه وطبقات بدنه شبكة تُغطِّي بث أعظم من القدرة البصريَّة.

ومن كُِّل ما تقدَّم تتَّضح: نُكتة وفلسفة تركيز بيانات الوحي على قوَّة السَّمع أكثر من تركيزها على قوَّة البصر وسائر قوى الحسِّ الأخرى، ومن ثمَّ قدَّم عنوان السَّمع في إستعمالات بيانات الوحي غالباً على عنوان البصر وسائر عناوين قوى الإنسان.

ومصاديقها الحسيّة الغليظة، بل في مآلاتها وغاياتها وكمالاتها الأخيرة؛ فليس المراد من عنوان ولفظ: (الموتى) في هذا البيان الشّريف موتى الأبدان الغليظة، وليس المراد أيضاً من عنوان ولفظ: (الصم) صمّ الآذان الشّحميّة، وهكذا ليس المراد من عنوان ولفظ: (العمى) أيضاً عمى العيون الكرويّة

→ فلاحظ:

١- بيان قوله جلّ قوله الحاكي لخبر النّبي إبراهيم عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ [مريم: ٤٢].

٢- بيان قوله عزّ قوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَمَّ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾ [الأنعام: ٤٦].

٣- بيان قوله عزّ من قائل: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْنَ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾ [يونس: ٣١].

٤- بيان قوله عزّ ذكره: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

٥- بيان قوله عزّ اسمه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنْ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

٦- بيان قوله عزّ وجهه: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٨].

٧- بيان قوله ﷻ: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ [فصلت: ٢٢].

٨- بيان قوله جلّ شأنه: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ بَصَرَهُ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

المستديرة، فإنَّه (علا شأنه) وجَّه كلامه الشَّريف إلى أناسٍ ذوي أبدان حيَّة شاعرة، تأكل وتشرب، وتمشي على سطح الأرض، وتسمع الأصوات والكلام الاعتباري بأذانهم الشَّحميَّة، وينظرون ويرون بأعينهم الحسيَّة الغليظة ما يدور حولهم، وإنَّما مراده (عزَّ ذكره): ما وراء هذه الأشياء من حقائقها ومآلاتها وغاياتها وكماالاتها الأخيرة، وهي: العقل والرُّوح الإنسانيَّة، وطبقاتها ومراتبها، وقواها، وكماالاتها الصَّاعدة، ولكثرة ممارسة العبيد للمعاصي والذنوب، والاشتغال بالدُّنيا وزخارفها ماتت عقولهم وقلوبهم وأرواحهم وطبقاتها الصَّاعدة - ك: السِّرِّ والخيالي والأخفى - وأصبحوا كالأنعام؛ لا ينظرون ولا يعقلون مآلات وعواقب وغايات الأمور والكلام؛ وكماالاتها الأخيرة. بل أضل؛ لكون الحيوانات تتمتع بقباليات بدنيَّة وجسميَّة وحسيَّة لم يتمتع بها الإنسان^(١).

فلاحظ: ما ورد في بيانات الوحي، منها :

١- بيان الإمام الصادق عليه السلام الوارد في خبر توحيد المُفَضَّل بن عمر، قال: «... فكَرَّ يا مُفَضَّل: في خلقه عجيبة جُعِلت في البهائم؛ فإنَّهم يوارون أنفسهم إذا ماتوا كما يوارى النَّاس موتاهم، وإلَّا فأين جيف هذه الوحوش

(١) إِنَّ ما ورد في بيان قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُفُثَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُوَفِّي مِنْ قَبْلِ وَلَتَبْلُغُوا أَجْلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [غافر: ٦٧] برهان وحياني دال على أنَّ مراحل تنامي الإنسان دليل على أنَّه ليس له القدرة من ذاته؛ فمرور أطوار النقص والكمال على المخلوق صارخة بفقره الدَّائي.

وهذه السُّنن الإلهيَّة في خلقه المخلوق تكلم من ساحة القدس الإلهيَّة مع العقول.

والسباع وغيرها لا يرى منها شيء؟ وليست قليلة فتخفى لقتلها؛ بل لو قال قائل: إنها أكثر من الناس لصدق، فاعتبر^(١) ذلك بما تراه في الصحاري

(١) ينبغي صرف النظر في المقام إلى القضية التالية :

جملة عوالم التكوين ومخلوقات خطابات إلهية موجهة للمخلوقات

إنَّ ما ورد في بيان الإمام الكاظم (صلوات الله عليه)، عن هشام بن الحكم، قال: «قال لي أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: ... يا هِشَامُ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَكْمَلَ لِلنَّاسِ الْحُجَجَ بِالْعُقُولِ، وَنَصَرَ النَّبِيِّينَ بِالْبَيَانِ، وَدَلَّهُمْ عَلَى رُبُوبِيَّتِهِ بِالْأَدِلَّةِ، فَقَالَ: ﴿وَالْهَيْكَلُ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ * إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِينَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤-١٦٥].

يَا هِشَامُ: قَدْ جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى مَعْرِفَتِهِ بَأَنَّ لَهُمْ مُدَبِّرًا، فَقَالَ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ *، وَقَالَ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَظْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عِلْقَةٍ ثُمَّ مَخْرَجَكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِيَلْبِغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُوَفِّي مِنْ قَبْلِ وَلِيَلْبِغُوا أَجْلًا مُسَمًّى وَلَكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [غافر: ٦٧]، وَقَالَ: ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الحاثية: ٥]، وَقَالَ: ﴿يُخَيِّبُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد: ١٧]، ﴿وَجَنَاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَتَفْضِلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِيهِ الْأَكْلُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤]، وَقَالَ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْيِيطُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: ٢٤]، وَقَالَ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ الْأَشْرَافَ بِهَ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا

→ **الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** [الأنعام: ١٥١]، وقال: ﴿هَلْ لَكُمْ مِنْ رَبٍّ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ رَبِّ شُرَكَاءَ فِيهِ مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ [الروم: ٢٨]... [أصول الكافي، ١: ١٣ / ح ١٢] برهان وحياتي دال على أَنَّ جملة أفعال الباري تعالى التكوينية عبارة عن خطابات عقلية منه سبحانه وتعالى مع مخلوقاته.

وللتوضيح: لاحظ الأمثلة التالية :

المثال الأول:

الخلقة كلام الله مع مخلوقاته لتعريف نفسه إليها وتعرّفها عليه

١- بيان الحديث القدسي: «كُنْتُ كَنْزاً مَخْفِياً فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرِفَ فَخَلَقْتُ الْخَلْقَ لِكَيْ أُعْرِفَ». بحار الأنوار، ٨٤: ٣٤٤. شرح النهج، ٥/ باب: اختلاف الأقوال في خلق العالم: ١٦٣.

- بيان الإمام الصادق عليه السلام: «... إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يَخْلُقْ خَلْقَهُ عَبَثًا، وَلَمْ يَتْرَكْهُمْ سَدًى، بَلْ خَلَقَهُمْ لِإِظْهَارِ قُدْرَتِهِ...». بحار الأنوار، ٥: ٣١٣/ ح ٢.

٣- بيان جوابه عليه السلام على سؤال الزيديق، عن هشام بن الحكم، قال: «أَنَّهُ سَأَلَ الزَّنْدِيقَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: لَأَيِّ عِلَّةٍ خَلَقَ الْخَلْقَ، وَهُوَ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَيْهِمْ، وَلَا مُضْطَرَّرٌ إِلَى خَلْقِهِمْ، وَلَا يَلِيقُ بِهِ الْعِبَثُ بِنَا؟ قَالَ: خَلَقَهُمْ لِإِظْهَارِ حُكْمَتِهِ، وَإِنْفَازِ عِلْمِهِ، وَإِمْضَاءِ تَدْبِيرِهِ...». بحار الأنوار، ٥: ٣١٧/ ح ١٤.

ودلالة الجميع واضحة؛ فَإِنَّ نَفْسَ الْخَلْقَةِ كَلِمَةُ إِلَهِيَّةٍ، نَعَمِ الْكَلِمَاتُ الْإِلَهِيَّةُ عَلَى مَرَاتِبٍ وَدَرَجَاتٍ، بَعْضُهَا لَيْسَتْ بِتَامَّةٍ، وَالْأُخْرَى تَامَّةٌ، وَالثَّلَاثَةُ أَتَمُّ وَهَلَمْ جَرًّا، وَمَنْ ثَمَّ وَرَدَّ فِي بَيَانِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: «مَا لِلَّهِ آيَةٌ أَعْظَمُ مِنِّي». بحار الأنوار، ٥٣: ٥٣-٥٤/ ح ٣١.

وهذا بُعدٌ عَظِيمٌ مِنْ أبعاد الخلقة، فلذا المعروف لدى أهل المعرفة: أَنَّ فِي عَالَمِ الْخَلْقَةِ حَيْثِيَّةً بَدِيعَةً، وَهِيَ: حَيْثِيَّةُ الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ أَوْ الْحَيْثِيَّةِ الْآيَتِيَّةِ، وَهِيَ حَيْثِيَّةُ تَكَلُّمٍ ←

→ وكلام من الخالق جلّ جلاله مع مخلوقاته، وهذا النحو من الكلام لا ينفد ولا يزول.

وهذا ما أشارت إليه بيانات الوحي، منها:
بيان قوله جلّ قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧].
المثال الثاني:

الموت وسكراته كلام إلهي ليكتشف المخلوق مدى ضعفه وحاجته لباريه (الموت وسكراته)؛ فإنّهما حالتان تكوينيتان، وكلام إلهي يقرأ البعض منهما مدى ضعفه وفقره وحاجته، ويستعذب بكلام باريه جلّت آلاؤه معه في تلك اللحظات.
المثال الثالث:

ما يُصاب به المخلوق كلام إلهي ليستشعر مدى ضعفه وفقره لخالقه (بلاءات وابتلاءات وامتحانات المخلوقات)، فإنّ البعض يقرأ أيضاً من خلالها ويستشعر عظيم ضعفه وفقره وحاجته إلى خالقه العزيز الجبار، ومع تذوّقه واستشعاره بهذه الحالات يهون عليه كلّ بلاءٍ وابتلاءٍ وامتحان.

كلام زينب عليها السلام في محضر ابن زياد يُمثّل قَمّة أدب المخلوق مع خالقه وهذا ما كشف عنه حال زينب عليها السلام مع عبيد الله بن زياد حينما خاطبها بقصد زرع العداوة بينها وبين باريها تعالى ذكره: «كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك؟»، فأجابته عليها السلام - مع أنّها موتورة وجريمة ومكسورة القلب -: «ما رأيت إلاّ جميلاً». بحار الأنوار، ٤٥: ١١٥-١١٦. الملهوف: ١٤٢-١٤٣.

وهذا جوابٌ يُمثّل عَظَمَة وقَمّة الأدب والخضوع والراحَة في علاقتها مع الخالق تقدّس ذكره، كحال أخيها سيّد الشّهداء عليه السلام في لحظاته الأخيرة من اليوم العاشر من المُحرّم حين مصرعه، عندما يصفه راوٍ كان متواجداً وشاهد تلك اللحظات: «فوالله ما رأيت مكثوراً قطُّ قد قُتل ولده وأهل بيته وصحبه أربط جاشاً منه، وإنّ

→ كَانَتْ الرِّجَالُ لَتَشُدُّ عَلَيْهِ فَيَشُدُّ عَلَيْهَا بِسَيْفِهِ فَتَنكُشِفُ عَنْهُ انْكَشَافُ الْمَعزَى إِذَا شَدَّ

فِيهَا الذُّبُّ، وَلَقَدْ كَانَ يَحْمِلُ فِيهِمْ وَقَدْ تَكَمَّلُوا أَلْفًا فَيَنْهَزُمُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ كَأَنَّهُمُ الْجَرَادُ الْمُنْتَشِرُ...». بحار الأنوار، ٤٥: ٥٠. الملهوف: ١٠٥. الطبري، ٦: ٢٥٩.

وعن هلال بن نافع قال: «إِنِّي لَوَاقِفٌ مَعَ أَصْحَابِ عَمْرِ بْنِ سَعْدٍ إِذْ صَرَخَ صَارِخٌ: أَبْشِرْ أَيُّهَا الْأَمِيرُ، فَهَذَا شَمْرٌ قَدْ قَتَلَ الْحُسَيْنَ، قَالَ: فَخَرَجْتُ بَيْنَ الصَّفَيْنِ فَوَقَفْتُ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَيَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ قَطُّ قَتِيلًا مُضْمَخًا بِدَمِهِ أَحْسَنَ مِنْهُ وَلَا أَنْوَرَ وَجْهًا، وَلَقَدْ شَغَلَنِي نُورُ وَجْهِهِ وَجَمَالُ هَيْبَتِهِ عَنِ الْفِكْرَةِ فِي قَتْلِهِ...». بحار الأنوار، ٤٥: ٥٧. الملهوف: ١١٢-١٢١.

وهذا ترجمان عمليٍّ لِمَا ذَكَرَهُ (صلوات الله عليه) فِي دَعَاءِ شَهْرِ شَعْبَانَ: «... إِلَهِي رِضًا بِقَضَائِكَ، وَتَسْلِيمًا لِأَمْرِكَ، لَا مَعْبُودَ سِوَاكَ...». بحار الأنوار، ٤٥: ٥٧. الملهوف: ١١٢-١٢١.

وهذه بيانات وخطابات عقلية وروحية تظهر فيها أرفع حالات الجمال وقمة المناجات بين العبد ومولاه تقدس ذكره، وتحصل عندما يستشعر وجدان العبد ضعفه وفقره وحاجته إليه ﷻ، فيستشعر في أعماق نفسه - نتيجة ذلك - قمة الخضوع والعبودية والمربوبية، وعندها تحصل حالات الأنس والقرب مع خالقه وباريه ومولاه جلّ ذكره.

ما حصل لسيّد الأنبياء ﷺ والمسلمين يوم أحد خطاب إلهي حاكمي عن مدى حاجة

المسلمين لباريهم

بل ما حصل لسيّد الأنبياء ﷺ يوم أحد نوع خطاب إلهي معه ﷻ، بل ومع المسلمين يُقرأ من خلاله الفقر والحاجة والإضطراب إليه عظمت آلاؤه، وعدم الإغترار بما حصل من إنجازات في معركة بدر، فإنّ طبيعة المخلوق ينبغي أن ←

→ تعيش في حالة النشوة والنَّصر والإنجاز والتقدُّم والغنى: الفقر والحاجة إليه تبارك وتعالى.

قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِكَفٍّ * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾ [العلق: ٦-٧].

فالغنى وما شاكله يوجب في ذات المخلوق الطغيان والفرعونية، بخلاف مَنْ يعيش حالة المظلومية - كأهل البيت (صلوات الله عليهم) -؛ فإنَّه يعيش حالة الإخبات والتواضع والعبودية والإنكسار ونكران الذات، وتصفو ذاته من شائبة الطغيان والفرعونية.

وهذا ما يُوَضِّح: نُكْتة وفلسفة ما أُبتلي به أهل البيت (صلوات الله عليهم) من مظلومية، كما أُشير إليها في بيانات الوحي، منها:

١- بيان سيّد الأنبياء ﷺ، عن أهل الحديث: «أَنَّ النَّظَرَ بِنَظَرِ الْحَارِثِ وَعَقْبَةُ بَنِ أَبِي مَعِيْطٍ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عَمِدُوا إِلَى سَلَى جَمَلٍ فَرَفَعُوهُ بَيْنَهُمْ وَوَضَعُوهُ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ سَاجِدٌ بِفَنَاءِ الْكَعْبَةِ فَسَالَ عَلَيْهِ، فَصَبَرَ وَلَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ وَبَكَى فِي سَجُودِهِ، وَدَعَا عَلَيْهِمْ فَجَاءَتْ ابْنَتُهُ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَهِيَ بَاكِيةٌ فَرَفَعَتْهُ عَنْهُ فَأَلْقَتْهُ، وَقَامَتْ عَلَى رَأْسِهِ [وهي] بَاكِيةٌ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقَرِيْشٍ، قَالَهَا ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ رَافِعًا صَوْتَهُ: إِنِّي مَظْلُومٌ فَإِنْتَصِرْ، قَالَهَا ثَلَاثًا، ثُمَّ قَامَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ...». بحار الأنوار، ٣٣: ٢٢٩/ح ٥١٦.

٢- بيانه ﷺ مُحاطباً أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): «... يَا عَلِيُّ، أَبْشِرْ بِالسَّعَادَةِ؛ فَإِنَّكَ مَظْلُومٌ بَعْدِي وَمَقْتُولٌ!...». بحار الأنوار، ٣٤: ١٠٣/ح ٢٦. أمالي الصدوق: ٢٢١.

٣- بيان أمير المؤمنين ﷺ، عن عبادة، قال: «جاء أعْرَابِيٌّ يَتَخَطَا فَنَادَى: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَظْلُومٌ، قَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَيَحْكُ، وَأَنَا مَظْلُومٌ، ظَلَمْتُ عِدَدَ الْمَدْرِ وَالْوَبْرِ». بحار الأنوار، ٢٨: ٣٧٣.

→ ٤- بيانه عليه السلام أيضاً: «... إِنِّي مَذَلُّ مَضْطَهْد، مَظْلُوم مَغْصُوب مَقْهُور مَحْقُور، وَأَنْتُمْ ابْتَرَوْا حَقِّي وَاسْتَأَثَرُوا بِمِيرَاثِي! ...». بحار الأنوار، ٢٩: ٥٦٣/ح ١٠.

٥- بيان الإمام الباقر عليه السلام: «... لم نزل أهل البيت نستذل ونستضام، ونقص ونمتهن، ونحرم ونقتل ونخاف ولا نأمن على دمائنا ودماء أوليائنا ... وقطعت الأيدي والأرجل على الظنة، وكان من ذكر بحبنا والانقطاع إلينا سجن أو نهب ماله، أو هدمت داره، ثُمَّ لم يزل البلاء يشتد ويزداد ... ثُمَّ جاء الحجاج فقتلهم كُلَّ قَتْلَةٍ، وأخذهم بِكُلِّ ظَنَّةٍ وَتَهْمَةٍ، حَتَّى أَنَّ الرَّجُلَ لَيُقَالُ لَهُ زَنْدِيقٌ أَوْ كَافِرٌ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يُقَالَ شَيْعَةٌ عَلِيٌّ...». بحار الأنوار، ٤٤: ٦٨-٦٩.

ودلالة الجميع واضحة.

ومعناها: أَنَّ ما ابتلي به أهل البيت عليه السلام من مَظْلُومِيَّةٍ يُمَثِّلُ حالة اخبات وتواضع وعبودية وانكسار ونكران للذات، وصفائها من شائبة الأنا والفرعونية والطغيان، وهذا ما تمثّل في فعل أمير المؤمنين عليه السلام عشيّة ضربة ابن ملجم (عليه اللعنة)، فَإِنَّهُ عليه السلام قد أوصى ولده الإمام الحسن عليه السلام بـ: الرأفة به والرّحمة، وحينما أُعْترض عليه أَجاب عليه السلام: «إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ لَا نَزْدَادُ عَلَى الْمُسِيءِ إِلَّا صَفْحًا وَكِرْمًا»، ومعناه: أَنَّ رَدَّةَ الفعل والإنقام للذات لم تكن حاضرة لدى أولياء وعباد الرّحمن؛ لتلبّسهم بشكل دائم بحالة العبوديّة، فما مَثَلَتْه حالة أمير المؤمنين هذه تكشف عن أَنَّهُ (صلوات الله عليه) عَبْدٌ ذَلِيلٌ بَيْنَ يَدَيِ رَبِّ رَحِيمٍ، يُراقبه في جميع حركاته وسكناته وإنْ كانت مع أَعْتَى خلقه، وَيَخْشَى أَنْ تُسْجَلَ عَلَيْهِ أَيُّ لَقْطَةٍ فُورَانٍ لِأَنَانِيَّتِهِ وذاته.

ترجمة كُمَلِّ المخلوقات لِمَا يَجْري عليهم على مدار السّاعة إلى شفرات مرسله

من الخالق

وهكذا حال الأنبياء عليه السلام، فَإِنَّهُمْ يُترجمون ما يَجْري عليهم من قضاء وقدر إلى شفرات مرسله عن البارئ تبارك وتعالى.

→ فلاحظ:

١- ما روي: «أَنَّ آدَمَ لَمَّا هَبَطَ إِلَى الْأَرْضِ ... فَمَرَّ بِكَرْبَلَاءَ فَاغْتَمَّ، وَضَاقَ صَدْرُهُ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ، وَعَثَرَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ الْحُسَيْنُ حَتَّى سَالَ الدَّمُ مِنْ رِجْلِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: إِلَهِي، هَلْ حَدَثَ مِنِّي ذَنْبٌ آخَرَ فَعَاقَبْتَنِي بِهِ؟ ... فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: يَا آدَمُ، مَا حَدَثَ مِنْكَ ذَنْبٌ، وَلَكِنْ يُقْتَلُ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ وَلَدُكَ الْحُسَيْنُ ظُلْمًا؛ فَسَالِ دَمَكَ مُوَافَقَةً لَدَمِهِ ...». بحار الأنوار، ٤٤: ٢٤٢/ح ٣٧.

٢- روي أيضاً: «أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَرَّ فِي أَرْضِ كَرْبَلَاءَ وَهُوَ رَاكِبٌ فَرَسًا فَعَثَرَتْ بِهِ وَسَقَطَ إِبْرَاهِيمُ وَشَجَّ رَأْسَهُ وَسَالَ دَمُهُ، فَأَخَذَ فِي الْاسْتِغْفَارِ، وَقَالَ: إِلَهِي أَيُّ شَيْءٍ حَدَثَ مِنِّي؟ فَنَزَلَ إِلَيْهِ جَبْرَائِيلُ وَقَالَ: يَا إِبْرَاهِيمُ، مَا حَدَثَ مِنْكَ ذَنْبٌ، وَلَكِنْ هُنَا يُقْتَلُ سَبْطُ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ، وَابْنُ خَاتَمِ الْأَوْصِيَاءِ، فَسَالِ دَمَكَ مُوَافَقَةً لَدَمِهِ ...». بحار الأنوار، ٤٤: ٣٤٣.

وهذا نحو كلام يقرأه القلب والعقل والوجدان رغم عدم قراءة البدن والحس والخيال له، فيعرف الأنبياء عليهم السلام الباري جلَّ شأنه من خلاله، بل ويعرفون من خلاله أيضاً صفاته وأسمائه وأفعاله وقضائه وقدره ورضاه وسخطه تقدس ذكره، ويعرفون من مقاديره سبحانه ما سيكون، فيكلمهم بتوسط ما يقضيه وببرمه، ومن ثم يقرؤون وهم في هذه النشأة قضاءه وحكمه يوم القيامة، ويستنبطون أخلاقه تعالى من خلال أفعاله التكوينية.

ترابط وثيق بين عالم التكوين وعالم التشريع

ومنه يتضح: أَنَّ الَّذِي يَفْقَهُ وَيَعْلَمُ بِأَسْرَارِ وَدَقَائِقِ عَالَمِ التَّكْوِينِ لَا بُدَّ وَأَنْ يَكُونَ عَالِمًا وَعَارِفًا بِعَالَمِ التَّشْرِيعِ الْإِلَهِيِّ؛ لِأَنَّ عَالَمَ التَّكْوِينِ بَيَانُ وَكَلَامُ إِلَهِيٍّ يَفْصَحُ فِيهِ الْبَارِي تَعَالَى ذَكَرَهُ عَنْ غَايَاتِهِ وَأَغْرَاضِهِ. وهذا هو مضمون الملازمة العقلية القائلة: «كُلَّمَا حَكَمَ بِهِ الْعَقْلُ حَكَمَ بِهِ الشَّرْعُ».

ومنه تتضح: كثير من بيانات الوحي الواردة في حَقِّ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَسَائِرِ أَهْلِ الْبَيْتِ (صلوات الله عليهم)، منها:

→ بيان الإمام الصادق عليه السلام، عن أديم بن الحرّ، قال: «سأله موسى بن أشيم - يعني: أبا عبد الله عليه السلام - عن آية من كتاب الله فخبّره بها، فلم يبرح حتى دخل رجل فسأله عن تلك الآية بعينها فأخبره بخلاف ما أخبره، قال ابن أشيم: فدخلني من ذلك ما شاء الله حتى كنتُ كاد قلبي يشرح بالسكاكين، وقلتُ: تركتُ أبا قتادة بالشام لا يُخطئ في الحرف الواحد الواو وشبهها، وجئتُ إلى من يُخطئ هذا الخطأ كله. فبينما أنا كذلك إذ دخل عليه آخر فسأله عن تلك بعينها فأخبره بخلاف ما أخبرني والذي سأله بعدي، فتجلّى عني وعلمتُ أنّ ذلك تعمّد منه، فحدّثت نفسي بشيءٍ فالتفتُ إلىّ أبو عبد الله عليه السلام، فقال: يا بن أشيم، لا تفعل كذا وكذا، فحدّثني عن الأمر الذي حدّثتُ به نفسي. ثمّ قال: يا بن أشيم، إنّ الله فوّض إلى سليمان بن داود عليه السلام، فقال: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص: ٣٩]، وفوّض إلى نبيه فقال: ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، فما فوّض إلى نبيه فقد فوّض إلينا. يا بن أشيم، من يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام، ومن يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيقاً حرجاً. أتدري ما الحرج؟ قلتُ: لا، فقال بيده، وضَمَّ أصابعه الشيء المصمت الذي لا يخرج منه شيء ولا يدخل فيه شيء». بحار الأنوار، ٢٥: ٣٣٢-٣٣٣/ح ١٠. بصائر الدرجات: ١١٣-١١٤. الاختصاص: ٣٣٠-٣٣١.

ودلالته قد اتّضحت؛ فإنّه بعد أن أعطى الباري جلّ ذكره لسيد الأنبياء ﷺ القدرة على فهم جملة أسرار عالم التكوين اتّضحت لديه ﷺ كافة مغازي التّشريعات الإلهيّة.

وعلى هذا قس حال سائر أهل البيت (صلوات الله عليهم)، ومن ثمّ تراهم حينما يُبينون بعض الأحكام الشرعيّة يذكرون إلى جنبها آثارها الدنيويّة أو البرزخيّة أو الأخرويّة.

والجبال من أسراب الطبا والمها والحمير والوعول والأياثل، وغير ذلك من الوحوش، وأصناف السباع من الأسد والضباع والذئب والنمور وغيرها، وضروب الهوام والحشرات ودواب الأرض، وكذلك أسراب الطير من الغربان والقطا والإوز والكراكي والحمام وسباع الطير جميعاً وكلها لا يرى منها شيء إذا ماتت إلا الواحد بعد الواحد يصيده قانص أو يفترسه سبع، فإذا أحسوا بالموت كمثوا^(١) في مواضع خفية فيموتون فيها، ولولا ذلك لامتلأت الصحاري منها حتى تفسد رائحة الهواء، ويحدث الأمراض والوباء، فانظر إلى هذا الذي يخلص إليه الناس وعملوه بالتّمثيل الأوّل الذي مثل لهم كيف جعل طبعاً وادّكاراً في البهائم وغيرها، ليسلم الناس من معرّة ما يحدث عليهم من الأمراض والفساد . فكّر يا مفضّل: في الفطن التي جعلت في البهائم لمصلحتها بالطبع والخلقة ... لا بعقل وروية؛ فإنّ الأيّل يأكل الحيات فيعطش عطشاً شديداً فيمتنع من شرب الماء خوفاً من أن يدبّ السمّ في جسمه فيقتله، ويقف على الغدير، وهو مجهود عطشاً، فيعجّ عجيجاً عالياً، ولا يشرب منه، ولو شرب لمات من ساعته، فانظر إلى ما جعل من طباع هذه البهيمة من تحمّل الظماء الغالب خوفاً من المضرة في الشرب، وذلك

→ ومعناه: أنّ منصب التشريعات الإلهية لا تُعطى لغير المعصوم عليه السلام؛ وذلك لعدم تمكّن غيره من الإحاطة بعوالم التكوين وأسرارها وغاياتها.
وبالجملة: أحد مصادر التشريع التي خصّ بها سيّد الأنبياء عليه السلام وسائر أهل البيت عليه السلام: إحاطتهم وعلمهم وقدرتهم على قراءة الأكوان وعوالم الخلقة.
(١) أي: تواروا واختفوا.

مِمَّا لَا يَكَادُ الْإِنْسَانُ الْعَاقِلُ الْمُتَمَيِّزُ يَضْبِطُهُ مِنْ نَفْسِهِ. وَالثَّعْلَبُ إِذَا أَعْوَزَهُ الطَّعْمُ ... وَالذُّلْفَيْنِ ... انْظُرْ إِلَى هَذَا الَّذِي يُقَالُ لَهُ: اللَّيْثُ، وَتَسْمِيَّةُ الْعَامَّةِ أَسَدُ الذَّبَابِ، وَمَا أُعْطِيَ مِنَ الْحِيلَةِ وَالرَّفْقِ فِي مَعَاشِهِ ...، فَأَمَّا الْعَنْكَبُوتُ فَإِنَّهُ يَنْسِجُ ذَلِكَ النَّسِجَ فَيَتَّخِذُهُ شَرْكَاءَ وَمَصِيدَةً لِلذَّبَابِ، ثُمَّ يَكْمُنُ فِي جُوفِهِ ... فَانْظُرْ إِلَى هَذِهِ الدَّوْبِيَّةِ الضَّعِيفَةِ كَيْفَ جَعَلَ طَبْعَهَا مَا لَا يَبْلُغُهُ الْإِنْسَانُ إِلَّا بِالْحِيلَةِ وَاسْتِعْمَالِ آلَاتٍ فِيهَا، فَلَا تَزْدِرُ بِالشَّيْءِ إِذَا كَانَتْ الْعِبْرَةُ فِيهِ وَاضِحَةً، كَالذَّرَّةِ وَالنَّمْلَةِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ؛ فَإِنَّ الْمَعْنَى النَّفِيسَ قَدْ يُمَثِّلُ بِالشَّيْءِ الْحَقِيرِ، فَلَا يَضَعُ مِنْهُ ذَلِكَ، كَمَا لَا يَضَعُ مِنَ الدِّينَارِ وَهُوَ مِنْ ذَهَبٍ أَنْ يَوْزَنَ بِمِثْقَالٍ مِنْ حَدِيدٍ^(١)

(١) لَا بَأْسَ بِصَرْفِ النَّظَرِ فِي الْمَقَامِ إِلَى الْقَضَايَا التَّالِيَةِ:
القَضِيَّةُ الْأُولَى:

دَقَائِقُ وَصَغَائِرُ الْخَلْقَةِ تَكْشِفُ أَكْثَرَ عَنْ عَظَمَةِ الْخَالِقِ وَخَلْقَتِهِ

تَبَيَّنَ لِعُلَمَاءِ الْفِيزِيَاءِ وَالْعُلُومِ التَّجْرِبِيَّةِ: أَنَّ عَظَمَةَ الْخَالِقِ عَجَبٌ تَتَجَلَّى فِي ذَرَّاتِ الْخَلْقِ وَالْخَلْقَةِ وَصَغَارِهَا - ك: (عِلْمُ النَّانُو) وَ(عِلْمُ الْإِكْوَانْتُمْ) وَ(عِلْمُ الْفَيْمْتُو) - أَكْبَرُ وَأَعْظَمُ مِنْ تَجَلِّيِّهَا فِي مَخْلُوقَاتِهِ (جَلَّ شَأْنُهُ) الْمَهُولَةِ وَالْخَطِيرَةِ - كَالْعَرْشِ -؛ لَكُونِهَا تُنْسَجُ بِشَكْلِ تَكْوِينِيٍّ مُعَقَّدٍ.

القَضِيَّةُ الثَّانِيَّةُ:

بَحْثُ نَوَابِغَةِ عِلْمِ الْفِيزِيَاءِ تُوَدِّي بِهِمْ غَالِباً إِلَى التَّوْحِيدِ وَإِلَى رَهَبَاتِ رُوحِيَّةِ

.... (١) (٢)

→ إِنَّ الكثير من نواغة علم الفيزياء يُؤدّي بهم البحث إلى تعظيم الخالق وخلقته، فتكون بحوثهم بحوثاً توحيدية، وتحصل لهم من خلالها: دواعي ونوازع ورهبات روحية شديدة، ومن ثمَّ يُحاولون اكتشاف جملة من شؤون عالم النفس والروح. القضية الثالثة:

علوم الصّغائر تارة تكون جغرافية وأخرى زمانية

إِنَّ علوم الصّغائر - الاكوانتم، والنانو، والفيتمو - تارة تكون جغرافية، وأخرى زمانية.

بعد الالتفات: أَنَّ (علم الفيتمو) لا زال إلى الآن لم يرصد بالأجهزة المسلّحة؛ ومن ثمَّ يبقى مُجرّد نظريّة علميّة.

(١) بحار الأنوار، ٣: ٥٧ - ١٥١ .

(٢) يجدر الالتفات في المقام إلى الأمرين التّالين :

الأمر الأوّل:

الفارق بين عنوان (الإكمال) وعنوان (الانتماء)

يوجد هناك إهتمام من قِبَل المدارس البشرية بالوصايا الدنيّة والشرعيّة الواردة في دين وشريعة سيّد الأنبياء ﷺ بغضّ النظر عن مسألة الإيمان بالآخرة؛ والنكّته: أَنَّ تشريعات وحي السّماء تغدق على مَنْ يتمسّك ويعمل بها رغد ورغد العيش.

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي، منها :

بيان قوله جلّ وعلا: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

بتقريب: أَنَّ هناك فارقاً جوهرياً وأسراراً عقائديّة وقانونيّة عجيبة وعظيمة جدّاً بين معنى وحقيقة عنوان: (الإكمال) ومعنى وحقيقة عنوان: (الإتمام)، حاصله: أَنَّ

→ عنوان وكلمة: (الإكمال) تُطلق لغة ويُراد منها: خروج الشيء من طورٍ نوعيٍّ وماهويٍّ إلى طورٍ نوعيٍّ وماهويٍّ آخر؛ فيخرج الشيء من ماهيةٍ وحقيقةٍ ونوعٍ ويدخل في ماهيةٍ وحقيقةٍ أُخرى ونوعٍ آخر. بخلاف عنوان وكلمة: (الإتمام)؛ فإنه لا يحكي عن تَغْيَرِ ماهيةٍ وحقيقةٍ ونوعٍ الشيء.

مثال الإكمال: تأليف الكُلِّي الطبيعي من أجزائه، فحقيقة (الماء) - مثلاً - عبارة عن اتِّحاد غَارِزَيْن، أحدهما (الهيدروجين) والآخر (الأكسجين)، فإذا اتَّحدا وانضمَّ أحدهما إلى الآخر خرجت ماهيتهما وحقيقتيهما من طورٍ وحقيقةٍ الغازية إلى طورٍ وحقيقةٍ الماء.

مثال آخر للإكمال: مراحل تكوين الجنين المُشار إليها في بيان قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَظْفَةً فِيهِمْ قَرَارَ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَبَارَكُ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿[المؤمنون: ١٢-١٤]؛ فَإِنَّمَا تُخْرَجُ الجنين من ماهيةٍ وحقيقةٍ وطورٍ نوعيٍّ وماهويٍّ إلى ماهيةٍ وحقيقةٍ وطورٍ نوعيٍّ وماهويٍّ آخر، فتخرج الجنين من ماهيةٍ وحقيقةٍ وطورٍ سلالة الطين وتدخله في ماهيةٍ وحقيقةٍ وطورٍ النطفة، ثُمَّ تخرجه من ماهيةٍ وحقيقةٍ وطورٍ النطفة وتدخله في ماهيةٍ وحقيقةٍ وطورٍ العلقة، ثُمَّ تخرجه من ماهيةٍ وحقيقةٍ وطورٍ العلقة وتدخله في ماهيةٍ وحقيقةٍ وطورٍ المضغة، ثُمَّ تخرجه من ماهيةٍ وحقيقةٍ وطورٍ المضغة وتدخله في ماهيةٍ وحقيقةٍ وطورٍ العظام واللحم، ثُمَّ تخرجه من ماهيةٍ وحقيقةٍ وطورٍ العظام واللحم وتدخله في ماهيةٍ وحقيقةٍ وطورٍ الإنسانية.

مثال الإتمام: تأليف الكلِّ من أجزائه؛ كالجدار، فإنه مؤلَّف من لبنات واحجار، وانضمام بعضها إلى الآخر لا يُغَيِّرُ ماهيةَ السَّابِقِ وحقيقته وطروره النَّوعِي، نعم بانضمام بعضها إلى الآخر يتكوَّن الجدار.

→ ومنه يتَّضح: عدم صحَّة التعبير عن إتمام البناء بـ: (إكمال البناء)، والصَّحيح: أن يُعبَّر عنه بـ: (إتمام البناء)، وكذا لا يصحُّ التعبير عن مراحل تكوين الجنين بـ: (إتمام الجنين)، والصَّحيح: أن يُعبَّر عنها بـ: (إكمال الجنين).

ومن كُلِّ هذا يتَّضح: بيان الآية الكريمة المتقدِّم في صدر البحث، الوارد بعد تبليغ بيعة الغدير والإصحار على رؤوس الأشهاد بولاية أمير المؤمنين وسائر أهل البيت (صلوات الله عليهم)، فولايتهم عليهم السلام ليست إتمام الدِّين، بل إكمال له وخروجه من طور النُّطفة والإسلام الظَّاهري إلى طور الإيِّمان والإسلام الواقعي، وهو طور ونوع آخر وماهيَّة وحقيقة أُخرى.

وإلى هذا تُشير بيانات الوحي الأخرى، منها:

بيان قوله جلَّت آلاؤه: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤].

الأمر الثاني:

نُكْتة إهتمام أصحاب المدارس المعرفية البشرية بمباحث الطَّبيعيَّات

قد تسأل عن سبب إهتمام أصحاب المدارس المعرفية البشرية بمباحث الطَّبيعيَّات

الجسم والصُّورة وعوالم الجسمانيَّات، فمع أنَّها القسم الأصغر من عالم التَّكوين والخلقة والمخلوقات والوجود - وغيرها هو الأعظم هولاً وتكويناً وقدرة وكمالاً، لكنَّهم خصَّصوا لها - تقريباً - ثلثي مباحث الأمور العامَّة (الإلهيَّات بالمعنى الأعم).

والجواب: أنَّ نُكْتة ذلك الإهتمام مراعاة لحال الإنسان؛ فإنَّ إدراك المخلوق لِمَا هو أقرب إليه يكون أوضح لديه.

ثمَّ إنَّ اتقان هذا المبحث بشكل رياضيٍّ وهندسيٍّ ضروري جدّاً. بعد الالتفات: أنَّ ظاهره وإن كان سهلاً لكنَّ في واقعه زوايا غامضة جدّاً وصعبة المراس. فالتفت.

٢- بيان الإمام الكاظم^(١) عليه السلام: «... إِنَّ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ قَالَ لَهْدَدِ

(١) لا بأس بالالتفات في المقام إلى القضايا التالية :
القضية الأولى:

تمتع أهل البيت^{عليهم السلام} بصفة (كظم الغيظ)

إِنَّ صِفَةً: (كظم الغيظ) وردت في بيانات الوحي في حقّ اثنين من أهل البيت^{عليهم السلام} بصفة خاصة: أمير المؤمنين والإمام موسى الكاظم^{عليهما السلام}، أمّا سائر أهل البيت^{عليهم السلام} فإنّها تُذكر لهم بصفة جمعيّة.

فانظر: بيانات الوحي الواردة في حقّ أمير المؤمنين^{عليه السلام}، منها :
بيان زيارته^{عليه السلام} يوم الغدير: «... وَأَشْهَدُ أَنَّكَ لَمْ تَزَلْ لِلْهَوَىٰ مُحَالِفًا، وَلِلتَّقَىٰ مُحَالِفًا، وَعَلَىٰ كَظْمِ الْغَيْظِ قَادِرًا، وَعَنِ النَّاسِ عَافِيًا غَافِرًا... وَأَنْتَ الْكَاطِمُ لِلْغَيْظِ، وَالْعَافِي عَنِ النَّاسِ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ...». بحار الأنوار، ٩٧: ٣٦٠-٣٦٨.
ولاحظ: بيانات الوحي الواردة في حقّ الإمام موسى بن جعفر^{عليهما السلام}، منها :
بيان سيّد الأنبياء^{صلى الله عليه وآله}: «... أَوْصِيَانِي مِنْ بَعْدِي بِعَدَدِ نَقَبَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ... فَإِذَا انْقَضَتْ مَدَّةُ جَعْفَرٍ قَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ مُوسَىٰ وَيُدْعَىٰ بِالْكَاطِمِ ...». بحار الأنوار، ٣٦: ٣٠٤-٣٠٦/ح ١٤٤. كفاية الأثر: ٨-٩.

القضية الثانية:

في شخصيّة الإمام الكاظم^{عليه السلام} جهات ملحمة عديدة

تجلّت في شخصيّة الإمام الكاظم صلوات الله عليه جهات ملحمة عديدة، وبيانات أهل البيت صلوات الله عليهم المستفيضة والموارد التاريخية المنقولة عند الفريقين تُعزّز: أن أمواج أحداث كانت معتركة في شخصيّة.

القضية الثالثة:

مدرسة أهل البيت^{عليهم السلام} المناسف الوحيد للسلطة والمراقب لها بقدرات وامكانيات دولة

→ اعترف المؤرخون والباحثون بأنَّ السلطة العباسيَّة أوسع نطاقاً وأقوى اقتداراً وقوَّة من أوج السلطة الأمويَّة مساحة ورقعة وكيفيَّة وجبروتاً وآليَّاتاً. لكن: في موازاة ذلك قام المنافس الوحيد: نظام مدرسة أهل البيت صلوات الله عليهم؛ فإنَّ السلطة العباسيَّة لم يكن لها أيُّ منافس ورقيب يتناطح ويتدافع معها بقدر مدرسة أهل البيت ﷺ. وهذه قضية أخرى وظاهرة ثابتة باعتراف المؤرخين والباحثين، ولم تنشأ من باب الصدفة.

ثمَّ إنَّه بقدر اتِّساع رقعة الدولة الإسلاميَّة بعد استشهاد سيِّد الأنبياء ﷺ، واتَّساع رقعة النظام المُسلَّط على المسلمين والبلدان الإسلاميَّة اتَّسعت بموازاة ذلك قدرة نظام مدرسة أهل البيت ﷺ.

إذن: مدرسة أهل البيت ﷺ هي الفصل الوحيد المراقب، والذي تتوجَّس منه السلطات خوفاً ورعباً، والصَّاح لمضاجعها، والمنافس الرقيب، صاحب القدرات المتنامية في مدافعة سلطة السقيفة، وسلطة بني أميَّة، وسلطة بني العباس، وصاحب القدرات والإمكانيَّات والسيطرة على المسلمين وبلدانهم. وهذه الظاهرة لا زالت قائمة إلى يومنا هذا منذ بدايات أيَّام السقيفة.

القضية الرَّابعة:

هارون العباسيَّ ورذيلة السَّفاهة

إنَّ إطلاق صفة السَّفاهة على هارون العباسيَّ ليس من باب التحامل، وإنَّما لبيان واقع؛ فإنَّه لم يعيش حقيقة العلم، وإنَّما عاش العنف وسفك الدماء، وتجنيد العلم لبساط وبلاط جوره، ولتثبيت وتوسيع قدرته ونفوذه التسلطي الدكتاتوري. بعد الالتفات: أنَّ العلم إنَّ جُنْد للتسلُّط والدكتاتوريَّة والقدرة الذاتِيَّة والإستبداد فتلك طامَّة كبرى وخطر عظيم، بخلاف تجنيد القدرة للعلم ففتح عظيم.

وإلى هذا تشير بيانات الوحي، منها:

بيان الحديث المشهور عن سيِّد الأنبياء ﷺ: «إذا رأيتم العلماء على أبواب الملوك فبئس العلماء وبئس الملوك، وإذا رأيتم الملوك على أبواب العلماء فنعم العلماء ونعم الملوك».

حين فقدته وشكَّ في أمره ... وغضب عليه ... وإنَّما غضب عليه لأنَّه كان يدلُّه على الماء، فهذا وهو طير قد أُعطي ما لم يُعطَ سليمان، وإنَّما أرادَه ليدلُّه على الماء، فهذا لم يُعطَ سليمان، وكانت المردة له طائعين، ولم يكن يعرف الماء تحت الهواء، وكانت الطير تعرفه ...»^(١).

ودلالاتها واضحة.

٣- إِنَّ اللَّهَ (جَلَّ قَدْسُهُ) قَدْ أُعْطِيَ (الغراب) عِلْمَ الْبَلَاءِ دُونَ عِلْمِ النَّعِيمِ، وَمَنْ ثَمَّ يَزْعُقُ مَا أَنْ يَعْلَمَ بَبِلِيَّةٍ.

→ ومن ثَمَّ كيف يُقال عن الدولة العبَّاسيَّة: أنَّها دولة من العصور الذهبيَّة في الإسلام، وعصرها عصر ذهبيّ في الإسلام وهي تخاف الفكر وتقمعه، وتُقبِع الإمام الكاظم عليه السلام طوال أربعة عشر سنة في قعر السجون، فكفَى ضحكاً على ذقون البشر؛ فإنَّ تلك آثار هارون وقصوره التي بناها لألف ليلة وليلة حمراء والجواري التي يتكنَّس بها على الحدود العراقيَّة السوريَّة في منطقة الرقَّة لا زالت آثارها وآثار اللعب والدف والهوس والهلوسة والنزوات الخسيسية إلى الآن موجودة.

القضيَّة الخامسة:

عهد أمير المؤمنين عليه السلام لمالك بيان لخارطة مستقبلية لإدارة وتنمية حضارة البشر
 إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ بَيَّنَّ فِي عَهْدِهِ لِمَالِكِ الْأَشْتَرِ عليه السلام: كَيْفِيَّةَ اللَّوْلُبِ النَّسْقِيِّ بَيْنَ وَظَائِفٍ وَأَجْنَحَةٍ وَأَعْضَاءِ الدَّوْلَةِ.
 وبعدهما يقرب من ألف وأربعمائة عام أبصرت نخب البشر لما يقرب من مئتي دولة في الأمم المتَّحدة: أنَّ في هذا العهد خارطة مستقبلية وكفوءة لإدارة تنمية حضارة البشر. وهذا يُدَلِّلُ - بعدما وصلت عقليَّة البشر في العصر الراهن في كَيْفِيَّةِ إِدَارَةِ الدَّوْلَةِ إِلَى الْحُكُومَةِ الْإِلِكْتُرُونِيَّةِ، وَهِيَ أَحَدُ آلِيَّاتِ الْإِنْسِيَابِيَّةِ - عَلَى أَنَّ مَا ذَكَرَهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْعَهْدِ مَعَادِلَاتُ جَبَّارَةٍ.

(١) بحار الأنوار، ٢٦: ١٦١/ح ٧. بصائر الدرجات: ١٤ - ١٥.

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي، منها :

بيان الإمام الصادق عليه السلام، عن عبد الله بن فرقد، قال: «خرجنا مع أبي عبد الله عليه السلام متوجهين إلى مكة؛ حتى إذا كُنَّا بسرف استقبله غراب ينق في وجهه، فقال: مت جوعاً، ما تعلم شيئاً إلَّا ونحن نعلمه، إلَّا أنا أعلم بالله منك، فقلنا: هل كان في وجهه شيء؟ قال: نعم، سقطت ناقة بعرفات»^(١).

بل ورد في محله: أنَّ صنفاً من الكلاب يشم الرائحة على بُعد (٥٠٠ كم)، وتمتاز الكلاب البرية بحاسة الشعور بالخطر، وعندما تشعر بقدومه تبدأ بالنباح؛ منذرة غيرها من الحيوانات.

وغير ذلك الكثير، كما هو مسطور في محله؛ من الأمور التي لا يتمتع بها جسم الإنسان وحسّه وخياله^(٢).

(١) بحار الأنوار، ٤٧: ٨٥ / ح ٨١. بصائر الدرجات / ب: ١٤: ٩٩.

(٢) لا بأس بالالتفات في المقام إلى الأمور التالية :

الأمر الأول:

للحيوانات أحاسيس وعواطف

إنَّ للحيوانات أحاسيس وعواطف وشيئاً من الذاكرة، لكن ليست لديها قوّة فكرية جيّدة.

الأمر الثاني:

إحاطة الوحي بالحسّ

إنَّ إحاطة الوحي الإلهي بالحسّ وعالمه أعظم من دون قياس من إحاطة الحسّ وعالمه بنفسه، بل وأعظم ومن دون قياس أيضاً من إحاطة العقل وعالمه بالحسّ وعالمه.

ومن ثمَّ لو عُرِّفَت حقيقة الإنسان بـ: أَنَّهُ (جسم مركَّب من أعضاء، نام، حسَّاس، مُتحرِّك بالإرادة) فهذا لا يُميِّزه عن الحيوانات؛ فإنَّها أيضاً صاحبة أجسام مركَّبة من أعضاء نامية، وحسَّاسة، ومُتحرِّكة بالإرادة، ولها مقدار من الإدراك.

المثال الثالث: بيان قوله جلَّ ذكره: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِمْ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(١).

ودلالته قد اتَّضحت؛ فإنَّه دالٌّ على أَنَّ حقيقة الدنيا وغايتها وكمالها الأخير ليس في هذه النشأة، بل في الآخرة الأبديَّة، وهذه النشأة مبدأ ومنطلق وآلة لحصول تلك الغايات والكمالات.

المثال الرَّابِع: بيان قوله جلَّ وعلا: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾^(٢).

→ الأمر الثالث:

الخيال مُتَّصِلٌ ومنفصل

المراد من قوَّة الخيال أو المُخَيِّلَة لدى الإنسان: جسم مقداري شفاف، وانعكاس نور، وله حقيقة فيزيائية مُعيَّنة، مغروزة في دخيلة ذات الإنسان. ويُعبَّر عن قوَّة الخيال هذه بـ: (الخيال المُتَّصِل)، لكونها إحدى قوى الإنسان المُتَّصلة بجوهره، وبوابته على عالم الخيال المُنفصل، ويُسمَّى بعالم المثال أيضاً وبالعالم البرزخ كذلك، وهو على طبقات وأقسام وأنواع.

(١) العنكبوت: ٦٤.

(٢) المائدة: ٣٢.

وليس المراد من إحياء النفس^(١) هنا إحياء البدن الجسماني الغليظ، ولا بدن النفس اللطيفة أو بشرة بدن النفس أو هندامها أو أناقتها، فإنَّ كلَّ هذه الأمور والحقائق مبادئ، وإنَّها المراد: إحيائها المعنوي والروحي، وبغاياتها المتمثلة بكمالها العقلي^(٢) والقلبي.

(١) يجدر الالتفات: أنَّ للإنسان جوهر عقليّ، وفعل عقليّ، وعرض عقليّ.

وله ميثاق عقليّ، وميثاق نوريّ؛ أي: له فطرة عقلية، وفطرة نورية.

(٢) لا بأس بالالتفات في المقام إلى الأمور التالية:

الأمر الأوّل:

وصف النفس بعنوان (الجهل)

إنَّ النفس توصف بعنوان: (الجهل)، وذلك إذا كانت غير مُسَخَّرَة وغير منقادة للعقل، وإلا فلا توصف بذلك.

الأمر الثاني:

خطورة حديث (جُنْدُ العقل والجهل) للإمام الصادق عليه السلام

إنَّ فقرات بيان الإمام الصادق عليه السلام في حديث: (جُنْدُ العقل والجهل) عبارة عن بيانات لأُسُس التشريع الإسلامي، وبيانات لمقاصد الشريعة، وبيانات الأُسُس عامّة في المعرفة الدينية المرتبطة بفصل النبوة والإمامة، والمرتبطة بارتباط فقه الفروع بفقه العقائد.

الأمر الثالث:

قراءة قوى النفس لقواها الأخرى

يمكن لقوى النفس الإنسانية قراءة بعضها للغة البعض الآخر.

الأمر الرابع:

مسؤوليات النفس الكلية

المثال الخامس: ما ورد في بيان أهل البيت (صلوات الله عليهم): «أَنَّ العرب شيعتنا، وسائر النَّاس عَليج»^(١).

وبيان الإمام الصادق عليه السلام: «... إِنَّ العرب لا تبغض علياً...»^(٢).

فإنَّ المراد من لفظ وكلمة: (العرب) ليس المصاديق الخارجيّة المعهودة، وأصحاب القوميّة المعروفة، وإنَّما غاية ومآل وحقيقة هذا اللفظ والعنوان، وهي: التمام والكمال، والخلوّ من كلّ عيب ونقص؛ فكُلُّ مخلوق تامّ وكامل، وخالي من العيب والنقص لا يبغض أهل البيت (صلوات الله عليهم)، بل يحبُّهم ويواليهم ومن أشياعهم.

→ إِنَّ لِلنَّفْس الكُلِّيَّة شُؤُوناً وشُجُوناً كثيرة، وطبيعة إدارة السَّمَاء والمَجَرَّات والأحوال الفيزيائية وجملة الكائنات تحتاج إلى نفس مترامية الشُّؤُون، خازنة وحافظة للمعلومات المفاضة من العقول.

الأمر الخامس:

النِّيَّة روح العمل

إِنَّ ما ورد في بيان سيّد الأنبياء ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ...». بحار الأنوار، ٦٧: ٣٥/٢١١ ح.

برهانٌ وحيائيٌّ دالٌّ على أَنَّ مركز ومدار وقيمة وتقييم درجة العمل إِنَّمَا يكون بالنِّيَّة، فالنِّيَّة بمثابة روح العمل، ونوع محبّة ومودّة وارتباط وتولّي وانقياد وخشوع وخضوع، فإذا كانت لله كان القلب بيتاً للرحمن، وبالتالي لا يدخله الشَّيْطان.

(١) بحار الأنوار، ٧: ٢٣٩.

(٢) المصدر نفسه، ٨: ٢٢/١٦. ثواب الأعمال: ٢٠٢. المحاسن: ٨٩ - ٩٠.

ومنه يتَّضح: بيان قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(١)
وبيان قوله تقدَّس ذكره: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾^(٢). أي
قرآنًا تامًّا كاملاً خالياً من النقص والعيب.

وهكذا تتَّضح: كلمة (عُرباً) الواردة في بيان قوله جلَّ قدسه كوصف
للحور العين: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * عُرُبًا أَتْرَابًا﴾^(٣).
أي: تامَّات وكاملات وخاليات من كُلِّ عيب ونقص.

[عصارة القول]

والخلاصة: أنَّه لا محيص عن هذه القاعدة في استنتاج بيانات الوحي
الإلهي وبيانات العقل في مطلق أبواب المعارف.

[قضايا خمس]

ومن كُلِّ ما تقدَّم نجمت القضايا الخمس التالية:
القضية الأولى:

الفارق بين استعمالات فقه الشريعة وفقه الدين

إنَّ استعمالات الوحي الواردة في أبواب المعارف ليست على نسق
استعمالاته في باب الفروع؛ لأنَّ معاني الأوَّل كمعارفه لا تختصُّ بالنشأة

(١) يوسف: ٢.

(٢) الزمر: ٢٨.

(٣) الواقعة: ٣٥-٣٧.

الأرضية، بل شاملة لمطلق العوالم والنشآت. بخلاف الثاني؛ فإنه غالباً ما يختص بهذه النشأة.

وهذا يرسم فارقاً مهماً في الإستعمالات اللغوية الواردة في بيانات الوحي بين فقه المعارف وفقه الفروع.

وهذا مؤيد ومؤكدة لصحة القاعدة اللغوية المختارة - (خذ الغايات واترك المبادئ)؛ لأن أبواب المعارف - كهذه القاعدة - شاملة لمطلق العوالم سواء أكانت قبل هذه النشأة - كعالم: الذر والميثاق^(١)

(١) ينبغي صرف النظر في المقام إلى الأمور التالية :
 الأمر الأول:

عوالم الذر جسمانية بالجملة وعوالم الميثاق عوالم جسمانية في الجملة
 إن عوالم الذر عوالم جسمانية لطيفة.
 نعم، ليس بالضرورة أن تكون عوالم الميثاق جسمانية أيضاً وإن كانت مثالية.
 الأمر الثاني:

الذر مادة جسمانية أسبق من مادة النطفة
 يجد المتصفح لبيانات الوحي المتعرضة لعالم الذر: أن (الذر) مادة جسمانية إنسانية
 أسبق وأشف من مادة النطفة.
 الأمر الثالث:

الذر عوالم
 الوارد في بيانات أهل البيت (صلوات الله عليهم): أن هناك ذراً أول وذراً ثاني.
 الأمر الرابع:

تسميات عالم الذر والميثاق الأول

والأظلة^(١)

→ يُسمّى عالم الذرّ الأول وعالم الميثاق في بيانات الوحي وأبواب المعارف بأسماء أخرى، منها: (عالم الطينة)، و(عالم الأظلة)، و(عالم الأشباح).
الأمر الخامس:

ميثاق عقليّ ونوريّ

إنّه أخذ على الإنسان في بداية الخلقة والعوالم السّالفة والصّاعدة ميثاق عقليّ وآخر نوريّ.
وبعبارة أخرى: أنّ ذات الإنسان محكومة بفطرة عقليّة وفطرة نوريّة.
(١) يجدر الالتفات في المقام إلى القضايا التّالية :
القضيّة الأولى:

حقيقة جسم (عالم الأظلة)

إنّ جسم (عالم الأظلة): جسم ظلّيّ للجسم الدّنيوي الأرضي الغليظ وعلى مثاله، وهو جسم نورانيّ أعظم قوّة وقدرة ونورانيّة من الجسم البرزخي فضلاً عن الجسم الدّنيوي الأرضي الغليظ.
القضيّة الثّانية:

عالم الأظلة من العوالم الروحانيّة

إنّ (عالم الأظلة) - والذي وردت فيه بيانات وحيانيّة متواترة -: عالم روحيّ، خلافاً لِمَا ذهب إليه الفرق الباطنيّة المنحرفة والإسماعيليّة وبعض الصّوفيّة.
القضيّة الثّالثة:

عالم الأظلة يتحكّم في الأرواح

إنّ (عالم الأظلة) دون العرش، وهو العالم الذي يتحكّم في أرواح الشّخص الواحد.

....والأشباح^(١)، والأصلاب، والأرحام - أم في هذه النشأة أم بعدها -
كعالم: البرزخ^(٢)، والرَّجعة، والقيامة، والآخرة الأبدية، وبعدها - .

وعليه: لا بُدَّ من اختلاف ضوابط الاستعمالات والظهورات في
أبواب المعارف عن ضوابطهما في باب الفروع؛ وذلك بحكم اختلاف
موضوع البحث.

لكن: هناك رهط من الأمة، ضرب الله بينهم وبين الحقِّ بسورٍ ظاهره
الرَّحمة وباطنه العذاب، لم يراعوا هذه الضابطة؛ فوقعوا بين إفراط وتفريط.
فمنهم مَنْ لم يُحْكَمْ هذه القاعدة في أبواب المعارف، ومن ثمَّ وسَّعَ
حُكْم المادِّيات والنشأة الأرضية إلى العالم الربوبي وعالم النور والملائكة.

ومنهم - ك بعض العرفاء والصوفيَّة وأصحاب الفرق الباطنية - حَكَمَ
العكس في فقه الفروع، وقال: إِنَّه ناظر حصراً إلى الباطن والنشأة الخفية
والغيبية، وليس بناظر إلى المصاديق والنشأة المادية. مثاله: ماهية الصَّلَاة
وحقيقتها؛ فَإِنَّها ليست ما هو معهود من أجزاء وشرائط، بل غايتها، وهي:
ذكر الله سبحانه وتعالى. وماهية الصُّوم وحقيقته؛ فَإِنَّها ليست ما هو
معهود، وَإِنَّمَا: الإِعراض عمَّا عدا الله ﷻ؛ وَإِنْ ارْتَكَبَ الصَّائِمُ المفطرات
المعهودة. وماهية الْحَجِّ وحقيقته؛ فَإِنَّها ليست ما هو معهود، وَإِنَّمَا: التوجُّه

(١) إِنَّ (عالم الأشباح) من العوالم الروحانية، وهو فوق عالم الآخرة الأبدية ودون
العرش، بل ودون عالم الأظلة.

(٢) يُعَبَّر - في أبواب المعارف - عن الجسم البرزخي بـ: (الجسم المثالي).

إلى كعبة القلوب: (الذات المقدسة) وإن لم تُقصد الديار المقدسة؛ ولم يُؤت بأفعال الحجّ خارجاً. وإنّ قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾^(١) دليل على ذلك؛ وأنّ غاية العبادة: (اليقين)، فإذا حصل انتفت الغاية، فلا عبادة.

وهي كما ترى تخطب على نفسها؛ بأنّ أصحابها عملوا بالشبهات، وساروا في الشهوات، فخالفوا ما أنجبهت بيانات الوحي الشريف، وطاهر كلماته، منها:

١- بيان الإمام الصادق عليه السلام، عن الهيثم التميمي، قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام: يا هيثم التميمي، إنّ قوماً آمنوا بالظاهر وكفروا بالباطن فلم ينفعهم شيء، وجاء قوم من بعدهم فآمنوا بالباطن وكفروا بالظاهر فلم ينفعهم ذلك شيئاً، ولا إيمان بظاهر إلا بباطن، ولا بباطن إلا بظاهر»^(٢).

٢- بيانه عليه السلام أيضاً، عن المفضل: «أنّه كتب إلى أبي عبد الله عليه السلام، فجاءه هذا الجواب من أبي عبد الله عليه السلام: ... كتبت تذكّر: أنّ قوماً أنا أعرفهم كان أعجبك نحوهم وشأنهم، وأنك أبلغت عنهم أموراً تُروى عنهم كرهتها لهم، ولم تر بهم إلا طريقاً^(٣) حسناً وورعاً وتحشعاً، وبلغك أنّهم يزعمون أنّ الدين إنّما هو معرفة الرجال، ثمّ بعد ذلك إذا عرفتهم فاعمل ما شئت ...

(١) الحجرات: ٩٩.

(٢) بصائر الدرجات، ٢: ٥١٨/ح ١٨٩٦ - ٥.

(٣) خ. ل: (إلا هدياً حسناً).

وَذَكَرَتْ: أَنَّهُ بَلَغَكَ أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ وَصَوْمَ شَهْرِ رَمَضَانَ وَالْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ وَالْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَالْبَيْتَ الْحَرَامَ وَالْمَشْعَرَ الْحَرَامَ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ هُوَ رَجُلٌ^(١)، وَأَنَّ الطَّهْرَ وَالِإِغْتِسَالَ مِنَ الْجَنَابَةِ هُوَ رَجُلٌ، وَكُلُّ فَرِيضَةٍ افْتَرَضَهَا اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ هُوَ رَجُلٌ^(٢)، وَأَنَّهُمْ ذَكَرُوا ذَلِكَ بِزَعْمِهِمْ: أَنَّ مَنْ عَرَفَ ذَلِكَ الرَّجُلَ فَقَدْ اكْتَفَى بِعِلْمِهِ بِهِ مِنْ غَيْرِ عَمَلٍ، وَقَدْ صَلَّى وَآتَى الزَّكَاةَ وَصَامَ وَحَجَّ وَاعْتَمَرَ وَاغْتَسَلَ مِنَ الْجَنَابَةِ وَتَطَهَّرَ وَعَظَّمَ حُرُمَاتِ اللَّهِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْمَسْجِدَ الْحَرَامَ^(٣)، وَأَنَّهُمْ ذَكَرُوا: أَنَّ مَنْ عَرَفَ هَذَا بَعِينَهُ وَبِحَدِّهِ، وَثَبَتَ فِي قَلْبِهِ جَازَ لَهُ أَنْ يَتَهَاوَنَ، فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي الْعَمَلِ، وَزَعَمُوا أَنَّهُمْ إِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ الرَّجُلَ فَقَدْ قُبِلَتْ مِنْهُمْ هَذِهِ الْحُدُودُ لَوْ قُتِلَتْ وَإِنْ لَمْ يَعْمَلُوا بِهَا ... وَيَزْعُمُونَ أَنَّ هَذَا ظَهَرًا وَبَطْنًا يَعْرِفُونَهُ، فَالظَّاهِرُ مَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْهُ يَأْخُذُونَ بِهِ مَدَافِعَةً عَنْهُمْ، وَالْبَاطِنُ هُوَ الَّذِي يَطْلُبُونَ، وَبِهِ أُمُرُوا بِزَعْمِهِمْ ... وَأَنَا أُبَيِّنُهُ حَتَّى لَا تَكُونَ مِنْ ذَلِكَ فِي عَمَى وَلَا شُبْهَةٍ ... أَخْبَرَكَ أَنَّهُ مَنْ كَانَ يَدِينُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ الَّتِي كَتَبْتَ تَسْأَلُنِي عَنْهَا فَهُوَ مُشْرِكٌ بِاللَّهِ تَبَاكَ وَتَعَالَى، بَيْنَ الشَّرْكِ لَا شَكَّ فِيهِ، وَأَخْبَرَكَ أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ كَانَ مِنْ قَوْمٍ سَمِعُوا مَا لَمْ يَعْقِلُوهُ عَنْ أَهْلِهِ، وَلَمْ يَعْطُوا فَهَمَ ذَلِكَ، وَلَمْ يَعْرِفُوا حَدَّ مَا سَمِعُوا، فَوَضَعُوا حُدُودَ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ مَقَايِصَ بَرَأْيِهِمْ وَمُنْتَهَى عَقُولِهِمْ، وَلَمْ يَضَعُوهَا عَلَى حُدُودِ مَا أُمُرُوا كَذِبًا وَافْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَجَرَأَ عَلَى الْمَعَاصِي،

(١) فِي الْمَخْتَصَرِ: (هُمْ رَجَالٌ).

(٢) فِي الْمَخْتَصَرِ: (فَهِيَ رَجَالٌ).

(٣) فِي الْمَخْتَصَرِ: (وَالْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَالْبَيْتَ الْحَرَامَ).

فكفى بهذا لهم جهلاً ... وَمَنْ أَطَاعَ حَرَّمَ الحرام ظاهره وباطنه، ولا يكون تحريم الباطن واستحلال الظاهر، إِنَّمَا حَرَّمَ الظَّاهِرَ بالباطن، والباطن بالظَّاهِرَ معاً جميعاً، ولا يكون الأصل والفروع وباطن الحرام حرام وظاهره حلال، ولا يحرم الباطن ويستحل الظاهر، وكذلك لا يستقيم أن يعرف صلاة الباطن ولا يعرف صلاة الظاهر، ولا الزَّكَاةُ ولا الصوم ولا الحج ولا العمرة ولا المسجد الحرام وجميع حرَمَاتِ الله وشعائره وأنَّ يترك معرفة الباطن؛ لأنَّ باطنه ظهره، ولا يستقيم إنَّ ترك واحدة منها إذا كان الباطن حراماً خبيثاً فالظَّاهر منه إِنَّمَا يشبه الباطن، فمن زعم أنَّ ذلك إِنَّمَا هي المعرفة وأنَّه إذا عرف اكتفى بغير طاعة فقد كذب وأشرك ذاك لم يعرف ولم يطع، وإِنَّمَا قيل: « اعرف واعمل ما شئت من الخير »...»^(١).

ودلالته - كدلالة سابقه - واضحة.

وبالجملة: فَإِنَّ المعنى المراد من لفظ (الظَّاهر) في قاموس الدِّين: شريعة، فإذا لم يُتَّبَعْ لم يلج المخلوق في الدِّين والباطن.

وسبب هذا الانحراف: التَّطْبِيقُ الخاطئ لقاعدة: (خذ الغايات واترك المبادئ) في باب فقه الفروع؛ فَإِنَّ حقيقة هذه القاعدة تتوخَّى عدم حصر الوضع في المبادئ، بل يشمل الغايات، وليس معناها نفس المبادئ.

إِذَنْ: على الباحث الالتفات بدقَّةٍ إلى موارد تطبيق هذه القاعدة.

(١) بحار الأنوار، ٢٤: ٢٨٦/ح ١.

القضية الثانية :

لا تَلَازِمُ في المعارف بين الحقيقة اللغوية والعقلية

إنَّه لا تَلَازِمُ في أبواب المعارف بين الحقيقة اللغوية والحقيقة العقلية؛ فإنَّ اللفظ إنَّ أُسْتُعْمِلَ في ما وضع له كان استعمالاً حقيقياً لغة، لكنَّه إنَّ أُسْنِدَ المصداق - والحال هذه - إلى غير ما هو له تكويناً كان مجازاً عقلياً^(١).

وَمِنْ ثَمَّ تكون أبواب المعارف غير قائمة على الحقائق اللغوية فحسب، بل وعلى الحقيقة العقلية، وهي الأهم.

وهذا أمر بالغ الخطورة والثمرة في أبواب المعارف الدينية.

القضية الثالثة :

السيادة في أبواب المعارف للحقيقة العقلية

إنَّ أبواب المعارف غير قائمة على المجهر الحسي فحسب، بل قائمة أيضاً على المجهر العقلي، والذي هو عين مُسَلَّحة، تثقب وتتجاوز عوالم خطيرة ومهولة جداً، بل ينبغي أن تسود فيها^(٢) لغة الحقيقة العقلية؛ لأنَّها أوسع باعاً وأخطر مدى - من دون قياس - من الحقيقة التكوينية الخارجية الحسية.

(١) المصاديق المستعملة في دار الدنيا دائماً مجازات عقلية وإن لم تكن مجازات لغوية.

(٢) مرجع الضمير: (أبواب المعارف).

القضية الرابعة :

الارتياض في اقتناص غاية المعنى

إنَّه ينبغي للباحث في أبواب المعارف: تدريب فكره وترويضه - من خلال الضوابط والموازن العلمية - على اقتناص روح وغاية كل معنى يواجهه، وحينئذٍ تنفتح له أبوابٌ وأسرارٌ مُهمَّةٌ وخطيرةٌ جدًّا؛ لأنَّه كلُّما لطف حسُّ المخلوق وأدركَ روح المعنى وغايته وكمالاته كلُّما قويت معرفته.

القضية الخامسة :

الاعتبار وغفلة الحقيقة

هناك مبحث لطالما أُكِّد عليه في أبواب المعارف، حاصله: «أنَّ مصاديق المعاني التي يتعاطاها أهل الدُّنيا غالباً ما تكون إعتباريةً ومجازيةً، ويعيشون حالة الغفلة عن الحقيقة منها، والحال أنَّ عالم الاعتبار مهدٌّ تربويٌّ تُستفاد من خلاله الحقائق».

فالملكيَّة وما شاكلها من أبواب المعاملات، بل عامَّة فقه الفروع والأسماء والأقوال والكلمات والأدبيات الفقهية والقانونية، بل وغيرها التي يُتعاطى بها في عالم الدُّنيا أمورٌ اعتباريةٌ لما وراءها من حقائق.

وخذ على ذلك المثال التَّالي: (الرَّفعة) و(العِزَّة)^(١)؛ فبحسب ما

(١) يجدر صرف النَّظر في المقام إلى القضيتين التَّاليتين :

القضية الأولى:

يتصوّره ويتخيّله أرباب الهوى وأبناء الدنيا: أنّهما يحصلان بكثرة: الأولاد، والأتباع، والأموال، والجاه، والمظهر الخارجي المُميّز.

فلاحظ: ما أشارت إليه بيانات الوحي، منها:

أولاً: بيان قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِيهِ زِينَتُهُ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍ عَظِيمٍ﴾^(١).
ثانياً: بيان قوله تقدّس ذكره: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾^(٢).

→ يوجد غالباً بين عناوين الفضائل والكمالات - كالخضوع لله ولأوليائه - وبين أصدادها من عناوين الرذائل - كالذلّ لغير الله ولغير أوليائه - تداخل وتشابه واشتباه.

القضية الثانية:

إبهام في المباحث النظرية في علم الأخلاق

انعكاس المنظومة الأخلاقية على التشريعات القانونية والحقوقية

إنّ كثير من المباحث النظرية في علم الأخلاق مُجْمَلَة ومُبْهَمَة، وليست معروفة في الأوساط العلمية فضلاً عن غيرها. بعد الالتفات: أنّ المنظومة الأخلاقية: أَرْضِيَّة لفلسفة: القانون والحقوق، ومن ثمّ وقع اختلاف كثير - نتيجة عدم إلمام المُشرّع للقوانين والحقوق الوضعية بالمنظومة الأخلاقية - بين نفس مُشرّعي القوانين الوضعية، بل وبين نفس مُشرّعي الحقوق الوضعية؛ وذلك بسبب اختلافهم في فلسفة قوانين المنظومة الأخلاقية والتنظير الأخلاقي.

(١) القصص: ٧٩.

(٢) الكهف: ٣٤.

ومن ثمَّ كان الظَّالم هو الأعزُّ بحسب المحاسبات الدُّنيويَّة؛ فيُحسب أنَّ الرفعة والعزَّة تتمُّ من خلال: سفك الدِّماء وهتك الأعراض ونهب الأموال، لكنَّ: واقعهما أنَّهما: لله، ولرسوله ﷺ، ولسائر أهل البيت الأطهار عليهم السلام.

فانظر: ما أشارت إليه بيانات الوحي، منها:

١- بيان قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَكَرْسُوه وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١).

٢- بيان قوله جلَّ قدسه: ﴿وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾^(٢).

وبالجملة: المشهد الحقيقي الذي يعيشه البشر في عالم الدُّنيا عبارة عن مسرحيات تمثيليَّة لما وراء ذلك من حقائق، وهذا أحد تفاسير:

أولاً: بيان قوله تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾^(٣).

ثانياً: بيان قوله تقدَّس ذكره: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بَارَانُهُ ثُمَّ يَهِيحُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ

(١) المنافقون: ٨.

(٢) الفرقان: ٢٧.

(٣) ق: ٢٢.

وَرَضَوَانُ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ^(١).

ثُمَّ إِنَّ لُغَةَ الْإِعْتِبَارِ وَإِنْ أُخِذَتْ فِي أَبْوَابِ فَههِ الْفُرُوعِ كَطَرِيقِ مَوْصِلٍ لِلْحَقَائِقِ، لَكِنَّهَا لَمْ تُؤْخَذْ كَذَلِكَ فِي غَيْرِهَا مِنْ أَبْوَابِ فَههِ الْمَعَارِفِ وَالْعَقَائِدِ، فَإِنَّ الْحَاكِمَ فِيهَا لُغَةَ الْحَقَائِقِ، وَهَذِهِ تَوْصِيَةٌ وَقَاعِدَةٌ مُهِمَّةٌ، وَقَامُوسٌ وَنَامُوسٌ مَطْرَدٌ، وَأَصْلُ أَصِيلٍ لَا بُدَّ مِنْ ضَرُورَةِ مَرَاعَاتِهِ، لَكِنَّهُ يُغْفَلُ عَنْهُ عَادَةً، وَمِنْ ثَمَّ وَرَدَ بَيَانُ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ: «النَّاسُ نِيَامٌ فَإِذَا مَاتُوا انْتَبَهَوْا»^(٢)، فَنَفْسٌ مَا يَحْسِبُهُ الْإِنْسَانُ يَقْظَةً فِي عَالَمِ الدُّنْيَا رَقْدَةً وَنَوْمَةً عَمِيقَةً وَسَكْرَةً عَنِ الْحَقِيقَةِ، نَظِيرُهَا: رُؤْيُ الْمَنَامَاتِ، فَإِنَّ صَاحِبَهَا يَأْخُذُهَا حَالُ نَوْمِهِ مَأْخُذَ الْجَدِّ وَالْحَقِيقَةِ، فَيُصِيبُهُ الْجَذَلُ وَالبَهْجَةُ وَيَبْكِي سُرُورًا إِنْ كَانَتْ زَاهِرَةً، وَيُصِيبُهُ السَّدَمُ وَالْوَجَلُ وَالْوَهْلُ، وَتَرْتَعِدُ فَرَائِضُهُ وَيَحْصُلُ لَهُ: الْبَكَاءُ وَالشَّهْقُ وَالزَّفِيرُ وَالْحَرَكَاتُ الْبَدَنِيَّةُ إِنْ كَانَتْ سَيِّئَةً، غَيْرَ أَنَّهُ سَرْعَانَ مَا تَنَكَّشَفَ لَهُ الْحَقِيقَةُ بَعْدَ مَا يَسْتَفِيقُ لِيَجِدَهَا كَرَمَادَ تَذَرُوهُ الرِّيَّاحُ، لَيْسَ لَهَا عَيْنٌ وَلَا أَثَرٌ.

فَعَلَى اللَّيِّبِ أَنْ يَكُونَ ذَا عَيْنَيْنِ، وَيُشَمِّرُ عَنْ سَاقِ الْجَدِّ وَالْإِجْتِهَادِ لِيَتَخَلَّصَ مِنْ هَذِهِ الرَّقْدَةِ وَالسَّكْرَةِ؛ لِيَفُوزَ بِالْحَسَنَيْنِ قَبْلَ الْفَوَاتِ.

وَهَذَا مَا دَعَتْ إِلَيْهِ بَيَانَاتُ الْوَحْيِ، مِنْهَا:

بَيَانُ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ: «مُوتُوا قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا»^(٣).

(١) الْحَدِيدُ: ٢٠.

(٢) بَحَارُ الْأَنْوَارِ، ٥٠: ١٣٤.

(٣) بَحَارُ الْأَنْوَارِ، ٦٩: ٥٩.

والتخلُّص من ذلك وإن كانت فيه حزازة ومرارة لكنَّهما^(١) حلم، يجد لذَّته^(٢) بعد إنكشاف الحقيقة.

فلاحظ:

بيان سيِّد الشهداء عليه السلام^(٣): «... الدُّنيا حلوها ومرَّها حلمٌ والانتباه في

(١) مرجع الضمير: ال (حزازة) وال (مرارة).

(٢) مرجع الضمير: (التخلُّص).

(٣) يجدر الالتفات في المقام إلى الأمور التالية:

الأمر الأول:

لسيِّد الشهداء عليه السلام خصائص تفرَّد بها

إنَّ لسيِّد الشهداء عليه السلام خصائص تفرَّد بها من بين أئمة أهل البيت عليه السلام، منها: أنَّ له سؤدد وهيبة تأتي بعد سؤدد وهيبة سيِّد الأنبياء وأمير المؤمنين (صلوات الله عليهم وعلى آلهم)، ومن ثمَّ لم يقتله فردٌ ولا مجموعة، بل جيش، ولم يُقتل مباغته ولا علانيةً بالمبارزة، وإنَّما من بعيد؛ فقد اجتمع عليه أهل الكوفة وأحاطوا به، وأفترقوا عليه أربع فرق من جهاته الأربع: فرقة بالسيوف، وهم الأدنون منه (صلوات الله عليه). وفرقة بالرماح، وهم الجوالة حوله. وفرقة بالنبال، وهم الرُّماة من أعالي التلال. وفرقة بالخشب والعصا والحجارة، وهم الرِّجالة المنبثة حوالى الخيالة. واثخنوا جثمانه (صلوات الله عليه) بالجراح الدامية، وأكثرها في مقاديمه حتَّى قطعوه إزبةً إزبةً. وهذه سنة إلهية وناموس إلهي.

وقد ورث (صلوات الله عليه) بالوراثة الإصطفائية شجاعة وجرأة جدَّه ﷺ.

→ الأمر الثاني:

إصرار سيّد الشهداء عليه السلام على مشروعه مع تحاذل الأُمّة وإنكفائها عن تحمّل المسؤولية

حسّ تحمّل المسؤولية درس خطير تحتاجه الأُمّة

سفك الدماء وسلب الأموال وما شاكلها ضرائب لتحمّل المسؤولية

تحمّل المسؤولية أحد المعاني الأساسية للدين

هناك صفحة عظيمة ومهمّة جدّاً ومشركة؛ ومن الملاحم البديعة في شخصيّة سيّد الشهداء (صلوات الله عليه)، ونبض حيّ في حياته عليه السلام، ومشهد بديع صاحبه من المدينة المنوّرة إلى كربلاء المقدّسة عبر مكّة المكرّمة، لم تُسلط عليه الأضواء، حاصله: أنّه خلال مسيرته (صلوات الله عليه) إلى كربلاء واجه تحاذل من الأُمّة، بل وتحاذل نخبها وروّادها، وتقاعس عجيب وغريب، وإنكفاء عن تحمّل المسؤولية، ولزموا جانب التفرّج، وكانت الأوراق تتساقط عن نصرته وعونه بعضها تلو الأخرى، وتُكثت معه العهود والمواثيق، لكنّه (صلوات الله عليه) بقي جبلاً فنداً وحجراً صليداً، مُصرّاً على القيام بالمسؤوليّة وإن بقي وحيداً، ونكص القوم كأنّهم لم يسمعوا، وتناسوا وكأنّهم لم يعوا، قد ضرب الله بينهم وبين الحقّ بسور ظاهره الرّحمة وباطنه العذاب والنقمة، بعدما ملكت سجايا الحيوانيّة أعنة نفوسهم، وأفسدت ضواري الشّهوات قلوبهم، وسيطرت مخازي العبوديّة على طبائعهم؛ فعميت بصائرهم، وتاهت أفكارهم، وسفّحت أحلامهم، وغشي الظلام الضياء، وسينجلي لهم القسطل، ويجنون ثمر فعلهم مرّاً قاتلاً، ويحصدون غرس أيديهم دُعافاً مُمقراً وسُماً قاتلاً، بعدما أفحمت الحُجّة واستفحل الدليل، وإنسدّ طريق الإنكار، ولم يبق مجال لموقف الشكّ، أو ميدان لمُشكّك، ولم يجد عليه السلام تلك الظروف مُبرّرة له للتخلّي عن المسؤولية، بل بدّر منه إصراراً عجيباً يُحار فيه عقل لبيبها على تحمّل المسؤولية، فصار عليه السلام - وإن كان في أحلك الأهوال، -

→ وَأَصْعَبَ الظروف وأعقدها - ينبوعاً مُتفجراً ضَخَّ في الأمة طابع وحسَّ المسؤولية في أحوال ينقطع فيها الأمل والرجاء، وهذا - أي: حسَّ تحمُّل المسؤولية - أحد العوامل والأسباب المهمة في مسيرة المؤمن التي يصِرُّ عليها أهل البيت عليه السلام. وهذا الدرس العظيم - أي: حسَّ تحمُّل المسؤولية - هو الذي تحتاجه الأمة في كُلِّ لحظة وطوال القرون المتتالية، ولا يتقاعس الفرد عن المسؤولية وإنْ تخلَّى عنها ونكث الجميع، وكان يعيش الآلام المريرة.

والهروب عن المسؤولية أو إلقائها على كاهل الغير أو على فئة مرض عضال تُصاب به الأمة يؤدِّي إلى تدهورها، وهذا ما حصل مع مسلم بن عقيل؛ فإنَّ الكلَّ تخلَّى عنه وعن المسؤولية، لكنَّه لم يتخلَّ ويدخل في الصفقة. وكذا ما حصل مع أبي الفضل العباس، ومن ثمَّ ورد في بيان زيارته عليه السلام: «... السَّلام عليك أيُّها العبد الصَّالح ... الرَّاغِب فيما زهد فيه غيره ...»، [بحار الأنوار، ٩٨: ٢١٩]، فإنَّ النَّاس كانوا زاهدين عن نصره سيِّد الشُّهداء، بل كانت في ذلك الزَّمان أسماء أكثر لمعاناً من أبي الفضل العباس، أخفقت في هذا الإمتحان والابتلاء العظيم، وفاز فيه أبو الفضل العباس؛ لأنَّ في اتِّباع سيِّد الشُّهداء (صلوات الله عليه) السيف والموت، ومصادرة الأموال، وخراب الدِّيار، وسبي العيال، وهذه الضَّرائب من لوازم تحمُّل المسؤولية.

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي، منها:

١- بيان خطية أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): «... أيُّها النَّاس لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلَّة من يسلكه ...». [بحار الأنوار، ٢: ٢٦٦/ح ٢٧.

ومعناه: لا يُعذر المخلوق من عدم سلوك طريق الحقِّ وإنْ ندر سالكيه، وسلوك طريق الحقِّ يعني تحمُّل المسؤولية.

→ ٢- بيان سيّد الشهداء (صلوات الله عليه) في طريقه إلى كربلاء: «النّاس عبيد الدّنيا، والدّين لِعَقٍّ على ألسنتهم، يحوطونه ما درّت معاشهم، فإذا مُحِّصوا بالبلاء قَلَّ الدّيّانون». بحار الأنوار، ٧٥: ١١٦-١١٧/ح ١.

ودلالته واضحة.

والمسؤوليّة أحد المعاني الأساسيّة للدّين؛ فإنّه مأخوذ من المدينة والمسائلة، ومن ثمّ بقاء الدّين ببقاء مَنْ يتحمّل المسؤوليّة.

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي، منها:

١- بيان سيّد الأنبياء الوارد في حقّ أمير المؤمنين (صلوات الله عليهما وعلى آلهما): «إنّه مِنِّي وأنا منه». بحار الأنوار، ٢٠: ٩٦/ح ٤. الخصال، ٢: ١٢١-١٢٤.

٢- بيانه ﷺ: «فاطمة بضعة مِنِّي وأنا منها». بحار الأنوار، ٤٣: ٢٠٢.

٣- بيانه ﷺ أيضاً: «حسن مِنِّي وأنا منه». بحار الأنوار، ٤٣: ٣٠٦/ح ٦٦.

٤- بيانه ﷺ أيضاً: «حسين مِنِّي وأنا من حسين». بحار الأنوار، ٤٣: ٢٦١/ح ١.

وأحد معانيها: أنّ دين سيّد الأنبياء ﷺ لا يبقى إلاّ ببقاء ثلّة من هذه الأُمّة، وهم أهل البيت (صلوات الله عليهم)، يوطّنون أنفسهم على فقد كلّ غالٍ ونفيسٍ وخطيرٍ لأجل تحمّل المسؤوليّة.

ومنه يتّضح: بيان سيّد الشهداء (صلوات الله عليه) في مخاطبته لأصحابه ليلة العاشر من المحرّم: «... وأنتم في حلٍّ من بيعتي، ليست لي في أعناقكم بيعة، ولا لي عليكم ذمّة، وهذا اللّيل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، وتفرّقوا في سواده؛ فإنّ القوم إنّما يطلبوني، ولو ظفروا بي لدَهَلُوا عن طلب غيري. فقام إليه عبد الله بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب عليه السلام فقال: ... وقام إليه ... زهير بن القين البجليّ فقال: ... فقال عليه السلام - له ولأصحابه: جُزيتم خيراً». بحار الأنوار، ٤٤: ٣١٦.

فإنّه عليه السلام أراد إختبارهم وامتحانهم على مدى تحمّلهم لحسّ المسؤوليّة؛ لأنّ منشأ المسؤوليّة - كما تقدّم في الأبحاث السّابقة وما سيأتي (إن شاء الله تعالى) في ←

→ الأبحاث اللاحقة - ليس البيعة والمصافقة والعقد الإجتماعي، وإنَّما الاعتقاد بالله تعالى وبرسوله ﷺ وبسائر أهل البيت (صلوات الله عليهم)، والاعتقاد بلزوم تحقيق الإنجاز والدور الإلهي، وهذا ثابت على المُكَلَّف على كُلِّ حال.

الأمر الثالث:

استعمال سيّد الشهداء عليه السلام في مسيره إلى كربلاء أساليب لفضح المعتدي

إنَّ ما يثار في قضية كربلاء، وتركيز الكتاب والوعاظ وأصحاب المنابر والخطباء على بعض الأمور، من قبيل: جلب سيّد الشهداء (صلوات الله عليه) النساء للمعركة، وقال: «شاء الله أن يراهنَّ سبايا»، وطلبه عليه السلام الماء من جيش عمر بن سعد، والمجيء بعبد الله الرضيع للموادعة يراه بعض (والعياذ بالله تعالى): نوع ذل وإنكسار، لا يُليق به (صلوات الله عليه) وبقيّته. ويراه آخر: أنّه من ضمن سياسات التقدير الإلهي الجارية على أيدي أوليائه وحُججه (والعياذ بالله تعالى) إغراء وتوريط، وإيقاع المعتدي في الاعتداء.

والصواب: أنّها أساليب تستعملها رجالات الوحي وحُججه لفضح المعتدي وأساليبه، كيما لا تُستتر إعتدائه، وأنَّ ما يقوم به تحت غطاء الدين ليس هو نهج وسبيل دين الله القويم، بل هدم للدين.

وينبغي الالتفات: أنّ مفاهيم الفضائل والكمالات فضلاً عن تطبيقاتها وآلياتها غالباً ما تكون من الأمور الملبّدة وغير الواضحة، ومباحثها من أصعب وأعقد المباحث.

الأمر الرابع:

قداصة دور سيّد الشهداء عليه السلام ثابتة لا تتغيّر

هناك شُبّهات وإثارات وتساؤلات لطالما لهج بها السفسفاطيون والحداثيون والعلمانيون والإباحيون ومن جرى على شاكلتهم، حاصلها: أنّه لماذا أتباع مدرسة أهل البيت يُركّزون على قداصة ودور الحسين وعاشوراء؛ والقداصة تُحجّر وتحجب العقول عن الوصول للحقيقة؟! ←

→ وبهذا النفس يشكلون على قضايا أخرى، منها: أَنَّهُ مَنْ قَالَ: إِنَّ الْعِفَّةَ وَالطَّهَارَةَ وَالْكَمَالَ وَمَا شَاكَلَهَا فَضَائِلٌ، وَأَنَّ أَضْدَادَهَا - التَّهْتُّكُ وَالرَّجْسَ وَالنَّجَاسَةَ وَالنَّقْصَ وَمَا شَاكَلَهَا - رِذَائِلٌ؟

والجواب:

أَوَّلًا: أَنَّ هَذَا لَيْسَ مِنْ بَابِ إِضَافَةِ قِدَاسَةٍ، وَإِنَّمَا هُوَ كَشَفٌ عَنْ وَاقِعٍ، وَإِلْفَاتُ نَظَرِ الْمَخْلُوقِ إِلَى مَنْ هُوَ فِي نَفْسِهِ مُقَدَّسٌ، وَاسْتِشْعَارٌ وَمَعْرِفَةٌ وَتَزَامٌ بِهِ. وَعَلَى هَذَا قَسَ جَوَابُ التَّسَاوُلِ الثَّانِي.

ثَانِيًا: أَنَّ الْقِدَاسَةَ عَلَى ضَرَبَيْنِ؛ فَتَارَةٌ تَكُونُ لَشَيْءٍ مَكْذُوبٍ، وَأُخْرَى لِحَقِيقَةٍ مُتَّصِفَةٍ بِذَلِكَ وَاقِعًا، لَا سِيَّمَا إِذَا كَانَتْ ذَاتَهَا وَصِفَاتُهَا وَفَضَائِلُهَا وَكِمَالَتُهَا وَشُؤُونُهَا وَأَحْوَالُهَا غَيْرَ مَتْنَاهِيَةٍ أَبَدًا. وَالْأَوَّلُ نُسَلَّمَ بِأَنَّهُ تَحْجِيرٌ وَحُجْبٌ لِلْعُقُولِ وَالْأَفْهَامِ عَنِ الْوُصُولِ إِلَى الْحَقِيقَةِ وَالْكَمَالِ، بِخِلَافِ الثَّانِي، لَا سِيَّمَا إِذَا كَانَتْ ذَاتُ الْحَقِيقَةِ وَصِفَاتُهَا وَفَضَائِلُهَا وَكِمَالَتُهَا وَشُؤُونُهَا وَأَحْوَالُهَا غَيْرَ مَتْنَاهِيَةٍ، وَثَابِتَةً لَا تَتَغَيَّرُ وَلَا تَتَبَدَّلُ، وَلَمْ يَصْنَعْ لَهَا تَقْدِيسَ الْمَخْلُوقِ رَفَعَتَهَا وَعَلَوَّ شَأْنَهَا، وَإِنَّمَا هِيَ مُقَدَّسَةٌ وَذَا رَفْعَةٍ وَعَلَوٍّ وَكِمَالٍ فِي ذَاتِهَا، وَكُشِفَ لِلْمَخْلُوقِ قِدَاسَتُهَا وَرَفَعَتُهَا وَعَلَوُّهَا وَعَلَوَّ صِفَاتِهَا وَفَضَائِلُهَا وَكِمَالَتُهَا وَشُؤُونُهَا وَأَحْوَالُهَا، وَحِينَئِذٍ الْتَفَاتُ نَظَرِ الْمَخْلُوقِ إِلَيْهَا، وَاسْتِشْعَارُهُ بِهَا وَمَعْرِفَتُهَا وَالْإِقْبَالُ عَلَيْهَا وَالْإِلْتِمَامُ بِهَا تَحْتَ عَقْلِهِ وَفَهْمِهِ عَلَى الْحَرَكَةِ وَالتَّطَوُّرِ، وَتَزِيدُ جَوْهَرِهِ تَلَأُلُؤًا وَرَفْعَةً وَفَضْلًا وَكِمَالًا، وَمَنْ ثَمَّ لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلْحَقِيقَةِ فِي نَفْسِهَا قِدَاسِيَّةً وَفَضِيلَةً وَكِمَالًا فَلِمَ تَسْعَى الْبَشَرِيَّةُ وَرَوَادُهَا وَنَخْبَهَا لِلتَّزَوُّدِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَلَا تَرْتَوِي مِنْهَا.

ثورة سيّد الشهداء عليه السلام ثورة المسؤولية والمساءلة على جملة الأصعدة

نعم، سبب إثارة هذه التساؤلات والشبهات يكمن في أَنَّ مشروع سيّد الشهداء (صلوات الله عليه) وعاشوراء مشروع خطير جدًّا على القوى المتغترسة والمتغلّبة، فليس هو مشروع هادئ، بل يُحاسب جملة المخلوقات، وثورة ضدَّ الطُّغَاةِ وَكَافَّةِ أَلْوَانِ الطُّغْيَانِ الْعَجَبِيَّةِ، وَعَلَى جَمِيعِ الْأَصْعَدَةِ وَفِي كُلِّ الْمَوَاقِعِ، فَلَيْسَتْ هِيَ ←

→ ثورة على طغيان يزيد و عبيد الله بن زياد وعمر بن سعد فقط، بل وثورة على طغيان عبيد الله بن الحر الجعفي الذي التقى به سيّد الشهداء عليه السلام أثناء مسيره (صلوات الله عليه) إلى كربلاء، وطلب منه النصرة، لكنّه حرص وحافظ على نفسه، وتخاذل عن المسؤولية ونصرة الحق، وعرض بدل ذلك فرسه وسيفه، لكن الإمام عليه السلام ردهما عليه.

إذن: ثورة سيّد الشهداء (صلوات الله عليه) ثورة المسؤولية والمساءلة على كافّة الأصعدة، وثورة ضد جملة أنواع الطغيان؛ سواء أكان على صعيد طغيان النفس، أو طغيان السّاسة، أو طغيان المرأة، أو طغيان زينة الحياة، أو طغيان بحبحة الاسم والوجاهة أو غيرها. ومن ثمّ لم تحجب سيّد الشهداء (صلوات الله عليه) فريضة الحجّ عن القيام بالمسؤولية، فتحلّل يوم التروية وجعلها عمرة مفردة وسلك طريق كربلاء. وهذا برهانٌ وحيائيٌّ عمليٌّ دالٌّ على عدم وجود شيءٍ يجنب المكلّف عن القيام بمسؤوليّاته.

ومعناه: أنّه كلّما كانت المسؤولية أكبر كلّما وجب إعطاؤها أولويّة أكثر، فالتّشغل بالأولويّات السفليّة أو الوسطى لا يعذر المكلّف عن المسؤولية اتّجاه الأولويّات الأعظم، والتّخاذل والتّقاعس عنها، وحيثنّ لا ينفعه التّبرير والإعتذار تحت أيّ ذريعة غير منطقيّة.

الأمر الخامس:

شعار أهل البيت عليه السلام ضرورة الجمع بين منهجهم المجموعي

هناك محورٌ مهمٌّ في مشروع سيّد الشهداء (صلوات الله عليه) صدّره كَشِعار في جملة من خطبه ووصاياها، منها :

بيان وصيّته لأخيه محمّد بن الحنفية: «... أنّ الحسين يشهد أنّ لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنّ محمّداً عبده ورسوله ... وأنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ←

→ ولا ظالماً وإنها خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي ﷺ، وأريد أن أمر بالمعروف وأنها عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي...». بحار الأنوار، ٤٤: ٣٢٩.

وهذا المحور موجود أيضاً في كثير من الزيارات المستفيضة، ك: زيارات سيّد الأنبياء ﷺ، وزيارات أمير المؤمنين ﷺ، وزيارات سيّد الشهداء ﷺ، وجميعها تُبين أن المزار الأوّل في زيارة كلّ معصوم هو الله ﷻ، ثمّ سيّد الأنبياء ﷺ، ثمّ أمير المؤمنين ﷺ، ثمّ فاطمة الزهراء ﷺ، ثمّ الحسين ﷺ.

فلاحظ :

بيان زيارة عاشوراء: «... إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ وَإِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَإِلَى فَاطِمَةَ وَإِلَى الْحَسَنِ وَإِلَيْكَ بِمُؤَلَّتِكَ، وبالبراءة مِنْ قَاتِلِكَ وَنَصَبَ لَكَ الْحَرْبَ...». بحار الأنوار، ٩٨: ٢٩٤.

وهذا المحور والشعار عبارة عن ضرورة الجمع بين المنهج المجموعي لأهل البيت (صلوات الله عليهم)، أي: التّركيز على إتباع منهجهم ﷺ، أوّلهم سيّد الأنبياء ﷺ.

الأمر السادس:

ظواهر تكوينيّة حصلت بعد استشهاد أمير المؤمنين وسيّد الشهداء ﷺ

ذكر ابن عساكر الدمشقي في تأريخ دمشق وابن كثير والطّبري وغيرهم روايات من طرق أهل الخلاف المستفيضة، بل المتواترة أوردوها في ذيل تفسير بيان قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٩] في البوادر الكونيّة الحاصلة بعد استشهاد سيّد الشهداء (صلوات الله عليه): أَنَّ السَّمَاءَ بَكَتْ دُمًّا لِاسْتِشْهَادِهِ، وَأَنَّ بَعْضَ الْبُلْدَانِ الْإِسْلَامِيَّةِ كَالْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ وَالْكُوفَةِ بَقِيَتْ جَدْرَانِ مَبَانِيهَا أَرْبَعَ سِنِينَ مِنْ حِينَ اسْتِشْهَادِهِ ﷺ تَنْضَحُ دُمًّا بِحَيْثُ لَا تُنْشَرُ عَلَيْهَا الثِّيَابُ إِلَّا وَتَلَطَّخَتْ بِالْدَّمَاءِ.

وهذه الظواهر الكونيّة حصلت أيضاً من قبل عند استشهاد أمير المؤمنين (صلوات الله عليه).

→ الأمر السابع:

غالبية الكوفة في أحداث كربلاء أموية الهوى

إنَّ الكوفة كانت في زمن أمير المؤمنين والحسن والحسين (صلوات الله عليهم)، بل وفي زمن المختار - وانتصاره كان أشبه بالمعجزة - تضمُّ تيارات مختلفة؛ فلم تكن جميعها شيعية، وإنَّما ثلَّة قليلة منها تقرب إلى الثلث كانت موالية لأهل البيت (صلوات الله عليهم)، والأكثر كانوا مُناوئين لهم (صلوات الله عليهم)، وكان يسكنها بعض أهل الشام وسائر فلول من مناطق أخرى.

إذَنْ: مدينة الكوفة في أحداث كربلاء كانت الشيعة فيها أقلية، والأغلبية أموية وعثمانية الهوى، وبحسب الروايات التاريخية كان - بالدقة - ثلاثة أخماس سُكَّانها على أقلِّ تقدير نواصب؛ أمويين وعثمانيين، ومن ثَمَّ كان انتصار المختار إعجازاً إلهياً.

الأمر الثامن:

خطورة كتاب (كامل الزيارات)

كان ابن قولويه مرجع الشيعة في بداية الغيبة الكبرى، وكانت مرجعيته تُنافس مرجعية الشيخ الصدوق، هاجر من مدينة قم إلى بغداد، وتلمذ على يديه الشيخ المفيد في كافة دروسه الفقهية، ومع عظم شأن هذا الشيخ الجليل وعظم جهوده وتصنيفاته برز من بينها كتاب (كامل الزيارات) والذي ركَّز فيه على فقه الشعائر. ولا يَشُمُّ مَنْ لا يتدارس هذا الكتاب أو لا يتباحث به، ويغوص في أعماق ما فيه أبجديات بحث الشعائر الحسينية وشعائر الزيارات.

الأمر التاسع:

زيارة عاشوراء

زيارة عاشوراء منشور عصري عالمي أبدي، ونور ساطع في العقل البشري.

الآخرة»^(١)، فسفك الدماء في سبيل الله وَعَبَّكَ وإن كانت فيه مرارة، لكن مَنْ يستفيق يجده شهد المذاق، وجراحات السلاح والحديد برداً وسلاماً .
ومن ثمَّ ورد في بيان الدُّعاء في زيارة سيِّد الشهداء عليه السلام: « اللَّهُمَّ اجْعَلْ مَا أَقُولُ بلساني حقيقته في قلبي وشريعته في عملي »^(٢).



(١) بحار الأنوار، ١١: ١٥٠.

(٢) كامل الزيارات: ٣٥٨/ح ١.

المسألة: (١١/٢)

[حقيقة الحرف وخطورته]

إِنَّ عِلْمَ: (الحروف) عِلْمٌ جَمٌّ يشمل علوم شتّى، بعضها غريبة وخفيّة ومن الأسرار، ك: علم: (الرمل)، و(التنجيم)، و(تعبير الرؤيا)، و(تأويل الأحاديث). وبعضها الآخر ظاهر ومبذول ومنتشر، ك: علم: (النحو)، و(الصرف)، و(البلاغة)، و(الاشتقاق).

وهناك نظريّة لغويّة مستفادة من بيانات الوحي الباهرة؛ حاصلها: «إِنَّ الحرف في الأصل عبارة عن اختزال مجموعة كلمات، بل جمل وفصول، بل كُتُب، بل مجموعة براهين من علوم شتّى: عقلية ونقلية ولغوية»؛ فالحرف الواحد: وعاء لمعانٍ، وكتابٍ، وكُتُبٍ. فهو إشارة رمزيّة لمعنى كان في الأصل معانٍ متعدّدة ومُستقلّة بعضها عن الآخر.

وهذا ما يُوَضِّح: نكتة وفلسفة من نكات وفلسفات الحروف المُقطّعة الواردة في القرآن الكريم.

وعليه: فعلى الباحث والمستنيط إذا أراد فتح معنى الالتفات إلى هذه التتفة اللطيفة، والجوهرة الثمينة؛ من أن طبيعة الحروف: معانٍ وكلمات مُتعددة.

وهذه القضية ليست بتخيّل، ولا أهازيج شعر، ولا أساطير خواطر، بل ثابتة بالبرهان: (العقلي)، و(النقلي)، و(اللغوي)، و(النحوي)، و(الصّرفي)، و(البلاغي) و(الاشتقائي). وقد نفّح علماء أصول فقه الإمامية (أعزّهم الله) لاسيما الشيخ العراقي رحمته الله الشيء الكثير من هذا المطلب.

ومنه تتّضح: بيانات الوحي الواردة في المقام، منها: ما دلّ على أن كلّ القرآن الكريم في سورة الفاتحة، والفاتحة في البسملة، والبسملة في حرف الباء، ومعناه: أن حرفاً واحداً - وهو: (الباء) - يشتمل جملة القرآن الكريم وعلومه. لكن: علم ذلك عند أهله: أهل البيت؛ سيّد الأنبياء وسائر أهل البيت صلوات الله عليهم ^(١).

(١) سيأتي (إن شاء الله تعالى) في أبواب الإمامة الإلهية: أن عنوان ولفظ: (أهل البيت عليهم السلام) يُطلق في بيانات الوحي على معانٍ مُتعددة، شاملة لسيّد الأنبياء صلّى الله عليه وآله، بل رأس هرمه وأوّل مصاديقه ومصاديق آية التّطهير، منها: (أهل البيت الحرام) و(أهل البيت المعمور في السّماء الرّابعة، والذي نزل فيه جملة القرآن الكريم دفعة واحدة، ليلة القدر على قلب سيّد الأنبياء عليه السلام في تلك الطبقة)، فتكون أزواجه عليه السلام خارجات منه موضوعاً وتخصّصاً، لا تخصّصاً، كمورد النزول، ومن ثمّ لا يُحوّر هذا العنوان ب: (أهل بيت النّبي صلّى الله عليه وآله)؛ كما يُتوهم دخول أزواجه فيه، وخروجه عليه السلام منه؛ لأنّ الشيء لا يُضاف إلى نفسه.

فانظر: بيانات الوحي، منها :

١- بيان أمير المؤمنين عليه السلام: «لو شئت لأوقرت لكم ثمانين بعيراً من معنى: (الباء)»^(١).

٢- ما رواه القندوزي الحنفي: «أن جميع أسرار الله (تعالى) في الكتب السماوية، وجميع ما في الكتب السماوية في القرآن، وجميع ما في القرآن في الفاتحة، وجميع ما في الفاتحة في البسملة، وجميع ما في البسملة في (باء) البسملة، وجميع ما في (باء) البسملة في النقطة التي هي تحت (الباء)، قال الإمام عليّ كرم الله وجهه: «أنا النقطة التي هي تحت الباء»^(٢).

ومعناه: بي كان ما كان، وبى يكون ما يكون، وهذا المعنى يرجع إليه جميع ما يؤخذ من القرآن الكريم.

٣- بيانه صلوات الله عليه أيضاً: «أنا النقطة أنا الخط، أنا الخط أنا النقطة، أنا النقطة والخط»^(٣).

ودلالته - كدلالة سابقه - قد اتضحت. وسيأتي (إن شاء الله تعالى) في ذيل هذه المسألة تحقيق وبيان خاص بهذا البيان الوحياني الطاهر وسابقه

→ إذن: مرادنا من استعمال عنوان ولفظ: (أهل البيت عليه السلام) في هذا المورد وسائر الموارد ما يشمل: (الأربعة عشر معصوماً صلوات الله عليهم). فالتفت، وليكن ذلك حاضراً في ذهن عند تلك الاستعمالات.

(١) لطائف المتن، ١: ١٧١.

(٢) ينابيع المودة، ٢: ١٩٥. تفسير البصائر، ١/ ٢٤.

(٣) بحار الأنوار، ٤٠: ١٦٥.

الباهر؛ تُكشف فيه ستار ونقاب بعض درر بحور حقائقها الصاعدة المتلاطمة. فانتظر هنيئة.

٤- بيانه صلوات الله عليه أيضاً: «العلم نقطة كثرها الجاهلون، والألف وحدة عرّفها الرّاسخون، والباء مدّة قطعها العارفون، والجيم حفرة تأهلها الواصلون، والدال درجة قدّسها الصّادقون»^(١).

٥- ما ورد عن ابن عبّاس، قال: «أخذ بيدي الإمام عليّ عليه السلام، في ليلة مقمرة، فخرج بي إلى البقيع بعد العشاء، وقال: اقرأ يا عبد الله، فقرأت: «بسم الله الرحمن الرحيم»، فتكلّم لي في أسرار (الباء) الى بزوغ الفجر»^(٢).

٦- وعنه، قال: «قال لي عليّ عليه السلام: إذا صليت العشاء الآخرة فالحقني إلى الجبّان»^(٣)، قال: فصليت ولحقته، وكانت ليلة مقمرة، قال: فقال لي: ما تفسير (الألف) من الحمد؟ قال: فما علمت حرفاً منها أجيبه، قال: فتكلّم في تفسيرها ساعة تامّة، قال: ثمّ قال لي: ما تفسير (اللام) من الحمد؟ قلت: لا أعلم، فتكلّم في تفسيرها ساعة، ثمّ قال: ما تفسير (الحاء) من الحمد؟ قال: فقلت: لا أعلم، فتكلّم في تفسيرها ساعة تامّة، قال: ثمّ قال: ما تفسير (الميم) من الحمد؟ إلى أن قال: ما تفسير (الدّال)؟ قلت: لا أدري، فتكلّم فيها إلى أن برق عمود الفجر، فقال لي: قم يا أبا العبّاس إلى منزلك ... فقمّت وقد وعيت كلّ ما قال، ثمّ تفكرت فإذا علمي بالقرآن في علم عليّ عليه السلام كالقراءة

(١) ينابيع المودة، ٢: ١٩٥.

(٢) المصدر نفسه: ٢١٤ / ح ١٩.

(٣) الجبّان: تأتي بمعنى: (المقبرة) و(الصحراء).

في المُتَعَنِّجِرِ (١) (٢).

ودلالته - كدلالة سابقه - واضحة، بعد الالتفات إلى أنَّ عنوان ولفظ: (السَّاعَة) حينما يُطلق ويُستعمل في لغة العرب فليس المراد منه ما هو مُتعارف في يومنا هذا؛ فإنَّه مصطلح حادث في العصور المُتأخِّرة؛ وبعد اكْتِشاف آلة السَّاعَة، وبالتالي يكون استعماله على وفق المُصطلح الحادث ليس بشرعي ولا عرفي في عصر التَّشريع ولا لغوي، وإنَّما المراد منه: (الوقت)، ومن ثمَّ قد يكون زمانه ومصادقه أكثر من (٦٠ دقيقة) أو أقل.

مثاله: - إضافة لِمَا تقدَّم - بيان أمير المؤمنين صلوات الله عليه الوارد في حقِّ إبليس (عليه اللّعة): «... فاعتبروا بما كان من فعل إبليس؛ إذ أَحْبَطَ عمله الطَّويل، وجهده الجهيد، وكان قد عبد الله ستَّة آلاف سنَّة، لا يُدْرَى أَمِنْ سِنِّي الدُّنيا أم سِنِّي الآخرة، عن كبر ساعةٍ واحدةٍ...» (٣).

مثال آخر: ما ورد في بيان الإمام الصَّادق عليه السلام؛ في صحيحة منصور ابن حازم، قال: «سألته عن ركعتي طواف الفريضة، قال: لا تؤخِّرهما ساعة، إذا طفتَ فصلٌ» (٤).

(١) القَرَارَة: (الغدير). أو (قاع مستدير يجتمع فيه ماء المطر). أو (ماء يصب في القدر بعد الطبخ لئلا يحترق). أو (ما لصق بأسفل القدر من مرق أو غيره). أو (المكان المنخفض؛ أندفع إليه الماء فاستقرَّ فيه).

المُتَعَنِّجِر: البحر.

(٢) بحار الأنوار، ٨٩: ١٠٥ / ح ٨٣.

(٣) نهج البلاغة / خ: ١٩٢: ٣١٦.

(٤) وسائل الشيعة، ١٣ / الباب: ٧٦، من أبواب الطواف: ٤٣٥ / ح ٥.

ودلالته - كدلالة سابقه - قد اتّضحت؛ فإنّ المقصود من قوله ﷺ: «لا تؤخرهما ساعة»: لا تؤخرهما وقتاً.

٦- بيان الإمام الباقر ﷺ الوارد في بيان معنى: الاسم الإلهي (الصّمد)^(١)، قال: «... لو وجدتُ لعلمي الذي آتاني الله ﷻ حَمَلَةً لنشرتُ التّوحيد، والإسلام، والإيمان، والدّين، والشريعة من الصّمد...»^(٢).
ودلالته واضحة أيضاً.

و(الصّمد) وإن كانت كلمة وليست بحرف، لكن مثّل بها لوحدة النكته؛ وأنّ كلمات الوحي الإلهي كحروفه لها القابليّة، بل هي بالفعل بحار وحي موّجة لا نهاية لمعانيها وحقائقها، أبد الآباد ودهر الدّهور؛ ما دامت صادرةً من ساحة القدس الإلهية؛ وأفعال للذات الإلهية الأزليّة المقدّسة، وإلّا - أي: لو كانت كلمات الوحي وحروفه متناهية - للزم (والعياذ بالله تعالى) تناهي الذات المقدّسة، فتأمّل جيّداً.

ومعناه: أنّ طبيعة الحرف - كطبيعة الكلمة - لها القابليّة على استيعاب

(١) سيأتي (إن شاء الله تعالى) في أبواب التّوحيد: باب الأسماء والصفات الإلهية ذكر لبعض معاني الاسم الإلهي: (الصّمد)، المشار إليها في بيانات الوحي، منها:
١- إنّه (سبحانه وتعالى) لا خواء ولا نقص، ولا جوف له.
٢- إنّه لا يمكن لمخلوق قطّ - وإن كان ملحقاً ومن أهل الباطل - الصمود والتوجّه واستمداد قوّته وعطائه إلّا منه (تبارك وتعالى).

٣- نفس معنى بيان قوله جلّ قوله: ﴿فَاَيْنَمَا تُولُوْنَ وَجْهَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥].

٤- إنّ نهاية اللقاء له (سبحانه).

(٢) بحار الأنوار، ٣: ٢٢٥/ ح ١٥.

معاني وحقائق لا حد ولا نهاية لها.

وسياتي (إن شاء الله تعالى) مزيد بيان عن هذه القضية في البيان والدليل التالي.

٧- بيان الإمام الصادق عليه السلام: «... إِنِّي أَتَكَلَّمُ بِالْحَرْفِ الْوَاحِدِ فِيهِ سَبْعُونَ وَجْهًا، إِنْ شِئْتُ أُحَدِّثُ كَذَا، وَإِنْ شِئْتُ أُحَدِّثُ كَذَا»^(١).

ودلالته واضحة أيضاً، بعد الالتفات: أن ما أخذه صلوات الله عليه من عدد ليس المراد منه خصوص السبعين، وإنما كناية عن مُطلق الكثرة، وعدم التناهي، كحال بيان قوله جل شأنه: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(٢)؛ فإن معنى: (الحرف الواحد) الذي يتكلم به الإمام عليه السلام بعدما كان وحيانياً كان مصداقاً لبيانات الوحي الدالة على عدم تناهي معاني وحقائق كلمات وحروف بيانات الوحي.

فانظر:

أولاً: بيان قوله تعالى ذكره: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾^(٣).

بتقريب: أن معاني وحقائق حروف بيانات الوحي لو كانت متناهية للزم تناهي معاني وحقائق كلمات بيانات الوحي، لكن الثابت بالبرهان

(١) بحار الأنوار، ٤٧: ١١٩ - ١٢٠ / ح ٦٤.

(٢) التوبة: ٨٠.

(٣) لقمان: ٢٧.

العقلي والوحياني، كصريح هذا البيان الشَّريف عدم محدوديّتها وعدم تنهيتها، فتكون معاني وحقائق حروفها غير محدودة وغير متناهية أيضاً. ثانياً: بيان قوله جَلَّ ذكره: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾^(١). ودلالته واضحة.

[رجوع حقيقة جملة الأسماء والصفات الإلهية إلى حرف فارد]

ومن كُلِّ ما تقدّم يتّضح: ما سيأتي (إن شاء الله تعالى) في مبحث: (الأسماء والصفات الإلهية): أَنَّ كافّة الأسماء والصفات الإلهية الفعلية تؤول إلى اسم وصفة إلهية فعلية فاردة، وهذا الاسم والصفة يؤول^(٢) إلى اسم وصفة إلهية ذاتية واحدة، وجميع الأسماء والصفات الإلهية الذاتية تؤول إلى اسم فاردٍ، وهو: (هو)، واصل (هو): الهاء^(٣)، فعادت جميع الأسماء

(١) النحل: ٩٦.

(٢) مرجع الضمير: (واقع الاسم والصفة)؛ فإنَّ حقيقتها واحدة، وسيأتي (إن شاء الله تعالى) في المباحث والمسائل التالية بيان ذلك فانتظر.

(٣) الاستفادة من بيانات الوحي الإلهي: أَنَّ مقام الاسم الإلهي: (هو) - وهو: غيب مُطلق - أسبق وأعظم رتبة وهيمنة وفوقية على معرفة الذات الإلهية الأزلية المقدسة من مقامات سائر الأسماء الإلهية الحسنى، ومن ثَمَّ قُدِّم عليها في عدّة مواضع من بيانات القرآن الكريم، منها: سورة الإخلاص، ونهايات سورة الحشر.

ثُمَّ يأتي بعده مقام الاسم الإلهي: (الله)، ثُمَّ مقام: (الأحد) و(الأحدية) - خلافاً للعرفاء؛ فإنَّهم عكسوا وقَدَّموا: الأحد والأحدية على اسم الله - ثُمَّ يأتي مقام: (الواحد) و(الواحدية).

والصفات الإلهية إلى حرف واحد^(١).

وهذا نظام قائم في باب الأسماء والصفات الإلهية، ومعناه: الاشتقاق^(٢).

[خروج في الجملة عن صلب الموضوع]

[بحث في الأسماء والصفات الإلهية، ومقامات وشؤون أهل البيت عليه السلام]

[تفسير لبيان أمير المؤمنين عليه السلام : «أنا النقطة التي هي تحت الباء»]

ثم إنَّ مُطلق الأسماء والصفات الإلهية مخلوقات مهولة^(٣)، غير

→ ولعلَّ أحد معاني الإبهام في الاسم المستأثر (هو): عدم تناهي تجليات الذات الإلهية المقدسة في الأفعال الإلهية.

إذن: الاسم المستأثر (هو) اسم استأثر به البارئ المسمى (تقدّس ذكره) في باطن الغيب، لا ظهور له، ولا يظهر أبداً لأحدٍ من المخلوقات، ومعناه: عدم التناهي في الأسميّة وعدم التناهي في البطن والبطن.

ومن ثمَّ ورد في بيانات الوحي: أَنَّ البداء الأعظم يحصل من هذا الاسم الإلهي، ومنه كانت للذات الإلهية المقدسة ربوبية على الأسماء والصفات الإلهية، وربوبية على كافّة العوالم والمخلوقات.

(١) يجدر الالتفات: أَنَّ التبعض في الأسماء أو في الصفات الإلهية يؤدي لا محالة إلى ثنوية وشرك وكفر خفي.

(٢) ينبغي الالتفات: أَنَّ التفسير العقلي لمبحث اشتقاق الأسماء والصفات الإلهية صعب جداً.

(٣) قبل الدخول في صميم البحث ينبغي الالتفات إلى الأمور التالية:

الأول: أَنَّ مبحث الأسماء والصفات الإلهية دورة معارف، بل من أعقد معارف بيانات الوحي.

→ الثاني: أنَّ كثير ما يتخيَّله المخلوق من شُبُهات وتساؤلات وإشكالات على ساحة القدس الإلهية ناشئة من عدم معرفته بباب الأسماء والصفات الإلهية، وهو باب خطير وحساس ومهم جداً في توطيد صلة المخلوق بخالقه (جلَّ قدسه)، وله تأثير بالغ في المعرفة الإلهية، فاليهود - مثلاً - مع اعتقادهم بالله (ﷻ)، لكن نتيجة عدم وعيهم ومعرفتهم بالذات الإلهية الأزلية المقدسة، والأسماء والصفات الإلهية اعتقدوا (والعياذ بالله تعالى) ببخله (سبحانه وتعالى) وقالوا: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَكُنُوعُهُمْ قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُثَقُّ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

الثالث: أنَّ حقيقة الأسماء والصفات الإلهية، بل وكذا حقيقة القرآن الكريم والمعارف الإلهية لا تكمن بوجوداتها الاعتبارية - الصوتية والكتيبية - بل ولا بمعانيها الذهنية، ولا ببحور معانيها، فإنَّ هذه الوجودات وإنَّ كانت لها قدسية وشعشعائية ونورانية عظيمة جداً، ولها آثار طلسمية عجيبة وغريبة وردت في بيانات الوحي، لكن حقائقها تكمن في عوالم وبحور صاعدة، تُهيمن على ما دونها، وتتصرَّف بها تصرُّف اللطيف في الأغلظ.

وبالجملة: هناك قاعدة منهجية مطَّردة، وردت في بيانات الوحي المتواترة، تأتي في كافة أبواب المعارف الإلهية، لا يمكن للباحث في أبواب المعارف، وفي جميع خطاه البحثية تخطيها والإعراض أو الغفلة عنها أو نسيانها أو تناسيها، وهي: «أَنَّ كُلَّ عنوان معرفي ورد في أبواب المعارف الإلهية لابدَّ أن تكون له عينية تحقُّقية، وحقيقة خارجية تكوينية ثابتة في العوالم الصاعدة».

ومن ثمَّ لا يبحث أصحاب المعارف عن الأصوات، ولا عن النقوش؛ لكونها أموراً اعتبارية، بل ولا عن الوجودات الذهنية فحسب؛ لأنَّها ليست هي الغاية، وإنَّما يبحثون عن الواقعيَّات الخارجيّة والعينيَّات التَّحْقُقيَّة.

وإلى هذا تشير بيانات الوحي، منها:

بيان الإمام الصادق عليه السلام: «... هو الرَّبُّ، وهو المعبودُ وهو اللّهُ، وليس قولي: اللّهُ إثبات هذه الحروف: أَلِفٌ وَلَامٌ وَهَاءٌ، ولا راءٍ، ولا باءٍ، ولكن ارجعْ إلى مَعْنَى، وشيءٍ خالق الأشياء وصانعها، ونعت هذه الحروف، وهو المعنى، سُمِّيَ به اللّهُ» →

→ والرَّحْمَنُ والرَّحِيمُ والعَزِيزُ، وأشباه ذلك من أَسْمَائِهِ، وهو المعبودُ جَلَّ وعَزَّ. أصول الكافي، ١: ٦٠/ح ٦.

وهذا بمثابة جرس وإيقاظ علمي، وصحوة علمية تُوهِّج أنوار البصيرة. إِذَنْ: أبواب المعارف قائمة على الحقائق التَّكوينية، فبيئتها وموضوعها: (الحقائق). بخلاف أبواب فقه الفروع؛ فإنَّها قائمة على الوجودات الرَّمْزية الاعتبارية في دار الدُّنيا.

وبعبارة أخرى: أَنَّ موضوع فقه الفروع هو: (الشريعة)، والمراد منها: مبدأ الإنطلاق، وهو يتحقَّق بالاعتبار.

ثُمَّ إِنَّ الحقائق على مراتب وطبقات ودرجات جليَّة وخفيَّة، والجليَّة كالحفيَّة على مراتب وطبقات ودرجات غير متناهية، بل وعلى ألوان وأثواب وأنباط وأنواع وأطر ولغات.

وعليه: فلا يكفي المخلوق - لا سيما الباحث - التَّعرُّف على طبقة منها، بل لا بُدَّ أَنْ يسير سيراً غير متناهٍ، دؤوبٍ ودائمٍ.

وَمِنْ ثَمَّ كانت جملة العلوم لغات للحقيقة، فلذا يمكن إقامة البراهين والبيانات العلمية على المعارف الحقَّة الإلهية - كالواردة في أبواب: التَّوْحِيد، والنُّبُوَّة، والإمامة، والمعاد - في كُلِّ علمٍ من العلوم وإنَّ كانت علوم تجريبية؛ فيمكن البرهنة على المعارف الحقَّة بلغة علم: الفيزياء، والكيمياء، وعلم: الاجتماع، والقانون والإدارة وهلمَّ جرَّاً.

وهذا ما يوضِّح: نكتة وفلسفة تعدُّد معاجز الأنبياء ﷺ؛ فإنَّ البرهان بعدما كان لمعان غيب فلا يمكن أَنْ يكون مختصاً بالبرهان العقلي - خلافاً لمنهج الفلاسفة والمتكلِّمين - بل يمكن إقامته بالحسِّ والخيال وسائر العلوم والفنون وقوى النَّفس، ومن ثَمَّ نظرة السحرة للمعان غيب القدرة الإلهية في فنِّ تبديل عصا النَّبيِّ موسى عليه السلام الغيبي دعتهم أَنْ يكونوا أوَّل المؤمنين؛ مع أنَّه برهان من عالم الفنِّ والخيال.

إِذَنْ: الوصول إلى الحقيقة لا ينحصر في نمط مُعيَّن، بل له أنباط وألوان وأنواع وطبقات مُختلفة.

→ الرابع: أنَّ مطلق الأسماء والصفات الإلهية - فعلية كانت أم ذاتية - مخلوقات إلهية - كما تقدّم -، لكن ليس لها حدود وتناهي وحدوث ولون خلقي، وإنّما حدود وتناهي وحدوث في الحجب والسدنة الربوبية؛ فإنّ اسم الرحمن غير اسم الرحيم، وهما غير اسم القادر، وهذه الثلاثة غير اسم الأوّل، وهذه الأربعة غير اسم الآخر، وهلمّ جرّاً.

وبعبارة أخرى: أنّه حينما تقول: (رحمن) لا تستغني بوصفه عن اسم (الرحيم)؛ فكمال الرحمن كاسم ووصف لا ينطوي على كمال الرحيم. وعندما تقول: (أحد) و (واحد) فكمال كلّ واحد منهما لا ينطوي على كمال الآخر، بل ولا ينطوي على كمال سائر الأسماء الإلهية؛ ك: اسم: (العالم) و(القادر).

وهذه حدود ونهايات ومغايرة وإن لم تكن حدود ونهايات ومغايرة خلقية؛ لكنّها كاشفة عن حدوث وتناهي خفيّ؛ وحدود ومغايرة خفية؛ مُنزّه عنها الباري - المسمّى - (تقدّس ذكره).

إذن: مُطلق الأسماء والصفات الإلهية - فعلية كانت أم ذاتية - وإن كانت غير محدودة وغير متناهية بلحاظ حقائقها وما تحتها من جملة العوالم وسائر المخلوقات، لكنّه إذا قوبل بعضها بالآخر كانت محدودة ومتناهية، فالاسم الإلهي (الأوّل) وإن كان غير محدود وغير متناهٍ بلحاظ حقيقته، لكنّه إذا قوبل بالاسم الإلهي (الآخر) صار محدوداً ومتناهياً، لكن هذه ليست حدود وتناهي خلقي، وإنّما حدود وتناهي الشؤون الإلهية. ويُعبّر أهل المعرفة عن هذه القضية بـ: «دولة الأسماء»؛ فإنّ لكل اسم إلهي دولته الخاصة به. وهذا التعبير مُستفاد من بيانات الوحي الإلهي، منها:

١- بيان قوله تعالى: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

٢- بيان دعاء الإفتتاح للحجّة ابن الحسن عجل الله تعالى فرجه: «... وَأَيَقُنْتُ أَنَّكَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فِي مَوْضِعِ الْعَفْوِ وَالرَّحْمَةِ، وَأَشَدُّ الْمُعَاقِبِينَ فِي مَوْضِعِ النَّكَالِ»

المسمّى والموصوف بها؛ (صاحب الذات الإلهية الأزلية المقدسة)، داخله في

→ وَالنَّقْمَةُ، وَأَعْظَمُ الْمُتَجَرِّبِينَ فِي مَوْضِعِ الْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ...». بحار الأنوار، ٩٤: ٣٣٧.

ومعناه: أنَّ كمال الذات الإلهية الأزلية المقدسة أعظم وفوق هذه الشؤون والأسماء والصفات الإلهية.

الخامس: أنَّ لكثير من الأمور وجودين: أحدهما: حقيقي، والآخر: مجازي عقلي، والمجاز العقلي يدور مدار كيفية الاستعمال.

ثمَّ إنَّ الباحث في أبواب المعارف لا يهتُمُّ كثيراً التَّمييز بين الحقيقة اللغوية والمجاز العقلي؛ لأنَّ دأب الباحث في أبواب المعارف التحرُّي عن الحقائق العقلية والتكوينية، دون المجازات العقلية.

إِذَنْ: البحث في علوم المعارف ينصبُّ أولاً وبالذات على الحقائق العقلية، خلافاً لعلم (الأخلاق) وعلم (النفس والروح)؛ فإنَّهما علمان إعتباريان، نعم يُبحث في نهاياتهما عن الحقائق التكوينية. وخلافاً لعلم (السياسة) وعلم (الإجتماع) والعلوم (الإنسانية)؛ فإنَّها علوم إعتبارية.

لكن: هذا لا يعني عدم تأثير الإعتباريات في الحقائق التكوينية، لا سيما على المبنى المختار القائل: أنَّ الإعتبار الصادق: إدراك تكويني مبهم ومن بُعد، في قبال العلوم التكوينية التفصيلية؛ فإنَّها تفصيل للحقائق.

وعليه: فتندرج - بشكل واضح - العلوم الإعتبارية في بحوث الحقائق التكوينية. السادس: أنَّ استبداد الباحث في أبواب المعارف والعقائد بالأدلة العقلية من دون الاستعانة ببيانات الوحي الإلهي يجعله في عرضة ومعرض الهلاك والخطر الدائم؛ فإنَّ العقل وقدرته لَمَّا كانا محدودين بلحاظ ما فوقهما فقد تَجَرَّاهُ إلى إعتقادات فاسدة وكاسدة وباطلة يخلد بسببها (والعياذ بالله تعالى) في نار جهنم وبئس المصير.

ما تحتها من جملة العوالم والمخلوقات^(١) دخول اللطيف في الأغلظ؛ لا بالممازجة والمزاولة، وخارجة عنها خروج اللطيف عن الأغلظ؛ لا بالمفارقة والمزايلة، ومُهيمنة عليها، وتتصرّف فيها تصرّف الألف.

مثاله: اسم: (اللّه)؛ فإنّه مخلوق مهول، مهيمن على ما دونه من جملة العوالم وطُرّ المخلوقات، داخل فيها، لكن لا بالممازجة والمزاولة، وخارج عنها، لكن لا بالمفارقة والمزايلة، وهو من مخلوقات عالم السرمد والأزل والأبد؛ عالم الحضرة الربوبية^(٢)؛ عالم الأسماء والصفات الإلهية، والمُعبر عنه في بيانات الوحي بعنوان: (عنده)، وهو غير المُسمّى بـ: (اسم اللّه)؛ صاحب الذات الإلهية الأزليّة المقدّسة، فإنّه (تقدّست أسماؤه وعظمت آلاؤه) وراء وفوق ذلك، ومهيمن على سائر العوالم وكافة المخلوقات، منها: (اسم اللّه)، وداخل فيها وفيه دخول اللطيف في الأغلظ؛ لا بالممازجة والمزاولة، وخارج عنها وعنه خروج اللطيف عن الأغلظ؛ لا بالمفارقة والمزايلة .

(١) الاستفادة من بيانات الوحي: عدم انحصار المخلوقات الإلهية (الحية الشاعرة، الناطقة العاقلة) بالمخلوقات الثلاثة - الإنس والجنّ والملائكة - بل هي إلى ما شاء الله تعالى، موجودة في السماوات والأرضين، وفي فضاءنا ونشأتنا هذه، مخفية على كثير من المخلوقات، منها الطبقات النّازلة من الملائكة.

(٢) معنى 'الحضرة الربوبية': ذلك العالم الحاوي على مخلوقات مُكرّمة، لا يُشَمُّ منها رائحة المخلوقيّة، والخالصة من شائبة الأنا والفرعونيّة، والفانية فناء حكاية في ذبيها: (الذات الإلهية الأزليّة المقدّسة).

ومخلوقات هذا العالم: طبقات حقائق أهل البيت صلوات الله عليهم الصّاعدة، والتي لا يُرى فيها ماهيّة: (مُحمّد، وعليّ، وفاطمة، والحسن، والحسين...)، بل عكوسات وتجليّات ربوبية.

وعلى هذا قس صفة: (الألوهية)؛ فإنَّها مخلوق مهول من عالم السرمَد والأزل والأبد؛ عالم الأسماء والصفات الإلهية أيضاً، مهيمنة على ما دونها من مطلق العوالم وجميع المخلوقات هيمنة اللطيف على الأغلظ، وهي غير الموصوف بها؛ صاحب الذات الإلهية الأزلية المقدسة.

إذن: اسم الله وصفته مخلوقان بنحو التجلي والإشتقاق التكويني للمسمى والموصوف بهما؛ صاحب: (الذات الإلهية المقدسة)، وهو (جلّ قدسه) وراء وفوق جملة عالم الأسماء والصفات الإلهية - ذاتية كانت أم فعلية - مملوكة له، ومهيمن عليها هيمنة اللطيف على الأغلظ^(١).

وهذا ما تشير إليه بيانات الوحي، منها:

١- بيان قوله عظمت آلاؤه: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَدْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾^(٢).

ودلالته واضحة؛ فإنَّه جيء بـ: (لام المُلْك)، الداخلة على: (هو) - (له) -، والمقصود منه: المسمى (تقدّست أسماؤه)؛ صاحب الذات الإلهية الأزلية المقدسة^(٣)، وهو (عزّ ذكره) مالك لجملة أسمائه

(١) ينبغي الالتفات: أنَّ الخلقة في العوالم الصاعدة؛ أي: عالم المُجَرَّدات التامة تختلف عن العوالم النَّازلة؛ أي: العوالم الجسائية؛ فإنَّها في تلك العوالم لا تكون إلّا بنحو الظهور والتجلي والإشتقاق. نظيره: الصورة المراتية.

(٢) الإسراء: ١١٠.

(٣) يجدر بالباحث وغيره لاسيما في أبواب المعارف الإلهية، وتفادياً من حصول الخلط في المباحث والمعارف الالتفات إلى إطلاقات واستعمالات الأسماء الإلهية الواردة في بيانات الوحي؛ فإنَّه تارة يُراد منها: المسمى (جلّ شأنه) صاحب الذات الإلهية -

وصفاته^(١) - فعلية كانت أم ذاتية -، ومن اليين والواضح: أن المالك غير المملوك، وما عدا المسمى (سبحانه وتعالى) - صاحب الذات الإلهية الأزلية المقدسة - مخلوق من مخلوقاته، وإلا لكانت (والعياذ بالله تعالى) آلهة.

فانظر: بيانات الوحي، منها:

بيان الإمام الصادق عليه السلام: «... والاسم غير المسمى ... لله تسعة وتسعون اسماً، فلو كان الاسم هو المسمى لكان كل اسم منها إلهاً...»^(٢).

وعليه: تكون جميع الأسماء والصفات الإلهية - فعلية كانت أم ذاتية - مخلوقات إلهية، وتجليات وظهورات وآيات للذات الإلهية الأزلية المقدسة، يعود واقعها إلى حروف، بل حرف فارد، وهو: (اللام)، أي: لام الملك، وأضيفت إلى أعظم اسم إلهي: (هو)، وهو الجامع لجملة الأسماء والصفات الإلهية فعلية كانت أم ذاتية.

٢- بيانه جلت آلاؤه: ﴿وَكَلِّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ

→ الأزلية المقدسة، وأخرى يُراد منها: الاسم الإلهي. وهو مخلوق مهول، وتشخيص ذلك يعتمد على القرائن، كقرينة السياق.

(١) ينبغي الالتفات: أن هذا البيان الشريف وإن ذكر الأسماء الإلهية فحسب، لكنه شامل أيضاً لسائر الصفات الإلهية؛ بدليل: أنه لما كانت الصفات الإلهية وما يسانخها من الأسماء الإلهية متفقين حقيقة، ومختلفين بالاعتبار واللاحظ الذهني - كحال المصدر واسمه على رأي مشهور الأصوليين - كما أصحرت بذلك بيانات الوحي، وسيأتي (إن شاء الله تعالى) عرضها في محلها كان ذكر أحدهما مغنٍ عن الآخر، ومن باب: (إذا اجتمعاً افترقا، وإذا افترقا اتفقا).

(٢) أصول الكافي، ١: ٣٨ - باب: معاني الأسماء واشتقاقها: ٨٠/ح ٢.

يُلْحَدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سِجْرُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١﴾.

ودلالته قد اتضح من سابقه.

نعم هناك فارقٌ واحدٌ، وهو إضافة (اللام)؛ فإنَّها في هذا البيان الشريف أُضيفت لاسم الجلالة: (الله)، بخلاف البيان السابق؛ فإنَّها أُضيفت للاسم الإلهي: (هو).

٣- بيان الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ (تبارك وتعالى) خلق اسماً بالحروف غير منعوت، وباللفظ غير مُنطَق، وبالشخص غير مُجسَّد، وبالتشبيه غير موصوفٍ... مُبَعَّدٌ عنه الحُدُودُ، مُحِجَّبٌ عنه حِسُّ كُلِّ مُتَوَهِّمٍ، مُسْتَرٌّ غَيْرُ مُسْتَوَرٍّ، فجعله كلمةً تامةً على أربعة أجزاءٍ معاً، ليس منها واحدٌ قبل الآخر، فأظهر منها ثلاثة أسماءٍ؛ لفاقة الخلق إليها، وَحَجَبَ واحداً منها، وهو الاسمُ المكنونُ المخزونُ بهذه الأسماء الثلاثة التي ظَهَرَتْ ^(٢)، فالظاهرُ هو: (الله، وتبارك، وسبحان) ^(٣)، ولكل اسمٍ مِنْ هذه أربعة أركان، فذلك اثني عشر رُكنًا، ثُمَّ خلق لكل ركنٍ منها ثلاثين اسماً فعلاً منسوباً إليها، (فهو الرحمن، الرَّحِيم، الملك، القدوس...) فهذه الأسماء وما كان من الأسماء الحُسنى حتَّى تَبِمَ ثلاث مائةٍ وستين اسماً فهي نسبةٌ لهذه الأسماء الثلاثة، وهذه الأسماء الثلاثة أركانٌ، وَحَجَبَ الاسمَ الواحدَ المكنونَ المخزونَ بهذه الأسماء الثلاثة، وذلك قوله ﷺ: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا

(١) الأعراف: ١٨٠.

(٢) في الكافي: (فهذه الأسماء التي ظهرت).

(٣) في التوحيد المطبوع والكافي: (هو الله تبارك وتعالى).

فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿١﴾.

٤- بيانه عَلَيْهِ السَّلَامُ أيضاً: «اسم الله غير الله ...» (٢).

٥- بيانه عَلَيْهِ السَّلَامُ أيضاً: «... والاسم غير المسمى ... إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسماً، فلو كان الاسم هو المسمى لكان كُلُّ اسمٍ منها إلهاً، ولكنَّ اللهَ معنى يُدَلُّ عليه بهذه الأسماء، وكُلُّها غيرُهُ ...» (٣).

ودلالة الجميع واضحة على أَنَّ الْأَسْمَاءَ الْإِلَهِيَّةَ - ذاتية كانت أم فعلية - مخلوقات من عَالَمِ الْأَسْمَاءِ والصفات الإلهية، وجميعها غير المسمى بها؛ صاحب: الذات الإلهية الأزلية المقدسة، وهو (تقدّس ذكره): فوقها، ومهيمن عليها، ومُمدّها، وغني عنها، وهي مفتقرةٌ إليه جَلَّ قدسه، ولا إستقلالية لها عنه ولو بمقدار مثال حبة من خردلٍ أزلاً وأبداً، فحقيقتها نظير: حقيقة الحرف؛ والصورة المرآتية؛ فإنّها قائمة بغيرها، وصاحبة وجود طفيلي، كسائر المخلوقات من هذه الجهة.

ثُمَّ إِنَّهُ يَنْبَغِي الْإِلْتِفَات: أَنَّ لَفْظَ وَعنوان: (المعنى) يُسْتَعْمَلُ وَيُطْلَقُ ويُراد به:

تارة: الصُّورة الذهنية المقصودة.

وأخرى: الحقيقة والواقعية الخارجية المقصودة، من باب: عنيت

(١) بحار الأنوار، ٤: ١٦٦/ح ٨. أصول الكافي، ١: ٧٨/ح ١. مع اختلاف يسير.

(٢) بحار الأنوار: ١٦٠/ح ٦.

(٣) أصول الكافي، ١: ٦٢/ح ٢.

الشيء، أي: قصدته. وهذا النحو من الاستعمال هو مراد الإمام صلوات الله عليه بقوله: «ولكنَّ الله» أي: المُسمَّى «معنى» أي: حقيقة وواقعية خارجية يُعنى ويُقصد، و«يُدلُّ عليه بهذه الأسماء».

[طبقات حقائق أهل البيت عليهم السلام صفات وأسماء إلهية]

[رأس هرم طبقات حقائقهم عليهم السلام وراء الصفات والأسماء الحسنى]

وحيث إنَّ الضرورة الدينية والشرعية؛ وعند^(١) جميع فرق المسلمين، وبالبيانات الوحيانية البالغة فوق التواتر: اللفظي والعقلي والوحياني قائمة على أنَّ أشرف ما خلق الله (ﷻ) على الإطلاق: سيّد الأنبياء وسائر أهل البيت الأطهار صلوات الله عليهم؛ كانت الأسماء الإلهية الحسنى أحد طبقات حقائقهم صلوات الله عليهم الصاعدة؛ والمتفية فيها ماهية: (مُحمَّد، وعَليّ، وفاطمة، والحسن، والحسين)، ولا يُرى فيها إلاَّ أسماء إلهية: (حميد، وأعلى، وفاطر، وقديم الإحسان، ومحسن)، لكن: رأس هرم طبقات حقائقهم عليهم السلام الصاعدة وراء وفوق ذلك، وهذه الأسماء الإلهية طبقات لحقائقهم عليهم السلام الصاعدة، لكنّها ليست هي رأس الهرم ومنتهى طبقات حقائقهم صلوات الله عليهم، ومن ثَمَّ تكون تلك الطبقات^(٢) مَمَرَّ الفيض الإلهي لجملة العوالم وسائر المخلوقات، منها: الصفات والأسماء

(١) هذا عطف على كلمة (الدينية)، فتكون العبارة كالتالي: (وحيث إنَّ الضرورة عند جميع فرق المسلمين ... قائمة على أنَّ أشرف ...).

(٢) أي: رأس هرم طبقات حقائق أهل البيت صلوات الله عليهم الصاعدة.

الإلهية وسائر طبقات حقائقهم صلوات الله عليهم، ومهيمنة عليها، وداخله فيها دخول اللطيف في الأغلظ، وخارجة عنها خروج اللطيف من الأغلظ، وجميع ما تحت تلك الطبقات من كافة عوالم الخلق ومخلوقات غير المتناهية منها: الأسماء والصفات الإلهية - فعلية كانت أم ذاتية - سواء لها من حيث القرب والبعد، ونقطة واحدة في بحورها الطمطامة المتلاطمة لا تتبعض، ولا يمكنها أن تستعين إلا بها، شعرت بذلك تلك العوالم والمخلوقات أم لا، ولا يمكنها أن تصل إلى ساحة القدس الإلهية إلا عن طريقها ليس إلا.

وهذا أحد معاني بيان أمير المؤمنين صلوات الله عليه المتقدم: «أنا النقطة التي هي تحت الباء» وبيانه عليه السلام: «أنا النقطة أنا الخط، أنا الخط أنا النقطة، أنا النقطة والخط».

[تفصيل وتوضيح أكثر لما تقدم]

وتفصيل ذلك يتم من خلال البيان التالي المركب من المقدمات الثمان التالية:

المقدمة الأولى:

أول المخلوقات وأشرفها حقائق أهل البيت عليهم السلام الصاعدة

إنَّ الثابت بالضرورة الدينية، والشَّرعية، وعند كافة فرق المسلمين، وبالبيانات الوحيانية البالغة فوق التواتر اللفظي والعقلي والوحياني: أنَّ أشرف وأكمل جملة المخلوقات، وأوَّل ما خلق الله على الإطلاق: طبقات

حقائق أهل البيت (صلوات الله عليهم) الصّاعدة.

فانظر: بيانات الوحي، منها :

١- بيان سيّد الأنبياء ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ خَلَقَنِي وَخَلَقَ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ مِنْ نُورٍ وَاحِدٍ ... ثُمَّ خَلَقَ اللَّهَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَخَلَقَ الْمَلَائِكَةَ، فَمَكَّثَتِ الْمَلَائِكَةُ مِائَةَ عَامٍ لَا تَعْرِفُ تَسْبِيحًا وَلَا تَقْدِيسًا، فَسَبَّحْنَا ... فَسَبَّحَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَكَذَا^(١) فِي الْبَوَاقِي، فَنَحْنُ الْمُوَحِّدُونَ حَيْثُ لَا مُوَحِّدَ غَيْرِنَا، وَحَقِيقَ عَلَى اللَّهِ ﷻ كَمَا اخْتَصَّنا وَاخْتَصَّ شِيعَتَنَا أَنْ يَزِلْفَنَا وَشِيعَتَنَا فِي أَعْلَى عَلَيَيْنِ، إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَانَا وَاصْطَفَى شِيعَتَنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ نَكُونَ أَجْسَامًا...»^(٢).

ودلالته واضحة؛ فإنّه لو كانت هناك مخلوقات من جملة المخلوقات والعوالم - منها: عالم المُجَرَّدات التامّة؛ عالم السُرمَد والأزل؛ عالم الصفات والأسماء الإلهيّة الحسنيّ فضلًا عمّا دونها - مخلوقة قبل رأس هرم طبقات حقائق أهل البيت ﷺ الصّاعدة لَمَّا عَبَّرَ ﷺ وأطلق بيانه: «فَنَحْنُ الْمُوَحِّدُونَ حَيْثُ لَا مُوَحِّدَ غَيْرِنَا».

بعد الالتفات: أَنَّ الْأَسْمَاءَ الإِلَهِيَّةَ الْحُسْنَى، والصفات الإِلَهِيَّةَ (ذَاتِيَّةً) كانت أم فعليّة) - كما سيأتي بحثّه (إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى) - مخلوقات مُكْرَمَةٌ مهولة، تُسَبِّحُ اللَّهَ - الْمُسَمَّى - وَتُجِّدُهُ وَتُقَدِّسُهُ وَتُوحِّدُهُ.

٢- بيانه ﷺ أيضًا: «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ نُورِي، ابْتَدَعَهُ مِنْ نُورِهِ، وَاشْتَقَّه

(١) زاد في المصدر: «وَقَدَّسْنَا وَقَدَّسَتْ شِيعَتُنَا، وَقَدَّسَتْ الْمَلَائِكَةُ، وَكَذَا».

(٢) بحار الأنوار، ٢٧: ١٣١/ح ١٢٢. المحتضر: ١١٢ - ١١٣.

من جلال عظمته، فأقبل يطوف بالقدرة حتّى وصل إلى جلال العظمة في ثمانين ألف سنة، ثمّ سجد لله تعظيماً ففتق منه نور عليّ عليه السلام، فكان نوري مُحيطاً بالعظمة، ونور عليّ محيطاً بالقدرة، ثمّ خلق العرش واللوح^(١) والشمس وضوء النهار ونور الأبصار، والعقل والمعرفة، وأبصار العباد وأسماعهم وقلوبهم من نوري، ونوري مُشتقّ من نوره. فنحن الأوّلون ونحن الآخرون، ونحن السّابقون ... ونحن كلمة الله، ونحن خاصّة الله ... ونحن وجه الله ... ونحن يمين الله ... ونحن محال قدس الله...»^(٢).

٣- بيانه صلّى الله عليه وآله أيضاً: «... خلقنا الله نحن حيث لا سماء مبنية ولا أرض مدحية، ولا عرش ولا جنة ولا نار، كنّا نُسبّحه حين لا تسبيح، ونقدّسه حين لا تقديس، فلما أراد الله بدء الصنعة فتق نوري فخلق منه العرش فنور العرش من نوري، ونوري من نور الله، وأنا أفضل من العرش، ثمّ فتق نور ابن أبي طالب فخلق منه الملائكة ... وفتق نور ابنتي فاطمة منه فخلق السّماوات والأرض ... ثمّ فتق نور الحسن فخلق منه الشمس والقمر ... ثمّ فتق نور الحسين فخلق منه الجنة والخور العين...»^(٣).

ودلالته - كدلالة سابقه - واضحة على أنّ أوّل جملة المخلوقات وأشرفها طبقات حقائق أهل البيت عليهم الصّاعدة، وإلاّ لما عبّر صلّى الله عليه وآله وأطلق

(١) المراد من عنوان (اللوح) الوارد في بيانات الوحي: الموجود الذي تُنتقش فيه أمور وحقائق تكوينيّة، وليس نقش تطريز وخرائط وأمور اعتباريّة.

(٢) بحار الأنوار، ٢٥: ٢٢/ح ٣٨. رياض الجنان: (مخطوط).

(٣) بحار الأنوار، ٢٥: ١٦/ح ٣٠.

قوله: «وَكُنَّا نُسَبِّحُه حِينَ لَا تَسْبِيح، وَنَقْدِّسُه حِينَ لَا تَقْدِيس»، وكذا كلامه ﷺ: «فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ بَدْءَ الصَّنْعَةِ فَتَقَ نَوْرِي فَخَلَقَ مِنْهُ ...».

٤- بيانه ﷺ مخاطباً أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): «... يَا عَلِيّ ... وَأَنْتَ السَّبَبُ فِيهَا بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ بَعْدِي ...»^(١).

٥- بيانه ﷺ، عن جابر بن عبد الله، قال: «قُلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَوَّلُ شَيْءٍ خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى مَا هُوَ؟ فَقَالَ: نُورُ نَبِيِّكَ يَا جَابِرُ، خَلَقَهُ اللَّهُ ثُمَّ خَلَقَ مِنْهُ كُلَّ خَيْرٍ، ثُمَّ أَقَامَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي مَقَامِ الْقُرْبِ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ جَعَلَهُ أَقْسَامًا، فَخَلَقَ الْعَرْشَ مِنْ قِسْمٍ، وَالْكَرْسِيَّ مِنْ قِسْمٍ، وَحِمْلَةَ الْعَرْشِ وَخِزْنَةَ الْكَرْسِيِّ مِنْ قِسْمٍ...»^(٢).

٦- بيان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): «... وَالنَّبِيُّ وَالْعَتَرَةُ ... رَأْسُ دَائِرَةِ الْإِيمَانِ، وَقُطْبُ الْوُجُودِ، وَسَمَاءُ الْجُودِ ... جَلَّ مَقَامُ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ عَنْ وَصْفِ الْوَاصِفِينَ، وَنَعْتَ النَّاعَتِينَ، وَإِنْ يُقَاسُ بِهِمْ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ ... فَهُمْ خَاصَّةُ اللَّهِ وَخَالَصَتِهِ ... وَمَبْدَأُ الْوُجُودِ وَغَايَتِهِ، وَقُدْرَةُ الرَّبِّ وَمَشِيتَتِهِ ...»^(٣).

٧- بيانه عليه السلام أيضاً: «كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ، فَأَوَّلُ مَا خَلَقَ نُورَ حَبِيبِهِ

(١) بحار الأنوار، ٢٢: ١٤٧-١٤٨ / ح ١٤١. كتاب سليم بن قيس: ٢١٥-٢١٦.

(٢) بحار الأنوار، ٢٥: ٢١-٢٢ / ح ٣٧.

(٣) المصدر نفسه: ١٦٩-١٧٤ / ح ٣٨.

مُحَمَّدٌ ﷺ قبل خلق الماء^(١) والعرش والكرسي والسموات والأرض، واللوحي والقلم، والجنة والنار، والملائكة وآدم وحواء بأربعة وعشرين وأربعمائة ألف عام، فلما خلق الله تعالى نور نبينا مُحَمَّدٌ ﷺ بقي ألف عام بين يدي الله ﷻ واقفاً يُسَبِّحُه ويحمده، والحق تبارك وتعالى ينظر إليه ويقول: يا عبدي، أنت المراد والمريد، وأنت خيرتي من خلقي... فخلق الله منه اثني عشر حجاباً، أولها حجاب القدرة، ثم حجاب العظمة، ثم حجاب العزة، ثم حجاب

(١) ينبغي الالتفات: أن لعنوان: (الماء) الوارد في بيانات معارف الوحي، منها: هذا البيان الشريف ليس السائل المعهود، بل له رمزية عجيبة وعظيمة جداً؛ فإن همزة (ماء) ليست من الحروف الأصلية للكلمة فتكون مقلوبة عن (هاء)، وكذا ألفها فتكون مقلوبة عن (واو)، فيكون أصلها: (موه)، أي: ماهية وأصل الأشياء، وهو: (العلم).

ثم إن حقيقة (العلم) عالم برأسه، مخلوق من مخلوقات عوالم الخلقة الصاعدة، فوق عالم العرش، ولحقيقته نشأة ملكوتية يراها العالم ولا يراها الجاهل؛ لعدم تفعيله لأبدانه وحواسها وقواها الصاعدة، فإن العلم ماء حياتها، فكما أن للأبدان الغليظة المعهودة غذاؤها وشرابها المادّي الغليظ، وتستدام حياتها به، وتموت بتركه، كذلك حال الأبدان الصاعدة وحواسها وقواها، لكن غذاؤها ما يناسب تلك العوالم، وهو: العلم والتسبيح والتحميد وذكر الله الكريم، فهذا ليس غذاء الملائكة والمخلوقات الصاعدة فحسب، بل وغذاء أبدان الإنسان الصاعدة وحواسها وقواها.

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي، منها:

بيان الإمام الباقر عليه السلام، عن زيد الشحام: «في قول الله: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ [عبس: ٢٤] قال: قلت: ما طعامه؟ قال: علمه الذي يأخذه مِمَّنْ يأخذه».

بحار الأنوار، ٢: ٩٦/٣٨.

الهيبة، ثُمَّ حجاب الجبروت ... ثُمَّ حجاب الكبرياء ... ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خلق من نور مُحَمَّد ﷺ عشرين بحراً من نورٍ، في كُلِّ بحر علوم لا يعلمها إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى ... قال الله تعالى: يا حبيبي، ويا سيّد رسلي، ويا أوّل مخلوقاتي، ويا آخر رسلي ... ثُمَّ قام فقطرت منه قطرات كان عددها مائة ألف وأربعة وعشرين ألف قطرة، فخلق الله تعالى من كُلِّ قطرة من نوره نبياً من الأنبياء، فلمّا تكاملت الأنوار صارت تطوف حول نور مُحَمَّد ﷺ كما تطوف الحجاج حول بيت الله الحرام ...»^(١).

ودلالته - كدلالة سوابقه - واضحة أيضاً؛ على أَنَّ أوّل المخلوقات وأشرفها وأعلاها مقاماً وفضلاً وكمالاً طبقات حقائق أهل البيت ﷺ الصّاعدة، وإِلَّا لَمَّا عَبَّرَ ﷺ بقوله: «كان الله - أي: المُسمّى (جلّ وتقدّس) - ولا شيء معه - فليس معه (تقدّس ذكره) صفة إلهيّة ولا اسم إلهي، ولا مخلوق البتّة - فأوّل ما خلق - على الإطلاق - نور حبيبه مُحَمَّد ﷺ». ثُمَّ خلق - كما صرّحت بذلك بيانات الوحي الأخرى - نور أمير المؤمنين، ثُمَّ نور فاطمة الزهراء، ثُمَّ نور الحسن، ثُمَّ نور الحسين صلوات الله عليهم.

٨- بيان الإمام الباقر ﷺ: «... ليس شيء أقرب إلى الله من رسوله، ولا أقرب إلى رسوله من وصيّهِ، فهو في القرب كالجنب ...»^(٢).

٩- بيان الإمام الصادق ﷺ: «... ونحن السبيل فيما بين الله وخلقه،

(١) بحار الأنوار، ١٥: ٢٧ - ٢٩.

(٢) المصدر نفسه، ٩: ٩.

ونحن الرباط الأدنى'...»^(١).

١٠- بيانه عليه السلام أيضاً: «... ونحن أمناؤه على خلقه ... والحجاب فيما بينه وبين خلقه...»^(٢).

١١- بيانه عليه السلام أيضاً: «ما بعث الله نبياً أكرم من محمد ﷺ، ولا خلق الله قبله أحدا...»^(٣).

١٢- بيانه عليه السلام أيضاً: «... رسول الله ﷺ ... كان أقرب الخلق إلى الله تبارك وتعالى'...»^(٤).

١٣- بيانه عليه السلام أيضاً: «ليس شيء يخرج من الله حتى يبدأ برسول الله ﷺ، ثم بأمر المؤمنين، ثم واحداً بعد واحد...»^(٥).

١٤- بيان الإمام الكاظم عليه السلام: «ما خلق الله خلقاً أفضل من محمد ﷺ، ولا خلق خلقاً بعد محمد أفضل من علي عليه السلام»^(٦).

١٥- بيان الإمام الرضا عليه السلام: «... ودعا أمير المؤمنين عليه السلام فكان نفسه بحكم الله ﷻ، فقد ثبت أنه ليس أحد من خلق الله تعالى أجّل من رسول

(١) بحار الأنوار، ٢٤: ٢١٦-٢١٧/ ح ٨.

(٢) المصدر نفسه، ٢٥: ٣٦٣/ ح ٢٣. المحتضر: ١٥٩ - ١٦٠.

(٣) بحار الأنوار، ١٦: ٣٧١/ ح ٨٢.

(٤) المصدر نفسه، ٥: ٢٣٦/ ح ١٢.

(٥) المصدر نفسه، ٢٦: ٩٢/ ح ٢٠.

(٦) المصدر نفسه، ١٦: ٣٧٧/ ح ٨٨.

اللَّهُ ﷻ وأفضل، فواجب أن لا يكون أحداً أفضل من نفس رسول الله ﷺ بحكم الله تعالى...»^(١).

١٦- بيان الإمام الجواد عليه السلام عن محمد بن سنان، قال: «... يا محمد،

(١) بحار الأنوار، ١٠: ٣٥٠ / ح ٩. الفصول المختارة، ١٥: ١.

(٢) يجدر الالتفات في المقام إلى القضايا التالية :

القضية الأولى:

حقبة الإمام الجواد عليه السلام مرحلة جديدة في الدور التربوي والتدبير والحكمة الإلهية الظاهر من كثير من بيانات أهل البيت (صلوات الله عليهم) أن حقبة ومرحلة إمامة الإمام الجواد (صلوات الله عليه) الإلهية حقبة ومرحلة جديدة في الدور التربوي والتدبير الإلهي والحكمة الإلهية للمؤمنين والمسلمين والبشرية جمعاء، بل ولجملة المخلوقات.

القضية الثانية:

جهات شبه إعجازية أظهرتها يد السماء بين النبي عيسى والإمام الجواد عليه السلام هناك جهات شبه واشتراك براهين عقلية تكوينية إعجازية جلّتها يد ساحة القدس الإلهية وأظهرتها في النبي عيسى والإمام الجواد عليه السلام، منها :

١- صغر السن في تولي المسؤولية والمهام الإلهية، وهذه جهة شبه بينهما عليه السلام ليست صدفة، بل موازاة في المرحلة تكشف عن تنامي عقلية البشر، ودور القائد الإلهي، وتحكي تكويناً عن خطاب إلهي موجه إلى كافة أجيال البشر بكبارهم ونوابغهم؛ وعبر القرون إلى عالم القيامة أنكم أيها البشر لستم مؤهلين للقيادة كما أهل هذا الصغير.

٢- البركة، فقد جعلتها يد الساحة الإلهية فيهما عليه السلام.

فانظر :

بيان قوله جلّ قوله المقتص لخبر النبي عيسى عليه السلام: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ [مريم: ٣١].

وبيان الإمام الرضا عليه السلام الوارد في حقّ ولده الإمام الجواد عليه السلام، قال: «... لم يولد مولود أعظم على شيعتنا بركة منه». بحار الأنوار، ٥٠: ٢٣/ح ١٤. الارشاد: ٢٩٩. الكافي، ١: ٣٢١.

ودلالاتها واضحة.

والمراد من عنوان (البركة) الوارد في المقام: السعادة؛ وهي ثمرة القيادة الإلهية، وثمررة القيادة الحكيمة عندما يكون بالانتخاب والإصطفاء الإلهي، فعندما تبغي البشرية، بل جملة المخلوقات سعادةً ونموّاً وكمالاً في كافّة عوالم الخلقة غير المتناهية، ولكي يصل المخلوق إلى الفرد الكامل، والمدينة إلى المدينة الفاضلة عليه نسب اظفاره والتشبث بكلّ ما أُوتي من مكنة وقدرّة وقوّة بمنّ نصّبه يد السّاحة الإلهية للقيادة والريادة الإلهية، فالتّصيب والإصطفاء الإلهي والقيادة الإلهية ينبوع السّعادة والبركة الدّائمة، وعملية در وسيل للبركة غير المتناهية، وارفادها عبر جملة العوالم غير المتناهية أيضاً.

القضية الثالثة:

مصاهرة المأمون للإمام الجواد عليه السلام للاستفادة من موقعيته

هناك بصمة حصلت في حياة الإمام الجواد عليه السلام، حاصلها: أنّ رئيس السلطة العباسية يعيش هو وعائلته في نغنة الترف والبذخ، وصاحب الوجهة والأبهة، ورئيس دولة عظمى تشمل خمسين دولة في عداد العصر الراهن ومع كلّ هذا وغيره يصرّ على أنّ يتشرف بتزويج الإمام الجواد (صلوات الله عليه) في المدينة المنورة من كريمته بنت الدلال والحرير المخملي والرياحين والقصور، ليذهب بها إلى بيته عليه السلام المتواضع في المدينة المنورة صاحبة الصيف القائن.

إِنَّ اللَّهَ تبارك وتعالى لم يزل مُتَفَرِّداً بوحْدانيَّته، ثُمَّ خلق مُحَمَّدًا وَعَلِيًّا وفاطمة، فمكثوا ألف دهر، ثُمَّ خلق جميع الأشياء، فأشهدهم خلقهم، وأجرى

→ وهذه القضية تدلُّ من جهة سياسيَّة ومن جهة دينيَّة، ومن جهة مناورة سياسيَّة ومناورة حضاريَّة يقوم بها المأمون مع الإمام الجواد عليه السلام أَنَّهُ لمس منه عليه السلام عظم موقعيَّته وقدرته وسلطته، فزَجَّ بابنته كيما يكتسب من قدرته عليه السلام وسلطته ووسطوته ومكانته العلميَّة والمعرفيَّة في نفوس المؤمنين والمسلمين ليضمها إلى قدرته وسلطته ووسطوته ومكانته.

ثُمَّ إِنَّ المأمون جلبه عليه السلام بعد ذلك وزوجته إلى بغداد؛ لكونه أَحَسَّ أَنَّ هذا الصَّبِي لم يُفَرِّط بتراث آبائه وأجداده، بل زاده قوَّة في العلم والمعرفة والإدارة، وفي تنامي قاعدته الشعبيَّة والجماهيريَّة، وفي التسترُ الأُمْنِي وهلمَّ جرًّا.

القضية الرَّابعة:

تحوُّل فداء وولاء بني العبَّاس إلى عدااء لأهل البيت عليهم السلام

موازين أهل البيت عليهم السلام محاسبة الحاكم أولاً

كان بني العبَّاس في زمن الدَّولة الأمويَّة فدايَّين لمنهاج أهل البيت عليهم السلام، فالمنصور الدوانيقي - مثلاً - وفي عهد بني أُميَّة كان من المهاجرين في البلدان؛ لتبليغ ونشر التَّشيع والتَّرويج لمدرسة أهل البيت عليهم السلام، وبلغ من تفاديه في نشر فضائل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) أَنَّهُ جاهر بها في الشام، فأشبعوه ضرباً كادت تزهق فيه نفسه، لكنَّهم ما أن استلموا الحكم حتَّى تبدَّل ذلك الولاء إلى عدااء لهم (صلوات الله عليهم).

والنُّكَّة: أَنَّهُم رأوا بالموازين الَّتِي يُقَنَّنُهَا أهل البيت (صلوات الله عليهم) أَنَّهُم تُحاسبهم كحُكَّام قبل أن تُحاسب غيرهم، فالْحُكْم على وفق مقاسات وموازين أهل البيت عليهم السلام صعب مُستصعب، فلَكي يستتبَّ لهم الأمر، ويحلوا لهم ما تريده أنفُسهم الأَمَّارة بالسُّوء نصبوا لهم (صلوات الله عليهم) الحرب والعداء.

طاعتهم عليها، وفَوْضُ أُمُورِهَا إِلَيْهِمْ، فَهُمْ يُحْلُونَ مَا يَشَاءُونَ، وَيُجَرِّمُونَ مَا يَشَاءُونَ، وَلَنْ يَشَاءُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، هَذِهِ الدِّيَانَةُ الَّتِي مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا مُحَقٌّ، وَمَنْ لَزَمَهَا لَحَقَّ، خُذْهَا إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ»^(١).

١٧- بيان زيارة أهل البيت (صلوات الله عليهم): «... إِلَيْكُمْ انتهت المكارم والشرف، وفيكم استقرَّت الأنوار والمجد والسودد، فليس فوقكم أحدٌ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ، وَلَا أَكْرَمُ عَلَيْهِ مِنْكُمْ، وَلَا أَحْظَى لَدِيهِ...»^(٢).

١٨- بيان زيارتهم (صلوات الله عليهم) أيضاً: «... إِلَيْكُمْ انتهت المكارم والشرف، ومنكم استقرَّت الأنوار والعزَّة والمجد والسودد، فما فوقكم أحدٌ إِلَّا اللَّهُ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالَى، وَلَا أَقْرَبُ إِلَيْهِ وَلَا أَخَصَّ لَدِيهِ وَلَا أَكْرَمُ عَلَيْهِ مِنْكُمْ...»^(٣).

١٩- بيان زيارتهم (صلوات الله عليهم) أيضاً: «... آتَاكُمْ اللَّهُ مَا لَمْ يُوْت أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، طَاطَأَ كُلُّ شَرِيفٍ لَشَرْفِكُمْ، وَبَخَعَ^(٤) كُلُّ مُتَكَبِّرٍ

(١) بحار الأنوار، ١٥: ١٩ / ح ٢٩. الأصول، ١: ٤٤١.

(٢) بحار الأنوار، ٩٧: ٣٤٤. المزار الكبير: ٨٧٧.

(٣) بحار الأنوار، ٩٩: ١٥٢.

(٤) خ. ل: (نخع). خ. ل: (نجع).

لطاعتكم، وخضع كُلٌّ جبارٍ لفضلكم، وذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لَكُمْ...»^(١).

ودلالة الجميع واضحة؛ على أَنَّ أَوَّلَ جملة المخلوقات وجوداً وخلقة، وأشرفها وأعلاها سُودداً ومقاماً وفضلاً وكمالاً، وأقربها إلى الباري - المُسمَّى - (علا ذكره)، وأخصَّها عنده: طبقات حقائق أهل البيت (صلوات الله عليهم) الصَّاعدة.

المُقدِّمة الثَّانية:

الصفات والأسماء الإلهية مخلوقات إلهية

إِنَّ الصفات والأسماء الإلهية الحُسنى - فعلية كانت أم ذاتية - مخلوقات مُقدَّسة؛ من عَالَم السَّرمَد والأَزَل والأَبَد؛ عَالَم الصفات والأسماء الإلهية، والمُعَبَّر عنه في بيانات الوحي الإلهي بعنوان: (عنده). وهذا ما تقدَّمت الإشارة إليه، وصرحت به بيانات الوحي المُتقدِّمة وغيرها، منها:

بيان الإمام الصَّادق عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ (تبارك وتعالى) خلق اسماً بالحروف غَيْرَ منعوتٍ، وباللَّفْظِ غَيْرَ مُنطِقٍ، وبالشَّخصِ غَيْرَ مُجَسَّدٍ، وبالتشبيه غير موصوفٍ ... مُبَعَّدٌ عنه الحُدُودُ، مُحْجُوبٌ عنه حِسْنُ كُلِّ مُتَوَهِّمٍ، مُسْتَرَجٌّ غَيْرُ مَسْتُورٍ فجعله كلمةً تامَّةً على أربعة أجزاءٍ معاً، ليس منها واحدٌ قبل الآخر، فأظهر منها ثلاثة أسماءٍ ... وَحَجَبَ واحداً منها، وهو: الاسمُ المَكْنُونُ

(١) بحار الأنوار، ٩٩: ١٣٢. عيون الأخبار، ٢: ٢٧٢ - ٢٧٧.

المخزون بهذه الأسماء الثلاثة التي ظَهَرَت، فالظاهر هو: (اللَّه، وتبارك، وسبحان (خ. ل: وتعالى))...».

ودلالته واضحة على أنَّ جملة الأسماء الإلهية مخلوقة.

المقدمة الثالثة:

طبقات حقائق أهل البيت عليهم السلام الصاعدة صفات وأسماء إلهية

إنَّ الصفات والأسماء الإلهية الحُسنى - فعلية كانت أم ذاتية - هي طبقات حقائق أهل البيت عليهم السلام الصاعدة، المنتفية فيها ماهية: (مُحَمَّد، وَعَلِي، وفاطمة، والحسن، والحسين...)، لتصبح أسماء إلهية: (حميد، وأعلى، وفاطر، وقديم الإحسان، ومُحسن...)، لا يشوبها شوب الأنا والمخلوقية، ولا تُرى نفسها، بل محكيها: (المُسَمَّى (العزیز الجَبَّار)؛ صاحب الذات الإلهية الأزلية المقدسة)، فانمحت - لشدة خلوصها - ماهياتها وذواتها الممكنة، وفُتيت^(١) في

(١) لعنوان: (المحو) و (الفناء) معانٍ:

أحدها: الحكاية؛ ومن ثمَّ لا يوجد في المخلوق الحاكي رائحة المخلوقية، وجبل الأنانية والفرعونية.

ثانيها: طفيليٌّ في الوجود.

وهذا المعنى كالأوَّل مراد في المقام.

ثالثها: أنَّ الحاكي عين المحكي.

وبطلان هذا المعنى وفساده من الواضحات؛ لأنَّه يعني: (الوحدة الشخصية).

وسياًني (إنَّ شاء الله تعالى) بيانها في محلِّها وبيان أدلة فسادها.

الذَّاتُ الإِلَهِيَّةُ الْمُقَدَّسَةُ فناء حكاية - لا تحقُّقاً - انعكست فيها جملة صفات الذَّاتِ الْمُقَدَّسَةِ وَأَسْمَاءَهُ (تعالى ذكره) وشؤونهُ إِلَّا الأُلُوْهِيَّةُ؛ لخروجها تخصُّصاً وموضوعاً، فكما أَنَّ اللَّهَ الْمُسَمَّى صاحب الذَّاتِ الإِلَهِيَّةِ الْأَزَلِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ هُوَ: (اللَّهُ، رَحْمَنٌ، رَحِيمٌ، مُلْكٌ، قُدُّوسٌ، سَلَامٌ، مُؤْمَنٌ، مَهِيْمَنٌ، عَزِيزٌ، جَبَّارٌ، مُتَكَبِّرٌ، خَالِقٌ، بَارِئٌ، مُصَوِّرٌ، غَفَّارٌ، قَهَّارٌ، وَهَّابٌ، رَزَّاقٌ، فَتَّاحٌ، عَلِيمٌ، قَابِضٌ، بَاسِطٌ، خَافِضٌ، رَافِعٌ، مُعَزِّزٌ، مُذِلٌّ، سَمِيعٌ، بَصِيرٌ، لَطِيفٌ، خَبِيرٌ، عَظِيمٌ، عَلِيٌّ، مُقِيتٌ، رَقِيبٌ، مُجِيبٌ، شَهِيدٌ، حَقٌّ، قَوِيٌّ، مُتِينٌ، مُحْصِيٌّ، مُحْيِيٌّ، مُمِيتٌ، حَيٌّ، قَيُّوْمٌ، وَاحِدٌ، صَمَدٌ، قَادِرٌ، مُقْتَدِرٌ، أَوَّلٌ، آخِرٌ، ظَاهِرٌ، بَاطِنٌ، تَوَّابٌ، مُنْتَقِمٌ، عَفُوٌّ، رُؤُوفٌ، غَنِيٌّ، مُغْنِيٌّ، مُنَاعٌ، ضَارٌّ، نَافِعٌ، هَادِيٌّ، بَاقِيٌّ، بَدِيعٌ، وَارِثٌ)، وَهَلَمَّ جَرّاً مِنْ سَائِرِ الْأَسْمَاءِ الإِلَهِيَّةِ الْحَسَنَى، وَمَوْصُوفٍ بِمَا يَلَائِمُهَا مِنَ الصِّفَاتِ وَالشُّوْنِ الإِلَهِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ كَذَلِكَ طَبَقَاتٍ حَقَائِقُ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ الصَّاعِدَةُ تَتَصَفُّ بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَالشُّوْنِ الإِلَهِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ، وَتَفْعَلُ أَفَاعِيلُهُ (جَلَّ ذِكْرُهُ)، لَكِنْ لَا بِالْأَصَالَةِ، بَلْ بِالتَّبَعِ وَبِالتَّجَلِّيِّ وَالظُّهُورِ وَالْإِفَاضَةِ؛ كَرَمًا وَعَطِيَّةً مِنْهُ (تَبَارَكَ وَتَعَالَى)، وَتَفْعَلُ أَفَاعِيلُهُ بِإِذْنِهِ.

وهذا ما أشارت إليه بيانات الوحي، منها:

بيان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، فَإِنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْعَالَمِ الْعُلُوي فَقَالَ: «صور عارية عن المواد، عالية عن القوَّة والاستعداد، تجلَّى لها فأشرقت، وطالعتها فتلا لأت، وألقى في هويَّتها مثاله، فأظهر عنها أفعاله»^(١).

(١) بحار الأنوار، ٤٠: ١٦٥.

نظيره:

أولاً: (المرأة شديدة: الصقل، والصِّفاء، والفناء، والحكاية، والانعكاس)؛ فإنَّها بعد ما كانت فانية فناء حكاية في محكيِّها، فلا تُري نفسها، بل محكيِّها انطبعت فيها كافة صفات وشؤون محكيِّها - الشَّخص الخارجي -، وأخذت صورتها بالتَّبَع جملة صفاته وأسمائه وشؤونه إلا ما خرج تخصُّصاً وموضوعاً.

وإلى هذا أشار بيان القاعدة المعرفية: «خلق الله المرأة وجعل فيها أسراراً»، المُستفاد من بيانات الوحي، منها:

بيان خطبة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): «الحمد لله الذي ... تتلقاه الأذهان لا بمشاعرة، وتشهد له المرائي لا بمحاضرة، لم تحط به الأوهام، بل تجلّ لها بها، وبها امتنع منها، وإليها حاكمها ...»^(١).

ودلالته واضحة.

ثانياً: (الصَّرح) الوارد في قضية بلقيس ملكة سبأ مع النَّبيِّ سليمان عليه السلام^(٢)، الواردة في بيان قوله جلَّ قوله: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣)؛ فإنَّه

(١) بحار الأنوار، ٤: ٢٦١/ ح ٩.

(٢) لا بأس بالالتفات: أَنَّ نبيَّ الله داود وسليمان عليهما السلام لم ينسخا شريعة النَّبيِّ موسى عليه السلام.

(٣) النمل: ٤٤.

لشدّة خلوصه، وصفائه وانعكاسه، وتمرّد ذاته ومحوها وفنائها في الحكاية لم يُرِ نفسه، بل محكيّه؛ اللّجّة - الماء الغزير - انعكست فيه جميع صفاتها وأسمائها وشؤونها وأحوالها، فحسبته ماءً غزيراً فكشفت عن ساقها لتخطّاه، ولمّا أخبرت بواقع الحال؛ وآته: (صرح مُمرّد)؛ تمرّدت ذاته وفنيت في حكاية ذيه أمنت بالله تعالى من دون نظر وتدبّر ومهلة وتردّد؛ لالتقاطها إشارة معرفيّة توحيدية لمعنى تجلّيات وظهورات الدّات الإلهيّة الأزليّة المقدّسة في المخلوقات المكرّمة^(١).

(١) هناك قضيّة وآليّة معرفيّة مهمّة جدّاً، أشارت إليها بيانات الوحي، ينبغي صرف النظر إليها، حاصلها: أنّ النّبيّ ﷺ استخدم ووظّف الجمال وعلوم الفنون المحلّلة لهداية المخلوقات إلى الإيـمان بالله ﷻ وتوحيده.

وهذا أمر بديع، وأصل قرآنيّ مُشرّع ومجوّز لاستخدام واستعمال الجمال والفنون المحلّلة في الدّعوى الإلهيّة.

ومعناه: أنّ نشر الدّعوى إلى الحقّ لا يتوقّف على البرهان العقلي والفكر الجاف، بل يمكن من خلال توسّط الجمال وعلوم الفنون المحلّلة: تسويق أدقّ المعاني وأصعبها وأعقدها إلى نفوس المخلوقات وأذهانها وعقولها، وإيجاد الجذبات الروحيّة والمعنويّة في دخيلة ذواتها. ولعلّ بلقيس لو أقيم لها البرهان العقلي لم تستجب له كما استجابت للغة الفنّ في حادثة الصّرح.

وهذا ما نفتقده بشكل استراتيجي كبير في الدّعوى إلى نور الإيـمان وهداية الثّقليـن، فنحن لم نستخدم الجمال وعلوم الفنّ وما شاكلها في جانب الخير؛ كما استخدمه العدو في جانب الشرّ ونشر الرذيلة.

وكثير من البلدان الإسلاميّة كانت شعوبها قبل فترة موالية لأهل البيت صلوات الله عليهم، لكن قلبت الوهابيّة بفنّ قراءة القرآن الكريم اعتقادهم وولائهم لأهل البيت ﷺ إلى عداٍ لهم (صلوات الله عليهم).

وإلى كُلِّ هذا أشارت بيانات الوحي، منها:

أولاً: بيان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): «... نحن الاسم المخزون المكنون، نحن الأسماء الحسنی التي إذا سئل الله ﷻ بها أجاب...»^(١).

ثانياً: بيانه عليه السلام أيضاً: «... وأنا أسماء الله الحسنی...»^(٢).

ثالثاً: بيانه عليه السلام أيضاً: «... أنا الأسماء الحسنی التي أمر أن يُدعى بها...»^(٣).

رابعاً: بيان الإمام الباقر عليه السلام: «... عرفنا من عرفنا وجهلنا من جهلنا، نحن الأسماء الحسنی التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلا بمعرفتنا...»^(٤).

خامساً: بيان الإمام الصادق عليه السلام: «نحن والله الأسماء الحسنی الذي لا يُقبل من أحدٍ إلا بمعرفتنا، قال: ﴿فَادْعُوْهُ بِهَا﴾»^(٥)،^(٦).

سادساً: بيان الإمام الرضا عليه السلام: «إذا نزلت بكم شدة فاستعينوا بنا على الله، وهو قول الله: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوْهُ بِهَا﴾»^(٧)،^(٨).

ودلالة الجميع واضحة.

(١) بحار الأنوار، ٢٧: ٢٨/ح ٥.

(٢) المصدر نفسه، ٥٣: ٤٦ - ٤٩/ح ٢٠.

(٣) مشارق أنوار اليقين: ٢٦٩.

(٤) بحار الأنوار، ٢٥: ٤ - ٥/ح ٧. المحتضر: ١٢٩.

(٥) الأعراف: ١٨٠.

(٦) بحار الأنوار، ٩١: ٦/ح ٧. تفسير العياشي، ٢: ٤٢.

(٧) الأعراف: ١٨٠.

(٨) بحار الأنوار، ٩١: ٥ - ٦/ح ٧. تفسير العياشي، ٢: ٤٢.

ومن كُلِّ هذا تتَّضح: كثير من بيانات الوحي، منها:

١- بيان خطبة أمير المؤمنين عليه السلام في جامع البصرة: «معاشر المؤمنين والمسلمين، إِنَّ اللَّهَ ﷻ أَثْنَى على نفسه فقال: «هو الأوَّل ... والآخر ... والظاهر ... والباطن» سلوني قبل أنْ تفقدوني؛ فأنا الأوَّل وأنا الآخر، إلى آخر كلامه، فبكى أهل البصرة كُلَّهم وصلَّوا عليه». وقال عليه السلام: «أنا دحوتُ أرضها، وأنشأتُ جبالها، وفجَّرتُ عيونها، وشققتُ أنهارها، وغرستُ أشجارها، وأطعمتُ ثمارها، وأنشأتُ سحابها، وأسمعتُ رعداها، ونورَّتُ برقها، وأضحيتُ شمسها، وأطلعت قمرها، وأنزلتُ قطرها، ونصبتُ نجومها ... وسكنتُ أطوادها، وأنشأتُ جوارى الفلك فيها، وأشرقتُ شمسها، وأنا جنب الله وكلمته، وقلب الله وبابه الذي يؤتى منه، ادخلوا الباب سجداً أغفر لكم خطاياكم وأزيد المحسنين، بي وعلى يديّ تقوم الساعة، وفيّ يرتاب المبطلون، وأنا الأوَّل والآخر، والظاهر والباطن وبكلِّ شيءٍ عليم»^(١).

ودلالته قد اتَّضحت؛ فإنَّه صلوات الله عليه بعدما كانت طبقات حقيقته الصَّاعدة أسماء وصفات إلهية - فعلية كانت أم ذاتية، ك: (اسم: الأوَّل والآخر، والظاهر والباطن، والعليم، والخالق والباري والمصور، والرازق والغافر والباعث، والمحسن والمُدبِّر، والنُّور) - كان علّة فاعلية، وصدرت منه صلوات الله عليه هذه الأفعال وتلك الشؤون، وحينئذٍ لا إشكال ولا غبار على هذا البيان وما شاكلة ولا حزاة فيه وفيها، ولا تحتاج -

(١) بحار الأنوار، ٣٩: ٣٤٨.

بعد ما كان على أقل تقدير مجموع هذه البيانات قطعية الصدور بالقطع النقلي والعقلي والوحياني - إلى نظرٍ إلى سندها، أو توجيه لدلالاتها وحملها على معانيها المجازية؛ بعدما لم تكن هناك شائبة في الحمل على معانيها الحقيقية . فالتفت، وتأمّل جيّداً.

٢- بيان خطبته صلوات الله عليه: «... أَنَا مُنْزِلُ الْمَلَائِكَةِ مَنَازِلَهَا، أَنَا آخِذُ الْعَهْدِ عَلَى الْأَرْوَاحِ فِي الْأَزَلِّ، أَنَا الْمُنَادِي لَكُمْ: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؛ بِأَمْرِ قِيُومٍ لَمْ يَزَلْ ... أَنَا صَاحِبُ الْهَبَاتِ، بَعْدَ الْهَبَاتِ وَلَوْ أَخْبَرْتُكُمْ لَكَفَرْتُمْ ... أَنَا مُنْشِئُ الْأَنَامِ ... أَنَا صَاحِبُ النُّجُومِ، أَنَا مُدَبِّرُهَا بِأَمْرِ رَبِّي ... أَنَا الْمُعْطِي، أَنَا الْمُبْدِلُ، أَنَا الْقَابِضُ يَدِي عَلَى الْقَبْضِ ... أَنَا صَاحِبُ الْقَطْرِ وَالْمَطَرِ، أَنَا صَاحِبُ الزَّلَازِلِ وَالْخُسُوفِ ... أَنَا صَاحِبُ الْغَيْثِ بَعْدَ الْقَنُوطِ...»^(١).

ودلالته قد اتّضحت ولا غبار عليها أيضاً؛ فإنّه بعدما كانت طبقات حقيقته صلوات الله عليه الصّاعدة صفات وأسماء إلهية ك: اسم: (خير المنزلين)، و(المُمكن)، و(المُعطي)، و(المُنشئ)، و(المُدبر)، و(القابض)، و(المغيث) حصل منه صلوات الله عليه ذلك الشأن؛ وصدرت منه تلك الأفعال.

٣- بيانه ﷺ أيضاً: «... وَإِلَيَّ إِيَابُ الْخَلْقِ جَمِيعاً، وَأَنَا الْإِيَابُ الَّذِي يُوْوبُ إِلَيْهِ كُلُّ شَيْءٍ بَعْدَ الْفَنَاءِ، وَإِلَيَّ حِسَابُ الْخَلْقِ جَمِيعاً ... وَأَنَا خَازِنُ الْجَنَانِ ... وَالْحُجَّةُ عَلَى أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَيْنِ وَمَا فِيهِمَا وَمَا بَيْنَهُمَا ... وَأَنَا

(١) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين ﷺ، الخطبة الإفتخارية: ١٦٥ - ١٦٦.

الَّذِي سُخِّرَتْ لِي السَّحَابَ والرَّعْدَ والبرقَ، وَالظُّلُمَ والأنوارَ، والرياحَ والجبالَ والبحارَ، والنجومَ وَالشَّمْسَ والقمرَ، وَأَنَا الَّذِي أَهْلَكْتُ عَادًا وَثَمُودًا، وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقَرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرَةً. وَأَنَا الَّذِي ذَلَّلْتُ الْجَبَابِرَةَ، وَأَنَا صَاحِبُ مَدْيَنَ، وَمُهْلِكُ فِرْعَوْنَ، وَمُنْجِي مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ... وَأَنَا الَّذِي أَحْصَيْتُ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا...»^(١).

ودلالته قد اتَّضَحَتْ، ولا غبار عليها أيضًا.

٤- بيانه عَلَيْهِ السَّلَامُ أيضًا في رسالته إلى سهل بن حنيف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «... وَاللَّهِ، لَوْ تَظَاهَرَتِ الْعَرَبُ عَلَى قِتَالِي لَمَّا وَلَّيْتُ، وَلَوْ أَمَكَّتَنِي الْفُرْصَةُ مِنْ رِقَابِهِمْ لَمَّا بَقَيْتُ...»^(٢).

ودلالته قد اتَّضَحَتْ أيضًا؛ فَإِنَّهُ بَعْدَمَا كَانَتْ طَبَقَاتُ حَقِيقَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ النَّاظِلَةُ ظُهُورَاتٍ وَتَجَلِّيَّاتٍ لَطَبَقَاتُ حَقِيقَتِهِ الْمُتَوَسِّطَةِ، وَطَبَقَاتُ حَقِيقَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْمُتَوَسِّطَةِ ظُهُورَاتٍ وَتَجَلِّيَّاتٍ لَطَبَقَاتُ حَقِيقَتِهِ الصَّاعِدَةِ، وَلَمَّا كَانَتْ طَبَقَاتُ حَقِيقَتِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّاعِدَةُ صِفَاتٍ وَأَسْمَاءُ إِلَهِيَّةٌ ك: اسم: (الْمُنْتَقِمُ)^(٣) وَ(الضَّارُّ) وَ(الْمُقْتَدِرُ) وَ(الْقَوِي) وَ(الْمُقِيتُ) وَ(الْمَذَلُّ) وَ(الْمُتَكَبِّرُ) وَ(الْقَهَّارُ) أَمَكْنَ لَوْ أُتِيحَتْ لَهُ الْفُرْصَةُ مِنْ

(١) مختصر البصائر: ١٣٠ - ١٣٤ / ح ١٠٢ - ٢.

(٢) بحار الأنوار، ٢١: ٢٦ / ح ٢٥. أمالي الصدوق: ٣٠٧.

(٣) المراد من الاسم الإلهي: (المنتقم): تطهير الأرض من أسباب الشرِّ والشرور، والفساد والمفسدين.

وليس المراد منه: الانتقام والشفقة؛ فَإِنَّهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى خَلْقِهِ؛ كَيْمَا يَنْتَقِمَ وَيُشْفِيَ مِنْهُمْ. وعلى هذا قس بقية أسماء الجلال الإلهية.

رقاب مَنْ خالفه من العرب لَمَّا أَبْقَى منها عين ولا أثر.

وهذا ما يُوضَّح: نكتة ما ورد من أحوال أهل البيت عليه السلام العظيمة المهولة العجيبة الغريبة من أصحاب الدائرة الإصطفائية الأولى - الأربعة عشر معصوماً - وأصحاب الدائرة الإصطفائية الثانية من بني هاشم، كأبي الفضل العباس عليه السلام؛ فإنه ورد في حقّه أنّه قتل في يوم العاشر من المحرم مقتلة عظيمة من جيش يزيد بن معاوية (عليهم اللعنة)، فإنه عليه السلام بعدما كان من أصحاب الدائرة الإصطفائية الثانية كان باباً من أبواب أصحاب الدائرة الإصطفائية الأولى، فتكون طبقات حقيقته النّازلة والمتوسطة والصّاعدة تجلّيات وظهورات لطبقات حقائقهم صلوات الله عليهم، فيكون عليه السلام وطبقات حقيقته اسم الإسم الإلهي، وآية عظمى للآيات الإلهية الأعظم؛ طبقات حقائق أهل البيت صلوات الله عليهم الصّاعدة، فتصدر منه تلك الشؤون والأفعال من دون حرازة ولا شبهة ولا إشكال بعدما كان الجميع فيض من ساحة القدس الإلهية، ومن ثمّ لا يُقاس فعله عليه السلام وفعلهم صلوات الله عليهم بأفعال البشر.

ولا يُقال - بل يصدر أحياناً من أرباب المنابر والخطباء -: إنّه لو جيء بأربعة آلاف دجاجة مثلاً لاحتاج ذبح كلّ واحدةٍ إلى كذا من الوقت، ولاحتاج المجموع إلى فترةٍ أوسع من زمان المعركة فكيف يُقال: إنّ أبا الفضل العباس قتل على المشرعة أربعة آلاف فارس.

فإنّه يُقال: إنّ سنخ فعله عليه السلام وسنخ أفعال سائر أصحاب الدائرة

الإِصْطِفَائِيَّةُ الثَّانِيَّةُ كَسَنَخْ أَفْعَالُ أَصْحَابِ الدَّائِرَةِ الإِصْطِفَائِيَّةِ الْأُولَى تُخْتَلَفُ
عَنْ سَنَخْ أَفْعَالِ الْبَشَرِ.

فَانْظُرْ: بَيَانَاتُ الْوَحْيِ، مِنْهَا:

أَوَّلًا: بَيَانُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ: «... وَصَرْتُ أَنَا صَاحِبُ
أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ
مِنْ عِبَادِهِ﴾^(١)»، وَهُوَ: رُوحُ اللَّهِ ... فَمَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ هَذَا الرُّوحَ فَقَدْ أَبَانَهُ
مِنَ النَّاسِ، وَفَوَّضَ إِلَيْهِ الْقُدْرَةَ، وَأَحْيَى الْمَوْتَى، وَعَلِمَ بِمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ،
وَسَارَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ، وَمِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى الْمَشْرِقِ فِي لَحْظَةٍ عَيْنٍ، وَعَلِمَ مَا
فِي الضَّمَائِرِ وَالْقُلُوبِ، وَعَلِمَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ...»^(٢).^(٣)

(١) غافر: ١٥.

(٢) بحار الأنوار، ٢٦: ١-٧/ح ١.

(٣) لَا بَأْسَ يَصْرِفُ النَّظْرَ فِي الْمَقَامِ إِلَى التَّنْبِيهَاتِ التَّالِيَةِ:
التَّنْبِيهِ الْأَوَّلُ:

تَوْجِدُ مُسَامَحَةِ ظَاهِرَةٍ فِي تَعْرِيفِ الْقَوْمِ لِلْعِلْمِ الْحَضُورِيِّ

إِنَّ مَا وَرَدَ فِي تَعْرِيفِ الْعِلْمِ الْحَضُورِيِّ: «حُضُورُ نَفْسِ الشَّيْءِ فِي الذَّهْنِ» فِيهِ مُسَامَحَةُ
ظَاهِرَةٍ، فَإِنَّ الْحَاضِرَ هُوَ آيَاتُ وَآيَاتُ آيَاتِ الشَّيْءِ.
التَّنْبِيهِ الثَّانِي:

الْعِلْمُ فَاعِلِيٍّ وَانْفِعَالِيٍّ

الْعِلْمُ يَنْقَسِمُ فِي الْبَحْثِ الْعَقْلِيَّةِ إِلَى عِلْمٍ فَاعِلِيٍّ، وَعِلْمٍ انْفِعَالِيٍّ.
وَالْمُرَادُ مِنَ الْعِلْمِ الْفَاعِلِيِّ: ذَلِكَ الْعِلْمُ الْمَوْجِدُ لِلْمَعْلُومِ.
وَالْمُرَادُ مِنَ الْعِلْمِ الْانْفِعَالِيِّ: الْعِلْمُ الْوَاقِعُ عَلَى عَيْنِ الْمَعْلُومِ.

ثانياً: بيانه صلوات الله عليه أيضاً: «... والإمام ... بشرٌ ملكي، وجسدٌ سماوي، وأمرٌ إلهي، وروحٌ قدسي، ومقامٌ عليّ، ونورٌ جليّ، وسرٌّ خفيّ، فهو ملك الذات، إلهي الصفات ... وهذا كله لآل مُحَمَّد لا يُشاركهم فيه مُشارك...»^(١).

ثالثاً: بيانه صلوات الله عليه أيضاً، عن سلمان رضي الله عنه: «... قال: أتريدون أن أريكُم عجباً؟ قلنا: نعم، قال: غُضُّوا أعينكم، ففعلنا، ثمَّ قال: افتحوها، ففتحنها فإذا نحن بمدينة ما رأينا أكبر منها، والأسواق فيها قائمة، وفيها أناس ما رأينا أعظم من خلقهم على طول النخل، قلنا: يا أمير المؤمنين من هؤلاء؟ قال: بقية قوم عاد، كُفَّار لا يؤمنون بالله ﷻ أحببتُ أن أريكُم إيَّاهم، وهذه المدينة وأهلها أُريد أن اهلكهم وهم لا يشعرون. قلنا: يا أمير المؤمنين، تهلكهم بغير حُجَّة؟ قال: لا، بل بحُجَّة عليهم، فدنا منهم وترأى لهم فهموا أن يقتلوه ... ثمَّ تباعد عنهم ودنا مِنَّا، ومسح بيده على صدورنا وأبداننا، وتكلَّم بكلمات لم نفهمها وعاد إليهم ثانية حتَّى صار بإزائهم وصعق فيهم صعقة. قال سلمان: لقد ظننَّا أن الأرض قد انقلبت، والسماء قد

→ التَّنْبِيه الثالث:

العلم الحسولي على درجات

إنَّ العلم الحسولي على درجات، منها: درجة عقلية، وانعكاس المُدركات عقلية. والمُدركات العقلية ليست فيها: طول وعرض وعمق ومقادير، وليست فيها صور جسمية.

(١) بحار الأنوار، ٢٥: ١٦٩ - ١٧٤/ح ٣٨.

سقطت، وأنَّ الصواعق من فيه قد خرجت، فلم يبقَ منهم في تلك الساعة أحد . قلنا: يا أمير المؤمنين، ما صنع الله بهم؟ قال: هلكوا وصاروا كُلُّهم إلى النَّار. قلنا: هذا مُعجز، ما رأينا ولا سمعنا بمثله. فقال ﷺ: أتريدون أنَّ أُرِيكم أعجب من ذلك؟ فقلنا: لا نطيق بأسرنا على احتمال شيء آخر، فعلى من لا يتوالاك، ويؤمن بفضلك وعظيم قدرك على الله ﷻ لعنة الله ولعنة اللاعنين والملائكة والخلق أجمعين إلى يوم الدِّين ...»^(١).
ودلالته - كدلالة سابقه - واضحة.

٥- بيانه ﷺ أيضاً: «والله، إني لديان الناس يوم القيامة ... وإنَّ جميع الرسل والملائكة والأرواح خلُقوا لخلقنا، ولقد أُعطيت التسع الذي لم يسبقني إليها أحد ... وبِ كَمَلِ الدِّين ... وَمِنَّا الرقيب على خلق الله ... إذ يقول الله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾»^(٢)...^(٣).

٦- بيانه ﷺ أيضاً: «أنا علم الله، وأنا قلب الله الواعي، ولسان الله النَّاطق، وعين الله النَّاظرة، وأنا جنب الله، وأنا يد الله»^(٤).

٧- بيانه ﷺ أيضاً: «... فنحن روح الله وكلماته، وبنا احتجب عن

(١) بحار الأنوار، ٢٧: ٣٣-٤٠/ح ٥. المحتضر: ٧١-٧٦.

(٢) النساء: ١.

(٣) بحار الأنوار، ٣٩: ٣٥٠-٣٥١/ح ٢٤. تفسير فرات: ٦١-٦٢.

(٤) بحار الأنوار، ٢٤: ١٩٨/ح ٢٥.

خلقه ...»^(١).

٨ - بيانه عليه السلام أيضاً: «أنا أورث من النبيين إلى الوصيين، ومن الوصيين إلى النبيين، وما بعث الله نبياً إلا وأنا أقضي دينه وأنجز عداته ...»^(٢).

٩ - بيانه عليه السلام أيضاً: «... ونحن إذا شئنا شاء الله، وإذا كرهنا كره الله ...»^(٣).

١٠ - بيانه عليه السلام أيضاً: «... ويطيعنا كل شيء حتى السماوات والأرض، والشمس والقمر، والنجوم والجبال والشجر والدواب والبحار، والجنة والنار ...»^(٤).

ودلالته - كدلالة سوابقه - قد اتضحت أيضاً.

١١ - بيانه عليه السلام أيضاً: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً»^(٥).

١٢ - بيانه عليه السلام أيضاً: «... ولولا آية في كتاب الله لأنبتكم بما في السماوات والأرض ... فاسألوني قبل أن تفقدوني ... ولولا أن يقول قائلكم: إن علي بن أبي طالب عليه السلام ساحر كما قيل في ابن عمي لأخبرتكم بمواضع أحلامكم، وبما في غوامض الخزائن (المسائل)، ولأخبرتكم بما في قرار

(١) بحار الأنوار، ٢٦: ٢٩١/ح ٥١. كنز الفوائد: ٥٥.

(٢) بحار الأنوار، ٣٩: ٣٥٠/ح ٢٣. تفسير فرات: ١٣.

(٣) بحار الأنوار، ٢٦: ١-٧/ح ١.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه، ٤٠: ١٥٣.

الأرض ...»^(١).

١٣- بيانه عليه السلام أيضاً: «... سلوني قبل أن تفقدوني، فلأنا بطرق السماء أعلم مني بطرق الأرض...»^(٢).

١٤- بيانه صلوات الله عليه أيضاً، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إن جويرية بن مسهر العبدی خاصمه رجل في فرس أنثى، فادّعى جميعاً الفرس، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ألواحد منكما البيّنة؟ فقالا: لا. فقال لجويرية: أعطه الفرس. فقال له: يا أمير المؤمنين، بلا بيّنة؟! فقال له: والله لأنا أعلم بك منك بنفسك، أتتسى صنيعك بالجاهلية الجهلاء، فأخبره بذلك»^(٣).

١٥- بيان زيارته عليه السلام: «... أشهد أنك تراني وتبصرني وتعرف كلامي وتحبيني وتعرف ما يحنه قلبي وضميري...»^(٤).

ودلالته - كدلالة سوابقه - قد اتّضحت أيضاً؛ فإنه مُشير إلى طبقة حقيقة أمير المؤمنين صلوات الله عليه الصّاعدة، في عالم السّرمَد والأزل، والمُعبر عنه في بيانات الوحي بعنوان: (عنده)؛ عالم الصفات والأسماء الإلهية، وتتبعها طبقات حقيقته صلوات الله عليه المتوسطة والنّازلة؛ فإنّها بعدما كانت ألطف مخلوقات عوالمها، كانت داخلة في جميع شراشرها وجزئياتها وذراتها وكانت أقرب إليها من أنفسها ومن حبل وريدها، ومن ثمّ يرى

(١) كتاب خطبة البيان لأمير المؤمنين عليه السلام.

(٢) بحار الأنوار، ٦٦: ٢٢٧/ح ١٩. نهج البلاغة، ١/ خ ١٨١: ٣٨٦.

(٣) بصائر الدرجات، ١: ٤٨٣/ح ٨٩٥-١.

(٤) بحار الأنوار، ٩٧: ٣٤٧-٣٥٢/ح ٣٤. المزار الكبير: ٩٧-١٠١.

صلوات الله عليه ويبصر في اللحظة الواحدة ظواهر وبواطن طُرِّ المخلوقات، وفي كافة العوالم، ويسمع ويعرف كلامها ويحييها، ويعرف ما تجنَّه طبقات حقائقها أكثر من معرفة نفس المخلوقات بأنفسها.

وسياتي (إن شاء الله تعالى) بيان وتفصيل أكثر عن هذه القضية في المقدمات التالية فانتظر هنيئة.

١٦- بيان زيارتهم (صلوات الله عليهم): «... بأبي أنتم وأُمِّي ونفسي وأهلي ومالي، ذكركم في الذَّاكرين، وَأَسْمَاؤُكُمْ في الأَسْمَاءِ، وأَجْسَادُكُمْ في الأَجْسَادِ، وأَرْوَاحُكُمْ في الأَرْوَاحِ، وَأَنْفُسُكُمْ في النُّفُوسِ، وآثَارُكُمْ في الآثَارِ، وقُبُورُكُمْ في القُبُورِ، فما ... أعظم شأنكم، وَأَجَلٌ خطركم...»^(١).

ودلالته قد اتَّضحت أيضاً، فإنَّ طبقات حقائق أمير المؤمنين وسائر أهل البيت صلوات الله عليهم الصَّاعِدَةُ لَمَّا كانت صفات وأَسْمَاءُ إلهيَّة كانت ألطف الموجودات؛ فيكونوا صلوات الله عليهم بلحاظ تلك الطبقات الصَّاعِدَةُ داخلين في جميع شراشر وجزئيات وذرات كافة المخلوقات دخول اللطيف في الأغلظ لا بالممازجة والمزاولة، وخارجين عنها خروج اللطيف عن الأغلظ لا بالمباينة والمزايلة، ومن ثمَّ يكونوا صلوات الله عليهم أَعْرَفَ من جملة المخلوقات وفي طُرِّ العوالم بأنفسها من أنفسها.

وعلى هذا قس سائر طبقات حقائقهم صلوات الله عليهم المتوسطة والنَّازِلَةُ؛ فَإِنَّهَا لَمَّا كانت ألطف مخلوقات عوالمها كانت داخلَةً فيها دخول اللطيف في الأغلظ، وخارجَةً عنها خروجه عنه، فكانت أجسادهم

(١) بحار الأنوار، ٩٩: ١٣٢. عيون الأخبار، ٢: ٢٧٢-٢٧٧.

وأرواحهم ونفوسهم وسائر طبقات حقائقهم صلوات الله عليهم داخلة - على وفق القاعدة - في جميع شراشر وجزئيات وذرات أجساد وأرواح ونفوس وسائر طبقات حقائق جملة مخلوقات تلك العوالم دخول اللطيف في الأغلظ لا بالمازجة والمزاولة، وخارجة عنها خروج اللطيف من الأغلظ لا بالمباينة والمزايلة. ومن ثمَّ يحيطوا صلوات الله عليهم أيضاً - على طبق القاعدة - بجميع شراشر وجزئيات وذرات مخلوقات جملة العوالم، ولا يشدُّ عنهم صلوات الله عليهم شيء البتّة.

وسياقي (إن شاء الله تعالى) مزيد بيان عن هذه القضية في المقدمات التالية فانتظر.

١٧- بيان زيارتهم صلوات الله عليهم أيضاً: «... لم تزالوا بعين الله وعنده، وفي ملكوته تأمرون، وله تخلفون، وإياه تُسَبِّحون، وبعرشه محققون، وبه حافون حتى مرَّ بكم علينا، فجعلكم في بيوتٍ أذنَ الله أن ترفعَ...»^(١). ودلالته قد انضحت أيضاً، فإنَّ بيان قوله ﷺ: «لم تزالوا بعين الله وعنده» إشارة إلى عالم السرمَد والأزل؛ عالم الصفات والأسماء الإلهية.

وقوله ﷺ: «وفي ملكوته تأمرون، وله تخلفون، وإياه تُسَبِّحون، وبعرشه محققون، وبه حافون» إشارة إلى طبقات حقائق أهل البيت صلوات الله عليهم الصاعدة في مرتبة الصفات والأسماء الإلهية؛ فإنَّها هي الآمرة والنَّاهية، والحاكمة والمتصرِّفة في جملة العوالم وسائر المخلوقات؛ من بداية الخلقة والوجود إلى ما لا نهاية له أزلاً وأبداً ما دام لله ﷻ حاجة في خلقه.

(١) بحار الأنوار، ٩٩: ١٥١ - ١٥٢.

وقوله ﷺ: «حَتَّى مَرَّ بِكُمْ عَلَيْنَا، فَجَعَلَكُمْ فِي بَيْوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعُ» إشارة إلى مرتبة أبدانهم صلوات الله عليهم الشريفة المقدسة؛ فَإِنَّهَا بَيْوت لأرواحهم وطبقات حقائقهم ﷺ النازلة. وكذا أرواحهم ﷺ الطاهرة النازلة؛ فَإِنَّهَا بَيْوت لأرواحهم الأعلى طبقة. وهذا أحد معاني عنوان: (أهل البيت ﷺ)؛ فَإِنَّ أَبْدَانَهُمُ الشَّريفة بَيْوت لأرواحهم النازلة، وأرواحهم النازلة بَيْوت لأرواحهم الصاعدة. فالتفت، وتدبر جيداً، واغتنم تربت يداك.

وسياقي (إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى) فِي مَحَلِّهِ مَزِيدُ بَيَانٍ عَنْ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ فَاَنْتَظِرْ.

١٨- بَيَانُ زِيَارَتِهِمْ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) أَيْضاً: «... طَاطَأَ كُلَّ شَرِيفٍ لَشَرَفِكُمْ، وَبَخَعَ^(١) كُلَّ مُتَكَبِّرٍ لَطَاعَتِكُمْ، وَخَضَعَ كُلَّ جَبَّارٍ لِفَضْلِكُمْ، وَذَلَّ كُلَّ شَيْءٍ لَكُمْ، وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِكُمْ ... بِكُمْ يُسَلِّكُ إِلَى الرِّضْوَانِ ...»^(٢).

١٩- بَيَانُ زِيَارَتِهِمْ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) أَيْضاً: «... حَتَّى لَا يَبْقَى مُلْكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَلَا صَدِّيقٌ وَلَا شَهِيدٌ، وَلَا عَالَمٌ وَلَا جَاهِلٌ، وَلَا دَنِي وَلَا فَاضِلٌ، وَلَا مُؤْمِنٌ صَالِحٌ وَلَا فَاجِرٌ طَالِحٌ، وَلَا جَبَّارٌ عَنِيدٌ وَلَا شَيْطَانٌ مُرِيدٌ، وَلَا خَلْقٌ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ شَاهِدٌ مَا هُنَاكَ إِلَّا عَرَفَهُ جَلَالَةُ أَمْرِكُمْ، وَعَظَمَ خَطَرَكُمْ، وَكَبِيرَ شَأْنِكُمْ، وَجَلَالَةَ قَدْرِكُمْ، وَتَمَامَ نُورِكُمْ، وَصَدَقَ مَقْعَدَكُمْ، وَثَبَاتَ مَقَامِكُمْ، وَشَرَفَ مَحَلِّكُمْ، وَمَنْزَلَتَكُمْ عِنْدَهُ، وَكَرَامَتَكُمْ عَلَيْهِ،

(١) خ. ل. (نخع). خ. ل. (نجع).

(٢) بحار الأنوار، ٩٩: ١٣٢. عيون الأخبار، ٢: ٢٧٢-٢٧٧.

وخاصَّتكم لديه، وقرب مجلسكم منه ...»^(١).

٢٠- بيان زيارته (صلوات الله عليه): «... السَّلام عليك ... أوَّل من ابتدع الله، والحُجَّة على جميع من خلق الله ... أيُّها النَّبأ العظيم، والخطب الجسيم ... أيُّها النَّازل من عليّين، والعالم بما في أسفل السَّافلين، ومهلك من طغى من الأوَّلين، ومبيد من جحد من الآخرين...»^(٢).

ودلالته - كدلالة سابقه - قد اتَّضحت أيضاً، ولا غبار عليها.

٢١- بيان الإمام الباقر عليه السلام، عن أبي حمزة^(٣)، قال: «سألت أبا جعفر عليه السلام ... عن قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾^(٤) قال: تفسيرها في بطن القرآن يعني: عليّ هو ربّه في الولاية والطاعة، والرَّبُّ هو: الخالق الذي لا يوصف ...»^(٥).

(١) بحار الأنوار: ٩٩: ١٣٠. عيون الأخبار، ٢: ٢٧٢-٢٧٧.

(٢) بحار الأنوار، ٩٨: ٣٤٧-٣٥٢/ح ٣٤. المزار الكبير: ٩٧-١٠١.

(٣) أدرك أبو حمزة الثمالي خمسة من أئمّة أهل البيت، وهم: الإمام: زين العابدين، والباقر، والصّادق، والكاظم، والرّضا عليه السلام، لكن أكثر تتلمذه وروايته المباشرة كانت عن الإمام زين العابدين عليه السلام.

ويقال: إنّهُ أوَّل من أسس حوزة النجف الأشرف والمنتدّى العلمي فيها، فإنّه حينما كشف له الإمام زين العابدين عليه السلام الستار عن قبر أمير المؤمنين عليه السلام أخذ يُدرّس علم الحديث عند القبر الشّريف.

(٤) الفرقان: ٥٥.

(٥) بصائر الدرجات، ١: ١٦٨-١٧٠/ح ٣١٩-٥.

ودلالته قد اتّضحت أيضاً؛ فإنّه مُشير إلى بعض طبقات حقيقة أمير المؤمنين صلوات الله عليه الصّاعدة في عالم السرمد والأزل، فإنّها أسماء إلهيّة، ك: (اسم الرّب)، وهو: المالك والمُدبّر والمدير لأحوال وشؤون جملة المخلوقات في عالم الولاية والطّاعة، و(اسم الخالق)^(١).

٢٢- بيانه عليه السلام أيضاً: «إنّه ليس عند أحد من حق ولا صواب، وليس أحد من النَّاس يقضي بقضاء يصيب فيه الحقّ إلّا مفتاحه عليّ، فإذا تشعبت بهم الأمور كان الخطأ من قبلهم، والصواب من قبله أو كما قال»^(٢).

٢٣- بيانه عليه السلام أيضاً: «أمّا إنّه ليس عند أحد علم ولا حق ولا فتيا إلّا شيءٌ أخذ عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام وعنا أهل البيت، وما من قضاء يُقضى به بحقّ وصوابٍ إلّا بدءٌ ذلك وسببه وعلمه من عليّ عليه السلام ومنا، فإذا اختلف عليهم أمرهم قاسوا وعملوا بالرأي، وكان الخطأ من قبلهم إذا قاسوا، وكان الصّواب إذا اتّبعوا الآثار من قبل عليّ عليه السلام»^(٣).

٢٤- بيانه عليه السلام أيضاً: «كُلُّ ما لم يخرج من هذا البيت فهو باطل»^(٤).

٢٥- بيان الإمام الصادق عليه السلام: «... فكُلّ علم خرج إلى أهل السّموات

(١) هذا عطف على (اسم الرّب)، فتكون العبارة كالتالي: (فإنّها - أي: طبقات حقيقة أمير المؤمنين عليه الصّاعدة - أسماء إلهيّة، ك: (اسم الرّب) ... و(اسم الخالق)).

(٢) بحار الأنوار، ٢: ٩٥/ح ٣٥.

(٣) المصدر نفسه/ح ٣٦.

(٤) مختصر البصائر: ١٩٨/ح ١٧٩ - ٢٠.

والأرض فمنا وعنّا...»^(١).

ودلالته - كدلالة سوابقه - قد اتّضحت؛ فإنّه بعدما كانت طبقات حقائق أهل البيت (صلوات الله عليهم) الصّاعدة صفات وأسماء إلهيّة، منها: اسم: (العليم، واللّطيف، والنّافع، والنّور، والهادي، والرّشيد)، وكانوا (صلوات الله عليهم) هم الرّباط الأدنى، والسبب الحصري الفارد بين جملة العوالم وكافّة المخلوقات غير المتناهية، ووسائط الفيض الإلهي لطُرّ العوالم وسائر المخلوقات من بداية الخلقة والوجود إلى ما لا نهاية له كانوا (صلوات الله عليهم) محيطين بجملة العلوم والمعارف الحقّة غير المتناهية؛ الصّادرة من الدّات الإلهيّة الأزليّة المقدّسة، ولا يشدّ عنهم شيء، ومن ثمّ كلّ ما حوته وتحويه كافّة المخلوقات - منها: طبقات حقائقهم (صلوات الله عليهم) المتوسطة والنّازلة، وطبقات حقيقة القرآن الكريم الصّاعدة (الروح الأمري)، وهو مخلوق مهول وعظيم جدّاً، وطبقات حقيقة جبرئيل عليه السلام - وفي كلّ العوالم والنّشآت، من بداية الخلقة والوجود إلى ما لا نهاية له من علوم ومعارف وعقائد حقّة لا يكون إلّا ببركة ضخّ طبقات حقائقهم (صلوات الله عليهم) الصّاعدة لتلك العلوم والمعارف والعقائد. وإلّا - أي: ما حوته المخلوقات من غير طريق وصراط أهل البيت (صلوات الله عليهم) - فزيغ وجهل وضلال وغواية وانحراف ليس إلّا، فالتفت واغتتم تربت يداك.

وعلى طرز هذه البيانات الوحيانيّة وردت بيانات وحيانيّة وافرة وباهرة

(١) بحار الأنوار، ٢٥: ٢٤/ح ٤١.

أخرى، منها :

أولاً: بيان سيّد الأنبياء ﷺ: «أنا مدينة العلم، وَعَلِيّ بابها، وهل تُدخل المدينة إلا من بابها...»^(١).

ثانياً: بيانه ﷺ أيضاً: «أنا مدينة الفقه، وَعَلِيّ بابها»^(٢).

ثالثاً: بيانه ﷺ أيضاً: «أنا مدينة الحكمة، وَعَلِيّ بابها، فَمَنْ أَرَادَ الحكمة فليأت الباب»^(٣).

رابعاً: بيانه ﷺ أيضاً، مخاطباً أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): «... يا عَلِيّ، أَنْتَ بابي الَّذِي أُوتِي مِنْهُ، وَأَنَا بابُ اللَّهِ، فَمَنْ أَتَانِي مِنْ سِوَاكَ لَمْ يَصِلْ، وَمَنْ أَتَى سِوَايَ لَمْ يَصِلْ...»^(٤).

خامساً: بيانه ﷺ مخاطباً أمير المؤمنين صلوات الله عليه أيضاً: «... يَاعَلِيّ، مَا عَرَفَ اللَّهُ إِلَّا بِي ثُمَّ بِكَ...»^(٥).

سادساً: بيان الإمام الباقر عليه السلام: «... ولولانا ما عُرِفَ اللَّهُ، وأيمَ اللَّهِ، لولا وصيّة سبقت وعهد أخذ علينا لقلْتُ قولاً يعجب منه أو يذهل منه

(١) بحار الأنوار، ١٠: ١٢٠/ح ١. التوحيد: ٣١٩-٣٢٣. الأمالي: ٢٠٥-٢٠٨/المجلس: (الخامس والخمسون).

(٢) إحقاق الحق، ٥: ٥٠٥. تذكرة الخواص: ٢٦. كتاب الغدير، ٦: ٨١.

(٣) بحار الأنوار، ٢٣: ١٢٦/ح ٥٣ (مع اختلاف يسير). أمالي الصدوق: ١٦٢. إكمال الدين: ١٤٠. أمالي الطوسي، ٢: ٥١/ح ٢٤-١٠٥٥.

(٤) بحار الأنوار، ٤٠: ٢٠٤/ح ١٠. تفسير فرات: ١٢.

(٥) بحار الأنوار، ٢٢: ١٤٨/ح ١٤١. كتاب سليم: ٢١٥-٢١٦.

الأولون والآخرين»^(١).

وكُلُّ هذه بيانات معارف إلهية دينية - وليست شرعية مختصة بالثقلين (الجنّ والإنس)^(٢) وبهذه النشأة الأرضية - كحال دين الإسلام وسائر معارفه وعقائده شاملة لطُرّ العوالم وكافة المخلوقات من بداية الخلقة إلى مالا نهاية له، فالتفت، واغتنم.

٢٦- بيان الإمام الصادق عليه السلام، عن أبي بكر الحضرمي، قال: «قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا أبا بكر، ما يخفى عليّ شيء من بلادكم»^(٣).

٢٧- بيانه عليه السلام أيضاً، عن عدّة من أصحابنا، فيهم عبد الأعلى وعبيدة ابن عبد الله بن بشر الخثعمي وعبد الله بن بشير، سمعوا أبا عبد الله يقول: «إني لأعلم ما في السماوات، وأعلم ما في الأرضين، وأعلم ما في الجنة، وأعلم ما في النار، وأعلم ما كان وما يكون. قال: ثم مكث هنيئة، فرأى أن ذلك كبر

(١) بحار الأنوار، ٢٥: ٤-٥/ح ٧. المحتضر: ١٢٩.

(٢) لا بأس بالالتفات في المقام إلى أنّ هناك تعابير دارجة في الفلسفات القديمة، وفي الفلسفات والعلوم الغربية عن بعض الكائنات الخفية - كالجنّ -، فإنّهم يُعبّرون عنها بـ: (الأرواح الخيرة) أو (الأرواح الشريرة) أو (الأرواح الماورائية)، لكنّها استعمالات مجازية، أو قُلّ استعمالات نسبية أو إضافية، فإنّها ليست أرواح محضة، وإنّما أجسام لطيفة، والأرواح المحضة مخلوقات مهولة جدّاً من عالم الأمر المُشار إليه في بيانات الوحي، منها:

بيان قوله جلّ قوله: ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الاسراء: ٨٥].

(٣) بصائر الدرجات، ٢: ٣٤٥/ح ١٥٧٦-٧.

على مَنْ سمعه، فقال: علمتُ من كتاب الله، إِنَّ الله يقول: «فيه تبيان كُلِّ شيء»^(١). (٢)

(١) بصائر الدرجات، ١: ٢٦٤/ح ٤٩٧ - ٥. الكافي، ١: ٣٦١/ح ٢.

(٢) يحذر صرف النظر في المقام إلى القضايا التالية:

القضية الأولى:

أحد معاني التَّقيَّة

إِنَّ للتَّقيَّةَ بالمعنى المعهود معاني عديدة، منها: المداراة، واللين، والأمن والاختفاء ومراعاة الحسِّ الأمني ومراعاة المنظومة العقلية الأمنية وعدم الصخب، والعمل والتَّغيير ببطء وحكمة وتودُّد.

وهذا المعنى يُعطي مساحة وقوَّة وقدرة للتَّغيير أكبر، بخلاف الاستعجال.

وإلى هذا تُشير بيانات الوحي، منها:

بيان الإمام الجواد (صلوات الله عليه) الوارد في ترقُّب ظهور الحُجَّة ابن الحسين (عليه السلام)، وظهور دولته المباركة: «... له غيبة تكثر أيامها، ويطول أمدُها؛ فيتظر خروجه المخلصون وينكره المرتابون، ويستهزئ بذكره الجاحدون، ويكثر فيها الوقَّاتون، ويهلك فيها المستعجلون، وينجو فيها المسلمون». بحار الأنوار، ٥١: ٣٠/ح ٤.

ودلالته قد اتَّضحت؛ فإنَّ الاستعجال خلاف التَّقيَّة المأمور بها شرعاً، وهو يكشف عن أنَّ صبر المُستعجل ضعيف، وتحمُّله قليل، فيكون تخطيطه وبناءه - لا سيما في التَّغيير الاجتماعي - ليس بالذَّكيِّ القويِّ الرَّصين الحكيم، بخلاف التَّقيَّة بهذا المعنى.

القضية الثانية:

التَّقيَّة لا يمكن قراءتها بعمقٍ إلَّا تحت مظلة القواعد الاعتقاديَّة

إِنَّ التَّقيَّةَ كبرنامج وكقاعدة ونظام فقهي في التَّغيير والاصلاح الاجتماعي لا يمكن قراءتها بعمقٍ وتفسيرها باتزانٍ إلَّا بعد أن تُقرأ تحت مظلة واشراف الأصول والقواعد الاعتقاديَّة، منها: قاعدة: «لا جبر ولا تفويض ولكن أمرٌ بين أمرين».

٢٨- بيانه عليه السلام أيضاً: «إِنَّ لِلَّهِ عِشْرَ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ عَالَمٍ، كُلُّ عَالَمٍ مِنْهُمْ أَكْبَرُ مِنْ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ وَسَبْعِ أَرْضِينَ، مَا يَرَى كُلُّ عَالَمٍ مِنْهُمْ: إِنَّ لِلَّهِ عَالَمًا غَيْرَهُمْ وَأَنَا الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ»^(١).

ودلالته - كدلالة سابقه - قد اتضحت.

٢٩- بيانه عليه السلام أيضاً: «لَوْ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ بِيَدِهِ لَمْ يَحْتَجَّ فِي آدَمِ

→ الْقَضِيَّةُ الثَّالِثَةُ:

لِلتَّقِيَّةِ حُدُودٌ وَمَوَازِينُ

كثيرٌ مِنَّا إنْ لزمته التَّقِيَّةُ فِي مَجَالٍ جَرَّهَ إِلَى سَائِرِ الْمَجَالَاتِ، وَهَذَا لَيْسَ بِالْأَمْرِ السَّدِيدِ، كَمَا نَبَّهَتْ عَلَيْهِ بَيَانَاتُ الْوَحْيِ، مِنْهَا: بَيَانُ الْإِمَامِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَما حَجَبَ مُحِبِّيهِ وَمَوَالِيهِ مِنْ أَهْلِ قَمٍ فِي خِرَاسَانَ عَنِ الدُّخُولِ عَلَيْهِ سِتِّينَ يَوْمًا، وَأَحَدَ مُمُورَاتِهِ عَلَيْهِمْ بَعْدَ أَنْ فَسَحَ لَهُمُ الْمَجَالَ: «... أَنْكُمْ ... تَتَّقُونَ حَيْثُ لَا يَجِبُ التَّقِيَّةُ، وَتَتْرَكُونَ التَّقِيَّةَ حَيْثُ لَا بُدَّ مِنَ التَّقِيَّةِ ...». بحار الأنوار، ٦٨: ١٥٧ - ١٥٩. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: ١٢٣ - ١٢٥. ومعناه: أَنَّ لِلتَّقِيَّةِ حُدُودٌ وَمَوَازِينُ.

الْقَضِيَّةُ الرَّابِعَةُ:

مَلَائِكَةُ بَابِ الْجِهَادِ وَوَلَايَةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إِنَّهُ لَا يُعْتَنَى فِي بَابِ الْجِهَادِ بِالضَّرَرِ النَّفْسِيِّ وَلَا بِالضَّرَرِ الْمَالِيِّ، وَلَا بِالضَّرَرِ عَلَى الْأَعْرَاضِ.

وَالنُّكْتَةُ: أَنَّ مَلَائِكَةَ بَابِ الْجِهَادِ: مَلَائِكَةُ وَلايَةِ اللَّهِ، وَوَلَايَةِ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَوَلَايَةِ سَائِرِ أَهْلِ الْبَيْتِ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ).

(١) مختصر البصائر: ٧٦/ ح ٤٧ - ٤٧. الخصال للصدوق: ٦٣٩/ ح ٢.

أنَّه خلقه بيده ...»^(١).

ودلالته قد اتَّضحت أيضاً؛ فإنَّ فيه إشارة معرفيّة إلى ما تقدّم؛ من أنَّ جملة العوالم وطُرَّ المخلوقات خُلقت بأيدي طبقات حقائق أهل البيت (صلوات الله عليهم) الصّاعدة في عالم السرد والأزل؛ عالم الصفات والأسماء الإلهيّة الحسني، ك: اسم: (الخالق) و(الباري) و(المصور).

٣٠- بيانه ﷺ أيضاً: «... أما والله، لو علموا كيف كان أصل الخلق ما اختلف إثنان»^(٢).

٣١- بيانه ﷺ أيضاً: «... أما لو علموا كيف كان بدؤ الخلق وأصله لَمَا اختلف إثنان»^(٣).

ودلالته - كدلالة سابقه - قد اتَّضحت أيضاً؛ فإنَّ طبقات حقائق أهل البيت (صلوات الله عليهم) الصّاعدة لَمَا كانت أوَّل الموجودات أُشْتُتَتْ وتجلَّت منها كافّة العوالم وجميع المخلوقات، ومن ثمَّ لو اطلَّعت المخلوقات على أصل خلقتها لَمَا حصل فيما بينها الاختلاف، وكانت بجملتها محبة وموالية لأصلها ومنبعها: أهل البيت صلوات الله عليهم.

وهذا ما تشير إليه بيانات الوحي الإلهي الأخرى، منها:

أَوَّلًا: بيان سيّد الأنبياء ﷺ مخاطباً أمير المؤمنين (صلوات الله عليه):

(١) بحار الأنوار، ٤: ١/ح ١.

(٢) المصدر نفسه، ٢: ١٣٢/ح ٢٣.

(٣) المصدر نفسه: ١٣٥/ح ٣٤.

«... يا عِليّ ... أنا وأنتَ أبوا هذه الأُمّة، فلعن الله من عقنّا...»^(١).

ودلالته واضحة؛ فإنّ معنى الأب: كُلُّ مَنْ كان سبباً في إيجاد الشيء وإصلاحه وظهوره، وإظهاره من ظلمات العدم إلى نور الوجود.

بعد الالتفات: أنّ عنوان: (أُمّة مُحَمَّد ﷺ)، المشار إليها في بيانه ﷺ: «أَبوا هذه الأُمّة» شامل لطُرّ العوالم وكافة المخلوقات؛ من بداية الخلقة إلى مالا نهاية له؛ لأنّها: (أُمّة الإسلام)، وهو شامل لجملة ذلك من بداية الخلقة إلى مالا نهاية له. فالتفت.

ثانياً: بيانه ﷺ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: «قلتُ لرسول الله ﷺ: أوّل شيء خلق الله تعالى ما هو؟ فقال: نور نبيّك يا جابر، خلقه الله ثُمَّ خلق منه كُلّ خيرٍ، ثُمَّ أقامه بين يديه في مقام القرب ما شاء الله، ثُمَّ جعله أقساماً: فخلق العرش من قسم، والكرسي من قسم، وحملته العرش وخزنة الكرسي من قسم، وأقام القسم الرابع في مقام الحبّ ما شاء الله، ثُمَّ جعله أقساماً: فخلق القلم من قسم، واللوح من قسم، والجنة من قسم، وأقام القسم الرابع في مقام الخوف ما شاء الله، ثُمَّ جعله أجزاءً: فخلق الملائكة من جزء، والشمس من جزء، والقمر والكواكب من جزء، وأقام القسم الرابع في مقام الرجاء ما شاء الله، ثُمَّ جعله أجزاءً: فخلق العقل من جزء، والعلم والحلم من جزء، والعصمة والتوفيق من جزء، وأقام القسم الرابع في مقام الحياء ما شاء الله، ثُمَّ نظر إليه بعين الهيبة فرشح ذلك النور وقطرت منه مائة ألف وأربعة وعشرون ألف قطرة؛ فخلق الله من كُلّ قطرة

(١) بحار الأنوار، ٣٦: ٥-٦/ح ٤.

روح نبيّ ورسول، ثُمَّ تنفّست أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفاسها أرواح الأولياء والشهداء والصالحين»^(١).

ثالثاً: بيانه ﷺ أيضاً: «... خلقنا الله نحن حيث لا سماء مبنية، ولا أرض مدحية، ولا عرش، ولا جنة ولا نار، وكنا نُسبّحه حين لا تسبيح، ونقدّسه حين لا تقديس، فكما أراد الله بدء الصنعة فتق نوري فخلق منه العرش، فنور العرش من نوري، ونوري من نور الله ... ثُمَّ فتق نور ابن أبي طالب فخلق منه الملائكة ... وفتق نور ابنتي فاطمة منه فخلق السموات والأرض ... ثُمَّ فتق نور الحسن فخلق منه الشمس والقمر ... ثُمَّ فتق نور الحسين فخلق منه الجنة والخور العين ...»^(٢).

ودلالته - كدلالة سابقه - واضحة أيضاً.

٣٢- بيانه عليه السلام أيضاً، عن المفضل بن عمر، قال: «... فقلتُ له: يا بن رسول الله، فعليّ بن أبي طالب عليه السلام يُدخل حُجّة الجنة ومبغضه النار أو رضوان ومالك؟ فقال: يا مفضل ... فعليّ بن أبي طالب عليه السلام إذا قسيم الجنة والنار عن رسول الله ﷺ، ورضوان ومالك صادران عن أمره بأمر الله (تبارك وتعالى)، يا مفضل، خذ هذا؛ فإنه من مخزون العلم ومكنونه، لا تخرجه إلا إلى أهله»^(٣).

٣٣- بيانه عليه السلام أيضاً: «ما من شيء ولا من آدمي ولا إنسي ولا جني،

(١) بحار الأنوار، ٢٥: ٢١-٢٢/ح ٣٧. رياض الجنان: (مخطوط).

(٢) بحار الأنوار: ٦/ح ٣٠.

(٣) المصدر نفسه، ٣٩: ١٩٤-١٩٦/ح ٥. علل الشرائع: ٦٥.

ولا ملك في السماوات إلا ونحن الحجاج عليهم، وما خلق الله خلقاً إلا وقد عرض ولايتنا عليه واحتج بنا عليه فمؤمن بنا وكافر وجاحد حتى السماوات والأرض والجبال الآية^(١).

ودلالته - كدلالة سابقه - قد اتضحت.

٣٤- بيانه عليه السلام أيضاً: « من صام أول يوم من شعبان... ومن صام ثلاثة أيام زاره الله في عرشه من جنته في كل يوم »^(٢).

ودلالته قد اتضحت أيضاً؛ فإن بيان قوله عليه السلام: « زاره الله » أي: زاره (اسم الله)، وهو مخلوق من مخلوقات عالم السرمد والأزل؛ عالم الصفات والأسماء الإلهية: طبقات حقائق أهل البيت (صلوات الله عليهم) الصاعدة، وهذا الاسم المقدس أحد طبقات حقائقهم (صلوات الله عليهم) الصاعدة، وحينئذ لا شبهة ولا إشكال، ولا يحتاج هذا البيان الوحياني الشريف إلى تأويل؛ وحمل على معانيه المجازية، كما كان ولا زال يفعل بمثل هذه البيانات الوحيانية وأشباهاها ونظائرها، فيعمدون ويحتالون عليها بكل ما أوتوا من قوة وصنعة؛ لقصور عقولهم، ولعدم تضلعهم ببيانات الوحي المعرفية، ويستخدمون معها أسلوب وآليات وصنعة المخالفين؛ أعداء أهل البيت (صلوات الله عليهم)؛ فيسقطون منها ألوف الآلاف عن الحجية إما من جهة سندها أو من جهة دلالتها من خلال الحمل

(١) بحار الأنوار، ٢٧: ٤٦ / ح ٧. السرائر: ٤٧٣.

(٢) من لا يحضره الفقيه، ٢: ٩٢ / ح ١٨٢٤.

على معانيها المجازية. فالتفت.

وهذا^(١) كالأول^(٢) قتل للمعارف الإلهية؛ معارف أهل البيت (صلوات الله عليهم) ليس إلا، وجناية وإضرار بدين الإسلام وبأهل البيت (صلوات الله عليهم) أعظم من دون قياس وأشنع من جناية وإضرار يزيد بن معاوية وجيشه (عليهم لعائن الله) بدين الإسلام وبأهل البيت (صلوات الله عليهم)، لأن هؤلاء قتلوا الأبدان وحرّموا أصحابها الحياة الدنيوية الزائلة، بخلاف أولئك؛ فإنهم يقتلون في كلّ لحظة أرواح وحقائق ومعارف وعقائد دين الإسلام وأهل البيت (صلوات الله عليهم)، ويقتلون الحياة الأخروية الأبدية الدائمة، فأبى جناية وإضرار وظلم لأهل البيت (صلوات الله عليهم)، وللمسلمين والمؤمنين، بل للبشرية جمعاء، بل لجملة المخلوقات، مشمولة ببيانات الوحي الدالة على ظلم أهل البيت (صلوات الله عليهم)، منها :

أولاً: إطلاق بيان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): «ما زلتُ مظلوماً، لقد ظلمتُ عدد المدر والوبر»^(٣).

ثانياً: إطلاق بيان الإمام الباقر (صلوات الله عليه): «... ثم لم نزل

(١) أي: إسقاط حُجّة بيانات الوحي المعرفية عن الاعتبار والحُجّة من خلال حمل ألفاظها على معانيها المجازية.

(٢) المراد من (الأول): إسقاط حُجّة بيانات الوحي المعرفية من خلال تضعيف سندها.

(٣) بحار الأنوار، ١٠٩: ٤٦.

أهل البيت نستذل ونستضام، ونقصي ونمتهن...»^(١).

ودلالتهما واضحة.

٣٥- بيان الإمام الكاظم عليه السلام، في تفسير بيان قوله تعالى: ﴿فَاكْتُنَّا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾^(٢) قال: نحن هم، نشهد للرُّسُل على أُممها^(٣).

٣٦- بيان الإمام الرضا عليه السلام: «... بنا يُمسك الله السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا، وبنا ينزل الغيث، وينشر الرِّحمة...»^(٤).

٣٧- بيان النَّاحِيَةِ الْمُقَدَّسَةِ^(٥): «... ونحن صنائع ربِّنا، والخلق بعد

(١) بحار الأنوار، ٤٤: ٦٨.

(٢) آل عمران: ٥٣.

(٣) بحار الأنوار، ٢٣: ٣٣٦/ح ٣. مناقب آل أبي طالب، ٣: ٤٠٣.

(٤) بحار الأنوار: ٣٥/ح ٥٩. كمال الدين: ١٧٧.

(٥) لا بأس بالالتفات في المقام إلى الأمور التالية:

الأمر الأوَّل:

تقدُّم حُجَّةِ الإمام المهدي عليه السلام ومقاماته الإلهية على حُجج ومقامات آبائه الثانية عليهم السلام الثَّابِت في بيانات أهل البيت (صلوات الله عليهم): أَنَّ كُلَّ إِمَامٍ أَبٌ مُقَدَّم في العلم والحُجِّيَّة والمقامات الإلهية على الإمام الابن إِلَّا الإمام الحُجَّةَ ابنَ الحسن عليه السلام، فَإِنَّهُ مُقَدَّم في جميع ذلك على آبائه الأئمة الثانية عليهم السلام.

فلاحظ: بيانات الوحي، منها:

أَوَّلًا: بيان سيِّد الأنبياء صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى اخْتَارَ ... من الحسين الأوصياء ... تاسعهم باطنهم ظاهرهم قائمهم، وهو أفضلهم». بحار الأنوار، ٢٥:

٣٦٣/ح ٢٢. المحتضر: ١٥٩ - ١٦٠.

→ ثانياً: بيانه ﷺ أيضاً، عن سلمان، قال: «كُنَّا مع رسول الله ﷺ والحسين بن عليٍّ ﷺ على فخذِه إذ تفرَّس في وجهه وقال: يا أبا عبد الله، أنت ... أبو أئمة تسعة، تاسعهم قائمهم إمامهم أعلمهم أحكمهم أفضلهم». بحار الأنوار، ٣٦: ٣٧٢. مقتضب الأثر: ١١.

ودلالته - كدلالة سابقه - واضحة.

بل علمه عجل الله تعالى فرجه وحُجَّتِه ومقاماته الإلهية أعظم من علم آبائه الثمانية ﷺ وحُججهم ومقاماتهم الإلهية .

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي، منها:

١- بيان سيّد الأنبياء ﷺ: «... لَمَّا عرج بي إلى السَّمَاء وبلغت سُدرة المنتهى ودَّعني جبرئيل عليه السلام ... ثُمَّ رُخَّ بي في النُّور ما شاء الله، وأوحى الله إليّ ... يا مُحَمَّد، ارفع رأسك؛ فإذا أنا بأنوار عليٍّ [في المصدر: (فرغتُ رأسي فإذا بأنوار عليٍّ وفاطمة)]، والحسن والحسين، وعليٍّ بن الحسين، ومُحمَّد بن عليٍّ، وجعفر بن مُحمَّد، وموسى بن جعفر، وعليٍّ بن موسى، ومُحمَّد بن عليٍّ، وعليٍّ بن مُحمَّد، والحسن بن عليٍّ، ومُحمَّد ابن الحسن الحُجَّة يتلأأ من بينهم [في المصدر: (يتلأأ وجهه من بينهم)] كأنه كوكب دُرِّي، فقلتُ: يا ربِّ، مَنْ هذا [في المصدر: (فقلتُ: يارب، ومن هؤلاء، ومن هذا؟)]، قال: يا مُحَمَّد، هم الأئمة من بعدك، المطهَّرون من صلبك، وهذا الحُجَّة الَّذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً...». بحار الأنوار، ٣٦: ٣٠١ - ٣٠٣/ح ١٤٠. ارشاد القلوب: ٢٧٢ - ٢٧٤.

٢- بيان الإمام الصادق عليه السلام، عن سدير الصِّيرفي، قال: «دخلتُ أنا والمُفَضَّل بن عمر وأبو بصير وأبان بن تغلب على مولانا أبي عبد الله جعفر بن مُحمَّد عليه السلام فرأيناه جالساً على التراب وعليه مسحٌ خيبريٌّ مطوَّق بلا جيب مقصَّر الكمين، وهو يبكي بكاء الواله الثكلي، ذات الكبد الحرَّى، قد نال الحزن من وجنتيه وشاع التغرُّ في عارضيه وأبلى الدُموع محجريه، وهو يقول: سيّدي! غيبتك نفث رقاقي وضَيَّقت عليَّ مهادي وأسرت مِنِّي راحة فؤادي، سيّدي، غيبتك أوصلت مُصابي ←

→ بفجائع الأبد وفقد الواحد بعد الواحد يفني الجمع والعدد، فما أحسّ بدمعة ترقى من عيني، وأنين يفتر من صدري عن دوارج الرزايا ... قال سدير: فاستطارت عقولنا ولها، وتصدّعت قلوبنا جزعاً من ذلك الخطب الهائل والحادث الغائل، وظننا أنه سمة لمكروهة قارعة أو حلّت به من الدهر بائقة، فقلنا: لا أبكي الله يابن خير الوري عينيك، من أيّ حادثة تستنزف دمعتك، وتستمطر عبرتك، وآية حالة حتمت عليك هذا المأتم. قال: فزفر الصادق عليه السلام زفرة، انتفخ منها جوفه، واشتدّ منها خوفه ...». بحار الأنوار، ٥١: ٢١٩-٢٢٣ / ح ٩. ودلالته - كدلالة سابقه - واضحة.

ومن ثمّ يُخاطبه والده الإمام الحسن العسكري (صلوات الله عليهما): «يا سيّد أهل بيته ...». بحار الأنوار، ٢٥: ١٦ / ح ١٤. ومعناه: أنّ له عجل الله تعالى فرجه سؤدد في ظلّ وجود أبيه عليه السلام وولايته، كحال ما حصل للنبي يوسف مع أبيه النبي يعقوب عليه السلام؛ فإنّه دعاه وإخوته ليهاجروا إلى مصر.

فانظر:

بيان قوله تعالى المقتصّ خبرهم: ﴿وَأُتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [يوسف: ٩٣].

وهذه ولاية أمرية.

وكذا بيان قوله تقدّس ذكر الحاكي لذلك الخبر: ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾ [يوسف: ٩٣].

الأمر الثاني:

حُصُولُ الْبَدَاءِ فِي مَهْدَوِيَّةِ ثَلَاثَةِ مِنْ أُمَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

ورد في شأن سيّد الشهداء (صلوات الله عليه) روايات عجيبة ومضامين عظيمة مصرّحة بأنّ المقدّر في علم الله ﷻ أنّ يكون عليه السلام هو مهدي آل محمد (صلوات

→ الله عليهم)، لكن المؤمنين توانوا وقصّروا في مسؤولياتهم من خلال عدم الإعداد وعدم التدبير الذكي، فأخّر مهدي آل محمد ﷺ إلى عهد الإمام الصادق عليه السلام؛ ليكون هو المهدي، لكن المؤمنين قصّروا كذلك في الإعداد والتدبير والتّهيب الفطن والذكي للنهضة المهدوية فأخّره الله ﷻ إلى عهد الإمام الكاظم عليه السلام؛ ليكون هو المهدي، فقصّروا أيضاً فأخّر هذا الأمر إلى الإمام الثاني عشر عليه السلام.

الأمر الثالث:

تشابه بين شؤون وأحوال النبي موسى والإمام المهدي عليه السلام

هناك شؤون وأحوال وملاحم كثيرة وردت في بيانات الوحي في حقّ النبي موسى عليه السلام مشابهة لشؤون الإمام الحجة ابن الحسن عليه السلام وأحواله وملاحمه، بل ورد أيضاً في شأن والدته عليها السلام أنّها شبيهة أمّ النبي موسى في كيفية خفاء الولادة.

فلاحظ: بيانات الوحي، منها:

بيان الإمام الصادق (صلوات الله عليه)، عن سدير الصيرفي، قال: «دخلتُ أنا والمفضل بن عمر وأبو بصير وأبان بن تغلب على مولانا أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام ... فقلنا: يابن رسول الله، كرّمنا وشرفنا بأشراكك إيانا في بعض ما أنت تعلمه من علم. قال: إنّ الله تبارك وتعالى أدار في القائم منّا ثلاثة أدارها في ثلاثة من الرسل: قدّر مولده تقدير مولد موسى عليه السلام، وقدّر غيبته تقدير غيبة عيسى عليه السلام، وقدّر إبطاء تقدير إبطاء نوح عليه السلام، وجعل من بعد ذلك عمر العبد الصالح أعني: الخضر دليلاً على عمره. فقلت: اكشف لنا يابن رسول الله عن وجوه هذه المعاني. قال: أمّا مولد موسى فإنّ فرعون لمّا وقف على أنّ زوال ملكه على يده أمر باحضار الكهنة، فدلّوه على نسبه وأنّه يكون من بني إسرائيل، ولم يزل يأمر أصحابه بشقّ بطون الحوامل من [نساء] بني إسرائيل حتّى قتل في طلبه نيّفاً وعشرين ألف مولود، وتعدّر عليه الوصول إلى قتل موسى؛ لحفظ الله تبارك وتعالى إياه. كذلك بنو أميّة وبنو العبّاس لمّا وقفوا على أنّ زوال ملكهم والأمراء والجبابرة منهم على يد القائم منّا ناصبونا العداوة، ووضعوا سيوفهم في قتل آل

→ بيت رسول الله ﷺ وإبادة نسله طمعاً منهم في الوصول إلى قتل القائم عليه السلام، ويأبى الله أن يكشف أمره لواحد من الظلمة إلى أن يتم نوره ولو كره المشركون...». بحار الأنوار، ٥١: ٢١٩-٢٢٣/ح ٩.

وهذا أحد الشواهد الدامغة والدالة على ضرورة خفاء ولادة الإمام الحجة عليه السلام، فإنه لما قرب زمان مجيئه حصل لدى السلطة العباسية استنفار عسكري خطير، وشدد على الإمامين العسكريين (صلوات الله عليهما)، وجعلاً سجينين عسكريين في أكبر قاعدة - آنذاك - عسكرية في سر من رأى، فلذا لقباً عليهما بـ: (العسكريين)، ولا يعقل مع هذا الاستنفار العسكري وغيره أن تكون ولادته عليه السلام في وضح النهار، إنه شيء ليس بالمنطقي، شبيه ولادة النبي موسى عليه السلام، فإنه لا يعقل أن تكون في العلن وفي مرأى ومسمع من فرعون وجنده وحاشيته، إنه أمر غريب.

وكأن من يثير التساؤلات عن ولادة الإمام الحجة عليه السلام يعيش في جو ودي ومحملي وخيالي، ولا يعيش الواقع الموضوعي، ولا يريد الاستقصاء والبحث عن الواقع، والتتبع ودراسة الوقائع بواقعية موضوعية.

الأمر الرابع:

نعمة وشرائط مجيء المنجي

إن ما ورد في بيان قوله تعالى، الوارد في حق بني إسرائيل: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٤٩] برهاناً وحيائياً متعرّض لشرائط المنجي والظهور والفرج الإلهي. ودال على أن مجيء المنجي نعمة إلهية عظيمة، ولعظمتها جعل الباري ﷻ فعل المنجي (النبي موسى عليه السلام) فعله تقدس ذكره.

الأمر الخامس:

بداية الإيمان العملي بالمهدي عليه السلام

أحد الجهات والشؤون المشتركة بين النبي يوسف والإمام المهدي عليه السلام

→ ورد في بيانات أهل البيت (صلوات الله عليهم): أَنَّ النَّبِيَّ يَوْسُفَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ صَرَبَهُ
الباري تعالى في قرآنه الكريم مثلاً للإمام المهدي عليه السلام.
وأحد الجهات والشؤون اليوسفيّة في النَّبِيِّ يَوْسُفَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والغاية منها مهدوية الإمام
الحُجَّة ابن الحسن عليه السلام.

فَقَوْلُهُ عَزَّ مِنْ قَائِلِ الْحَاكِمِي لِقَضِيَّةِ النَّبِيِّ يَوْسُفَ وَأَبِيهِ النَّبِيِّ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:
﴿وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِمْ وَقَالَ تَا أَسْفَى عَلَيَّ يَوْسُفَ وَأَبِيضْتُ عَيْنَاهُ مِنْ الْحُزْنِ
فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ * قَالُوا تَاللَّهِ تَقَاتَا تَذَكُّرُ يَوْسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنْ
الْمَالِكِينَ * قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا
تَعْلَمُونَ * يَا بَنِيَّ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رُوحِ
اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٤ - ٨٧] ناظر إلى
الإمام المهدي عليه السلام، وإلى مشروعه الذي سيأتي (إن شاء الله تعالى) ويُمكن في
الأرض، وبقي النَّبِيِّ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ طوال مدة غيبة النَّبِيِّ يَوْسُفَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ مرتبطاً به،
ويقظاً ومُستعداً للقاءه، ويعُدُّ العدة لإقامة دولته وتمكينه في الأرض، وكانت
إحدى غاياته هداية أولاده إلى نهج وهدى أخيهام النَّبِيِّ يَوْسُفَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ. وهذا هو
بداية الإيذان العملي بالمهدي (صلوات الله عليه).

إِذَنْ: أحد فلسفات دوام ذكر النَّبِيِّ يَعْقُوبَ لولده النَّبِيِّ يَوْسُفَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ: التذكير
بالنَّبِيِّ يَوْسُفَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ في زمان غيبته، وتجديد وتنشيط الارتباط به، وبمقامه
وبمشروعه الإلهي وأهميته.

وهذا هو بداية الإيذان العملي بالمهدي (صلوات الله عليه).

الأمر السادس:

المقصود الغائي من جملة من بيانات الوحي الواردة في حقِّ النَّبِيِّ عِيسَى وَيَحْيَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ
إِنَّ الْمَقْصُودَ الْغَائِيَّ مِنْ بَيَانِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نَكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا →

→ * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَارًا شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا * ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمُرُّونَ ﴿٢٩-٣٤﴾ [مريم: ١٢] وبيان قوله جل ذكره: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢] ليس النبي عيسى والنبي يحيى عليه السلام، بل أئمة أهل البيت الأربعة: الجواد والهادي والعسكري والحجة ابن الحسن (صلوات الله عليهم).

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي، منها:
بيان الإمام الباقر عليه السلام: «... فينا ضرب الله الأمثال في القرآن...». بحار الأنوار، ٢٤: ٢٣٢-٢٣٣/ح ١. الاحتجاج: ١٧٨.

ودلالته واضحة.

إذَنْ: استلم الأئمة الأربعة من أهل البيت (صلوات الله عليهم) في صباهم مهام الإمامة الإلهية، ونطقوا بمنطقها الإلهي اللدني الشمولي الهيمني، وبالحكم الإلهي والحكمة والحاكمة الإلهية، وأداروا شؤونها بقدرة وهيمنة إلهية، وباصطفاء إلهي، وبكفاءة ومقامات إلهية أعظم وأخطر من دون قياس مما مُتّع به النبي عيسى والنبي يحيى عليه السلام، فإن ما يُديره من مجتمع بني إسرائيل وشؤونهم بالقياس إلى ما يدره الإمام من أئمة أهل البيت (صلوات الله عليهم) قياس مع فارق غير متناهي؛ لأنّ دولة أهل البيت (صلوات الله عليه) تشمل جملة البشرية، بل كافّة العوالم ومخلوقات غير المتناهية، ويُديرون ملفّات مهولة ومُعقّدة بتوازن علمي ومعرفي جحفي وقممي وهيمني بديع وخطير ومهول جدًّا، ومن ثمّ تدكدكت أمام قوّتهم وقدرتهم وهيمنتهم الدولة العباسية العظمى، وخوى جبروتها وانهارت عظمتها، وظلّت ببركتهم (صلوات الله عليهم) طائفة الإمامية في زمن الحضور والغيبة مُترّصة، والمنافس القوي والعنيد، الصّاج لمضاجع الفراعنة والطواغيت ودول إبليس في كلّ زمان.

→ وهذه براهين وحيانيّة ومعطيات حضاريّة ماديّة وحسيّة دالّة بنفسها - من دون أيّ شائبة غلوّ - على أنّ الرّشاد عند هؤلاء الأئمّة الأربعة (صلوات الله عليهم) يفوق الرّشاد عند النّبّي عيسى والنّبّي يحيى عليهما السلام.

الأمر السّابع:

معنى (الغيب) و (غيبة الإمام المهدي عليه السلام) القرب والحضور غير المرئي هناك كثير من المسلمين فهم من معنى (الغيب): البعد والنّسي والاقصاء. والحقّ: أنّ معناه القرب والحضور غير المرئي المتواجد في عقر وجودات المخلوقات.

وعلى هذا قس غيبة الإمام الحجة ابن الحسن عليه السلام؛ فإنّ القول بأنّه عليه السلام - والعياذ بالله تعالى - نائي عن شؤون البشر وما يحصل في السّاحة الدولية، وقاصي ومُجمّد النشاط، ولا يُدبّر ولا يُدير أمور البشر نوع تعطيل وجحود لإمامة وولاية أهل البيت عليهم السلام الإلهيّة؛ وإن كان تعطيلاً وجحوداً خفياً.

الأمر الثامن:

المراد من (نفي المشاهدة) في زمن الغيبة

المراد من نفي المشاهدة الوارد في بيان التّوقيع المبارك عن النّاحية المقدّسة: «... وسيأتي من شيعتي مَنْ يدّعي المشاهدة، ألا فمَنْ ادّعى المشاهدة قبل خروج السفينائي والصّيحة فهو كذابٌ مفتر...». [بحار الأنوار، ٥٢: ١٥١/ح ١. غيبة الشّيخ: ٢٥٧. كمال الدّين، ٢: ١٩٣]: أنّ مَنْ يدّعي في زمن الغيبة الكُبرى إلى زمان الصّيحة أنّ لديه صفة رسميّة في الارتباط بصاحب العصر والزّمان عليه السلام؛ سواء أكان ذلك الارتباط واقع تحت عنوان (سفارة) أو (نيابة خاصّة) أو (وساطة) أو (وكالة عنه عليه السلام) فيجب على المُكلّف تكذيبه.

وقد أفتى - من دون تردد - جمهرة من علماء وفقهاء الإماميّة - كالكليني وابن النوبختي وسعد بن عبد الله الأشعري وابن قولويه والنعماني - صاحب كتاب →

→ الغيبة - والصدوق والمفيد والمرضى والطوسي - على مَنْ يدَّعي هذا النمط وهذه الدرجة من الارتباط بمروقه عن الإيمان، وكفره به، وخروجه عن فرقة الإمامية الاثني عشرية، ومروقه عن ولاية أهل البيت (صلوات الله عليهم). وسرّ هذا الحكم: أَنَّ كثيراً مِمَّنْ ادَّعوا النيابة - كالبائية - آل بهم المطاف إلى المروق عن ظاهر الاسلام فضلاً عن واقع الإسلام.

ثُمَّ إِنَّ بطلان هذا النحو والنمط من الارتباط يمتد من زمن نهاية الغيبة الصغرى إلى زمن الصيحة، والتي تسمّعها بشكلٍ إعجازيٍّ ومذهل جملة شعوب البشر وكافة أفرادها كُلِّ بلغته الخاصة، وموعدها في أوّل شهر رجب، وتمتد إلى العاشر من المحرم الحرام قبل الظهور بستة أشهر، وهي تُعبّر عن نهاية النهاية للغيبة الكبرى، وبداية الظهور الأصغر، فإنّه بعد الصيحة يكون ظهورٌ اصغرٌ يكون للإمام الحجة ابن الحسن (عليه السلام) فيه نوابٌ خاصون مخفيون.

الأمر التاسع:

إرتباط النفوس بالإمام المهدي (عليه السلام) وبمشرّعه أحد الأسرار العظيمة وشرائط الظهور إنّ أحد الأسرار العظيمة لتعجيل الظهور وقيام المشروع المهدي والفرج العام: إرتباط النفوس والقلوب إرتباطاً وطيداً بالمصلح الأكبر (صاحب العصر والزمان (عليه السلام))، وهذا الإرتباط لا بُدَّ أَنْ يكون ماثلاً بين يدي المكلف، ويكون ناصحاً ومُضحياً لمشرّعه وبرنامجه (عليه السلام)، بعد إصلاح النفس بالتقوى والورع. هذا هو شرط الظهور الأصلي، والعلامة الأصلية والمائزة لصاحب الإرتباط الوطيد، لكنّه مغفول عنه لدى الكثير، وهذا نحو تولي وإصلاح في النفوس، خلافاً لحالة الإعراض والعزوف، فإنّها نحو تبرّي وانحطاط في النفوس.

وَمِنْ ثَمَّ تتّضح: فلسفة ونكتة ما ورد في بعض بيانات روايات أهل البيت (عليهم السلام) من أَنَّ البارئ سبحانه وتعالى بَدَّ في مهدوية بعض الأئمة (عليهم السلام)؛ وذلك لعدم إرتباط قلوب المؤمنين وأرواحهم ونفوسهم إرتباطاً وثيقاً بهم (عليهم السلام)، وبالتالي لم تتحقّق ←

→ كفاءة المؤمنين، فبيان قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] شامل: لأصل التَّغْيِيرِ، ودرجته، وكميته، وكيفيته، ومساحته، وهو مرهون بما يحدثه المؤمنون في نفوسهم من تولي وانضباط والتزام بمحور الولاية.

وصرف المعرفة الفضفاضة كشعار لا تكفي.
وهنا تكمن فلسفة: (البداء)، و(الأمر بين الأمرين)، و(الإمامة)، و(المهدوية)؛ فإنَّ البارئ سبحانه لا يغالب على إرادته، فلا يُعَيَّرُ مراحل التَّغْيِيرِ، بل ولا درجة مساحة التَّغْيِيرِ وكميته وكيفيته، وجميع ذلك مرهون بتحمُّل المسؤولية، وبما يحدثه المؤمنون في نفوسهم من تولي وتغيير وانضباط والتزام بمحور الولاية، وبالتعلق بالإمام المهدي (عليه السلام)، فإنَّ المشروع المهدوي ضخيم عظيم العبء.
وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي، منها:

بيان دعاء الندبة: «... أَيْنَ الْمُعَدُّ لِقَطْعِ دَابِرِ الظُّلْمَةِ، أَيْنَ الْمُنْتَظَرُ لِإِقَامَةِ الْأُمِّمِ وَالْعَوَجِ، أَيْنَ الْمُرْتَجَى لِإِزَالَةِ الْجُورِ وَالْعُدْوَانِ، أَيْنَ الْمُدَّخِرُ لِتَجْدِيدِ الْفَرَاثِضِ وَالسُّنَنِ، أَيْنَ الْمُتَخَيَّرُ لِإِعَادَةِ الْمِلَّةِ وَالشَّرِيعَةِ، أَيْنَ الْمُؤَمَّلُ لِإِحْيَاءِ الْكِتَابِ وَحُدُودِهِ، أَيْنَ مُحْيِي مَعَالِمِ الدِّينِ وَأَهْلِهِ، أَيْنَ قَاصِمِ شَوْكَةِ الْمُعْتَدِينَ، أَيْنَ هَادِمِ أَبْنِيَةِ الشَّرْكِ وَالنِّفَاقِ، أَيْنَ مُبِيدِ أَهْلِ الْفُسُوقِ وَالْعَصِيَانِ وَالطُّغْيَانِ، أَيْنَ حَاصِدِ فُرُوعِ الْغِيِّ وَالشَّقَاقِ، أَيْنَ طَامِسِ آثَارِ الزَّيْغِ وَالْأَهْوَاءِ، أَيْنَ قَاطِعِ حِبَائِلِ الْكَذِبِ وَالْإِفْتِرَاءِ، أَيْنَ مُبِيدِ الْعُنَاةِ وَالْمُرْدَةِ، أَيْنَ مُسْتَأَصِلِ أَهْلِ الْعِنَادِ وَالْتِزْلِيلِ وَالْإِلْحَادِ، أَيْنَ مُعِزِّ الْأَوْلِيَاءِ وَمُذِلِّ الْأَعْدَاءِ، أَيْنَ جَامِعِ الْكَلِمَةِ عَلَى التَّقْوَى، أَيْنَ بَابِ اللَّهِ الَّذِي مِنْهُ يَوْتَى، أَيْنَ وَجْهِ اللَّهِ الَّذِي إِلَيْهِ يَتَوَجَّهُ الْأَوْلِيَاءُ، أَيْنَ السَّبَبِ الْمُتَّصِلِ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، أَيْنَ صَاحِبِ يَوْمِ الْفَتْحِ وَنَاشِرِ رَايَةِ الْهُدَى، أَيْنَ مُؤَلِّفِ شَمْلِ الصَّلَاحِ وَالرِّضَا...».

بحار الأنوار، ٩٩: ١٠٤ - ١١٠. مصباح الزائر: ٢٣٠ - ٢٣٤. المزار الكبير:

→ وهذا الدعاء عبارة عن بيان متتدي لتوطيد العلاقة والرَّابطة القلبية والروحية والنفسية بين المؤمنين وإمامهم الحجة ابن الحسن (عليه السلام)، والمربية على أقصى مراتب الفداء والنصيحة له (صلوات الله عليه).

الأمر العاشر:

جملة بنود دعاء النُذبة دورة عقائدية

إنَّ كُلَّ بنود وسلسلة ومنظومة (دعاء النُذبة) دورة عقائدية كاملة، فيها: التوحيد، والنُّبوة والرسالة، والإمامة والوصايا، والظهور، والمعاد والرجعة، ومحورية مهديّة صاحب العصر والزَّمان (عليه السلام)، ومحورية تجسّد جدّه سيّد الأنبياء (عليه السلام)، وتمثّل: جدّه أمير المؤمنين وجدّته فاطمة الزَّهراء وسائر أجداده وآبائه الكرام (صلوات الله عليهم).

الأمر الحادي عشر:

شعار دعاء النُذبة الأول كيفية الارتباط بالإمام المهدي (عليه السلام) وبمشروعه

إنَّ لدعاء: (النُذبة) علاقة واضحة بصاحب العصر والزَّمان (عليه السلام)، وشعاره وعنوانه الأول: كيفية ارتباط المخلوق به (عليه السلام) وبمشروعه الإلهي، وكيفية تكون المسؤولية إتحاها (عليه السلام) واتجاه مشروعه الإلهي، وكيفية الإنتماء في هذا التنظيم الولائي والعقائدي والسياسي والعسكري والأمني والمخابراتي والإقتصادي والتجاري وهلمَّ جرّاً، ورؤساء هذا التنظيم: (أصحاب الدائرة الإصطفائية الأولى؛ الأربعة عشر معصوماً (صلوات الله عليهم)، فهم شبكة كاملة قائمة على قدم وساق في تنظيم الدولة الإلهية.

وهناك مباحث تأتي (إن شاء الله تعالى) مرتبطة بهذه المنظومة الإلهية وبهذا التنظيم الإلهي وتنظيم رؤساؤه المعصومين أصحاب الدائرة الإصطفائية الأولى (صلوات الله عليهم).

→ موقعية أصحاب الدائرة الإصطفائية الثانية في الدولة الإلهية

ثُمَّ إِنَّهُ تَأْتِي بَعْدَ أَصْحَابِ هَذِهِ الدَّائِرَةِ فِي التَّنْظِيمِ وَالْمَسْئُولِيَّاتِ وَالْإِدَارَةِ قِيَادَاتٍ أُخْرَى، وَهُمْ أَصْحَابُ الدَّائِرَةِ الْإِصْطِفَائِيَّةِ الثَّانِيَةِ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ.

تَصَرُّفَاتِ أَصْحَابِ الدَّائِرَةِ الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ فِي عَالَمِ الدُّنْيَا الْأُولَى وَهُمْ فِي عَالَمِ الْبَرَزَخِ وَأَصْحَابِ كِلَا الدَّائِرَتَيْنِ وَإِنْ رَحَلُوا إِلَى عَالَمِ الْبَرَزَخِ لَكِنَّهُمْ لَا يَتْرَكُونَ أَدْوَارَهُمْ وَمَسْئُولِيَّاتَهُمْ لِنَشَاتِنَا الْأَرْضِيَّةِ هَذِهِ وَهُمْ فِي ذَلِكَ الْعَالَمِ، وَلَا يَتْرَكُونَ هَذَا التَّنْظِيمَ وَشَبَكَاتِهِ.

الأمر الثاني عشر:

غيبة الإمام المهدي ﷺ غيبة خفاء عنوان

إِنَّ مَعْنَى مَا وَرَدَ فِي دَعَاءِ الثُّدْبَةِ لِصَاحِبِ الْعَصْرِ وَالزَّمَانِ ﷺ: «بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ نَازِحٍ» لَيْسَ نَزُوحٌ وَابْتِعَادٌ عَنِ الْوُجُودِ وَالتَّوَاجُدِ، بَلْ نَزُوحٌ وَابْتِعَادٌ عَنِ الْإِدْرَاكِ وَالْإِلْتِفَاتِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَهَذَا مَا صَرَّحَ بِهِ بَعْدَ ذَلِكَ نَفْسُ هَذَا الْبَيَانِ الشَّرِيفِ بِقَوْلِهِ: «مَا نَزَحَ عَنَّا». بحار الأنوار، ٩٩: ١٠٤ - ١١٠. مصباح الزائر: ٢٣٠ - ٢٣٤.

وَهَذَا مَعْنَى عَظِيمٌ وَخَطِيرٌ، يُفَلِّسُ مَعْنَى غَيْبَةِ الْإِمَامِ الْحُجَّةِ ابْنِ الْحَسَنِ ﷺ، وَأَنَّهَا غَيْبَةُ خَفَاءٍ عُنْوَانٍ، وَلَيْسَتْ غَيْبَةُ تَوَاجُدٍ.

الأمر الثالث عشر:

الْإِمَامُ الْمَهْدِيُّ وَدَوْلَتُهُ تَهْدِي لِدَوْرِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ ﷺ وَدَوْلَتِهِ فِي بَدَايَةِ عَالَمِ الرَّجْعَةِ إِنَّهُ سَيَأْتِي بَعْدَ الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ ﷺ وَدَوْلَتِهِ الْإِمَامُ الْحُسَيْنِ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ) وَدَوْلَتُهُ، فَالْإِمَامُ الْمَهْدِيُّ ﷺ وَدَوْرُهُ وَدَوْلَتُهُ مُمَهِّدٌ لِكَمَالِ وَدَوْرِ وَدَوْلَةِ أَعْظَمٍ، وَهُوَ دَوْرُ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ ﷺ وَدَوْلَتُهُ فِي عَالَمِ الرَّجْعَةِ، وَالْإِمَامُ الْحُسَيْنِ ﷺ وَدَوْرُهُ وَدَوْلَتُهُ مُمَهِّدٌ لِكَمَالِ وَدَوْرِ وَدَوْلَةِ أَعْظَمٍ وَأَخْطَرٍ وَهُوَ دَوْرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ وَدَوْلَتُهُ فِي عَالَمِ الرَّجْعَةِ، وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ يُرَبِّي الْبَشَرِيَّةَ بَعْدَ رَجُوعِهِ وَإِقَامَةَ دَوْلَتِهِ الْإِلَهِيَّةِ كَرَّاتٍ →

→ ومَرَات وَيَعِدُّهَا لَكِي تَسْتَأْهِلَ لِأَعْظَمِ دَوْلَةٍ إِلَهِيَّةٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ فِي عَالَمِ الرَّجْعَةِ،
وهي دَوْلَةُ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ.
الأمر الرابع عشر:

النيابة الخاصة كالنيابة العامة ثابتة في أزمنة جملة أئمة أهل البيت ﷺ

النيابة الخاصة مقام خاص، وظنَّ الكثير أنَّها من مختصات زمن الإمام الحجة ابن الحسن ﷺ في زمن الغيبة الصغرى.

والحقُّ: أنَّها ثابتة في أزمنة كافة الأئمة ﷺ؛ من سيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ إلى الإمام الثاني عشر (صلوات الله عليه)، فسلمان، وأبو ذر، وعَمَّار، والمقداد وحذيفة وجابر بن يزيد الجعفي والمُفَضَّل بن عمر وغيرهم نواب خاصين لإمام زمانهم، بل العمرِّيَّان لم يكونا تائبين خاصين عن الإمام الحجة ابن الحسين ﷺ فحسب، بل وكانا وكيلين ونائبين خاصين أيضاً عن الإمامين العسكريين ﷺ.

والنيابة الخاصة نحو ارتباط رُوحِي مع المعصوم ﷺ وهي على درجات.

بل مقام الفقهاء كنواب عامين عن الإمام ﷺ لم يبدأ مع بداية الغيبة الكبرى - كما ظنَّه البعض - وإنَّما هو ثابت في زمن كلِّ إمامٍ أيضاً؛ من زمن سيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ، وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي، منها:

بَيَانُ قَوْلِهِ عَزَّ ذَكَرَهُ الْوَاردُ فِي آيَةِ الْنَفَرِ: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا
نَفِيرٌ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ
لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

ودلالته واضحة.

إِذَنْ: لِلْمَعْصُومِ ﷺ أَجْهَزَةٌ وَوَزَارَاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ، لَا اصْطِكَاكَ وَلَا تَصَادُمَ بَيْنَهَا، وَمَنْ يَظُنُّ خِلَافَ ذَلِكَ فَقَدْ ارْتَطَمَ بِهِمْ شَنِيعٌ.

وهذه البحوث لم تكن مبلورة عند كثيرٍ مِمَّنْ خَاضَ فِي الْأَبْحَاثِ الْمَهْدُويَّةِ، نَعَمْ التَفَتَ إِلَيْهَا جَمَلَةٌ مِنْ كُبَّارِ عِلْمَائِنَا الْأَبْرَارِ مِمَّنْ خَاضَ فِي بَحْوثِ الْغَيْبَةِ؛ وَبَحْوثِ مَعْرِفَةِ الْعَقِيدَةِ الْمَهْدُويَّةِ، وَكُبَّارِ عِلْمِ الْفَقْهِ وَالرِّجَالِ.

→ الأمر الخامس عشر:

لنَوَّاب الأربعة في زمن الغيبة الصغرى شبكة نَوَّاب

إنَّه من الواضح: أَنَّ النُّوَّاب الخاصِّين والمباشرين لصاحب العصر والزمان (ع) في زمن الغيبة الصغرى أربعة، لكن هؤلاء الأربعة شبكة نواب ضمن دوائر طولية، أُطلق عليهم عنوان: (السُّفراء) أيضاً، لكن نيابتهم وسفارتهم بالواسطة. وقد ذكرهم الشَّيخ الطوسي في كتاب الغيبة، والنعماني في كتاب الغيبة، والصدوق في كتاب اكمال الدِّين وغيرهم من كُبَّار رجالات مدرسة أهل البيت (صلوات الله عليهم) تحت عنوان (السفراء الممدوحين)، وعددهم بالعشرات. إذن: الدائرة المركزية لنَوَّاب الحُجَّة ابن الحسن (ع) أربعة فقط، والدائرة الثانية والثالثة بالعشرات.

الأمر السادس عشر:

عدم اختصاص بطلان دعوى النيابة والسفارة الخاصَّة بزمان الإمام المهدي (ع) إنَّ بطلان دعوى السَّفارة والنيابة الخاصَّة والمُثَلِّية والوساطة الرِّسميَّة للمعصوم لا يختصُّ بالإمام الحُجَّة ابن الحسن (ع)، بل يشمل الباري (ع)، وسَيِّد الأنبياء (ص) وسائر أهل البيت (صلوات الله عليهم)، فلا يجوز لأحد أن يدَّعي أنَّ له مع الله تعالى أو مع سَيِّد الأنبياء (ص) أو مع سائر أهل البيت (صلوات الله عليهم) سفارة أو نيابة خاصَّة أو مُثَلِّية أو وساطة رسمية.

الأمر السابع عشر:

دليل جواز تقليد الفقهاء في زمن الغيبة

إنَّ ما ورد في بيان التَّوَقُّع الشَّريف عن مولانا الحُجَّة ابن الحسن (ع)، الدَّال على حُجِّيَّة تقليد الفقيه الجامع للشرائط في زمن الغيبة: «... وأما الحوادث فارجعوا فيها إلى رواية حديثنا؛ فإنَّهم حُجَّتِي عليكم، وأنا حُجَّة الله عليهم...» [بحار الأنوار، ٥٣: ١٨٠-١٨٢] وإنَّ ورد في كتاب الإحتجاج برواية مرسلة، لكنَّه ورد

→ في كتاب الغيبة للشيخ الطوسي وغيره برواية صحيحة السند، فقد رواها: عن جماعة، عن ابن قولويه وأبي غالب الزراري وغيرهما، عن الكليني، عن اسحاق بن يعقوب.

بل نيابة الفقهاء وجواز الأخذ بقولهم وتقليدهم ثابتة في بيانات القرآن الكريم، منها:

بيان قوله تعالى ذكره: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً﴾ [المائدة: ٤٤].

بتقريب: أَنَّ كلمة (الرَّبَّانِيُّونَ) و(الأحبار) عطف على كلمة (النَّبِيُّونَ) فيأخذان حكمها إلا ما خرج بالدليل. والأحبار هم علماء وفقهاء بني إسرائيل. فيكون بيان الآية الكريمة قد جَوَزَ حكمهم وفتواهم وعمل سائر المُكَلَّفِينَ بهما. ولا يوجد فارق بين فقهاء المسلمين لاسيما في زمن الغيبة وأحبار وفقهاء بني إسرائيل من هذه الجهة. فيكون بيان الآية الكريمة برهاناً وحياناً دالاً على جواز العمل بفتوى الفقيه في زمن الغيبة وتقليده.

الأمر الثامن عشر:

دور الفقهاء فريضة إلهية فرضها الباري تعالى في نظم الدولة الإسلامية

إمكان اجتماع النيابة الخاصة مع النيابة العامة

لكل من نواب الإمام (عليه السلام) الخاصين والعامين تخصّصه

إِنَّ ما ورد عن النَّائب الثالث الحسين بن روح النوبختي في زمان الغيبة الصغرى، حينما أرسل إلى فقهاء قم في ذلك الزمان كتابه الذي روى فيه روايات عن الأئمة السابقين؛ ليلاحظوها ويبدوا آرائهم فيها دليل على أَنَّ كلاً من نواب الإمام الخاصين ونوابه العامين له تخصّصه. ودليل أيضاً على إمكان اجتماع النيابة العامة ←

صنائعنا»^(١).

ودلالة الجميع قد اتضحت، ولا غبار ولا شائبة عليها.

المقدمة الرابعة:

رأس هرم حقائق أهل البيت عليهم السلام الصاعدة فوق الصفات والأسماء الحسنى

إنَّ الصِّفَاتِ والأَسْمَاءِ الإِلَهِيَّةَ الحَسَنَى المعروفة لدينا وإنْ ثبت في المُقَدِّمة الثالثة: أنَّها طبقات حقائق أهل البيت (صلوات الله عليهم) الصَّاعِدَةُ بالبيان المُتَقَدِّم وما سيأتي (إنْ شاء الله تعالى) في المسائل والأبحاث التالية،

→ مع النيابة الخاصَّة في زمانٍ واحدٍ، فمع وجود النَّائب الخاصِّ للإمام عليه السلام والمرتبطة به عليه السلام ارتباطاً روحياً لا يُلغى دور النَّواب العامِّين - الفقهاء - بل دورهم ثابت منذُ صدر الإسلام إلى يوم القيامة؛ بدليل آية النفر. [التوبة: ١٢٢].
إذَنْ: دور الفقهاء فريضة إلهية فرضها الباري سبحانه وتعالى في نُظْم الدَّولة الإسلامية لم تُنسخ، ومن ثَمَّ لا يتخطَّأها سيّد الأنبياء صلوات الله عليه فضلاً عن سائر أهل البيت (صلوات الله عليهم).

الأمر التاسع عشر:

خروج السفيناني وإن كان أمراً محتوماً لكنه قابل للبداء

إمكانية تفتيت مشروع السفيناني إن قام المؤمنون بالمسؤولية

ورد في بيانات روايات أهل البيت عليهم السلام: أنَّ السفيناني من المحتوم، لكن فيه البداء. ومعناه: أنَّ المؤمنين إنْ تحمَّلوا المسؤولية وقاموا بها فسيَمَتَّوا فقرات مشروع السفيناني ويؤدوه في مهده.

(١) بحار الأنوار، ٥٣: ١٧٨/ح ٩.

لكنّها ليست رأس هرم طبقات حقائقهم (صلوات الله عليهم) الصّاعدة، بل رأس هرم طبقات حقائقهم ﷺ الصّاعدة وراء وفوق ذلك. كحال حقيقة سائر البشر؛ فإنّها لا تكمن في النّفس، ولا في طبقات الرّوح؛ فلا تكمن في طبقة العقل، ولا في طبقة القلب، ولا في طبقة السرّ، ولا في طبقة الخفي، ولا في طبقة الأَخْفَى، وإنّا وراء وفوق ذلك، ومهيمنة عليها هيمنة اللطيف على الأعلاظ.

وللتوضيح أكثر: لاحظ المُقدّمتين التاليتين:

الأوّل: أنّه تقدّم في المُقدّمة الأولى من بيان لضرورة دينيّة وشرعيّة، وعند كافّة الفرق الإسلاميّة، وبالبيانات الوحيانيّة البالغة فوق التواتر اللفظي والعقلي والوحياني: أنّ رأس هرم جملة المخلوقات وأوّها وأشرفها وأكملها وأقربها على الإطلاق لِلذّات الإلهيّة الأزليّة المقدّسة: طبقات حقائق أهل البيت ﷺ الصّاعدة.

الثّانية: تقدّم أيضاً في المُقدّمة الثّانية: ذكر بيان للإمام الصادق عليه السلام المُصرّح بـ: أنّ وراء وفوق أُسس وأصول وأركان الأسماء الإلهيّة الأربعة، وهي: (هو - وهو الاسم المكنون المخزون -، واللّه، وتبارك، وسبحانه - خ. ل: تعالى -): أنّ هناك حقيقةً مخفيّةً، مهولةً وخطيرةً جدّاً، وإسمًا إلهيًا مخفيًا: «بالحروف غَيْرَ منعوّ، وباللفظ غَيْرَ مُنطَق، وبالشّخص غَيْرَ مُجسّد، وبالتّشبيه غَيْرَ موصوف، وباللون غَيْرَ مصبوغ، منفي عنه الأقطار، مُبعد عنه الحدود، مُحجوبٌ عنه حِسُّ كُلِّ مُتَوَهّم، مُستترٌ غَيْرَ مَسْتُور».

والنتيجة: أنّ طبقات حقائق أهل البيت ﷺ الصّاعدة لا تنتهي

بالصفات والأسماء الإلهية الحسنى المعروفة، والمُصرَّح بها في بيانات الوحي .
بل أنَّه (صلوات الله عليه) لم يذكر في بيانه الشريف هذا: أنَّ ذلك
الاسم الإلهي المخفي هو أوَّل المخلوقات ورأس هرمها، وأبقى (صلوات
الله عليه) الباب مفتوحاً لمخلوقات مكرَّمة (طبقات حقائق أهل البيت عليهم السلام
الصَّاعدة) وراء ذلك الاسم، أرفع شأنًا، وأعلى مقامًا، بل وراء جملة
المخلوقات وفوقها ومُهيَّمنة عليها.

[نكتة توقّف المخلوق في قبول مقامات وكمالات أهل البيت عليهم السلام]

ثُمَّ إِنَّهُ مَنْ يَتَوَقَّفُ فِي قَبُولِ مَقَامَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ (صلوات الله عليهم)
وكمالاتهم وشؤونهم - بعد قيام الدليل القطعي عليها - أو يتردّد فيها فضلاً
عن مَنْ يُنْكِرُهَا فَلْيَعْلَمْ - بل ليراجع نفسه فسيجد - أنَّ منشأ ذلك أحد أمور
ثلاثة لا رابع لها، وإلاّ فتسويلات شيطانية؛ فَإِنَّهُ:

إِمَّا أَنْ يَكُونَ مَنْشَأُ تَوَقُّفِهِ وَتَرَدُّدِهِ وَإِنْكَارِهِ (والعياذ بالله تعالى) في
فاعليّة الباري (تبارك وتعالى)، كمعتقد اليهود.

وإِمَّا أَنْ يَكُونَ - منشأ تَوَقُّفِهِ وَتَرَدُّدِهِ وَإِنْكَارِهِ - (والعياذ بالله تعالى) في
قابليّة واستعداد واستحقاق طبقات حقائق أهل البيت صلوات الله عليهم،
كمعتقد المَقْصِّرة وبعض النواصب.

وإِمَّا أَنْ يَكُونَ - منشأ تَوَقُّفِهِ وَتَرَدُّدِهِ وَإِنْكَارِهِ - (والعياذ بالله تعالى)
جهلاً بهم (صلوات الله عليهم)، أو حسداً لهم، أو حقداً أو تكبراً عليهم،
كحال إبليس والبعض الآخر من النواصب.

وهذا كالأول والثاني إلحاد وكفر جلي، لا يُتقي ولا يذر؛ فإن يده (عزّ ذكره) مبسوطتان ينفق كيف يشاء، وقابليّة طبقات حقائق أهل البيت (صلوات الله عليهم) واستعدادها واستحقاقها للفضل والكمال لا حدّ ولا منتهى ولا غاية لها، والجهل وجنده كالحسد والحقد والتكبر لاسيما إذا كان في حقّ أهل البيت (صلوات الله عليهم) عالم من البحر الأجاج ظلماً، فوق عالم جهنّم ونار الآخرة الأبديّة (أعاذنا الله تعالى منها)، ومهيمن عليها، بل هي قطرة في بحره وبحور جنده الظلمانيّة الأجاج المتلاطمة، كما أشار إلى ذلك بيان الإمام الصادق عليه السلام في حديث جنود العقل والجهل^(١).

وإلى الأول أشارت بيانات الوحي، منها:
بيان قوله جلّ ذكره: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾^(٢).

وإلى الأول والثاني أشارت بياناته الأخرى، منها:
بيان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): «... أنا صاحب النار، أقول لها: خُذي هذا، وذري هذا ... أنا صاحب الهدّة، وأنا صاحب اللّوح المحفوظ ... أنا صاحب المعجزات والآيات ... أنا الذي حملت نوحاً في السّفينة بأمر ربّي، وأنا الذي أخرجت يونس من بطن الحوت بإذن ربّي، وأنا الذي جاوزت بموسى بن عمران البحر بأمر ربّي، وأنا الذي أخرجت

(١) أصول الكافي، ١: ١٧/ح ١٤.

(٢) المائدة: ٦٤.

إبراهيم من النار بإذن ربي، وأنا الذي أجريت أنهارها، وفجرت عيونها، وغرست أشجارها بإذن ربي، وأنا عذاب يوم الظلة، وأنا المنادي من مكان قريب قد سمعه الثقلان: الجن والإنس وفهمه قوم ... لا تُسمُّونا أرباباً وقولوا في فضلنا ما شئتم، فإنكم لن تبلغوا من فضلنا كُنْه ما جعله الله لنا، ولا معشار العشر ... ولو قال قائل: لم، وكيف، وفيم؟ لكفر وأشرك؛ لأنه لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون ... مَنْ آمَنَ بما قلت ... فهو مؤمن ممتحن ... وَمَنْ شَكَّ وَعِنَدَ وَجَحَدَ وَوَقَفَ وَتَحَيَّرَ وَارْتَابَ فهو مقصّر وناصب ... الويل كُلُّ الويل لِمَنْ أنكر فضلنا وخصوصيتنا، وما أعطانا الله ربُّنا؛ لأنَّ مَنْ أنكر شيئاً ممَّا أعطانا الله فقد أنكر قدرة الله ﷻ ومشيتة فينا ... وَحَقَّتْ كلمة العذاب على الكافرين، أعني الجاحدين بِكُلِّ ما أعطانا الله مِنَ الفضل والإحسان»^(١).

ودلالته واضحة ولا غبار عليها.

وإلى الثالث أشارت بياناته الأخرى، منها:

١- بيان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) مخاطباً حذيفة بن اليمان: «يا حذيفة، لا تُحدِّث النَّاسَ بما لا يعلمون فيطغوا ويكفروا، إنَّ من العلم صعباً شديداً محمله، لو حملته الجبال عجزت عن حمله، إنَّ علمنا أهل البيت يُستنكر ويقتل ويُقتل رواته، ويُساء إلى مَنْ يتلوه بغياً وحسداً لما فضَّلَ الله به عترة

(١) بحار الأنوار، ٢٦: ١ - ٧/ح ١.

الوصي، وصي النبي ﷺ...» (١).

٢- بيان تفسير أبي جعفر عليه السلام، عن بريدة، قال: «كنتُ عند أبي جعفر عليه السلام فسألته عن قوله الله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (٢)؛ قال: فنحن الناس، ونحن المحسودون على ما آتانا الله من الإمامة دون خلق الله جميعاً ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ (٣) جعلنا منهم الرسل والأنبياء والأئمة عليهم السلام، فكيف يقرُّون بها في آل إبراهيم، ويكذبون بها في آل محمد ﷺ؟ ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكُفِيَ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ (٤)» (٥). (٦)

(١) بحار الأنوار، ٢٨: ٧٠-٧١/ ح ٣١. غيبة النعماني: ٧٠-٧٢.

(٢) النساء: ٥٤.

(٣) النساء: ٥٤.

(٤) النساء: ٥٥.

(٥) بحار الأنوار، ٢٣: ٢٩٨/ ح ٤٤. تفسير فرات: ٢٨.

(٦) يجدر صرف النظر في المقام إلى القضية التالية:

دعوى المستولي الثاني من حصول البداء في إمامة أهل البيت عليهم السلام

هناك شبهة، بل فتنة صدرت من المستولي الثاني في حق إمامة أمير المؤمنين وسائر أهل البيت (صلوات الله عليهم) كادت أن تنطلي على بعض حوارٍ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، الكُبار، فضلاً عن غيرهم، وتحصل لهم زلة عقائدية ومعرفية خطيرة جداً؛ فإنه ادَّعى حصول البداء في إمامتهم (صلوات الله عليهم)، بدليل: «أَنَّ الثَّبُوةَ والحكم لا يجتمعا في أهل بيت واحد». لكنه مخالف لصريح بيانات الوحي القطعية، منها: بيان قوله تعالى الوارد في حق أهل البيت (صلوات الله عليهم): ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾

٣- بيان تفسير الإمام الصادق عليه السلام، عن إبراهيم، قال: « قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جُعِلْتُ فداك، ما تقول في هذه الآية: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾^(١)، قال: نحن الناس الذين قال الله، ونحن المحسودون، ونحن أهل الملك، ونحن ورثنا النبيين، وعندنا عصا موسى، وإنا لخزان الله في الأرض، لسنا بخزانٍ على ذهب ولا فضة...»^(٢).

٤- بيانه عليه السلام أيضاً، عن الكناني، قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام: يا أبا الصباح، نحن قوم فرض الله طاعتنا، لنا الأنفال، ولنا صفو المال، ونحن الراسخون في العلم، ونحن المحسودون الذين قال الله: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾»^(٣).

ودلالة الجميع واضحة.

وفي ختام هذه المقدمة يجدر الالتفات إلى الأمور التالية:

→ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا [النساء: ٥٤]، فالكتاب إشارة إلى النبوة، والحكمة إشارة إلى السنة، والملك إشارة إلى الإمامة والخلافة الإلهية، وقد جمعها الباري تقدس ذكره في آل إبراهيم، منهم أهل البيت (صلوات الله عليهم).

إِذَنْ: نحن نعتقد بعقيدة البداء، لكن لا بهذه الكذبة الصلعاء المخالفة لصريح بيانات الوحي القطعية.

(١) النساء: ٥٤.

(٢) بحار الأنوار، ٢٣: ٢٩٩/ح ٥٠.

(٣) المصدر نفسه: ١٩٤/ح ٢٠. بصائر الدرجات: ٥٥.

الأول: أَنَّ أعظم أنواع تواضع المخلوق لباريه (تقدّس ذكره): تعظيمه لمن عَظَّمَه (جَلَّ قدسه) بقدره.

الثاني: أَنَّ أعظم الصدق: الصدق في الحقائق الأزليّة، وأعظم الكذب والجحود والغشّ: الكذب والجحود والغشّ في الحقائق الأزليّة أيضاً. بل أحياناً يكون الصدق دجلاً؛ وذلك إِنْ أُريدَ به صرف الأنظار عن الصدق الأكبر.

وهذه أخطر من دون قياس من الصدق والكذب والجحود والغشّ في عالم السياسة والأمور العامّة؛ لإرتباطها بالحياة والنشأة الأخرويّة الأبديّة، وبالمصير الأبدي للمخلوقات.

الثالث: أَنَّ في ذات كُلِّ إنسانٍ طبقات من الشرك يجب عليه تطهيرها. الرابع: أَنَّ بعض طبقات الشرك الخفي يُطهَّر صاحبها منها في عالم القيامة.

الخامس: أَنَّ في ذات كُلِّ مخلوقٍ طبقات من الحسد والبغض والعداء لأهل البيت (صلوات الله عليهم) يجب عليه تطهيرها.

ويدلُّ عليه: ما تقدّم وما سيأتي (إِنْ شاء الله تعالى)؛ من ارتطام سائر الأنبياء والرُّسل وجملة الملائكة منهم المُقَرَّبِينَ ﷺ، وتوقُّفهم في مقامات وصفات وشؤون وأحوال أهل البيت صلوات الله عليهم.

السّادس: أَنَّهُ دائماً التبرُّم والإعتراض على ساحة القدس الإلهيّة

ورجالاتها يحمل في طياته اعتقاد (والعياذ بالله تعالى) بجهل ساحة القدس الإلهية وبجهل رجالاتها، وهذا إلحاد وشرك وكفر خفيٌّ شعر بذلك المخلوق أم لا، وهو وإن لم يخرج صاحبه عن دائرة الإيمان والإسلام، لكنه يحطّ من مراتب ودرجات إيمانه وإسلامه، ويحطّ من حظّه في عالم الآخرة الأبدية وقدره.

السابع: الكفر والإلحاد برتب ومرتبات الحُجَج الإلهية كفر عظيم ومحذور خطير، وهو الذي أوقع إبليس (عليه اللعنة) في ورطته؛ فإنه لما لم يحفظ المراتب تطاول على حُجّة الله ووليّه، وأورثه الندامة الأبدية.

الثامن: أنّ الإمتحانات والاختبارات المهمة في البصيرة يمتحن الله بها الأمة على مدى الأزمان والدهور.

المقدمة الخامسة:

تجلي الصفات والأسماء الإلهية في حقائق أهل البيت عليهم السلام

ثمّ إنّهُ لَمَّا كانت طبقات حقائق أهل البيت (صلوات الله عليهم) الصّاعدة هي: الصفات والأسماء الإلهية الحسنى - فعليّة كانت تلك الصفات والأسماء أم ذاتيّة -، وخلصت من شائبة الأنّاء والمخلوقيّة، وصارت تجلّيات وظهورات للذات الإلهية الأزليّة المقدّسة انعكست وظهرت وتجلّت فيها كافّة: صفات وأسماء وكمالات وشؤون الذات الإلهية الأزليّة المقدّسة إلّا الألوهيّة؛ لخروجها موضوعاً وتخصّصاً.

نظيره:

أولاً: ما مرَّ في مثال (المرأة شديدة الصقل والصفاء والانعكاس)؛
والفانية في حكاية ذبيها، فلا تري نفسها، بل محكيها، ومن ثمَّ تأخذ جميع
صفات محكيها - إلا ما خرج موضوعاً وتخصُّصاً -، لكنَّه بالتَّبَع وإفاضة منه.
ثانياً: ما مرَّ أيضاً في مثال (الصَّرح) الوارد في قضية بلقيس؛ فإنَّه لشدة
صفائه، وتمرُّد ذاته، وفنائها في حكاية ذبه لم يُرِ نفسه، بل محكيه: (اللُّجَّة - الماء
الغزير-)، وانعكست فيه جميع صفاتها وأسمائها وكمالاتها وشؤونها وأحوالها،
فحسبته ماءً غزيراً فكشفت عن ساقها لتخطَّاه، ولمَّا أُخبرت بالواقع؛ وأنَّه:
(صرح مُمرَّد)؛ فُنيت وتمرَّدت ذاته في حكاية ذبه، ولم يُرِ نفسه، بل محكيه
أمنت بما جاء به النبيِّ سليمان عليه السلام من دون مهلة ونظر وتردُّد؛ لِإلتقاطها
إشارة معرفيةً لمعنى تجلّيات وظهورات الذات الإلهية المقدَّسة في المخلوقات
المُكرَّمة.

وهذا ما يوضِّح: نكتة وفلسفة إسناد الباري - المُسمَّى - (تعالى ذكره)
لإسمين وصفتين من أسمائه وصفاته المقدَّسة في كتابه الكريم، وهما: (ذو
الجلال) و(ذو الإكرام)، فتارةً أسندهما إلى ذاته المقدَّسة.

فانظر:

بيانه جلَّ قوله: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾^(١) فَإِنَّ (تبارك)
فعل ماضي، و(إسم) فاعل، و(ربُّك) مضاف إليه مجرور بالكسرة، و(ذي)

(١) الرحمن: ٧٨.

صفة ربِّك فأخذت حكم الموصوف وهو (الرَّبُّ) فُجِّرَتْ بـ: (الياء)؛ لأنَّها من الأسماء الخمسة، و (الجلال) مضاف إليه، و(الإكرام) معطوف على الجلال.

إذن: صفة واسم (ذي الجلال) و(الإكرام) أسندهما الباري - الْمُسَمَّى - (جلَّ ذكره) في المقام إلى ذاته المقدَّسة.

وتارة أخرى أسندهما إلى (وجه الرَّبِّ)، وهو أحد المخلوقات المُكْرَمَة؛ وطبقة من طبقات حقائق أهل البيت ﷺ الصَّاعِدَة في عَالَم السَّرمَد والأزل؛ عَالَم الأسماء والصفات الإلهيَّة، وهو^(١) أحد المرادفات الإلهيَّة العقليَّة للإسم الإلهي والصفة الإلهيَّة. وحيثُ يَصَحُّ إسنادهما^(٢) إلى الاسم الإلهي والصفة الإلهيَّة أيضاً من دون حزاوة ولا شائبة إشكال.

فلاحظ:

بيان قوله علا ذكره: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾^(٣). فَإِنَّ (يبقى) فعل مضارع، و(وجه) فاعل مرفوع بالضممة، و(رَبِّكَ) مضاف إليه مجرور بالكسرة، و(ذو) صفة وجه، فأخذت حكمه فرفعت بـ (الواو)؛ لأنَّها - كما تقدَّم - من الأسماء الخمسة، و(الجلال) مضاف إليه، و(الإكرام) معطوف على الجلال.

وإلى كلِّ هذا تُشير بيانات الوحي الواردة في حقِّ طبقات حقائق أهل

(١) مرجع الضمير: (وجه الرَّبِّ).

(٢) مرجع الضمير: (اسم وصفة: (ذو الجلال) و(ذو الإكرام)).

(٣) الرحمن: ٢٧.

البيت (صلوات الله عليهم) الصَّاعِدَة، منها :

البيان الأول: بيان أمير المؤمنين صلوات الله عليه^(١): «... لا تجعلونا أرباباً وقولوا في فضلنا ما شئتم؛ فإنكم لا تبلغون كُنْه ما فينا ولا نهايته؛ فإنَّ الله ﷻ قد أعطانا أكبر وأعظم ممَّا يصفه واصفكم، أو يخطر على قلب أحدكم، فإذا عرفتمونا هكذا فأنتم المؤمنون... لا تسمُّونا أرباباً وقولوا في فضلنا ما شئتم؛ فإنكم لن تبلغوا من فضلنا كُنْه ما جعله الله لنا، ولا معشار العشر...»^(٢).

ودلالته قد اتَّضحت؛ فإنَّ جملة صفات الذات الإلهية المقدَّسة وأسمائه وكمالاته وفضائله وشؤونه (تقدَّس ذكره) قد انعكست وظهرت وتجلَّت في طبقات حقائقهم (صلوات الله عليهم) الصَّاعِدَة، منها: (صفة عدم التناهي)، ومن ثمَّ كيف يُحيط المتناهي بكُنْه غير المتناهي، وبكُنْه صفاته وأسمائه وكمالاته وأفعاله وفضائله وشؤونه غير المتناهية.

وهذا ما يُشير إليه (صلوات الله عليه) بقوله: «وقولوا في فضلنا ما شئتم؛ فإنكم لن تبلغوا من فضلنا كُنْه ما جعله الله لنا، ولا معشار العشر»؛ فإنَّ (لن) تفيد التأييد في طُرِّ النَّشآت والعوالم منها: عالم الآخرة الأبديَّة وما

(١) يجدر الالتفات: أنَّ هذا البيان الشريف مستفيض، بل متواتر عن أهل البيت (صلوات الله عليهم)؛ فإنَّ الثابت بالإستقراء الناقص أنَّه وارد عنهم ﷺ بإثني عشر طريق. وإذا ضُمَّ إلى مرادفاته العقلية - منها: ما سيأتي (إن شاء الله تعالى) في الدليل والبيان الثاني والثالث - يصبح سنده فوق المتواتر.

(٢) بحار الأنوار، ٢٦: ١-٧/ح ١.

بعده، كما هو واضح.

بل وتُشير إليه بيانات الوحي الأخرى، منها :
بيان الإمام الحسن المجتبي عليه السلام^(١) : «... أيها الناس إني لو قمتُ حولاً

(١) لا بأس بصرف النظر في المقام إلى القضايا التالية :
القضية الأولى:

من مُميّزات وخصائص الإمام الحسن عليه السلام

هناك مُميّزات وخصائص امتاز بها الإمام الحسن المجتبي (صلوات الله عليه) واختص بها، تُعطي شرائط وضوابط خاصّة لدوره عليه السلام ودور إمامته تختلف عن شرائط وضوابط أدوار سائر أهل البيت عليه السلام وأما متهم، ينبغي صرف النظر إليها، منها :

أولاً: أنّ جدّه سيّد الأنبياء (صلى الله عليهما وعلى آلهما) ورثته (سؤدده وهيبته)، وهو توريث تكويني، له مغازي تفاعليّة مع الأدوار: الدينيّة والحضاريّة والسياسيّة والاجتماعيّة.

ثانياً: أنّه لا يوجد في كلامه (صلوات الله عليه)، ولا في خطابه العقائدي والمعرفي والسياسي مع الخصوم - كالمستولي الأوّل والثاني والثالث ومعاوية - منذُ نعمة اظفاره بعد استشهاد جدّه سيّد الأنبياء (صلوات الله عليهما وعلى آلهما) إلى استشهاد عليه السلام أي مداهنة ومواراة وإن كان بالتعير، بل ليس في كلامه وبياناته أي عموميّات، وإنّما صريح ومُفنع، يفلج بالحقائق في كافّة القضايا المُعقّدة، ويكشف أوراق الطرف بشكل جليّ.

→ وهذه خِصِيصة عظيمة امتاز بها (صلوات الله عليه) وعلى طول الخطّ في حركاته وسكناته، وحلّه وتر حاله، وقيامه وقعوده، ويُعبّر عنها بـ: السُّؤدد والهيبّة السياسيّة والدينيّة.

فلاحظ: بياناته (صلوات الله عليه) والنقول التّاريخيّة، منها :

١- خاطب في بدايات حياته المستولي الأوّل ولمرات عديدة بجرأة لا مهادنة ولا هوادة فيها - حينما يخطب على منبر سيّد الأنبياء ﷺ -: «انزل عن منبر جدّي وأبي» [بحار الأنوار، ٢٨: ٢٣٢/ح ١٩]، ويتعرّض المستولي الأوّل في كلّ مرّة إلى حرج شديد لا يعرف كيف يدفع اعتراضه، فانزعج هو والمستولي الثاني، فأرسلا إلى أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وقالوا له: «أأنت أو عزّت لابنك الحسن ليخاطبنا بهذا؟».

٢- خطب عليه بعد الهدنة في الكوفة وبمحضر معاوية: «... ولم نزل أهل البيت مظلومين منذ قبض الله نبيّه ﷺ...». [بحار الأنوار، ٤٤: ٦٢-٦٣/ح ١٢]. وهذه الخطب نقلتها العامّة والخاصّة، مع أنّ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) لم يُبح ذلك لنفسه مطلقاً، وتكلّم بمثله في مواضع محدودة، بل لم يحصل تركيز من سيّد الشّهداء (صلوات الله عليه) في خطاباته على ظلامّة أهل البيت (صلوات الله عليهم) في السّقيفة، ولا ظلامات والده أمير المؤمنين ووالدته فاطمة الزّهراء (صلوات الله عليهم).

القضيّة الثّانية:

الموازنة في التّقية والحذر الأمني سُنّة عظيمة حصلت من الإمام الحسن عليه السلام هناك سُنّة عظيمة حصلت في حياة الإمام الحسن المجتبي (صلوات الله عليه)، وهي الموازنة في قضيّة التّقية، أو الموازنة في قضيّة الحذر الأمني، فإنّ التّقية بعدما كانت برنامجاً آمناً فلا تُستخدم في كلّ ظرفٍ ومكان وزمان.

→ القضية الثالثة:

هدنة الإمام الحسن عليه السلام ملحمة معرفية وفكرية

إنَّ ما قام به الإمام الحسن المجتبي (صلوات الله عليه) من هدنة مع معاوية: ملحمة معرفية وفكرية؛ ومناورة وبراكمانية ضخمة جداً لا زالت نخب البشر متلعثمة فيها.

القضية الرابعة:

محافظة الإمام الحسن عليه السلام على أسباب القوة لديه ولدى اتباعه

إنَّه في حين عقدا الإمام الحسن المجتبي (صلوات الله عليه) الإتفاقية مع معاوية تحفّظ على أسباب القوة والقدرة العسكرية لديه ولدى اتباعه، فمن شرائطها أنه يُبقَى على تياره واتباعه وعسكره بتمام جاهزيتهم كقوة ضاربة، بل تؤمّن لهم كافة مقوّمات البقاء، منها: الجانب الاقتصادي، بل هذه الإتفاقية كانت مناورة ذكية منه عليه السلام لابعاد جيشه واتباعه عن المطاحنات لتبقى بين الفرقاء.

القضية الخامسة:

الإمام الحسن عليه السلام جعل من الهدنة بينه وبين معاوية بين ندين وقطين متوازنين

حينما وقّع الإمام الحسن المجتبي (صلوات الله عليه) عقد الهدنة مع معاوية ثارت نائرة معاوية غضباً وعزم على الانتقام من عمرو بن العاص، لأنَّ غايته من هذه الهدنة ليست ابقاء الإمام الحسن عليه السلام على حاله وعلى قوّته وقدرته وجيشه كما يشتهي عليه السلام، بل قصقصة أجنحته وإبادته وازالته وجيشه واتباعه، لا أن تُجعل الهدنة بين ندين وقطين متوازنين، كما أرادها الإمام الحسن عليه السلام من خلال مناورة عظيمة قام بها، فمعاوية كان لا يريد الاعتراف أصلاً بوجوده عليه السلام وبوجود جيشه واتباعه، ومن ثمَّ ظنَّ أنَّ عمرو بن العاص احتال عليه.

فحولاً أذكر الذي أعطانا الله ﷻ وخصّنا به من الفضل في كتابه وعلى لسان نبيّه ﷺ لم أحصه...»^(١).

وبيان الإمام الكاظم عليه السلام: «... لا تعجب، فما خفي عليك من أمر الإمام أعجب وأكثر، وما هذا من الإمام في علمه إلا كطير أخذ بمنقاره من البحر قطرة من ماء، أفترى الذي أخذ بمنقاره نقص من البحر شيئاً؟ قال: فإن الإمام بمنزلة البحر لا ينفد ما عنده، وعجائبه أكثر من ذلك، والطير حين أخذ من البحر قطرة بمنقاره لم ينقص من البحر شيئاً...»^(٢).

→ القضية السادسة:

من سُنن الإمام الحسن عليه السلام التّضحية بالسمعة لأجل الصّالح العظيم
بيّن الإمام الحسن المجتبي (صلوات الله عليه) من خلال هُدنته مع معاوية سُنّة عظيمة جدّاً، حاصلها: أنّه يجب على الولي والقائد والحاكم الشرعي إذا رأى أمراً يصبّ في صالح الدّين وأهل الدّين وقد غفلت عنه كلّ الأُمّة أن لا يُفِرط به، بل يلزم عليه رعايته وإن استلزم ذلك التّضحية باسمه وسمعته ومُحبّيه ومريديه واتباعه.

وهذه نُكته مهمّة جدّاً في القيادة والإمامة، وفي الحاكم والسّائس للدّين أو للدّنيا، سواء أكان ذلك في القيادة الدّينيّة أو القيادة السياسيّة أو القيادة القضائيّة.

إذن: يجب على من يتمتّع بمنصب القائد أو الولي أو من له صلاحيّات في موقع مُهمّ من مواقع نظام الدّين أو الدّنيا التّحلّي بهذه الصّفة، وهي: بُعد الرؤية في الإمامة والقيادة، ومن ثمّ يجب عليه أن لا يُضحيّ بالصّالح الخطير لأجل المحافظة على سمعته بين مُريديه وقاعدته الشّعبية.

(١) بحار الأنوار، ١٠: ١٤٢.

(٢) المصدر نفسه، ٢٦: ١٩٠ - ١٩١/ح ٢. قرب الإسناد: ١٤٤.

والنُّكْتَةُ: واضحةٌ أيضاً؛ فإنَّ المخلوق مهما علا شأنه وشأن كُنْهه يبقى متناهيّاً على مرّ النّشآت والعوالم، فكيف يُحيط بكنْهه وحقيقة غير المتناهي، وبكنْهه وحقيقة صفاته وأسمائه وأفعاله وكمالاته وفضائله وشؤونه. وإلّا لانقلبت ماهيّة غير المتناهي وصارت متناهية، وبطلان - بل واستحالة - انقلاب الماهيّة من الواضحات، بل وخلف الفرض.

وهذا ما قرّره أهل البيت (صلوات الله عليهم) في قاعدة معرفيّة وعقليّة جزلة وبديهيّة، خطيرة الشار، عظيمة الفائدة، يأتي (إن شاء الله تعالى) التّعرّض لبيانها وبيان أدلّتها^(١)، وهي: (أَنَّ مَنْ وَصَفَ شَيْئاً بِكُنْهِهِ كَانَ أَعْظَمَ مِنَ الْمَوْصُوفِ).

وهذه القاعدة الشّريفة تنحلُّ إلى قاعدتين:
الأولى: (أَنَّ مَنْ وَصَفَ شَيْئاً بِالْكُنْهِ فَقَدْ أَحَاطَ بِهِ).

الثّانية: (أَنَّ مَنْ أَحَاطَ بِشَيْءٍ كَانَ أَعْظَمَ مِنْهُ).

والمراد من الإحاطة في هذه القاعدة: أَعْمُ من التّجريدية والعقليّة والجسميّة^(٢).

وهذه القاعدة غفلت عنها أجيال العلماء، بل لم يُسلّم بها فلاسفة

(١) مَنْ أَرَادَ الإِطْلَاعَ عَلَى بَيَانِ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ وَبَيَانِ أَدْلَتِهَا فَلْيَرِاجِعْ مَا سَيَأْتِي (إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى) فِي بَابِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ فِي مَسْأَلَةِ خَاصَّةِ بِهَا.

(٢) سَيَأْتِي (إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى) التّعرّض لأنواع الإحاطة وضرورها في المقدّمة السابعة فانتظر.

الإمامية فضلاً عن غيرهم مع بدايتها، نعم سلّم بها أهل المعرفة، اقتباساً من بيانات الوحي، وتفظّنوا إلى إشاراتها^(١) الإرشادية؛ وأنّ كلّ معرفة بالذات الإلهية الأزليّة المقدّسة لا تخرج عن الظهور والتّجلي، أي: معرفة بالآيات.

وعليه: فلا يمكن لجملة المخلوقات من رأس هرمها؛ فعل الله ومخلوقه الأوّل: سيّد الأنبياء ﷺ فما دون وصف كُنّه (الذات الأزليّة المقدّسة) أزلاً وأبداً، وعبر جملة العوالم والنّشآت، وإلاّ فدعوى كفر وإلحاد. وهذا أحد تفاسير بيان قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾^(٢).

نعم، يمكن للمخلوق معرفته (سبحانه وتعالى) من وجه، ومن خلال أسمائه وصفاته وأفعاله وآثاره، وهذه المعرفة على درجات غير متناهية. وعلى هذا قس معرفة فعل الله ومخلوقه الأوّل؛ سيّد الأنبياء ﷺ؛ فإنّه لا يمكن لسائر جملة المخلوقات من فعل الله ومخلوقه الثاني أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فما دون معرفته ﷺ ووصفه بالكنه.

وهذا ما أشارت إليه بيانات الوحي، منها:

بيان قوله تعالى ذكره: ﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾^(٣).

وهكذا الحال في معرفة فعل الله ومخلوقه الثاني؛ أمير المؤمنين

(١) مرجع الضمير: (بيانات الوحي).

(٢) آل عمران: ٢٨.

(٣) الفرقان: ٩.

(صلوات الله عليه)؛ فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُ لِسَائِرِ جَمَلَةِ المَخْلُوقَاتِ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ وَمَخْلُوقِهِ الثَّالِثِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ (صلوات الله عليها) فَمَا دُونَ مَعْرِفَتِهِ (صلوات الله عليه) وَوَصَفَهُ بِالْكُنْه.

وهذا ما أشارت إليه بيانات الوحي أيضاً، منها:

بيان سيّد الأنبياء ﷺ مخاطباً أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): «ما عَرَفَكَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَا»^(١).

وكذا الحال في معرفة فعل الله ومخلوقه الثالث؛ فاطمة الزهراء صلوات الله عليها؛ فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُ لِسَائِرِ كَافَّةِ المَخْلُوقَاتِ، وفي جملة عوالم الخلقة أبد الآباد ودهر الدهور من فعل الله ومخلوقه الرَّابِعِ الإمام الحسن المجتبي (صلوات الله عليه) فَمَا دُونَ مَعْرِفَتِهَا صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهَا وَوَصَفِهَا بِالْكُنْه.

وعلى هذا قس حال سائر أهل البيت (صلوات الله عليهم) بحسب مراتبهم في الْحُجِّيَّة.

وإلى جملة ذلك أشارت بيانات الوحي، منها:

١- بيان سيّد الأنبياء ﷺ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: «... فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ حَالُنَا فَكَيْفَ حَالُكَ وَحَالِ الْأَوْصِيَاءِ بَعْدَكَ فِي الْوِلَادَةِ؟ فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَلِيّاً ثُمَّ قَالَ: يَا جَابِرُ، لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ أَمْرِ جَسِيمٍ، لَا يَحْتَمِلُهُ إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَالْأَوْصِيَاءَ مَخْلُوقُونَ مِنْ نُورٍ

(١) مناقب آل أبي طالب، ٣: ٢٦٧. إرشاد القلوب، ٢: ٢٠٩.

عظمة الله جل ثناؤه ... فأمرهم يحلُّ عن أن يوصف، وأحوالهم تدقُّ عن أن تُعلم؛ لأنهم نجوم الله في أرضه ... وأنواره في بلاده ... يا جابر، هذا من مكنون العلم ومخزونه، فاكتمه إلا من أهله»^(١).

٢- بيان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): «... من ذا ينال معرفتنا أو يعرف درجتنا أو يشهد كرامتنا أو يدرك منزلتنا؟ حارت الألباب والعقول، وتاهت الأفهام فيما أقول، تصاغرت العظماء وتقاصرت العلماء، وكَلَّت الشعراء، وخرست البلغاء، ولكنت الخطباء، وعجزت الفصحاء، وتواضعت الأرض والسماء عن وصف شأن الأولياء. وهل يُعرف أو يُوصف أو يُعلم أو يُفهم أو يُدرك أو يُملك من هو شعاع جلال الكبرياء، وشرف الأرض والسماء؟ جلَّ مقام آل مُحَمَّد ﷺ عن وصف الواصفين ونعت الناعتين، وأن يُقاس بهم أحد من العالمين، كيف وهم الكلمة العليا، والتسمية البيضاء، والوحدانية الكبرى التي أعرض عنها من أدبر وتولى، وحجاب الله الأعظم الأعلى»^(٢).

٣- بيان الإمام الصادق (صلوات الله عليه)، عن مالك بن أعين، قال: «أقبل إليَّ أبو عبد الله عليه السلام فقال: ... يا مالك، تراك فقد أفرطت في القول في فضلنا؟ إنه ليس يقدر أحد على صفة الله وكُنْه قدرته وعظمته، فكما لا يقدر أحد على كُنْه صفة الله وكُنْه قدرته وعظمته، ولله المثل الأعلى، فكذلك لا يقدر أحد على صفة رسول الله ﷺ وفضلنا، وما أعطانا الله،

(١) بحار الأنوار، ٥٧: ٣٥٢-٣٥٣/ح ٣٦. الفقيه: ٥٨٩.

(٢) بحار الأنوار، ٢٥: ١٦٩-١٧٤/ح ٣٨.

وما أوجبه من حقوقنا...»^(١).

ودلالة الجميع قد اتضحت.

وبالجملة: مَنْ يتخيّل إمكانية إكتناه (الذّات الإلهيّة الأزلّيّة المقدّسة)، أو إمكانية إكتناه حقائق وذوات: (الأسماء والصفات الإلهيّة) أو (الآيات الإلهيّة الكبرى) أو (المخلوقات العظمى) طبقات حقائق أهل البيت (صلوات الله عليهم) الصّاعدة ولو كان ذلك تخيلاً بسبر فكره وبقراءته ومطالعه للمباحث الفكرية والمعرفيّة والعقائديّة والفلسفيّة فقد ارتطم - كما يرتطم الحمار بالطين - بالوهم والكفر والإلحاد الجلي أو الخفي شعر بذلك أم لا، ووقع في محذور الفرعونيّة، وصار جبّاً وطاغوتاً، وصيّّر نفسه صنماً ليُعكف ويُطاف عليها.

بعد الالتفات: أنّ حقيقة صنم الفكر تكمن في أنّ يُجعل طواف الفكر حول غير المعصوم.

ومن كلّ هذا تتّضح: كثير من بيانات الوحي، منها:

بيان سيّد الأنبياء مخاطباً أمير المؤمنين صلوات الله عليهما وعلى آلهما: «ما عرفني إلّا الله وأنت»^(٢)؛ فإنّ معرفة الباري (تبارك اسمه) بسيّد الأنبياء ﷺ معرفة ووصف بالكُنّه، ومعرفة أمير المؤمنين ﷺ به ﷺ معرفة ووصف بوجهه، أي: من خلال أسمائه ﷺ وصفاته وأفعاله وآثاره.

(١) بحار الأنوار، ٧١: ٢٢٦/ح ١٨. المحاسن: ١٤٣.

(٢) مختصر بصائر الدرجات: ١٢٥. مناقب آل أبي طالب، ٣: ٢٦٧. إرشاد القلوب،

نعم، المعرفة في بيان قوله ﷺ مخاطباً أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً: «ما عرفك إلا الله وأنا»^(١) أن كلا المعرفتين بالكُنه.

بخلاف بيانه ﷺ مخاطباً أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً: «ما عرف الله إلا أنا وأنت»^(٢) أن كلا المعرفتين من وجه، ومن خلال الأسماء والصفات والأفعال والآثار الإلهية.

[خلط الملائكة بين الذات المقدسة وحقائق أهل البيت عليهم السلام الصاعدة]

ومن كُلِّ ما تقدّم تتّضح: نكتة حصول الخلط والإشتباه لدى جملة الملائكة عليهم السلام - منهم المقرّين؛ ك: إسرافيل وجبرئيل عليهم السلام، مع أن الجميع معصومون - وعدم تمكّنهم من التمييز بين صفات وأسماء وكمالات وشؤون: (الذات الإلهية الأزليّة المقدّسة)، وصفات وأسماء وكمالات وشؤون: (طبقات حقائق سيّد الأنبياء وسائر أهل البيت (صلوات الله عليهم) الصاعدة)؛ والنكتة: ما تقدّم؛ من أن جملة صفات وأسماء وكمالات وشؤون الذات الإلهية المقدّسة - إلا الألوهية - قد انعكست وتجلّت وظهرت في تلك الطبقات المهولة العظيمة الخطيرة الشريفة إفاضة من الذات المقدّسة.

فانظر: بيانات الوحي، منها :

١- بيان سيّد الأنبياء ﷺ: «... أوّل ما خلق الله ﷻ: خلق أرواحنا ... ثمّ خلق الملائكة فلمّا شاهدوا أرواحنا نوراً واحداً استعظموا أمرنا

(١) مختصر بصائر الدرجات: ١٢٥.

(٢) المصدر نفسه.

فسبّحنا؛ لتعلم الملائكة: أَنَا خلق مخلوقون، وَأَنَّهُ مُنَزَّهٌ عَنْ صِفَاتِنَا، فسبّحت الملائكة بتسبيحنا ونزّهته عن صفاتنا، فلَمَّا شاهدوا عظم شَأْنِنَا هَلَّلْنَا؛ لتعلم الملائكة: (أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) وَأَنَا عبيد، ولسنا بألهة يجب أَنْ نُعْبَدَ معه، أو دونه، فقالوا: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، فلَمَّا شاهدوا كبر مَحَلَّنَا كَبَّرْنَا؛ لتعلم الملائكة: أَنَّ اللَّهَ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يَنَالَ عَظَمَ المَحَلِّ إِلَّا بِهِ، فلَمَّا شاهدوا ما جعله لنا مِنَ العِزَّةِ والقُوَّةِ قلنا: (لا حول ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ)؛ لتعلم الملائكة: أَنْ لا حول لنا ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فلَمَّا شاهدوا ما أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْنَا وَأَوْجِبَهُ لَنَا مِنْ فِرَاضِ الطَّاعَةِ قلنا: (الحمد لله)؛ لتعلم الملائكة: ما يَحُقُّ لِلَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ عَلَيْنَا مِنَ الحمد على نعمته فقالت الملائكة: (الحمد لله)، فبنا اهتدوا إِلَى معرفة توحيد اللَّه وتسيّحه وتهليله وتحميده وتمجيده...»^(١).

٢- بيان حديث المعراج، عن الإمام الصادق عليه السلام: «... إِنَّ اللَّهَ (العزیز الجَبَّار) عَرَجَ نَبِيَّهٖ إِلَى سَبْعًا... ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فنُفِرَتْ الملائكة إِلَى أَطْرَافِ السَّمَاءِ ثُمَّ خَرَّتْ سُجَّدًا فَقَالَتْ: (سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّنَا وَرَبُّ الملائكة والروح)، ما أَشْبَهَ هَذَا النُّورَ بنور رَبَّنَا. فقال جبرئيل عليه السلام: (اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ). فسَكَتَتِ الملائكة، وفتحت أَبْوابُ السَّمَاءِ، واجْتَمَعَتِ الملائكة ثُمَّ جَاءَتْ فَسَلَّمَتْ عَلَى النَّبِيِّ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَفْوَاجًا... ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فلَمَّا قَرَّبَ مِنْ بَابِ السَّمَاءِ تَنَافَرَتْ الملائكة إِلَى أَطْرَافِ السَّمَاءِ وَخَرَّتْ سُجَّدًا

(١) بحار الأنوار، ١٨: ٣٤٥ - ٣٤٧/ح ٥٦. علل الشرائع: ١٣ - ١٤. عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١٤٤ - ١٤٦.

وقالت: (سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ، مَا أَشْبَهَ هَذَا النُّورَ بِنُورِ رَبِّنَا). فقال جبرئيل عليه السلام: (أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ...) فاجتمعت الملائكة وفتحت أبواب السماء، وقالت: يا جبرئيل، مَنْ هَذَا مَعَكَ؟ فقال: هَذَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... قال: رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ... ثُمَّ عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ فَنفَرَتِ الْمَلَائِكَةُ إِلَى أَطْرَافِ السَّمَاءِ، وَخَرَّتْ سَجْدًا ... ثُمَّ عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ ...»^(١).

٣- بيان حديث المعراج، عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً: «... إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ نَائِمًا فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، فَأَنَاهُ جَبْرَائِيلُ عليه السلام ... فَأَيْقَظُهُ ... ثُمَّ صَعِدَ بِهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى أَبْوَابِ السَّمَاءِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَلَائِكَةُ نَفَرَتْ عَنْ أَبْوَابِ السَّمَاءِ وقالت: (إِلَهِينَ؛ إِلَهٌ فِي الْأَرْضِ وَإِلَهٌ فِي السَّمَاءِ، فَأَمَرَ اللَّهُ جَبْرَائِيلَ فَقَالَ: (اللَّهُ أَكْبَرُ...))، فَتَرَا جَعَتِ الْمَلَائِكَةُ نَحْوَ أَبْوَابِ السَّمَاءِ وَعَلِمَتْ أَنَّهُ مَخْلُوقٌ؛ فَفَتَحَتِ الْبَابَ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَنفَرَتِ الْمَلَائِكَةُ عَنْ أَبْوَابِ السَّمَاءِ فقالت: (إِلَهِينَ؛ إِلَهٌ فِي الْأَرْضِ، وَإِلَهٌ فِي السَّمَاءِ) فقال جبرئيل: (أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ...) فَتَرَا جَعَتِ الْمَلَائِكَةُ وَعَلِمَتْ أَنَّهُ مَخْلُوقٌ ثُمَّ فُتِحَ الْبَابُ فَدَخَلَ عليه السلام ...»^(٢).

ودلالة الجميع قد اتضحت، ولا غبار عليها، فتأمل جيداً.

(١) بحار الأنوار، ٧٩: ٢٣٧ - ٢٤٢ / ح ١. علل الشرائع، ٢: ٢-٦. الكافي، ٣: ٤٨٢ - ٤٨٦.

(٢) تفسير العياشي، ١ / رقم: (٥٣١): ١٧٧ - ١٧٨.

[خلوّ المقام وهذه الأبحاث من شائبة الغلو]

[لا شائبة ولا شبهة غلو في مقامات أهل البيت عليهم السلام]

ولخطورة هذه الأبحاث المعرفية والتوحيدية نُعيد ما ذكرناه سلفاً بشيءٍ من التفصيل، فنقول: ثُمَّ إِعلم أَنَّهُ لا تُوجد في جملة هذه الأبحاث وما سيأتي (إِنْ شاء الله تعالى) أي شائبة غلو - وخروج عن الجادة والمنزلة الوسطى التي ليلها كنهارها جادة ومنزلة أهل البيت صلوات الله عليهم، وهي الديانة التي من تقدّمها مرق، ومن تحلّف عنها محق، ومن لزمها لحق، والتي لا تخرج إلى عوج، ولا تزيل عن منهج الحق، ولا تجد لها بديلاً، ولن تجد لها تحويلاً، نعم، هي دقيقة الوزن، حادة اللسان، صعبة الترقّي حتّى على الحاذق اللبيب - لأنّنا نعصّ بضرس قاطعٍ على ضابطة وقاعدة معرفية وعقلية بديهية، مستفادة من بيانات الوحي، ضربها وقنّنها علماء المعقول في القرنين الأخيرين في باب الغلو والتقصير، سيأتي (إِنْ شاء الله تعالى) بيانها في بابها، مضروبة للتمييز بين الغلو والتقصير في صفات الخالق - المُسمّى - صاحب الذات الإلهية الأزليّة المقدّسة (جلّ ذكره) وأسمائه وأفعاله وكمالاته وشؤونه، وصفات المخلوق وأسمائه وأفعاله وكمالاته وشؤونه، وهي: «أَنَّ صفات الخالق - المُسمّى - (تقدّس ذكره) وأسمائه وأفعاله وكمالاته وشؤونه تحكمها وواقعة في إطار ضابطة: (ما منه الوجود)، بخلاف صفات المخلوق وأسمائه وأفعاله وكمالاته وشؤونه فتحكمها وواقعة في إطار ضابطة: (ما به الوجود)».

فصفة: (عدم التناهي) والأسماء - كالأسماء الذاتية الواردة في سورة الإخلاص: (الأحد، والصمد، ولم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد) - والأفعال والكمالات والشؤون إذا نُسبت وأُسندت إلى الخالق - المُسمَّى - (جلّ وتقدّس) كصفات وأسماء وأفعال وكمالات وشؤون إلهية فالمراد منها: (ما منه الوجود). أمّا إذا نُسبت وأُسندت إلى المخلوق كصفات وأسماء وأفعال وكمالات وشؤون مخلوقة فالمراد منها: (ما به الوجود)، وحينئذ لا إشكال ولا شبهة ولا شائبة غلوّ في المقام؛ بعدما أُفيضت وتجلّت وظهرت وانعكست في المخلوق من الذات الإلهية الأزلية المقدسة، فأين شائبة الغلوّ بعدما كان الجميع من ساحة القدس الإلهية.

بل هذه الضابطة أُستحدثت في الآونة الأخيرة وتوسّعت بقاعدة وضابطة بديهيّة أيضاً، أكثر دقّة وغوراً وعمقاً، وهي: «أنّ ما منه الوجود على ضربين: أحدهما: (ما منه الوجود أصالة وبالذات). الآخر: (ما منه الوجود حكاية ومن الغير)».

والأوّل مختصّ ومنحصّر بـ: (الذات الإلهية الأزلية المقدسة) أزلاً وأبداً.

وإلى هذا تشير بيانات الوحي، منها:

١- بيان قوله جلّ قوله: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾^(١).

٢- بيان قوله عزّ قوله: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾^(١).

ودلالاتها قد اتضحت.

والثاني وجود ظليّ وحاكٍ، يأتي في الممكنات، مفاض عليها من ساحة القدس الإلهيّة.

نظيره: المرأة المنطبعة فيها صورة الشاخص الخارجي.

وإلى هذا تُشير بيانات الوحي الأخرى، منها:

١- بيان قوله عزّ من قائل الحاكّي لخبر النبيّ عيسى عليه السلام في إحتجابه على بني إسرائيل: ﴿أَنْتَبِ أَخْلَقُ لَكُمْ مِنْ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَانْفُخْ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَنْتَبِخُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٢).

٢- بيان قوله تقدّس ذكره: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ﴾^(٣).

٣- بيان قوله تعالى ذكره: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُ الْمَلَائِكَةُ يُضْرَبُونَ وَجُوهُهُمْ وَأُذُبَارُهُمْ﴾^(٤).

٤- بيان قوله جلّ ذكره: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى

(١) الزمر: ٤٢.

(٢) آل عمران: ٤٩.

(٣) الأنعام: ٦١.

(٤) محمد: ٢٧.

رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١﴾

ودلالة الجميع واضحة.

٥- بيان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): «... يا أَيُّهَا النَّاسُ، لَعَلَّكُمْ لَا تَسْمَعُونَ قَائِلًا يَقُولُ مِثْلَ قَوْلِي بَعْدِي إِلَّا مُفْتَرٍ... أَنَا مَوْتَمُ الْبَنِينَ وَالْبَنَاتِ، أَنَا قَابِضُ الْأَرْوَاحِ...» (٢).

٦- بيانه (صلوات الله عليه) أيضاً: «... أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ بِإِذْنِ رَبِّي، أَنَا أَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ، وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ بِإِذْنِ رَبِّي وَأَنَا عَالِمُ بَضَائِرِ قُلُوبِكُمْ، وَالْأَنَّمَةُ مِنْ أَوْلَادِي عَلَيْهِ السَّلَامُ يَعْمَلُونَ وَيَفْعَلُونَ هَذَا إِذَا أَحَبُّوا وَأَرَادُوا...» (٣).

ودلالته - كدلالة سابقه - واضحة، ومضمونه نفس مضمون البيانات الوحيانية المتقدمة، لا سيما البيان الأول؛ فَإِنَّ أمير المؤمنين وسائر أهل البيت (صلوات الله عليهم) لَمَّا كانوا أشرف وأكمل المخلوقات، وأعلاها وجوداً ومقاماً ورتبةً، وكانوا وسائط الفيض الإلهي لجملة العوالم وسائر المخلوقات فما أُعطي لسائر جملة المخلوقات من شرفٍ وعزّةٍ وكمالٍ وفضلٍ ومقامٍ ورتبةٍ فبالأولى يُعطى لهم (صلوات الله عليهم) وزيادة، وإِلَّا ففقد الشيء لا يُعطيه.

وهذا برهانٌ عقليٌّ بديهيٌّ.

(١) السجدة: ١١.

(٢) بحار الأنوار، ٥٣: ٤٥/ح ١.

(٣) المصدر نفسه، ٢٦: ١-٧/ح ١.

ومن ثمَّ ما تمتَّع به النَّبِيُّ عيسى عليه السلام وسائر المخلوقات المكرَّمة؛ منهم: إسرافيل وعزرائيل عليهما السلام تمتَّع به أهل البيت (صلوات الله عليهم) وزيادة؛ فيحيون ويميتون بفعل ألطف، وأعظم هيمنة، وأشدَّ سلطنة وقدرة وقوَّة على وفق القاعدة؛ ومن دون أيِّ شائبة غلُوٍّ في المقام.

بل البراهين والبيانات الوحيانيَّة قائمة على ذلك.

فلاحظ، منها :

١- بيان الإمام زين العابدين عليه السلام، عن الثمالي، قال: «قلتُ له: جُعِلْتُ فداك، الأئمَّة يعلمون ما يُضمَّر؟ فقال: علمتُ واللَّه ما علمت الأنبياء والرُّسل، ثمَّ قال لي: أزيدك؟ قلتُ: نعم. قال: ونزاد ما لم تزد الأنبياء»^(١).

٢- بيان الإمام الصادق عليه السلام: «إنَّ عيسى بن مريم عليه السلام أُعطي حرفين كان يعمل بهما، وأُعطي موسى عليه السلام أربعة أحرف، وأُعطي إبراهيم عليه السلام ثمانية أحرف، وأُعطي نوح خمسة عشر حرفاً، وأُعطي آدم خمسة وعشرين حرفاً، وإنَّ الله تبارك وتعالى جمع ذلك كله لمحمَّد ﷺ^(٢)، وإنَّ اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً، أعطى^(٣) محمداً ﷺ اثنين وسبعين حرفاً، وحجب عنه حرفاً واحداً»^(٤).

ودلالته - كدلالة سابقه - واضحة.

(١) بحار الأنوار، ٢٦: ٥٥/ح ١١٤. بصائر الدرجات: ٦٦.

(٢) في البصائر: (وإنَّه جمع الله ذلك لمحمَّد ﷺ وأهل بيته).

(٣) في البصائر: (أعطى الله).

(٤) بحار الأنوار، ١٧: ١٣٤/ح ١١. أصول الكافي، ١: ٢٣٠. بصائر الدرجات: ٥٧.

[الإماتة وسائر الأفعال الإلهية على طبقات]

وَمِنْ كُلِّ مَا تَقَدَّمَ يَتَّضِحُ: أَنَّ الإِمَاتَةَ عَلَى مَرَاتِبٍ وَطَبَقَاتٍ وَدَرَجَاتٍ مِنْ حَيْثُ الْغَلْظَةُ وَاللِّطَافَةُ.

أحدها: ما يقوم به جنود عزرائيل عليه السلام.

ثانيها: ألطف وأشف، وهي: ما يقوم به عزرائيل عليه السلام.

ثالثها: ألطف وأشف ممّا يقوم به عزرائيل عليه السلام، وهي: ما يقوم به الاسم الإلهي (الميت)، وهو: أحد طبقات حقيقة أمير المؤمنين وحقائق سائر أهل البيت (صلوات الله عليهم) الصّاعدة في مرتبة الأسماء والصفات الإلهية. وهذا ما تُشير إليه بياناتهم (صلوات الله عليهم)، منها: ما تقدّم، ويضاف إليها: بيان أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً، مخاطباً الحارث الهمداني: «يا حارهمدان، من يمت يرني، من مؤمن أو منافق قبلاً»^(١). وبيانه (صلوات الله عليه) أيضاً، عن عبد الرحيم القصير، قال: «قلت لأبي جعفر عليه السلام: حدّثني صالح بن ميثم، عن عباية الأسدي أنّه سمع عليّاً عليه السلام يقول: واللّه، لا يبغضني عبد أبداً يموت على بغضي إلا رأيته عند موته حيث يكره، ولا يحبّني عبداً أبداً فيموت على حبّي إلا رأيته عند موته حيث يحب». فقال أبو جعفر عليه السلام: نعم، ورسول الله صلى الله عليه وآله باليمين»^(٢).

رابعها: وهي الألف والأشدُّ على الإطلاق، والمهيمنة على جميع

(١) بحار الأنوار، ٦: ١٨١.

(٢) المصدر نفسه، ٣٩: ٢٣٨/ح ٢٥. فروع الكافي، ٣: ١٣٢-١٣٣.

ذلك؛ ما يقوم به: (المُمتيت) - المُسمَّى - صاحب الذات الإلهية الأزليّة المقدّسة.

وعلى هذا قس الإحياء وسائر الأفعال والصفات والأسماء والشؤون^(١).
فأين الغلوّ في المقام.

[نكتة عدم استيعاب عقول المخلوقات لشؤون أهل البيت عليه السلام]

نعم، لمّا كانت هذه المعارف الإلهية بكرة لم تُفتق من قبل قطُّ بهذا الشّكل والبيان، ولم يُنسب بها بنت شفة مع أنّ بيانات الوحي زاخرة بها فمن الطبيعي يحصل فيها توقّف وتردّد لدى مَنْ يُخبر من ضعيفيّ الإيمان

(١) هناك خلط حصل لدى البعض بين الفاعل بالآلة - كحال عزرائيل وإسرافيل وجندهما عليه السلام - والفاعل بالتّجليّ - كحال الباري المُسمّى (تعالى ذكره)، والأسماء والصفات الإلهية؛ طبقات حقائق أهل البيت عليه السلام الصّاعدة - وحكم بالوحدة. والحقُّ: أنّ بينهما فرق وبون شاسع؛ فإنّ الفاعل بالآلة ناقص؛ لإحتياجه إلى حركة، وقرب وبُعد، ومُوازاة، ومباشرة ومعالجة. بخلاف الفاعل بالتّجليّ؛ فإنّه أكمل أنواع الفاعل، ولا نقص فيه؛ ومن ثمّ لا يحتاج إلى جملة ذلك. وإلى هذا تُشير بيانات الوحي، منها:

بيان الإمام الصادق عليه السلام في ردّه على سؤال الزنديق: «... فما هو؟ قال أبو عبد الله عليه السلام: هو الرّبُّ، وهو المعبود، وهو الله... قال السّائل: فيُعاني الأشياء بنفسه؟ قال أبو عبد الله عليه السلام: هو أجَلُّ من أن يُعاني الأشياء بمباشرة ومعالجة؛ لأنّ ذلك صِفَةُ المخلوق الذي لا تحيُّ الأشياء له إلّا بالمباشرة والمعالجة، وهو مُتعالٍ نافذُ الإرادة والمشيئة، فعَالٌ لِمَا يَشَاءُ». أصول الكافي، ١: ٥٩ - ٦١/ح ٦. ودلالته واضحة.

بمقاماتهم (صلوات الله عليهم) وبصفتهم وأسمائهم وكمالاتهم وفضائلهم وشؤونهم وأحوالهم؛ وإن قام عليها الدليل القطعي.

مضافاً: أنَّ ما جادت به يد ساحة القدس الإلهية على أهل البيت (صلوات الله عليهم) عطايا لا تتحمل تصوُّرها طاقة وقابلية مخلوق قطُّ، ولا يمكن خطورها على بالٍ قطُّ فمن الطبيعي أيضاً حصول توقُّف وتردُّد لدى من يطَّلِع عليها من ضعيفي الإيمان أو يُخبر بها وإن قام عليها الدليل القطعي. بعد الالتفات: أنَّ لازم ذلك التوقُّف والشك والتردُّد: إلحاد وشرك وكفر بالله (العزیز الجبار). وهذا ما نبَّهت عليه وحدَّرت منه بيانات الوحي، منها:

١- إطلاق بيان الحديث القدسي: «... يا مُحَمَّد ... وعزَّتي وجلالي، لو لقيني جميع خلقي يشكُّون فيكَ طرفة عين، أو ييغضون صفوتي من ذرِّيَتِكَ لأدخلتهم ناري ولا أبالي...»^(١).

٢- بيان سيِّد الأنبياء ﷺ: «إِنَّ حَدِيثَ آلِ مُحَمَّدٍ صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ، لَا يُؤْمَنُ بِهِ إِلَّا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، أَوْ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، أَوْ عَبْدٌ امْتَحَنَ اللَّهَ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ... وَإِنَّمَا الْهَالِكُ: أَنْ يُحَدِّثَ بِشَيْءٍ مِنْهُ لَا يَحْتَمِلُهُ فَيَقُولُ: وَاللَّهِ، مَا كَانَ هَذَا شَيْئاً، وَالْإِنْكَارُ هُوَ الْكُفْرُ»^(٢).

٣- بيان الإمام الباقر عليه السلام، عن جابر بن يزيد، قال: «... يا جابر، حديثنا صعب مستصعب، أمرد، ذكوان، وعر أجرد، لا يحتمله والله إلا نبيُّ

(١) بحار الأنوار، ١٨: ٣٩٧/ح ١٠٠. اليقين في أمرة أمير المؤمنين: ٨٩ - ٩١.

(٢) بحار الأنوار، ٢: ١٨٩/ح ٢١.

مُرْسَل، أَوْ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، أَوْ مُؤْمِنٌ مُتَحَنٍّ، فَإِذَا وَرَدَ عَلَيْكَ يَا جَابِرُ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِنَا فَلَانَ لَهُ قَلْبُكَ فَاحْمَدِ اللَّهَ، وَإِنْ أَنْكَرْتَهُ فَرَدَّهُ إِلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، وَلَا تَقُلْ: كَيْفَ جَاءَ هَذَا؟ وَكَيْفَ كَانَ؟ وَكَيْفَ هُوَ؟ فَإِنَّ هَذَا وَاللَّهِ الشَّرْكُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ»^(١).

ودلالاتها واضحة.

وبالجملة: لعظم هول ما أُعْطِيَ لِأَهْلِ الْبَيْتِ (صلوات الله عليهم) وعظم خطره يحصل لدى مَنْ يَطَّلِعُ عَلَيْهِ أَوْ يُخْبِرُ بِهِ وَإِنْ كَانَ بِدَلِيلٍ قِطْعِيٍّ يَقِينِيٍّ تَوْقُفًا أَوْ شَكًّا أَوْ تَرَدُّدًا أَوْ إِحْدَادًا أَوْ شَرَكًا أَوْ كُفْرًا بَعْضُهُ جَلِيٌّ، وَالْآخَرُ خَفِيٌّ عَلَيَّ دَرِكَاتٍ غَيْرِ مُتَنَاهِيَةٍ، مَشْمُولَةٌ بِبَيَانِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾^(٢)، يَرْجِعُ إِلَى مَدَى تَحْمُلِ قَابِلِيَّاتٍ وَاسْتِعْدَادَاتِ الْمَخْلُوقِ.

[حِيلُولَةُ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ نَشْرِ عُلُومِهِمْ عِنْدَ مَنْ لَا يَتَحَمَّلُهَا]

ولأجل الحيلولة من وقوع المخلوقات وفي طُرِّ الْعَوَالِمِ؛ فِي هَذِهِ الْمَحَاضِيرِ الْمَعْرِفِيَّةِ الْعَقَائِدِيَّةِ الْجَسِيمَةِ الْخَطِيرَةِ الْفَادِحَةِ، الْقَاصِمَةِ لِلظَّهْرِ، بَلْ لَا تَبْقَى وَلَا تَذَرُ مَنْعَ أَهْلِ الْبَيْتِ (صلوات الله عليهم) نَشْرَ عُلُومِهِمْ عِنْدَ مَنْ لَا يَتَحَمَّلُهَا، بَلْ سِيرَتَهُمْ قَائِمَةٌ عَلَى ذَلِكَ.

فانظر: بيناتهم (صلوات الله عليهم)، منها:

(١) بحار الأنوار، ٢: ٢٠٨/ح ١٠٢.

(٢) يوسف: ١٠٦.

١- بيان أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لكميل بن زياد: «... يا كميل، كُلِّ مصدر ينفتح، فمن نفث إليك مِنَّا بأمرٍ أَمَرَكَ بستره فإياك أَنْ تبديه، فليس لك من إبدائه توبة، فإذا لم تكن توبة فالمصير إلى لظى'. يا كميل، إذاعة سرِّ آل مُحَمَّد عليه السلام لا يقبل الله تعالى منها ولا يحتمل أحداً عليها. يا كميل، وما قالوه لك مطلقاً فلا تُعلِّمه إلا مؤمناً موقفاً...»^(١).

٢- بيان الإمام زين العابدين عليه السلام: «... فأنتم الآن العارفون الفائزون المستبصرون، وأنتم الكاملون البالغون، الله الله لا تطلُّوا أحداً من المقصِّرين المستضعفين على ما رأيتم مِنِّي ومن مُحَمَّد فيشنعوا عليكم ويكذبوكم...»^(٢).

٣- بيان الإمام الباقر عليه السلام: «... ما سترنا عنكم أكثر ممَّا أظهرنا لكم...»^(٣).

٤- إطلاق بيان الإمام الصادق عليه السلام: «إِنِّي لأُحَدِّث الرَّجُلَ الحديث فينطلق فيُحَدِّث به عني كما سمعه، فأستحلُّ به لعنه والبراءة منه»^(٤).

٥- إطلاق بيانه عليه السلام أيضاً، عن داود بن كثير، قال: «قال لي أبو

(١) بحار الأنوار، ٧٤: ٢٧٠/ح ١.

(٢) المصدر نفسه، ٢٦: ١٦/ح ٢.

(٣) بصائر الدرجات، ٢: ٢٢٤-٢٢٦/ح ١٣٣٨ - ٥. دلائل الإمامة، الطبري: ٢٢٤

- ٢٢٦/ح ١٥١. الاختصاص: ٢٧١-٢٧٢.

(٤) بحار الأنوار، ٢: ٧٩/ح ٧٥.

عبدالله عليه السلام: يا داود، إذا حدثت عنا بالحديث فاشتهرت به فأنكره»^(١).

٦- بيانه عليه السلام أيضاً، عن أبي سعيد المدائني، قال: «قال أبو عبدالله عليه السلام: اقرأ موالينا السلام، وأعلمهم: أن يجعلوا حديثنا في حصون حصينة، وصدور فقيهة، وأحلام رزينة، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما الشاتم لنا عرضاً والناصب لنا حرباً أشد مؤونة من المذيع علينا حديثنا عند من لا يحتمله»^(٢).
ودلالة الجميع واضحة.

إن قلت: إن ما تقومون به مشمول ببيانات الوحي هذه وغيرها؛ فإنه إذاعة لسر آل محمد صلوات الله عليهم، ونشر لبيانات وحيانية نهي الإصحار بها وتداولها عند المقصرة ومن لا يحتملها فضلاً عن المغرضين والنواصب وأعداء أهل البيت عليه السلام، ومن ثم وجب عدم التعرض لها والتحدث عنها.

قلت: إن هذه البيانات الوحيانية الشريفة ناظرة لحالة قبل النشر واشتهار وتفشي ما تعرضنا له من بيانات وحيانية، أمّا بعد أن انتشرت واشتهرت وتفشت في الكتب وفي المصادر الحديثية - كما عليه الحال في يومنا هذا - ووقعت في يد من هب ودب، لاسيما المغرضين والمقصرة والمستضعفين، والنواصب وأعداء أهل البيت صلوات الله عليهم وجب على من له المكنة الدفاع عنها، وبيان فلسفتها ونكاتها ونتاجها المعرفية والعلمية

(١) بحار الأنوار، ٢: ٧٥/ح ٥١.

(٢) المصدر نفسه: ٧٩/ح ٧٣.

والعقلية، تُدفع أو تُرفع الشبهات والإشكالات والتساؤلات التي يمكن أن تُثار، بل وتُثار عليها، وما يمكن أن يُحوم حومها.

[طبقات تحمل علوم ومعارف أهل البيت عليه السلام]

وبالجملة: أنَّ ما أُعطي من علوم ومعارف إلهية لأهل البيت (صلوات الله عليهم) على مراتب وطبقات غير متناهية؛ فبعضها لا يحتملها إلا مَنْ كَتَبَ الله في قلبه الإيمان.

فانظر: بيانات الوحي، منها:

بيان الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَعِيبٌ لَا يَحْتَمِلُهُ إِلَّا مَنْ كَتَبَ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ الْإِيمَانَ»^(١).

وبعضها الآخر لا يحتملها إلا نبي مرسل، أو ملك مُقَرَّب، أو مؤمن مُمْتَحَنٌ.

فلاحظ: بيانات الوحي الأخرى، منها: ما تقدّم.

وبعضها الثالث لا يحتملها إلا نبي مرسل - ك: النبي إبراهيم - ولا مَلَك مُقَرَّب - ك: جبرئيل عليه السلام - ولا مؤمن ممتحن - ك: سلمان رضوان الله عليه - إلا مَنْ شَاوُوا صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ.

فانظر: بيانات الوحي الأخرى، منها:

بيان الإمام الصادق عليه السلام، عن أبي الصّامت، قال: «إِنَّ حَدِيثَنَا صَعْبٌ

(١) بحار الأنوار، ٢: ١٩٥/ح ٤١.

مستصعب، شريف كريم، ذكوان ذكيٍّ وعز، لا يحتمله ملكٌ مُقَرَّبٌ، ولا نبيٌّ مرسلٌ، ولا مؤمنٌ مُمْتَحَنٌ. قلتُ: فَمَنْ يحتمله جعلتُ فداك؟ قال: مَنْ شئنا يا أبا الصّامت. قال أبو الصّامت: فظننتُ أن لله عبداً هم أفضل من هؤلاء الثلاثة»^(١).

وبعضها الرَّابع لا يحتملها إلا هم (صلوات الله عليهم).

فلاحظ: بيانات الوحي الأخرى، منها:

بيان الإمام الصادق عليه السلام، عن أبي الصّامت، قال: «سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: إِنَّ من حديثنا ما لا يحتمله ملكٌ مُقَرَّبٌ، ولا نبيٌّ مرسلٌ، ولا عبد مؤمن. قلتُ: فَمَنْ يحتمله؟ قال: نحن نحتمله»^(٢).

وإلى كُلِّ هذا أشارت بيانات الوحي، منها:

بيان الإمام الصادق عليه السلام: «... إِنَّ عندنا سرّاً من سرِّ الله، وعلماً من علم الله لا يحتمله ملكٌ مُقَرَّبٌ، ولا نبيٌّ مرسلٌ، ولا مؤمنٌ أمتحن الله قلبه للإيمان، والله ما كلّف الله أحداً ذلك الحمل غيرنا، ولا استعبد بذلك أحداً غيرنا، وإنَّ عندنا سرّاً من سرِّ الله، وعلماً من علم الله أمرنا الله بتبليغه، فبلغنا عن الله ﷻ ما أمرنا بتبليغه، ما نجد له موضعاً، ولا أهلاً ولا حمالة يحملونه حتّى خلق الله لذلك أقواماً؛ خلّقوا من طينة خلق منها مُحَمَّدٌ ﷺ وذريّته، ومن نور خلق الله منه مُحَمَّدٌ وذريّته، وصنعهم بفضل صنع رحمته التي صنع منها مُحَمَّدٌ ﷺ؛ فبلغناهم عن الله ﷻ ما أمرنا بتبليغه،

(١) بحار الأنوار، ٢: ١٩٢/ح ٣٤.

(٢) المصدر نفسه: ١٩٣/ح ٣٦.

فقبلوه واحتملوا ذلك، وبلغهم ذاك عنا فقبلوه واحتملوه، وبلغهم ذكرنا فمالت قلوبهم إلى معرفتنا وحديثنا، فلولا أَنَّهُم خُلِقُوا من هذا لَمَّا كانوا كذلك، ولا واللَّه ما احتملوه. ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ قَوْمًا لَّجَهَنَّمَ وَالنَّارَ؛ فَأَمَرْنَا أَنْ نُبَلِّغَهُمْ كَمَا بَلَّغْنَاهُمْ فَاشْمَازُوا من ذلك، ونفرت قلوبهم وردوه علينا، ولم يحتملوه، وكذبوا به ... فطبع اللّٰه على قلوبهم وأنساهم ذلك، ثُمَّ أَطْلَقَ اللّٰه لِسَانَهُم بَعْضَ الْحَقِّ، فَهُمْ يَنْطَقُونَ بِهِ وَقُلُوبُهُمْ مَّنْكَرَةٌ؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ دَفْعًا عَنْ أَوْلِيَائِهِ وَأَهْلِ طَاعَتِهِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا عُبِدَ اللّٰه فِي أَرْضِهِ، فَأَمَرْنَا بِالْكَفِّ عَنْهُمْ، وَالْكَتْمَانِ مِنْهُمْ، فَاکْتَمُوا مِمَّنْ أَمَرَ اللّٰه بِالْكَفِّ عَنْهُمْ، وَاسْتَرَوْا عَمَّنْ أَمَرَ اللّٰه بِالْكَتْمَانِ مِنْهُمْ، قَالَ: ثُمَّ رَفَعَ يَدَهُ وَبَكَى وَقَالَ: اللَّهُمَّ، إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشَرِّ ذِمَّةٍ قَلِيلُونَ فَاجْعَلْ مَحْيَاهُمْ مَحْيَانَا، وَمَمَاتِهِمْ مَمَاتِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا لَكَ فَتَفْجَعْنَا بِهِمْ؛ فَإِنَّكَ إِنْ فَجَعْتَنَا بِهِمْ لَمْ تُعْبِدْ أَبَدًا فِي أَرْضِكَ»^(١).

[نَكْتَةُ إِبْتِلَاءَاتِ بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ]

وهذا ما يُوضَّح: نَكْتَةُ وَفَلَسَفَةُ تَعَرُّضِ بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ السَّابِقِينَ إِلَى الْإِبْتِلَاءَاتِ، مِنْهُمْ: النَّبِيُّ آدَمُ ﷺ؛ فَإِنَّهُ لَمَّا عُرِضَتْ عَلَيْهِ بَعْضُ مَقَامَاتِ وَشُؤُونِ أَهْلِ الْبَيْتِ (صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) تَوَقَّفَ فَعَوَّقَ بِإِبْتِلَائِهِ الْمَعْرُوفَ وَأَخْرَجَ مِنَ الْجَنَّةِ، وَعَفِيَ عَنْهُ بَعْدَ أَنْ رَجَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ، لَكِنَّهُ لَمْ يُجْعَلْ مِنْ أَنْبِيَاءِ أُولَى الْعِزِّ ﷺ بِسَبَبِ تَوَقُّفِهِ.

وهكذا النَّبِيُّ أَيُّوبُ ﷺ؛ فَابْتُلِيَ بِالْمَرَضِ وَسَائِرِ إِبْتِلَاءَاتِهِ إِلَى أَنْ تَابَ

(١) بحار الأنوار، ٢٥: ٣٨٥-٣٨٦/ح ٤٤. المحتضر: ١٥٤-١٥٥.

فأدركته السعادة بأمر المؤمنين وبقية أهل البيت (صلوات الله عليهم).
وعلى هذا قس حال النبي يونس عليه السلام، فأبتلي بالحوث، وحُبس في بطنه
إلى أن تاب وقبل ولاية أمير المؤمنين وسائر أهل البيت (صلوات الله
عليهم).

وهذا ما تشير إليه بيانات الوحي، منها:

١- بيان سيد الأنبياء عليه السلام، منضمّاً إليه بيان أمير المؤمنين (صلوات الله
عليه)، قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَرَضَ وَلَايَةَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ
السَّمَاوَاتِ وَأَهْلِ الْأَرْضِ فَقَبِلُوهَا مَا خَلَا يُونُسَ بْنِ مَتَى، فَعَاقَبَهُ اللَّهُ وَحَبَسَهُ فِي
بَطْنِ الْحَوْتِ؛ لِإِنْكَارِهِ وَلَايَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى قَبِلَهَا».

قال أبو يعقوب^(١): «فنادى في الظلمات أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي
كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ لِإِنْكَارِي وَلَايَةَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ».

قال أبو عبد الله: فأنكرت الحديث فعرضته على عبد الله بن سليمان
المدني فقال لي: «لا تجزع منه؛ فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ خُطِبَ
بِنَا بِالْكُوفَةِ، فَحَمَدَ اللَّهُ تَعَالَى وَأَثْنَى عَلَيْهِ، فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ: «فَلَوْلَا إِنَّهُ كَانَ
مِنَ الْمُقَرَّرِينَ لِلْبَثِّ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ». فقام إليه فلان بن فلان وقال: يا
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ إِنَّا سَمِعْنَا اللَّهَ^(٢): ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾.
فقال: أُقْعَدُ يَا بَكَارُ؛ «فَلَوْلَا إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّرِينَ لِلْبَثِّ ... إِلَى آخِرِ

(١) أبو يعقوب - هذا - وأبو عبد الله الآتي ذكره من أصحاب رواية وإسناد هذا
الحديث الشريف.

(٢) في المصدر: (إِنَّا سَمِعْنَا اللَّهَ يقول).

الآية»^(١)»^(٢).

٢- بيان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، مخاطباً سلمان (رضوان الله عليه): «... يا سلمان، أنا الذي دُعيت الأُمم كُلُّها إلى طاعتي فكفرت فعُدَّت بالنار...». قال سلمان: ... وَأَنْتَ قِصَّةُ أَيُّوبَ وَسَبَبُ تَغْيُرِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أَتَدْرِي مَا قِصَّةُ أَيُّوبَ، وَسَبَبُ تَغْيُرِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ؟ قال: الله أعلم وَأَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قال: لَمَّا كَانَ عِنْدَ الْإِنْبِعَاثِ لِلنَّاطِقِ شَكُّ أَيُّوبَ فِي مَلَكِي، فَقَالَ: هَذَا خُطْبُ جَلِيلٍ وَأَمْرٌ جَسِيمٌ. قَالَ اللَّهُ ﷻ: يَا أَيُّوبُ أَتَشْكُ فِي صُورَةِ أَقْمَتِهِ أَنَا؟ إِنِّي ابْتَلَيْتُ آدَمَ بِالْبَلَاءِ فَوَهَبْتَهُ لَهُ وَصَفَحْتُ عَنْهُ بِالتَّسْلِيمِ عَلَيْهِ بِأَمْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنْتَ تَقُولُ: خُطْبُ جَلِيلٍ، وَأَمْرٌ جَسِيمٌ؟! فَوَعَزَّتِي لِأَذِيقَنَّكَ مِنْ عَذَابِي أَوْ تَتُوبَ إِلَيَّ بِالطَّاعَةِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. ثُمَّ أَدْرَكْتَهُ السَّعَادَةُ بِي؛ يَعْنِي: أَنَّهُ تَابَ وَأَذْعَنَ بِالطَّاعَةِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَعَلَى ذَرِيَّتِهِ الطَّيِّبِينَ عليهم السلام»^(٣).

٣- بيان تفسير الإمام الباقر (صلوات الله عليه)، وبيان نكتة عدم جعل النَّبِيِّ آدَمَ عليه السلام مِنْ أَنْبِيَاءِ أُولَى الْعِزْمِ عليهم السلام: «فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتَنَيْهِ وَكَمْ نَجِدُهُ لُغْزَماً﴾^(٤) قال: عَهْدٌ إِلَيْهِ فِي مُحَمَّدٍ

(١) الصافات: ١٤٣.

(٢) بحار الأنوار، ٢٦: ٣٣٣ - ٣٣٤/ح ١٦. تفسير فرات الكوفي: ٩٤.

(٣) بحار الأنوار، ٢٦: ٢٩٢ - ٢٩٣/ح ٥٢. كنز جامع الفوائد: ٢٦٤ - ٢٦٥. وفيه: (أَنَّهُ تَابَ إِلَى اللَّهِ).

(٤) طه: ١١٥.

والأئمة من بعده فترك، ولم يكن له عزم فيهم أنهم هكذا...»^(١).

٤- بيان الإمام الرضا (صلوات الله عليه): «... وَإِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا أَكْرَمَهُ اللَّهُ (تعالى ذكره) بِإِسْجَادِ ملائكته له، وبإِدْخَالِهِ الجنة قال في نفسه: هل خلق الله بشراً أفضل مني؟ فعلم الله ﷻ ما وقع في نفسه، فناداه: ارفع رأسك يا آدم، فانظر إلى ساق عرشي، فرفع آدم رأسه فنظر إلى ساق العرش فوجد عليه مكتوباً: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أمير المؤمنين، وزوجته فاطمة سيّدة نساء العالمين، والحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة. فقال آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا رَبِّ، مَنْ هَؤُلَاءِ؟ فقال ﷻ: مِنْ ذُرِّيَّتِكَ، وهم خير منك ومن جميع خلقي، ولولا هم ما خلقتك ولا خلقت الجنة والنار، ولا السماء والأرض، فَإِنَّكَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِمْ بَعِينَ الْحَسَدِ فَأُخْرِجَكَ عَنْ جَوَارِي. فنظر إليهم بعين الحسد، وتمنى منزلتهم، فتسلط الشيطان عليه حتى أكل من الشجرة التي نهي عنها، وتسلط على حواء؛ لنظرها إلى فاطمة عَلَيْهِ السَّلَامُ بعين الحسد حتى أكلت من الشجرة كما أكل آدم، فأخرجهما الله ﷻ عن جنته، وأهبطهما عن جواره إلى الأرض»^(٢).

ودلالة الجميع واضحة.

(١) بحار الأنوار، ١١: ٣٥/ح ٣١. علل الشرائع: ٥٢.

(٢) بحار الأنوار، ٢٦: ٢٧٣/ح ١٥. عيون الأخبار: ١٧٠.

[مقامات كَمَل المخلوقات لا تُعطى إلا بقدر معرفتهم بأهل البيت عليه السلام]

ثُمَّ إِنَّ كَمَل المخلوقات - منهم: الملائكة المُقَرَّبِينَ، والأنبياء والمرسلين، والأوصياء والأصفياء عليه السلام - لم يُعطوا تلك المقامات والكمالات ولم يُفَضَّل بعضهم على الآخر إلا بقدر معرفتهم بأهل البيت (صلوات الله عليهم)، وبقدر تحمُّل قابليَّاتهم لأسرارهم.

وإلى هذا تُشير بيانات الوحي، منها:

١- بيان الحديث القدسي، عن ربِّ العزَّة (تقدَّس ذكره)، مخاطباً سيِّد الأنبياء عليه السلام: «... وَإِنِّي جعلتكم محنة لخلقي، أمتحن بكم جميع عبادي وخلقِي في سمائي وأرضي وما فيهنَّ؛ لأَكْمِل الثواب لمن أطاعني فيكم، وأحلَّ عذابي ولعنتي على مَنْ خالفني فيكم وعصاني، وبكم أُمَيِّزُ الخبيث من الطيِّب...»^(١).

ودلالته قد اتَّضحت؛ فَإِنَّ جملة المخلوقات، منهم: كافَّة الملائكة لا سيما المُقَرَّبِينَ، وجميع الأنبياء والمرسلين، وسائر الأوصياء والأصفياء عليه السلام لم يُعْطَ أَحَدٌ منهم مقاماً - ك: مقام: المُقَرَّبِيَّة، والنُّبُوَّة والرسالة، والوصاية والإصطفاء - ولا كمالاً ولا فضيلة، ولا شأنًا إلهيًّا بَتَّة في هذا العالم، وفي العوالم السَّابِقة واللاحِقة، ولم يُمَيِّز خبيثٌ عن طيِّبٍ إلا بعد الابتلاءات والإمتحانات في قدر معرفته ب: أهل البيت (صلوات الله عليهم) وطاعته لهم، ومدى تحمُّله لأسرارهم ومعارفهم.

(١) بحار الأنوار، ١٨: ٣٩٩-٤٠٠/ح ١٠١.

٢- بيان سيّد الأنبياء ﷺ: «... والذي نفسي بيده، ما استوجب آدم أن يخلقه الله وينفخ فيه من روحه وأن يتوب عليه، ويردّه إلى جنّته إلاّ بنوّتي والولاية لِعَلِّيّ بعدي، والذي نفسي بيده ما أرى إبراهيم ملكوت السّموات والأرض، ولا اتّخذه خليلاً إلاّ بنوّتي والإقرار لِعَلِّيّ بعدي، والذي نفسي بيده، ما أكلم الله موسى تكليماً، ولا أقام عيسى آية للعالمين إلاّ بنوّتي ومعرفة عليّ بعدي، والذي نفسي بيده، ما تنبأ نبيّ إلاّ بمعرفتي، والإقرار لنا بالولاية، ولا استأهل خلق من الله النظر إليه إلاّ بالعبوديّة له، والإقرار لِعَلِّيّ بعدي...»^(١).

٣- بيانه ﷺ أيضاً: «ما تكاملت النّبوة لِنبيّ في الأظلة حتّى عرضت عليه ولايتي وولاية أهل بيتي، ومثّلوا له فأقرّوا بطاعتهم وولايتهم»^(٢).
ودلالته - كدلالة سابقه - واضحة.

٤- إطلاق بيان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): «... أنا مُنزل الملائكة منازلها ... أنا صاحب الهبات بعد الهبات ولو أخبرتكم لكفرتم ... أنا المعطي، أنا المبذل، أنا القابض يدي على القبض...»^(٣).

وهذا أحد تفاسير هذا البيان الشّريف.

٥- بيان الإمام الصادق عليه السلام: «ما نبيّ نبيّ قطّ إلاّ بمعرفة حقنا،

(١) بحار الأنوار، ٤٠: ٩٥-٩٧/ح ١١٦. كتاب سليم: ١٦٨-١٧٠.

(٢) بصائر الدرجات، ١: ١٦١/ح ٣٠٠-٧.

(٣) مشارق أنوار اليقين، الخطبة الافتخارية: ١٦٥-١٦٦.

وبفضلنا على من سوانا»^(١).

ودلالته قد اتضحت؛ فإنَّ مقام النبوة لم يُعطَ لنبيٍّ قطُّ إلا بعد معرفته في العوالم السَّالفة بحقائق أهل البيت (صلوات الله عليهم)، ومعرفة: حقَّهم وحقوقهم وبفضلهم على جملة المخلوقات وفي جميع العوالم.

٦- بيانه عليه السلام أيضاً: «... فَمَنْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قَلْبَهُ مِنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ عَرَفَهُ وَلَايَتَنَا، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَطْمَسَ عَلَى قَلْبِهِ أَمْسَكَ عَنْهُ مَعْرِفَتَنَا... وَاللَّهُ، مَا اسْتَوْجَبَ آدَمَ أَنْ يَخْلُقَهُ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَيَنْفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ إِلَّا بِوَلَايَةِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَا كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً إِلَّا بِوَلَايَةِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَا أَقَامَ اللَّهُ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ آيَةً لِلْعَالَمِينَ، إِلَّا بِالْخُضُوعِ لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ قَالَ: أَجْمَلُ الْأَمْرِ: مَا اسْتَأْهَلَ خَلْقَ مِنَ اللَّهِ النَّظَرَ إِلَيْهِ إِلَّا بِالْعُبُودِيَّةِ لَنَا»^(٢).

ودلالته واضحة.

٧- بيانه عليه السلام أيضاً، الوارد في حقِّ فاطمة الزهراء عليها السلام: «... وهي الصَّديقة الكبرى، وعلى معرفتها دارت القرون الأولى»^(٣).

ودلالته قد اتضحت أيضاً؛ فإنَّ مقامات كُمل المخلوقات - ك: الملائكة المُقرَّين، والأنبياء والمرسلين، والأوصياء والأصفياء عليهم السلام - وغيرهم وكما لا تهم وشؤونهم لم تعطها يد ساحة القدس الإلهية لهم في العوالم السَّابقة - وهي الأساس - إلا على قدر معرفتهم ب: مراتب طبقات حقيقة فاطمة

(١) بحار الأنوار، ٢٦: ٢٨١/ح ٢٨. بصائر الدرجات، ١: ٥١.

(٢) بحار الأنوار: ٢٩٤/ح ٥٦. الاختصاص: ٢٥٠.

(٣) بحار الأنوار، ٤٣: ١٠٥/ح ١٩.

الزهاء صلوات الله عليها، وب: مقاماتها، وكمالاتها، وفضائلها، وشؤونها. ولوجود تفاوت في معرفتهم بها فُضِّل بعضهم على الآخر.

٨ - بيان الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «... فالكليم ألبس حلة الإِصطفاء لَمَّا عهدنا منه الوفاء...»^(١).

ودلالته قد اتَّضحت أيضاً؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ موسى عليه السلام نال الإِصطفاء والنُّبُوَّة والرِّسالة؛ وسائر المراتب والمقامات الإِلهية؛ لَمَّا عهد أهل البيت صلوات الله عليهم منه الوفاء والإِخلاص لهم.

٩- بيان زيارتهم (صلوات الله عليهم): «... حَتَّى لَا يَبْقَى مَلَكٌ مُّقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَلَا صِدِّيقٌ وَلَا شَهِيدٌ، وَلَا عَالِمٌ، وَلَا جَاهِلٌ، وَلَا دُنِي وَلَا فَاضِلٌ، وَلَا مُؤْمِنٌ صَالِحٌ وَلَا فَاجِرٌ طَالِحٌ، وَلَا جَبَّارٌ عَنِيدٌ، وَلَا شَيْطَانٌ مُرِيدٌ، وَلَا خَلْقٌ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ شَهِيدٌ إِلَّا عَرَفَهُ جَلَالَةُ أَمْرِكُمْ، وَعَظَمَ خَطَرِكُمْ، وَكَبِيرَ شَأْنِكُمْ، وَجَلَالَةَ قَدْرِكُمْ، وَتَمَامَ نُورِكُمْ، وَصَدَقَ مَقَاعِدَكُمْ، وَثَبَاتَ مَقَامِكُمْ، وَشَرَفَ مَحَلِّكُمْ، وَمَنْزَلَتَكُمْ عِنْدَهُ، وَكَرَامَتَكُمْ عَلَيْهِ، وَخَاصَّتَكُمْ لَدَيْهِ، وَقَرَّبَ مَجْلِسَكُمْ مِنْهُ...»^(٢).

ودلالته قد اتَّضحت أيضاً؛ فَإِنَّ أَحَدَ فِلَسَفَاتِ هَذَا الْعَرَضِ وَعِلَلِهِ فِي بَدَايَةِ الْخَلْقَةِ، وَالتَّعْرِيفِ بِمَقَامَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ (صلوات الله عليهم) وكمالاتهم وشؤونهم وذلك لِإِخْتِبَارٍ وَامْتِحَانٍ جَمْلَةِ الْمَخْلُوقَاتِ؛ لِيُعْطَى كُلُّ

(١) بحار الأنوار، ٢٦: ٣٦٤-٣٦٥/ح ٥٠.

(٢) المصدر نفسه، ٩٩: ١٥٢.

ذي قابليّة حقّه وشأنه في المسؤوليّات المستقبلية.

البيان الثاني: بيان دعاء أيّام شهر رجب، الوارد عن النّاحية المقدّسة في حقّ طبقات حقائق أهل البيت عليهم السلام الصّاعدة: «... اللّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ ... بها نطق فيهم من مشيتك، فجعلتهم معادن لكلماتك، وأركاناً لتوحيدك، وآياتك ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كلّ مكان، يعرفك بها من عرفك، لا فرق بينك وبينها إلاّ أنّهم عبادك وخلقتك...»^(١).

ودلالته قد اتّضحت؛ فإنّه لمّا كانت طبقات حقائق أهل البيت عليهم السلام الصّاعدة تمرّدت ذواتها وماهيّاتها، وفنيت فيها جنبه المخلوقيّة، وخلصت في حكاية ذبيها، فلم تر نفسها، بل محكيّها: (الذّات الإلهيّة الأزليّة المقدّسة)، وأصبحت نظير: المرأة شديدة الصقل والصفاء والإخلاص في الحكاية انعكست وظهرت وتجلّت فيها كافّة صفات الذّات الإلهيّة المقدّسة، وأسمائه وكمالاته وشؤونه (تقدّس ذكره)؛ إلاّ الإلهيّة، فصار: لا فرق بينه (تعالى ذكره) وبينهم (صلوات الله عليهم) بلحاظ تلك الطبقات إلاّ أنّهم عبادهم وخلقه، يعرفه (جلّ قدسه) بهذه الطبقات المقدّسة من عرفه. فالتفت، وتدبّر جيّداً، واغتتم تربت يداك.

البيان الثالث: ما ورد عنهم (صلوات الله عليهم): «لنا مع الله حالات: هو هو ونحن نحن، وهو نحن ونحن هو»^(٢).

ودلالته قد اتّضحت أيضاً، ولا غبار عليها؛ فإنّه بعد ما كانت طبقات

(١) بحار الأنوار، ٩٥: ٣٩٣.

(٢) مصباح الهداية: ١١٤.

حقائق أهل البيت عليهم السلام الصاعدة خالصة وفانية في حكاية ذبيها، ولا تُثري نفسها، بل محكيها: (الذات الإلهية الأزلية المقدسة) انعكست وظهرت وتجلت فيها جملة صفات وأسماء وكمالات وشؤون الباري - المسمى - (تعالى ذكره)، صاحب الذات الإلهية المقدسة، فصار بلحاظ تلك الطبقات: «هو (جل شأنه) هم (صلوات الله عليهم)، وهم (صلوات الله عليهم) هو (جل جلاله)». نظيره: الصورة المرآتية بالقياس إلى محكيها؛ (الشخص الخارجي).

لكن: حيث إنَّ هناك شيئاً لا يمكن أن يتصفوا عليهم السلام به وهو: الألوهية، مضافاً: أنه عجل هو: الخالق والمعبود، وهم (صلوات الله عليهم): مخلوقون وعبيد، ويضاف إليه: أن صفاته وأسمائه وكمالاته وشؤونه بالنسبة إليه (جل وعلا) أصالة وبالذات، بخلاف صفاتهم (صلوات الله عليهم) وأسمائهم وكمالاتهم وشؤونهم؛ فإنها حكاية، ووجود ظلي، ومن الغير كان: «هو هو (جل اسمه)»، و «هم هم صلوات الله عليهم». فتدبر جيداً، واغتنم تربت يدك.

المقدمة السادسة:

هيمنة المخلوق المتقدم وعلوكمالاته

ثم إنَّ المخلوق المتقدم والسابق رتبة: ممرٌ للفيض الإلهي للمخلوق المتأخر، واللاحق رتبة، ومحيط به، ومهيمن عليه.

وهذا التقدم والتأخر، والسبق واللاحق ليس بزمني، بل رتبي وعوالم.

وهذا ما يُشير إليه بيان القاعدة المعرفية القائلة: «أَنَّ كُلَّ مقامٍ مُتَقَدِّمٍ مهيمِن على المقام المُتَأَخَّر، ومقتضى الهيمنة علُوُّ كِمالات المُهَيِّمِينَ».

وعليه: فيكون رأس هرم طبقات حقائق أهل البيت عليه السلام الصَّاعِدَة أرفع كِمالاً، وأعلى مقاماً من الصِّفَات والأَسْمَاء الإلهية الحسنى، وممَرَّ فيض لها فضلاً عمّا دونها، ويتصرَّف فيها، ومُهيِّم ومسيطر عليها ومحيط بها، ونافذ فيها وفي جميع شراشر وجوداتها نفوذ اللَّطِيف في الأغْلظ؛ لا بالمجازة والمزاولة، وخارج عنها خروج اللَّطِيف عن الأغْلظ؛ لا بالمباينة والمزايلة.

وهناك قاعدة معرفية عقلية أخرى، من خفايا المباحث المعرفية العقلية، تُذكر في أبواب المعارف، وهي: أَنَّهُ: «كَلِّمًا ازدادت اللَّطَافَة: انعدمت النَّسَب والحُجُب والفواصل والأبعاد، واشتدَّ العلم والوجود والحضور، واشتدَّت الإحاطة والقدرة، وكانت نسبة جميع ما دون شديد اللَّطَافَة من العوالم والمخلوقات إليه نسبة واحدة، لا سيما إذا كان شديد اللَّطَافَة هو الجوهر المُجَرَّد؛ لأنَّ نسبته إليها نسبة تقوُّم».

وهذه معادلة فوق العلوم الرياضية.

ومنه يتَّضح: حال طبقات حقائق أهل البيت (صلوات الله عليهم) الصَّاعِدَة، لا سيما رأس هرمها بلحاظ ما دونها من مخلوقات عالم السَّرمَد والأزل؛ عالم الصفات والأَسْمَاء الإلهية الحسنى فضلاً عمّا دونها.

المقدمة السابعة:

أنواع الإحاطة

ثُمَّ إِنَّهُ يَنْبَغِي الْإِلْتِفَاتُ: أَنَّ الْإِحَاطَةَ عَلَى أَنْحَاءِ ثَلَاثَةٍ:
أَحَدُهَا: الْإِحَاطَةُ الْمَادِّيَّةُ الْجُغْرَافِيَّةُ. وَهَذِهِ لَا تُحِيطُ إِلَّا بِالسَّطْحِ وَالظَّاهِرِ
فَقَطْ.

وَمَجَالُهَا: إِذَا كَانَ الْمُحِيطُ مِنْ عَالَمِ الْأَجْسَامِ الْغَلِيظَةِ.

مِثَالُهَا: إِحَاطَةُ الْكَرَةِ الْكُبْرَى بِالْكَرَةِ الصَّغِيرَةِ.

وَهَذَا النُّحُو وَإِنْ عُدَّ نَحْوُ مِنْ أَنْحَاءِ الْإِحَاطَةِ فِي عِلْمِ الرِّيَاضِيَّاتِ وَعِلْمِ
الْهَنْدَسَةِ، لَكِنَّهُ بِالدَّقَّةِ الْعَقْلِيَّةِ فِيهِ مَسَاحَةٌ ظَاهِرَةٌ.

وَمِنْهُ يَتَّضِحُ: أَنَّ الدَّقَّةَ الْعَقْلِيَّةَ تَفُوقُ الدَّقَّةَ فِي عِلْمِ الرِّيَاضِيَّاتِ وَعِلْمِ
الْهَنْدَسَةِ؛ لِإِعْتِمَادِهِمَا عَلَى قُوَّةِ الْخِيَالِ^(١)، بِخِلَافِ الدَّقَّةِ الْعَقْلِيَّةِ؛ فَإِنَّهَا أَشْرَسُ
مِنْ دُونَ قِيَاسِ مِنَ الدَّقَّةِ فِي عِلْمِ الرِّيَاضِيَّاتِ وَعِلْمِ الْهَنْدَسَةِ؛ لِإِعْتِمَادِهَا عَلَى
قُوَّةِ الْعَقْلِ. وَالْفَارَقُ بَيْنَ الْقَوَّتَيْنِ عَظِيمٌ وَشَاسِعٌ جِدًّا، بَلْ مِنْ دُونَ قِيَاسِ
أَيْضًا؛ فَإِنَّ الْعَقْلَ عَيْنَ مُسَلِّحَةٍ أَشْرَسَ مِنْ عَيْنِ قُوَّةِ الْخِيَالِ بِمَرَاتِبٍ غَيْرِ
مُتَنَاهِيَةٍ.

وَهَذِهِ نَكْتَةٌ نَفِيسَةٌ تَأْتِي فِي أَبْوَابِ الْمَعَارِفِ.

(١) عَالَمُ الْخِيَالِ: عَالَمُ أَلْطَفٍ مِنْ عَالَمِ الْحَسِّ اللَّطِيفِ، وَهُوَ عَلَى مَرَاتِبٍ وَأَقْسَامٍ وَأَنْوَاعٍ؛
كَعَالَمِ الْحَسِّ.

ثانيها: الإحاطة المادية غير الجغرافية. وهذه تُحيط بالظواهر والباطن، لكنها تبقى مادية وجسمانية ولها مقدار.

ومجالها: إذا كان المحيط من عالم المادة وعالم الأجسام اللطيفة.

مثالها: إحاطة الأشعة البنفسجية أو الحمراء أو فوقها أو تحتها بالأجسام الأغظ.

لكن: هناك نواقص في هذه الإحاطة، فضلاً عن الإحاطة المادية الجغرافية؛ منها :

أولاً: أنَّ الإحاطة المادية غير الجغرافية فضلاً عن الجغرافية مهما علت وبلغت لا بُدَّ أن تكون ناقصة، فإحاطة الأشعة والطَّاقات بالأجسام الأغظ وإن كانت أكمل نسبياً من إحاطة الجسم الكبير بالصَّغير، لكنها تبقى ناقصة؛ لأنَّ عناصر وذرات الأشعة والطَّاقات وإن نفذت في الأجسام والمواد الأغظ، لكن نفس الأجسام والمواد الأغظ تتكوَّن من لطائف مادية، وما إنَّ تتساوى درجات اللطافة في مواد الأشعة والطَّاقات مع درجات اللطافة في المواد الصَّاعدة للأجسام فلا تنفذ ولا تُحيط تلك الأشعة والطَّاقات بتلك الدرجة من الأجسام، وتمرُّ على سطوح تلك المواد فيصير لقاء سطح بسطح.

إذن: الدُّخول والنُّفوذ المادِّي الجغرافي، بل والدُّخول والنُّفوذ المادِّي غير الجغرافي من أضعف أنواع الدُّخول والنُّفوذ؛ لعدم حصول تشابك حقيقي، بل تلوَّن سطوح.

ثانياً: أَنَّ بعض المحيط وإن كان حاضراً في جانب من جوانب المحيط، لكنّه ليس بحاضر في الجوانب الأخرى؛ فإحاطة الأشعة وسائر القوى الماديّة والطّاقات بالجسم الأغظ وإن كانت نافذة وحاضرة في أحد جوانبه لكنّها لا تكون نافذة وحاضرة في جوانبه الأخرى، لأنّ هذه القوى والطّاقات بعدما كانت من عالم الأجسام والمادة، وطبيعة هذا العالم أنّ بعض جوانبه تغيب عن جوانبه الأخرى. وهذا بخلاف نفوذ وحضور واحاطة المجرّدات التّامّة كنفوذ وحضور واحاطة الباري - المُسمّى - تقدّس ذكره ونفوذ وحضور واحاطة الأسماء والصفّات الإلهيّة ومرادفاتهما العقليّة الإلهيّة - طبقات حقائق أهل البيت ﷺ الصّاعدة - فإنّ جملة ابعاض المحيط وأجزاء وذراته وشرائره وشؤونه وأحواله حاضرة لدى المحيط كنقطة واحدة ولا يغيب عنه شيء.

ثالثها: الإحاطة التجرّديّة، وهذه إحاطة وجوديّة، تكون فيها للمُحيط هيمنة وإحاطة وقدرة أعظم وجوداً وكمالاً من هيمنة وإحاطة وقدرة ووجود وكمال المحيط.

ومجالها: إذا لم يكن المحيط من عالم المادّة والأجسام، وإنّما كان من عالم المجرّدات تجرّداً تامّاً - ك: الذات الإلهيّة الأزليّة المقدّسة، وعالم الأسماء والصفّات الإلهيّة؛ طبقات حقائق أهل البيت ﷺ الصّاعدة -، فتكون نسبة المحيط إلى جملة المحيط ظاهره وباطنه نسبة واحدة.

نظيره: نقطة مركز الدائرة بلحاظ جميع نقاط محورها^(١)، فإن نسبتها إلى الجميع واحدة؛ من دون أي تبعض وتفاوت^(٢).

(١) مرجع الضمير: (الدائرة).

(٢) لا بأس بالالتفات في المقام إلى الأمرين التاليين:

الأمر الأول:

الدائرة والكرة من اقدس الأشكال المخلوقة

اعتبر علماء الرياضيات والهندسة منذ القدم: أن الدائرة أو الكرة من أقدس الأشكال المخلوقة، وتؤخذ كمثال حسي وتقريبي لبيان أولية الذات الإلهية الأزلية المقدسة وأنها عين آخريتها، وليست للذات الإلهية المقدسة حالة تصرم ولا حالة ترقب لأمر أخرى، فهي كالنقطة المركزية في الدائرة؛ فإنها إذا قيست إلى نقاط محورها كانت أولية هذه النقاط بالنسبة إلى مركز الدائرة عين آخريتها، وليست هناك حالة تصرم في الأولية، ولا حالة ترقب في الآخرة، وهي تحيط بالكل، فنسبة نقطة مركز الدائرة إلى بدايات نقاط محورها عين نسبتها إلى متوسطات نقاط محورها، وعين نسبتها إلى نهايات نقاط محورها.

الأمر الثاني:

الدائرة والكرة رمزان رياضيان معرفيان يوضحان علاقة اللطيف بالأغظ

الدائرة والكرة رمزان رياضيان معرفيان عظيمان لتقريب علوم ومباحث المعارف الإلهية إلى الأذهان والعقول، ولشرح وبيان جملة أمور، منها: علاقة ونسبة الجسم اللطيف إلى كافة بقاع الجسم الأغظ واجزائه وشرائره؛ فإنها واحدة، كنقطة مركز الدائرة أو الكرة بلحاظ الجسم المتحرك في محيطها، فإن نقاط المحيط إذا قيست إلى الجسم المتحرك فيها كانت متفاوتة في البعد والقرب، لكنها إذا قيست إلى مركز دائرتها أو مركز كرتها كانت في البعد والقرب سواء، فأوليتها عين آخريتها، وآخريتها عين أوليتها.

مثالها: ما أشارت إليه بيانات الوحي، منها:

أولاً: بيان قوله جل ثناؤه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(١).

أي: أنَّ قربَه وقدرته وسيطرته وهيمته على جملة المخلوقات واحدة، لا تبغض ولا تتفاوت، فهو سبحانه وتعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾^(٢).

إذن: نسبة المخلوقات بالنسبة إليه (جل ذكره) تتوحد، فلا يغيب شيء عنه؛ فجملة العوالم وكافة المخلوقات غير المتناهية في حضور واحدٍ لديه.

→ وهذا المثال وإن كان جسمانياً وحسياً ومادياً، ويُقَرَّب من جهة ويُبعد من جهات، لكنّه بديع، ويوضّح علاقة اللطيف بالأغلظ ونسبته إليه، والمخلوقات وإن كان ماضيها غير حاضرها ومستقبلها، وحاضرها غير ماضيها ومستقبلها، ومستقبلها غير ماضيها وحاضرها، لكنّها إذا قيست إلى باريها (تقدّس ذكره) كانت نسبتها إليه تعالى واحدة من دون أي تفاوت، فأولّيته تعالى عين آخريته، وآخريته عين أولّيته، وأزليته عين سرمديته، ولا يتجدّد فيه شيء، ولا يتصرّم ولا يتبدّد منه شيء، وهو في كلّ شيء.

وتصوّر هذه المعادلات يستعصي على أذهان عقول رواد العلوم البشريّة - كرواد: الفيزياء، والكيمياء والاحياء والرياضيات والهندسة والفضاء -؛ لكونهم مُتخلّفين في المعرفة العقلية - إلا الموحدون منهم - فالعين العقلية ليست بمُتطوّرة ولا نامية لديهم، كحال الحيوانات؛ فإنّ جانب الحسّ وإن كان قوياً لديها، لكن جانب العقل ضعيف عندها.

وعليه: فلا تُبنى الحضارة والتنمية البشريّة اعتماداً على الجانب الحيواني والحسّ فقط، بل وعلى الجانب العقلي، وهو الأخطر والأعظم والأهم.

(١) طه: ٥.

(٢) الإخلاص: ٣.

وهذا ما تشير إليه بيانات الوحي الأخرى، منها:

١- بيان الإمام الصادق عليه السلام؛ فإنه سُئل: «عن قوله الله عز وجل: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾»، فقال: استوى من كُلِّ شيء، فليس شيء أقرب منه من شيء»^(١).

٢- بيان الإمام الكاظم عليه السلام، عن يعقوب بن جعفر الجعفري، قال: «ذكر عنده قوم زعموا أَنَّ الله تبارك وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا، فقال: إِنَّ الله لا ينزل ولا يحتاج إلى أَنْ ينزل، إِنَّمَا منظره في القرب والبعد سواء، لم يبعد منه قريب، ولم يقرب منه بعيد، ولم يحتاج إلى شيء، بل يُحتاج إليه...»^(٢).

٣- بيانه عليه السلام أيضاً، عن القاسم بن يحيى، عن جدّه الحسن، قال: «وسُئِلَ عن معنى قول الله: ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾»، قال: استوى على ما دقَّ وجلَّ»^(٣).

ثانياً: بيان قوله جلَّ قوله: ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾^(٤).

ومعناه: أَنَّهُ (تقدَّس ذكره) لا يحده ولا يحبسه مكان ولا زمان.

ثالثاً: بيان قوله عزَّ من قائل: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطاً﴾^(٥).

(١) بحار الأنوار، ٥٥: ٧/ ح ٥.

(٢) المصدر نفسه، ٣: ٣١١/ ح ٥.

(٣) المصدر نفسه: ٣٣٦/ ح ٤٥. أصول الكافي، ١/ باب: معاني الأسماء واشتقاقها:

٨٠/ ح ٣.

(٤) فَصَّلَتْ: ٥٤.

(٥) النساء: ١٢٦.

ودلالته قد اتضحت.

وبالجملة: النسبة بين الشيء الواحد والأشياء الكثيرة إن كانت واحدة ولم تختلف فالإحاطة منه لها تجرّدية، وإلا فمادية.

إذن: في عالم المجردات تجرداً تاماً - ك: طبقات حقائق أهل البيت عليه السلام الصاعدة - لا توجد أبداً نسب مُتكَثِّرة، وإنما نسبة فاردة.

[أحد تفاسير بيان أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا النقطة التي تحت الباء»]

ومن كلّ ما تقدّم يتّضح: أحد تفاسير بيان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) المتقدّم: «أنا النقطة التي تحت الباء»، وبيانه عليه السلام أيضاً: «أنا النقطة أنا الخطّ، أنا الخطّ أنا النقطة، أنا النقطة والخطّ»؛ فإنّ رأس هرم طبقات حقيقته (صلوات الله عليه) الصاعدة لَمَّا كانت مُجرّدة تجرداً تاماً كانت جميع العوالم وكافة المخلوقات ما عدا رأس هرم طبقات حقيقة سيّد الأنبياء صلوات الله عليهم الصاعدة بالنسبة إلى تلك الطبقة نسبة واحدة.

نظيره: - ما مرّ من مثال - نقطة مركز الدائرة الهندسيّة بالنسبة إلى نقاط محيطها، فإنّها واحدة لا تتفاوت ولا تتبعّض.

فمخلوقات: (عالم السّرمد والأزل) و (الدّرة) بالنسبة إليه (صلوات الله عليه) بلحاظ تلك الطبقة شيء واحد، وهيمنته عليه السلام عليها واحدة من دون تبعّض وتفاوت.

ويضاف إليه: ما تقدّم من أنّ جملة العوالم وكافة المخلوقات على حدّ سواء بالنسبة إلى الذات الإلهيّة الأزليّة المقدّسة، لا تتبعّض ولا تتفاوت،

وهي كنقطة واحدة إلى الذات المقدسة. هذا هو شأن الذات المقدسة. وتقدم أيضاً: أَنَّ كُلَّ مَا تَتَّصِفُ بِهِ الذات المقدسة من صفات وأسماء وكمالات وشؤون إِلَّا الْأُلُوْهِيَّةَ تنعكس من الذات الإلهية وتظهر وتتجلى في طبقات حقائق أهل البيت عليهم السلام الصاعدة، وتُتَّصَفُ بها حكايةً ووجوداً ظلياً ومن الغير. ومن تلك الصفات والأسماء والكمالات والشؤون الإلهية: استواء جملة العوالم وطُرُ المخلوقات من الذرة إلى أعلى وأرفع مخلوق إلى الذات الإلهية المقدسة، وتكون جميعها إليه (جَلَّ شأنه) ك: نقطة واحدة؛ لا تتبع بعض ولا تتفاوت. هكذا حال طبقات حقيقة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) الصاعدة بلحاظ كافة العوالم وسائر المخلوقات غير المتناهية - عدا رأس هرم طبقات حقيقة سيّد الأنبياء صلوات الله عليهم الصاعدة - مستوية ومهيمنة عليها، وداخلة فيها دخول اللطيف في الأغظ لا بالممازجة والمزاولة، وخارجة عنها خروج اللطيف من الأغظ لا بالمباينة والمزايلة، وتكون جميعها إليه عليه السلام بلحاظ تلك الطبقة ك: نقطة واحدة؛ لا تتبع بعض ولا تتفاوت من مثقال الذرة إلى أرفع مخلوق يتلو تلك الطبقة.

المقدمة الثامنة :

غائبة الخالق (ﷻ) تختلف عن غائبة المخلوق

إِنَّ غَائِبَةَ الخالق تختلف عن غائبة المخلوق، فغائبة تعالى: أَنَّ الْكُلَّ يستعينُ به (جَلَّ وتقدّس)، ويتوجّه إليه وإن كان ملحدًا أو كافرًا أو عابِدٍ وثنٍ؛ شعر بذلك أم لا، فَإِنَّ مَنْ فَرَّ مِنْهُ (تقدّست أسماؤه) كَرَّ إليه، فلا ملجأَ مِنْهُ إِلَّا إليه، فَمَنْ أَلْهَدَ أو أَشْرَكَ أو كَفَرَ به أو عصاه فقد هرب مِنْهُ ومن

أَسْمَاءُ الْجَمَالِ وَالرَّحْمَةِ الإِلَهِيَّةِ وَالتَّجَمُّعِ إِلَيْهِ وَإِلَى أَسْمَاءِ الْجَلَالِ وَالْقَهْرِ وَالْعَذَابِ الإِلَهِيَّةِ، فَاَلْمَطِيعُ يَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ (عَظُمْتَ آلاؤُهُ) وَيَسْتَعِينُ بِهِ مِنْ خِلَالِ الْإِسْمِ الإِلَهِيِّ: (الرَّحْمَنُ، وَالرَّحِيمُ، وَالْغَفَّارُ، وَالْوَهَّابُ، وَالرَّزَّاقُ، وَالْبَاسِطُ، وَالرَّافِعُ، وَالْمُعَزِّ، وَالشَّكُورُ، وَالْحَفِيزُ ...)، بِخِلَافِ الْمُلْحَدِ وَالْمُشْرِكِ وَالْكَافِرِ وَالْعَاصِي، فَإِنَّهُمْ يَتَوَجَّهُونَ إِلَيْهِ (جَلَّ اسْمُهُ) وَيَسْتَعِينُونَ بِهِ مِنْ خِلَالِ الْإِسْمِ الإِلَهِيِّ: (الْقَهَّارُ، وَالْقَابِضُ، وَالْمُذِلُّ، وَالْمُقِيتُ، وَالْمُنْتَقِمُ، وَالْمَانِعُ، وَالضَّارُ ...)، فَكُلُّ يَعْبُدُ اللَّهَ - الْمُسَمَّى - صَاحِبَ الذَّاتِ الإِلَهِيَّةِ الْأَزَلِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ - وَلَيْسَ الْإِسْمُ - وَيَسْتَعِينُ وَيَلُوذُ بِهِ، وَيَتَضَعُّعُ وَيَخْشَعُ وَيُنْقَادُ وَيَفْتَقِرُ إِلَيْهِ، وَيَسْتَمْدُ مِنْهُ، لَكِنْ لَيْسَ الْجَمِيعُ: عِبَادَةٌ وَاسْتِعَانَةٌ وَلَوْذٌ وَتَضَعُّعٌ وَخُشُوعٌ وَانْقِيَادٌ وَافْتِقَارٌ وَاسْتِمْدَادٌ طَائِعٌ وَطَاعَةٌ، وَإِنَّمَا بَعْضُهَا: اسْتِعَانَةٌ وَلَوْذٌ وَتَضَعُّعٌ وَخُشُوعٌ وَانْقِيَادٌ وَافْتِقَارٌ وَاسْتِمْدَادٌ مَعْصِيَةٌ وَعَاصِي.

وإِلَى كُلِّ هَذَا تَشِيرُ بَيَانَاتُ الْوَحْيِ الإِلَهِيِّ، مِنْهَا:

١- بَيَانُ قَوْلِهِ عَزَّ ذِكْرُهُ: ﴿إِن كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾^(١).

٢- بَيَانُ قَوْلِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَإِنْ تُصِيبُهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾^(٢).

(١) مريم: ٩٣.

(٢) النساء: ٧٨.

ودلالته - كدلالة سابقه - قد اتضحت.

٣- بيانه جل ثناؤه: ﴿فَإِنَّمَا تُوَلُّوْا قِيَمَ وَجْهِ اللّٰهِ إِنِ اللّٰهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(١).

ودلالته قد اتضحت أيضاً؛ فإنَّ (وجه الله) تارة وجه رحمة ونعمة، وأخرى عذاب ونقمة.

٤- بيان الإمام الصادق عليه السلام، عن حماد بن عمرو النصيبي، قال: «سألتُ جعفر بن محمد عليه السلام عن التوحيد، فقال: واحد، صمد ... معروف عند كل جاهل...»^(٢).

ودلالته قد اتضحت أيضاً.

إذن: جملة المخلوقات وفي كافة العوالم تتجه بفطرتها إلى ساحة القدس الإلهية شعر بذلك المخلوق أم لا، لكن: العاصي يتجه بفطرته إليه (جلّ قدسه) من جهة صراط الجحيم وبئس الورد المورد.

وبالجملة: أنه ليس لمخلوق البتة - وإن كان غيًّا غاوياً - انقطاع تام عن الله - المُسمَّى - (عز اسمه)، بل لا بُدَّ له من الاتجاه والتوجه إليه (عز وجهه) والاستعانة به، لكنَّ اتجاه وتوجه العاصي ليس اتجاه وتوجه واستعانة لدار الجنان وبأسماء الجمال - خلافاً لما توهمه ابن عربي^(٣) وجملة من العرفاء

(١) البقرة: ١١٥.

(٢) بحار الأنوار، ٤: ٢٨٦/ح ١٨.

(٣) لا بأس بالالتفات في المقام إلى الأمرين التاليين :

والصوفيّة - وإنّما اتّجّاه واستعانّة إلى قذف نفسه بين أغلال ودركات وأطباق عذاب نار الجحيم، وبأسماء الجلال - ك: اسم المتقم والجبار - .

وقد تقدّم: أنّ جملة أسماء وصفات وشؤون الذات الإلهيّة الأزليّة المقدّسة - إلّا الألوهيّة؛ لخروجها موضوعاً وتخصّصاً - قد انعكست وتجلّت في حقيقة أمير المؤمنين وحقائق سائر أهل البيت (صلوات الله عليهم) الصّاعدة، منها: هذه الصّفة والشأن الإلهي؛ أي: أنّ جملة المخلوقات غير المتناهية وفي كافّة العوالم غير المتناهية أيضاً من بداية عالم الخلقة إلى ما لا نهاية متّجهة ومُتوجّهة إلى طبقات حقائق أمير المؤمنين وسائر أهل البيت

→ الأمر الأوّل:

مسلك ابن عربي في الفصوص مسلك جبري

إنّ صريح مسلك ابن عربي في كتاب الفصوص مسلك جبري، كما ذكر ذلك بصريح عبارته في موارد عديدة؛ ظناً منه بأنّه معلّم توحيدي. لكنّه زلل معرفي وتوحيدي.

الأمر الثاني:

أصل فكرة كتاب الفصوص لابن عربي مأخوذة من بيانات أهل البيت (عليهم السلام) إنّ أصل فكرة كتاب الفصوص لابن عربي مأخوذة من بيانات أهل (صلوات الله عليهم). نعم أخذ من الصوفيّة أيضاً، لكن حيث إنّ الصوفيّة من الفرق الباطنيّة، والباطنيّة باتّفاق جملة المسلمين أنّها مُتَشعّبة عن مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، فيعود أصل ما أخذه من الصوفيّة لأهل البيت (عليهم السلام)، فعادت أصل فكرة كتابه إلى بياناتهم (صلوات الله عليهم).

(صلوات الله عليهم) الصّاعدة - شعرت بذلك المخلوقات أم لا - ومستعينة بهم (صلوات الله عليهم)؛ ومُستمدّة منهم وجودها وحولها وقوّتها وقدرتها وغناها واستدامتها - شعرت بذلك المخلوقات أم لا -.

نعم، لكلّ مخلوق وجهته واتّجاهه الخاصّ به لأهل البيت عليه السلام؛ فإنّ كان مطيعاً فيتوجّه إليهم (صلوات الله عليهم) بأسماء وصفات وشؤون الجمال والكمال الإلهيّة المتّصّفين بها؛ كاسم: (الرحمن، والرحيم، والغفار، والوهاب، والرافع، والمعزّ ...)، وإنّ كان عاصياً أو ضالاً ومنحرفاً فيتوجّه إليهم (صلوات الله عليهم) بأسماء وصفات وشؤون الجلال والغضب والانتقام الإلهي المتّصّفين عليه السلام بها، كاسم: (المتقم، والقهار، والمذل، والمقيت، والضار ...)، فمن فرّ منهم عاد إليهم.

وإلى كلّ هذا تُشير بيانات الوحي، منها:

أولاً: بيان أمير المؤمنين عليه السلام: «... ويطيعنا كلّ شيء حتّى السّماوات والأرض، والشمس والقمر والنجوم، والجبال والشّجر والدواب والبحار، والجنّة والنّار ... ومع كلّ هذا نأكل ونشرب ونمشي في الأسواق ...»^(١).

ثانياً: بيان الإمام الباقر عليه السلام، عن أبي حمزة، قال: «قال له رجل: كيف سُمّيَت الجمعة؟ قال: إنّ الله ﷻ جمع فيها خلقه لولاية محمّد ﷺ ووصيّ في الميثاق، فسماه يوم الجمعة؛ لجمعه فيه خلقه»^(٢).

(١) بحار الأنوار، ٢٦: ٧/ ح ١.

(٢) بحار الأنوار، ٥٥: ٣٧٠. الكافي، ٣: ٤١٥.

ثالثاً: بيان إمضاء الإمام الصادق عليه السلام، عن وهب بن منبه، قال: «إِنَّ موسى عليه السلام نظر ليلة الخطاب إلى كل شجرة في الطُّور، وكل حجر ونبات ينطق بذكر مُحَمَّدٍ واثنِي عشر وصياً له من بعده، فقال موسى: إلهي، لا أرى شيئاً خلقته إِلَّا وهو ناطق بذكر مُحَمَّدٍ وأوصيائه الاثنِي عشر، فما منزلة هؤلاء عندك؟ قال: يابن عمران، إِنِّي خلقتهم قبل أَنْ أخلق الأنوار، خلقتهم في خزانة قدسي، ترتع في رياض مشيَّتِي، وتنسَم من روح جبروتي، وتشاهد أقطار ملكوتي حتَّى إِذا شئتُ بمشيَّتِي أَنفذتُ قضائي وقدري، يابن عمران، إِنِّي سبقت بهم السَّبَّاق حتَّى أزعج بهم جناني، يابن عمران، تمسَّك بذكرهم؛ فإنَّهم خزنة علمي، وعيبة حكمتي، ومعدن نوري.

قال حسين بن علوان: فذكرتُ ذلك لجعفر بن مُحَمَّد عليه السلام فقال: حَقَّ ذلك...»^(١).

رابعاً: بيانه عليه السلام أيضاً: «... والذي نفسي بيده، لملائكة الله في السماوات أكثر من عدد التراب (في الأرض)، وما في السماء موضع قدم إِلَّا وفيها ملك (يسبح لله ويُقدِّسه)، ولا في الأرض شجرة ولا مثل غرزة إِلَّا وفيها ملك موكل بها؛ يأتي الله كل يوم بعملها»^(٢) - والله أعلم بها - وما منهم أحد إِلَّا ويتقرَّب إلى الله في كُلِّ يومٍ بولايتنا أهل البيت، ويستغفر

(١) بحار الأنوار، ٢٦: ٣٠٨-٣٠٩/ح ٧٣. المحتضر: ١٥١.

(٢) خ. ل: (بعلمها).

لمحبينا، ويلعن أعدائنا، ويسأل الله أَنْ يُرسل عليهم العذاب إرسالاً»^(١).

خامساً: بيانه ﷺ أيضاً: «... علم عالم المدينة ... يسير في ساعة من النهار مسيرة الشمس سنة حتى يقطع اثني عشر ألف عالم مثل عالمكم هذا، وما يعلمون أَنَّ الله خلق آدم ولا إبليس، قال: فيعرفونكم؟ قال: نعم، وما افترض عليهم إلا ولايتنا، والبراءة مِنْ عدونا»^(٢).

سادساً: بيان زيارة أهل البيت ﷺ: «... يا آل رسول الله ... يتقرب أهل السماء بحبكم، وبالبراءة من أعدائكم، وتواتر البكاء على مصابكم، والإستغفار لشيعتكم ومحبيكم...»^(٣).

ودلالاتها قد انضحت أيضاً؛ فإنَّ الثَّابت في البراهين الوحيانية والعقلية: أَنَّ جملة المخلوقات طائعة ومُسلمة لله (تعالى ذكره) تكويناً، شعرت بذلك المخلوقات أم لا.

فانظر: بيانات الوحي، منها:

١- بيان قوله تبارك وتعالى: ﴿أَغْيَرْ دِينَ اللَّهِ يَغْنُفَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾^(٤).

٢- بيان قوله جلَّ قوله: ﴿يَسْبِغُ اللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ

(١) بصائر الدرجات، ١: ١٥٢ - ١٥٣ / ح ٢٨٣ - ٩. تفسير القمي، ٢: ٢٥٥.

(٢) بصائر الدرجات، ٢: ٢٧٠ / ح ١٤٣٣ - ١٦. الاختصاص: ٣١٩.

(٣) بحار الأنوار، ٩٩: ١٦٤.

(٤) آل عمران: ٨٣.

الْمَلِكُ وَلَهُ الْحَمْدُ^(١).

وحيث إن أهل البيت عليه السلام هم الوسيلة والواسطة الإلهية الحصرية بينه (جل شأنه) وبين سائر العوالم وجملة المخلوقات، ولا يمكن وصول مخلوق أو شأن من شؤونه وأعماله وعباداته قط إلى ساحة القدس الإلهية إلا من خلال إطاعتهم عليه السلام والتشبث بهم تكويناً، وقد ثبت - فيما تقدم - أن جملة المخلوقات طائعة وساجدة وذاكرة ومسبحة دائماً لله تكويناً، فتكون جميعها طائعة تكويناً لأهل البيت عليه السلام بالتبع، شعرت بذلك المخلوقات أم لا.

مضافاً: أنه ثبت في الأبحاث السابقة: أن طبقات حقائق أهل البيت عليه السلام الصاعدة بعدما كانت حقيقتها فانية في حكاية الذات الإلهية الأزلية المقدسة انعكست فيها جميع شؤون وصفات وأسماء الذات المقدسة إلا الألوهية، ومن شؤون الذات المقدسة: أنه أسلم لله ما في السموات والأرض كذلك يكون شأن طبقات حقائق أهل البيت عليه السلام الصاعدة.

[تفسير آخر لبيان أمير المؤمنين عليه السلام المتقدم]

ومنه يتضح: وجه وتفسير آخر لبيان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) المتقدم: «أنا النقطة التي تحت الباء»، وبيانه عليه السلام أيضاً: «أنا النقطة أنا الخط، أنا الخط أنا النقطة، أنا النقطة والخط»، فإن مراده (صلوات الله عليه) من عنوان: (الخط) عدة وجوه، منها:

(١) التغابن: ١.

الوجه الأول: الصراط والخط المستقيم الفارد والحصري الموصل إلى
ساحة القدس الإلهية.

وإلى هذا أشارت بيانات الوحي، منها :

أولاً: بيان سيد الأنبياء ﷺ مخاطباً أمير المؤمنين (صلوات الله عليه):
«يا عَلِيّ، أَنْتَ ... ركن الدين، وَأَنْتَ مصباح الدجى، وَأَنْتَ منار الهدى
... مَنْ تبعك نجا، وَمَنْ تخلفَ عنك هلك، وَأَنْتَ الطريق الواضح، وَأَنْتَ
الصراط المستقيم...»^(١).

ثانياً: بيانه ﷺ، مخاطباً أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) أيضاً: «يا
عَلِيّ، أَنْتَ حُجَّةُ اللَّهِ، وَأَنْتَ بابُ اللَّهِ، وَأَنْتَ الطَّرِيقُ إِلَى اللَّهِ، وَأَنْتَ النُّبَأُ
العظيم، وَأَنْتَ الصراط المستقيم...»^(٢). ^(٣)

(١) بحار الأنوار، ٤٤: ١٠٠/ح ٢٠. أمالي الصدوق: ١٨٤.

(٢) بحار الأنوار، ٢٤: ١١١/ح ٤٦. عيون الأخبار: ١٨١.

(٣) لا بأس بصرف النظر في المقام إلى القضيتين التاليتين:
القضية الأولى:

حقيقة الصراط المستقيم

إِنَّ (الصراط المستقيم) أحد أسماء أهل البيت (صلوات الله عليهم).

القضية الثانية:

إِنَّ ما مذكور في هذا البيان الوحياني الشريف من عناوين مرادفات عقلية إلهية
للوَسيلة الإلهية، واحتياج المخلوق للوسيلة الإلهية لأجل إتمام وإكمال قابلية
الإستفاضة والإفاضة الإلهية عليه.

ثالثاً: بيان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): «... وأنا الصراط المستقيم، وأنا النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون، ولا أحد يختلف إلا في ولايتي...»^(١).

ودلالة الجميع واضحة.

ثُمَّ إِنَّ الصَّراط تارة يكون صراط رحمة ونعمة، مُوصِلٌ إلى رضا الرَّحْمَنِ، وَيُورِثُ سالكه الجنان ونعم الورد المورود؛ وذلك إِنْ سَلَكَ المَخْلُوق صراط الحقِّ والنُّور والجمال والكمال، فتكون نهاية لقائه في الجنان مع الله (عزَّ وجهه) ومع طبقات حقائق أهل البيت (صلوات الله عليهم) الصَّاعِدة؛ أَسْمَاءَ وصفات الجمال والكمال الإلهية.

وَأُخْرَى يكون صراط غضب ونقمة، مُوصِلٌ إلى غضب ونقمة العزيز الجَبَّار وطبقات حقائق أهل البيت (صلوات الله عليهم) الصَّاعِدة؛ أَسْمَاءَ وصفات الجلال والغضب والانتقام الإلهي، وَيُورِثُ سالكه لظى وبؤس الورد المورود؛ وذلك إِنْ سَلَكَ المَخْلُوق صراط الانحراف والضلال والخطيئة، وخاض في الظُّلُمات، فتكون نهاية لقائه في جهنم مع الله (العزيز الجَبَّار) وطبقات حقائق أهل البيت (صلوات الله عليهم)؛ أَسْمَاءَ وصفات الجلال والنقمة والغضب والانتقام الإلهي.

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي، منها:

(١) بحار الأنوار، ٢٦: ١ - ٧/ ح ١.

أولاً: بيان قوله تقدّس ذكره: ﴿فَاِنَّمَا تُوَلُّوْا وُجُوْهُهُ اللّٰهِ﴾^(١).

و (وجه الله) هم: أهل البيت (صلوات الله عليهم)؛ كما ورد ذلك في جمٍّ غفير من بيانات الوحي المتواترة، منها: بيان سيّد الأنبياء ﷺ: «... ونحن وجه الله...»^(٢).

ثانياً: بيان الإمام الصادق (صلوات الله عليه)، عن المفَضَّل بن عمر، قال: «... فقلتُ له: يا بن رسول الله، فعليّ بن أبي طالب عليه السلام يدخل حُجَّةَ الجنَّة ومبغضه النَّار أو رضوان ومالك؟ فقال: ... يا مُفضَّل ... فعليّ بن أبي طالب عليه السلام إِذَا قَسِمَ الجنَّة والنَّار عن رسول الله ﷺ، ورضوان ومالك صادران عن أمره بأمر الله تبارك وتعالى، يا مُفضَّل، خُذْ هذا؛ فَإِنَّهُ من مخزون العلم ومكنونه، لا تخرجه إِلَّا إلى أهله»^(٣).

ودلالته - كدلالة سابقه - واضحة.

الوجه الثاني: عدم تناهي صفاته (صلوات الله عليه) وأسماءه وشؤونهم وأحواله أزلاً وأبداً، فليست لها بداية ولا نهاية، كحال خطِّ محور الدائرة المحيط بمركزها ونقاط محورها؛ فليست له بداية ولا نهاية.

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي الأخرى، منها:

١- بيان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) - المُتقدِّم -: «... لا تجعلونا

(١) البقرة: ١١٥.

(٢) بحار الأنوار، ٢٥: ٢٢-٢٣/ح ٣٨. رياض الجنان (مخطوط).

(٣) بحار الأنوار، ٣٩: ١٩٤-١٩٦/ح ٥. علل الشرائع: ٦٥.

أرباباً وقولوا في فضلنا ما شئتم؛ فإنكم لا تبلغون كُنْه ما فينا ولا نهايته؛ فإنَّ الله ﷻ قد أعطانا أكبر وأعظم ممَّا يصفه واصفكم، أو يخطر على قلب أحدكم، فإذا عرفتمونا هكذا فأنتم المؤمنون ... لا تسمُّونا أرباباً وقولوا في فضلنا ما شئتم؛ فإنكم لن تبلغوا من فضلنا كُنْه ما جعله الله لنا ولا معشار العشر...»^(١).

٢- بيان الإمام الحسن المجتبي (صلوات الله عليه) - المتقدِّم -: «... أيُّها النَّاسُ، إنِّي لو قمتُ حولاً فحولاً أذكر الَّذي أعطانا الله ﷻ وخصَّنا به من الفضل في كتابه وعلى لسان نبيِّه ﷺ لم أحصه...»^(٢).

٣- بيان الإمام الكاظم (صلوات الله عليه) - المتقدِّم -: «... لا تعجب، فما خفي عليك من أمر الإمام أعجب وأكثر، وما هذا من الإمام في علمه إلاَّ كطيرٍ أخذ بمنقاره من البحر قطرةً من ماءٍ، أفترى الَّذي أخذ بمنقاره نقص من البحر شيئاً؟ قال: فإنَّ الإمام بمنزلة البحر لا ينفد ما عنده، وعجائبه أكثر من ذلك، والطير حين أخذ من البحر قطرةً بمنقاره لم ينقص من البحر شيئاً...»^(٣).

٤- بيان تفسير الإمام الهادي (صلوات الله عليه): «... وأما قوله: وكوُّ أنما في الأرض من شجرة أكلهم والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت

(١) بحار الأنوار، ٢٦: ١-٧/ح ١.

(٢) المصدر نفسه، ١٠: ١٤٢.

(٣) المصدر نفسه، ٢٦: ١٩٠-١٩١/ح ٢. قرب الاسناد: ١٤٤.

كَلِمَاتُ اللَّهِ^(١) فهو كذلك؛ لو أَنَّ أشجار الدنيا أقلام والبحر يمدّه سبعة أبحر وانفجرت الأرض عيوناً لنفذت قبل أَنْ تنفذ كلمات الله ... ونحن كلمات الله التي لا تنفذ ولا تُدرك فضائلنا ...»^(٢).

ودلالة الجميع واضحة.

الوجه الثالث: أَنَّ طبقات حقيقة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) الصّاعدة - باعتبار أنّها الأسماء والصفات الإلهية، كالذّات الإلهية المقدّسة من هذه الجهة - مُحِيطَةٌ بجَمَلَةِ عَالَمِ الإِمْكَانِ والوجود ومخلوقاته غير المتناهية وشؤونهِ وأحواله من بداية الخلقة إلى ما لا نهاية له، وليست لتلك العوالم والمخلوقات حول وقوّة واستمداد وُغْنَى واستمرارٍ إِلَّا بطبقات حقيقته (صلوات الله عليه) الصّاعدة، وإِلَّا - أي: لولا تلك الطبقات - لتفرّط نظام عَالَمِ الخلقة ومخلوقاته وانمحي، كاحاطة الخطّ المحيط بدوائر محيط مركز الدائرة، وليست لها حول وقوّة واستمداد وُغْنَى واستمرارٍ إِلَّا به، وإِلَّا لتفرّطت تلك الدوائر وكانت اعدام.

وإلى هذا تُشير بيانات الوحي الأخرى، منها:

١- بيان زيارته (صلوات الله عليه): «... السّلام عليك يا أمير المؤمنين عَلِيّ بن أبي طالب سيّد الوصيّين وحُجّة ربّ العالمين على الأوّلين والآخرين ... والحُجّة على جميع الورى في الآخرة والأولى ... والحُجّة على

(١) لقمان: ٢٧ .

(٢) بحار الأنوار، ١٠: ٣٨٦-٣٩٠/ ح ١. تحف العقول: ٤٧٦-٤٨١.

جميع مَنْ خلق الله ... وعين المهيمن المتَّان، ووليَّ الملك الدَّيَّان ... السَّلام عليك يا ... عالم الخفِّيات ... وعارف الغيب المكنون، وحافظ السِّرِّ المصون، والعالم بما كان ويكون ... السَّلام عليك عماد الجبَّار ... يا مشهوراً في السَّمَاوَاتِ العُليا، ومعروفاً في الأرضين السَّابعة السُّفلى ... وعارف السِّرِّ وأخفى، السَّلام عليك أيُّها النَّازل من عليين، والعالم بما في أسفل السَّافلين ... يا مَنْ حظي بكرامة ربِّه فجلَّ عن الصِّفات، واشتقَّ من نوره فلم تقع عليه الأدوات ... واجتهد في النصيح والطَّاعة فحوَّله جميع العطيَّات ... أشهد بذلك يا مولاي ... أَنْكَ ... اجتبَاكَ الله لقدرته فجعلك عصا عزِّه ... فَأَنْتَ عينه الحفيظة الَّتِي لا تخفى عليها خافية ... وقلبه الواعي البصير المحيط بكُلِّ شيءٍ ... بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ... مُفَوَّضَ أَمْرِي إِلَيْكَ، مُتَوَكِّلَ فِيهِ عَلَيْكَ ... فعندها ... يَأْمَنُ الْمُتَوَكِّلُ عَلَيْكَ ... أَشْهَدُ أَنْكَ تَرَانِي وَتَبْصُرْنِي، وَتَعْرِفُ كَلَامِي وَتَجِيبُنِي، وَتَعْرِفُ مَا يَحْنَهُ قَلْبِي وَضَمِيرِي ...»^(١).

٢- بيان زيارة أهل البيت (صلوات الله عليهم): «... السَّلام عليكم يا أهل بيت النُّبُوَّة ... ساسة العباد، وأركان البلاد ... والحُجَّة على مَنْ في الأرض والسماء، والآخرة والأولى ...»^(٢).

ودلالتهما قد اتَّضحت.

ومراده (صلوات الله عليه) من: (النقطة) أمور، منها:

(١) بحار الأنوار، ٩٧: ٣٤٧-٣٥٢/ح ٣٤. المزار الكبير: ٩٧-١٠١.

(٢) بحار الأنوار، ١٠٢: ١٤٨.

أولاً: نقطة (باء الاستعانة)، وهي ^(١) روحها ومركزها، ولولاها لَمَا تشخّصت، وهي ^(٢) أول حرف ورد في القرآن الكريم، ومعناها: أن جملة العوالم وسائر المخلوقات - مؤمنة كانت أم لا - لا يمكنها إلا أن تستعين بالذات الإلهية الأزليّة المقدّسة، وتمدّ حولها وقوتها وفقرها الذاتي ليس إلاّ منه (جلّ شأنه).

وهذه الصفة الإلهية والاسم والكمال والشأن الإلهي قد انعكس وظهر وتجلّى في طبقات حقيقة أمير المؤمنين عليه السلام وحقائق سائر أهل البيت (صلوات الله عليهم) الصّاعدة، فكانت طُرّ العوالم وجميع المخلوقات - شعرت بذلك أم لا - لا يمكنها إلاّ أن تستعين بتلك الطبقات، وتمدّ منها حولها وقوتها، وفقرها الذاتي الخارم لجملة شراشرها، ولكافة جزئيات وذرات حقائقها.

ثانياً: توجّه - تكويناً - جملة العوالم وكافة المخلوقات غير المتناهية، ومن دون تفاوت - مطيعة كانت تلك المخلوقات أم عاصية، شعرت بذلك أم لا - إلى أمير المؤمنين وسائر أهل البيت (صلوات الله عليهم)، كتوجّه جميع نقاط محور مركز الدائرة - من دون تفاوت - إلى نقطة مركزها.

ثالثاً: أن طبقات حقيقة أمير المؤمنين عليه السلام وطبقات حقائق سائر أهل البيت عليه السلام الصّاعدة هي الوسيلة والواسطة الحصريّة، والسبب والرباط

(١) مرجع ضمير (وهي): (نقطة باء الاستعانة).

مرجع ضمير (روحها) و (مركزها): (باء الاستعانة).

(٢) مرجع الضمير: (باء الاستعانة).

الأدنى في قوس الصعود لولوج المخلوق وأعماله ساحة القدس الإلهية، والوسيلة أيضاً والواسطة الحصرية والسبب الوحيد لتمتعه في قوس النزول بالفيض الإلهي، فمن دون الاستعانة بطبقات حقائقهم (صلوات الله عليهم) الصاعدة لن يتمكن مخلوق البتة، أبد الآباد ودهر الدهور، ولا أعماله في جملة العوالم من الوصول إلى ساحة القدس الإلهية، وكذا لن يتمكن البتة من استمداد حوله وقوته وعطائه إلا بعد نشب أظفاره بطبقات حقائقهم (صلوات الله عليهم) الصاعدة والاستعانة بها، شعر بذلك المخلوق أم لا.

وهذا ما تشير إليه بيانات الوحي، منها:

بيان سيّد الأنبياء ﷺ: «... فقال له أصحاب رسول الله ﷺ: ما أسوأ حال هذا والله. قال رسول الله ﷺ: أَوْ لَا أُنبِّئُكُمْ بِأَسْوَأَ حَالًا مِنْ هَذَا؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: رَجُلٌ حَضَرَ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقُتِلَ مُقْبِلًا غَيْرَ مَدْبَرٍ، وَالْحُورُ الْعَيْنُ يَطَّلَعْنَ إِلَيْهِ، وَخَزَانُ الْجَنَانِ يَتَطَلَّعُونَ وَرُودَ رُوحِهِ عَلَيْهِمْ، وَأَمْلَاكُ الْأَرْضِ^(١) يَتَطَلَّعُونَ نَزُولَ حُورِ الْعَيْنِ إِلَيْهِ، وَالْمَلَائِكَةُ وَخَزَانُ الْجَنَانِ فَلَا يَأْتُونَهُ. فَنَقُولُ مَلَائِكَةُ الْأَرْضِ حَوَالِي^(٢) ذَلِكَ الْمَقْتُولِ: مَا بَالُ الْحُورِ الْعَيْنِ لَا يَنْزِلْنَ إِلَيْهِ؟ وَمَا بَالُ خَزَانِ الْجَنَانِ لَا يَرُدُّونَ عَلَيْهِ، فَيَنَادُونَ مِنْ فَوْقِ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ: يَا أَيَّتُهَا الْمَلَائِكَةُ، انظُرُوا إِلَى آفَاقِ السَّمَاءِ وَدَوِينِهَا، فَيَنْظُرُونَ فَإِذَا تَوَحِيدُ هَذَا الْعَبْدِ وَإِيْمَانُهُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصَلَاتُهُ وَزَكَاتُهُ وَصِدْقَتُهُ وَأَعْمَالُ بَرِّهِ كُلُّهَا مَحْبُوسَاتٌ دَوِينَ السَّمَاءِ، قَدْ طَبَّقَتْ آفَاقُ السَّمَاءِ كُلِّيًا

(١) في المصدر: (وَأَمْلَاكُ السَّمَاءِ وَأَمْلَاكُ الْأَرْضِ).

(٢) في نسخة: (حول).

كالقافلة العظيمة، قد ملأت ما بين أقصى المشارق والمغارب، ومهابّ الشمال والجنوب، تُنادي أملاك تلك الأثقال^(١) الحاملون لها، الواردون بها: ما بالنا لا تفتح لنا أبواب السماء لندخل إليها بأعمال^(٢) هذا الشهيد. فيأمر الله بفتح أبواب السماء فتفتح، ثم ينادي: يا هؤلاء الملائكة^(٣) أدخلوها إن قدرتم، فلا تقلّهم^(٤) أجنتهم ولا يقدرّون على الارتفاع بتلك الأعمال، فيقولون: يا ربنا، لا نقدر على الارتفاع بهذه الأعمال، فيناديهم منادي ربنا ﷻ: يا أيها الملائكة، لستم حُمّال هذه الأثقال^(٥) الصّاعدين^(٦) بها، إنّ حملتها الصّاعدين بها مطاياها التي ترفعها إلى دوين العرش، ثمّ تقرّها في درجات الجنان. فيقول الملائكة: يا ربنا، ما مطاياها؟ فيقول الله تعالى: وما الذي حملتم من عنده؟ فيقولون: توحده لك، وإيمانه بنبيّك. فيقول الله تعالى: فمطاياها موالاة عليّ أخي نبيّي، وموالاة الأئمة الطّاهرين، فإنّ أتت فهي الحاملة الرّافعة الواضعة لها في الجنان. فينظرون فإذا الرّجل مع ماله من هذه الأشياء ليس له موالاة عليّ والطّيّين من آله ومعاداة أعدائهم. فيقول الله (تبارك وتعالى) للأملاك الذين كانوا حاملوها: اعتزلوها والحقوا بمراكزكم من ملكوتي، ليأتيها من هو أحقّ بحملها ووضعها في موضع استحقاقها. فتلحق تلك الأملاك بمراكزها المجعلّة لها. ثمّ ينادي منادي ربنا ﷻ: يا أيّها الزبانية،

(١) في نسخة: (الأعمال). وفي نسخة من المصدر: (الأفعال).

(٢) في نسخة: (أعمال).

(٣) في المصدر: (يا هؤلاء الأملاك).

(٤) في المصدر: (فلا تقلّهم).

(٥) في نسخة: (الأعمال).

(٦) في نسخة (الصّاعدون).

تناوليتها وحطّيتها إلى سواء الجحيم؛ لأنّ صاحبها لم يجعل لها مطايا من موالاة عليّ عليه السلام والطّيّين من آله، قال: فتنادي^(١) تلك الأملاك، ويقلب الله تلك الأثقال أوزاراً وبلايا على باعثها^(٢)؛ لِمَا فارقتها عن مطاياها من موالاة أمير المؤمنين عليه السلام. ونادت تلك الملائكة إلى مخالفتِهِ لِعليّ عليه السلام وموالاته لأعدائه، فيسلّطها الله ﷻ وهي في صورة الأسود على تلك الأعمال، وهي كالغربان والقرقس^(٣)، فيخرج من أفواه تلك الأسود نيران تحرقها، وَلَا يبقَى^(٤) له عمل إلّا أُحبط^(٥)، ويبقى عليه موالاته لأعداء عليّ عليه السلام، وجحده ولايته فيقرّ^(٦) ذلك في سواء الجحيم، فإذا هو قد حبطت أعماله، وعظمت أوزاره وأثقاله...»^(٧).

ودلالته واضحة.



(١) في نسخة: (فتأتى).

(٢) في نسخة من المصدر: (على فاعلها).

(٣) في نسخة: (والقرقس).

(٤) في نسخة: (فلا يبقَى).

(٥) وفي نسخة: (إلّا حبط).

(٦) في المصدر: (فيقرّه).

(٧) بحار الأنوار، ٢٧: ١٨٧ - ١٩٠/ح ٤٦. التفسير المنسوب إلى الإمام

العسكري عليه السلام: ٢٧ - ٢٩.

[خاتمة]

قضيتان لا بأس بالالتفات إليهما، وهما:

القضية الأولى:

طبقات حقائق أهل البيت ﷺ علل غائبة

هناك قاعدة تُذكر في المباحث المعرفية، وهي: «أنَّ الموجود والمخلوق السَّافل لا يُخلق لأجل الموجود والمخلوق السَّافل، بل لأجل الموجود والمخلوق العالي».

وعليه: تكون جملة العوالم الإلهية غير المتناهية، وكافة المخلوقات الإلهية غير المتناهية أيضاً مخلوقة لأجل طبقات حقائق أهل البيت (صلوات الله عليهم) الصَّاعدة.

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي، منها:

١- بيان حديث الكساء: «... وَعِزَّتِي وَجَلَالِي، إِنِّي مَا خَلَقْتُ سَمَاءً مَبْنِيَّةً وَلَا أَرْضاً مَدْحِيَّةً، وَلَا قَمَراً مُنيراً، وَلَا شَمْساً مُضِيئةً، وَلَا فَلَكَاً يَدُور، وَلَا بَحْراً يَجْرِي، وَلَا فُلْكَاً تَسْرِي إِلَّا لِأَجْلِكُمْ ... ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾»^(١)...»^(٢).

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) عوالم العلوم، ١١ / قسم: ٢: ٩٣٣.

٢- بيان الحديث القدسي مُنضمّاً إليه بيان سيّد الأنبياء ﷺ: «... وَأَنَّ أَبِي آدَمَ لَمَّا رَأَى اسْمِي واسم عَلِيٍّ وابنتي فاطمة والحسن والحسين وأسماء أولادهم مكتوبة على ساق العرش بالنور قال: إلهي وسيدي، هل خلقتُ خلقاً هو أكرم عليك مِنِّي؟ فقال: يا آدَم، لولا هذه الأسماء لَمَّا خلقتُ سماءً مبنيةً، ولا أرضاً مدحيةً، ولا ملكاً مُقرباً، ولا نبياً مرسلًا، ولا خلقتك يا آدَم، فلَمَّا عصَى آدَمُ رَبَّهُ وسأله بحقنا أَنْ يتقبَّلَ توبته، ويغفر خطيئته فأجابهُ، وكُنَّا الكلمات تلقّاها آدَمُ من رَبِّهِ ﷻ، فتاب عليه، وغفر له... فحمد آدَمُ رَبَّهُ ﷻ وافتخر على الملائكة بنا...» (١).

٣- بيان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): «... وَإِنَّ جَمِيعَ الرسل والملائكة والأرواح خلقوا لخلقنا...» (٢).

٤- بيان الإمام الباقر عليه السلام: «...إِنَّ لَنَا عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً وَمَكَانًا رَفِيعًا، وَلَوْلَا نَحْنُ لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ أَرْضًا وَلَا سَمَاءً، وَلَا جَنَّةً وَلَا نَارًا، وَلَا شَمْسًا وَلَا قَمَرًا، وَلَا بَرًّا وَلَا بَحْرًا، وَلَا سَهْلًا وَلَا جَبَلًا، وَلَا رَطْبًا وَلَا يَابَسًا وَلَا حُلُومًا وَلَا مَرًّا، وَلَا مَاءً، وَلَا نَبَاتًا وَلَا شَجَرًا، اخْتَرَعَنَا اللَّهُ مِنْ نُورِ ذَاتِهِ، لَا يُقَاسُ بِنَا بَشَر...» (٣).

٥- بيان الإمام الصادق عليه السلام: «... لَمَّا رَأَوْا أَسْمَاءَنَا مَكْتُوبَةً عَلَى سِرَاقِ

(١) بحار الأنوار، ٣٥: ٢٣/ح ١٥، الروضة: ١٧ - ١٨. روضة الواعظين: ٧٢ - ٧٤.

(٢) بحار الأنوار، ٣٩: ٣٥٠/ح ٢٤. تفسير فرات: ٦١ - ٦٢.

(٣) بحار الأنوار، ٢٦: ٨ - ١٧/ح ٢.

العرش ... قال الله: ... لولا هؤلاء ... ما خلقتُ سماءً مبنيةً، ولا أرضاً مدحيةً، ولا ملكاً مُقَرَّبَ، ولا نبياً مرسل، ولا خلقتك يا آدم ...»^(١).

٦- بيان الإمام الرضا (صلوات الله عليه): «... وإنَّ آدمَ لَمَّا أَكْرَمَهُ اللَّهُ (تعالى ذكره) بِإِسْجَادِ ملائِكَتهُ لَهُ، وبِإِدْخَالِهِ الْجَنَّةَ قال في نفسه: هل خلق الله بشراً أَفْضَلَ مِنِّي؟ فعلم الله ﷻ ما وقع في نفسه فناداه: ارفع رأسك يا آدم، فانظر إلى ساق عرشي، فرفع آدم رأسه فنظر إلى ساق العرش، فوجد عليه مكتوباً: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَزَوْجَتُهُ فَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ. فقال آدم ﷺ: يا ربِّ، مَنْ هَؤُلَاءِ؟! فقال ﷻ: مِنْ ذُرِّيَّتِكَ، وَهُمْ خَيْرُ مَنْكَ، وَمِنْ جَمِيعِ خَلْقِي، وَلَوْ لَا هُمْ مَا خَلَقْتُكَ، وَلَا خَلَقْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَلَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِمْ بَعِينَ الْحَسَدِ؛ فَأَخْرَجَكَ عَنْ جَوَارِي...»^(٢).

ودلالة الجميع قد اتضحت.

وهذا أحد معاني خلوص وإخلاص السَّافِلِ للعالي؛ لأنَّ كمال السَّافِلِ يكمن في توجُّههِ إلى العالي، لا في تمحوره حول ذاته.
ومنه تتَّضح: كثير من بيانات الوحي الأخرى، منها:

(١) الهداية الكبرى: ٤٣٢.

(٢) بحار الأنوار، ٢٦: ٢٧٣/ح ١٥. عيون الأخبار: ١٧٠.

بيان الحديث القدسي مخاطباً (تقدّس ذكره) سيّد الأنبياء ﷺ: «يا أحمد، لولاك لَمَّا خلقتُ الأفلاك، ولولا عَلِيٍّ لَمَّا خلقتُكَ، ولولا فاطمة لَمَّا خلقتُكُمَا»^(١).

فإنّه دالٌّ على أنّ جملة الأفلاك لم تُخلق لولا حقيقة سيّد الأنبياء ﷺ؛ فإنّها علّة غائيّة لها. وكذا طبقات حقيقته ﷺ النّازلة؛ فإنّها لم تُخلق لولا طبقات حقيقة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) الصّاعدة؛ فإنّ طبقات حقيقته ﷺ الصّاعدة علّة غائيّة لطبقات حقيقة سيّد الأنبياء ﷺ النّازلة. وعلى هذا قس طبقات حقيقتيهما صلوات الله عليهما وعلى آلهما النّازلة؛ فإنّها لم تُخلق لولا طبقات حقيقة فاطمة الزهراء صلوات الله عليها الصّاعدة؛ فإنّها علّة غائيّة لطبقات حقيقتيهما صلوات الله عليهما وعلى آلهما النّازلة.



(١) عوالم العلوم: ٢٦. ملتقى البحرين: ١٤. مستدرك سفينة البحار، ٣: ٣٣٤. الجنّة العاصمة: ١٤٨. مجمع النورين: ١٤.

القضية الثانية:

خارطة جملة عوالم الخلق برسم وتخطيط أهل البيت عليه السلام

إنَّ المستفاد من بيانات الوحي: أنَّ خارطة مسار جملة عالم الدنيا برسم وتخطيط أهل البيت (صلوات الله عليهم)، بل وخرائط مسارات كافة العوالم وجميع مخلوقاتهما، ك: عالم البرزخ، وعالم الرجعة، وعالم القيامة، وعالم الآخرة الأبدية، وعوالم ما بعدها، بل وعوالم ما قبل هذه النشأة الأرضية لم تكن إلا بتخطيطهم (صلوات الله عليهم) وهندستهم وتنفيذهم.

فانظر: بيانات الوحي، منها:

١- بيان أمير المؤمنين عليه السلام - المتقدّم -: «... أنا دحوتُ أرضها، وأنشأتُ جبالها، وفجرتُ عيونها، وشققتُ أنهارها، وغرستُ أشجارها، وأطعمتُ ثمارها، وأنشأتُ سحابها، وأسمعتُ رعداً، ونورتُ برقها، وأضحيتُ شمسها، وأطلعتُ قمرها، وأنزلتُ قطرها، ونصبتُ نجومها ... وسكنتُ أطوادها، وأنشأتُ جوارى الفلك فيها، وأشرقَت شمسها ... ادخلوا الباب سجّداً أغفر لكم خطاياكم وأزيد المحسنين، بي وعلى يديّ تقوم الساعة...»^(١).

٢- بيانه عليه السلام أيضاً: «... أنا مُنزل الملائكة منازلها ... أنا المُنادي لهم: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ بأمر قيّوم لم يزل ... أنا صاحب الهبات بعد الهبات ولو

(١) بحار الأنوار، ٣٩: ٣٤٨.

أخبرتكم لكفرتم ... أنا منشئ الأنام ... أنا صاحب النجوم، أنا مُدبرها بأمر ربِّي ... أنا المُعطي، أنا المُبذل، أنا القابض يدي على القبض ... أنا صاحب القطر والمطر، أنا صاحب الزلازل والخسوف ... أنا صاحب الغيث بعد القنوط...»^(١).

٣- بيان خطبته ﷺ أيضاً: «أنا عندي مفاتيح الغيب ... أنا أقمتُ السَّمَاوَات بأمر ربِّي ... أنا أمر الحي الذي لا يموت، أنا ولي الحق على سائر الخلق ... أنا المفوض إليّ أمر الخلائق، أنا خليفة الإله الخالق ... أنا أرسيتُ الجبال الشَّامخات، وفجرتُ العيون الجاريات ... أنا مُقدِّر الأقوات، أنا ناشر الأموات، أنا مُنزل القطر، أنا مُنور الشَّمس والقمر والنجوم، أنا قيِّم القيامة ... أنا مُحصي الخلائق وإنْ كثروا...»^(٢).

٤- بيانه ﷺ أيضاً، الوارد في حقَّ أهل البيت ﷺ: «... هذا كُلُّه لآل مُحَمَّد لا يُشاركهم فيه مُشارك ... خلقهم الله من نور عظمتة، وولاهم أمر مملكته...»^(٣).

٥- بيانه ﷺ أيضاً، عن سلمان (رضوان الله عليه)، قال: «... وإنَّ الله ﷻ جعل أمر الدُّنيا إليّ... قال سلمان: ... ثُمَّ إِنَّ أمير المؤمنين ﷺ أمر الريح فسارت بنا إلى جبل قاف فانتَهيت^(٤) إليه، وإذا هو من زمردة خضراء

(١) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين ﷺ، الخطبة الإفتخارية: ١٦٥ - ١٦٦.

(٢) المصدر نفسه: ٢٦٩ - ٢٧٠.

(٣) بحار الأنوار، ٢٥: ١٦٩ - ١٧٤/ح ٣٨.

(٤) في المصدر: (فانتَهينا).

وعليها^(١) ملك على صورة النسر، فلما نظر إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال الملك: السَّلامُ عَلَيْكَ يا وصيَّ رسول الله وخليفته، أتأذن لي في الكلام؟ فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلام وقال له: إِنْ شئتَ تكَلِّمْ، وَإِنْ شئتَ أَخْبَرْتُكَ عَمَّا تَسألُنِي عنه. فقال الملك: بل تقول أنت يا أمير المؤمنين. قال: تريد أَنْ أذن لك أَنْ تزور الخضر عليه السلام، قال: نعم، فقال عليه السلام: قد أذنت لك ... فقال سلمان: يا أمير المؤمنين، رأيتُ الملك ما زار الخضر إلا حين أخذ إذنك. فقال عليه السلام: والذي رفع السماء بغير عمد، لو أَنَّ أحدهم رام أَنَّ يزول من مكانه بقدر نفسٍ واحدٍ لَمَا زال حتَّى آذن له، وكذلك يصير حال ولدي الحسن، وبعده الحسين وتسعة من ولد الحسين... والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إني لأملك من ملكوت السماوات والأرض ما لو علمتم ببعضه لما احتمله جناتكم...»^(٢).

٦- بيان الإمام الباقر عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ لم يزل فرداً مُتَفَرِّداً في الوحدانية، ثُمَّ خلق مُحَمَّدًا وعليًّا وفاطمة عليها السلام... وفوض أمر الأشياء إليهم في الحكم والتصرف والإرشاد، والأمر والنهي في الخلق؛ لأنهم الولاية فلهم الأمر والولاية والهداية، فهم أبوابه ونوابه وحجابه، يُحلَّلون ما شاء، ويُجرَّمون ما شاء، ولا يفعلون إلا ما شاء، عباد مُكرَّمون، لا يسبقونه بالقول، وهم بأمره يعملون...»^(٣).

٧- بيان الإمام الصادق عليه السلام - المتقدم -، عن الفضل بن عمر، قال: «...»

(١) في نسخة: (من زمردة خضرة وعليه).

(٢) بحار الأنوار، ٢٧: ٣٣ - ٤٠ / ح ٥. المحتضر: ٧١ - ٧٦.

(٣) بحار الأنوار، ٢٥: ٣٣٩ / ح ٢١.

فقلتُ له: يا بن رسول الله، فعلي بن أبي طالب عليه السلام يدخل محبة الجنة ومبغضه النار أو رضوان ومالك؟ فقال: يا مفضل ... فعلي بن أبي طالب عليه السلام إذا قسيم الجنة والنار عن رسول الله صلى الله عليه وآله، ورضوان ومالك صادران عن أمره بأمر الله (تبارك وتعالى)، يا مفضل، خذ هذا؛ فإنه من مخزون العلم ومكنونه، لا تخرجه إلا إلى أهله»^(١).

٨- إطلاق بيانه عليه السلام، عن إسماعيل بن عبد العزيز، قال: قال لي جعفر ابن محمد عليه السلام: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يفوض إليه ... وإن الله فوض إلى محمد صلى الله عليه وآله نبيه، فقال: ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾»^(٢). فقال رجل: إنما كان رسول الله صلى الله عليه وآله مفوضاً إليه في الزرع والصرع، فلوى جعفر عليه السلام عن عنقه مغضباً، فقال: «في كل شيء، والله في كل شيء»^(٣).

٩- بيان زيارتهم (صلوات الله عليهم) الجامعة: «... السلام عليكم يا أهل بيت النبوة، وموضع الرسالة ... وقادة الأمم ... وساسة العباد ... إصطفاكم بعلمه ... وفوض إليكم الأمور، وجعل لكم التدبير، وعرفكم الأسباب ... وأعطاكم المقاليد، وسخر لكم ما خلق ... إياب الخلق إليكم، وحسابهم عليكم، وفصل الخطاب عندكم ... وأمره إليكم ... لم تزالوا بعين الله وعنده، وفي ملكوته تأمرون، وله تخلفون، وإيَّاه تُسبِّحون، وبعرشه

(١) بحار الأنوار، ٣٩: ١٩٤-١٩٦/ح ٥. علل الشرائع: ٦٥.

(٢) الحشر: ٧.

(٣) بحار الأنوار، ١٧: ٩/ح ١٦. بصائر الدرجات: ١١١-١١٢.

مصدقون، وبه حاثون حتّى مرّ بكم علينا، فجعلكم في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه...»^(١).

١٠- بيان زيارة أمير المؤمنين عليه السلام: «... السّلام عليك يا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ... السّلام عليك يا ... صاحب الدّنيا ... السّلام عليك يا حافظ سرّ الله، وممضي حكم الله، ومجلي إرادة الله، وموضع مَشِيَّة الله ... وولي الملك الدّيّان ... السّلام عليك يا عماد الجبّار ... السّلام عليك يا مشهوراً في السّماوات العليا، ومعروفاً في الأرضين السّابعة السّفلى ... السّلام عليك أيّها النّازل من عليّين، والعالم بما في أسفل السّافلين ... اجتباك الله لقدرته، فجعلك عصا عزّه، وتابوت حكمته...»^(٢).

ودلالة الجميع واضحة، ولا غبار عليها.

ومن ثمّ لا تكون بياناتهم المعرفيّة وسيرهم وأفعالهم عليه السلام استراتيجيّة حضارة فحسب، بل واستراتيجيّة عوالم ومخلوقات، لا يعيها^(٣) سائر البشر، بل ولا سائر الأنبياء والملائكة المقربين عليه السلام. ومن ثمّ فلسفة بياناتهم (صلوات الله عليهم) وسيرهم وأفعالهم ليست محدودة بآمد زمنيّ دنيويّ، بل ولا بعالم الدّنيا برمّته؛ فإنّ ساحة القدس الإلهيّة وظفّتهم لرسم خارطة

(١) بحار الأنوار، ٩٩/ الزيارة الثالثة: ١٤٦- ١٥٩.

(٢) المصدر نفسه، ٩٧: ٣٤٧- ٣٥٢. المزار الكبير: ٩٧- ١٠١.

(٣) مرجع الضمير: (بيانات أهل البيت عليه السلام المعرفيّة وسيرهم وأفعالهم).

مسار جملة العوالم وطُرُّ المخلوقات.

ومنه يتَّضح: مدى وضوح جملة الخريطة التَّكوينية واستراتيجية العوالم ومخلوقاتِها لدى أهل البيت صلوات الله عليهم.





* القرآن الكريم.

١. الاحتجاج، أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي.
٢. إحقاق الحق، القاضي السيد نور الله الحسيني المرعشي التستري.
٣. الاختصاص، الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي.
٤. الإرشاد، المفيد.
٥. إرشاد القلوب، الشيخ الحسن بن أبي الحسن علي بن محمد الديلمي.
٦. أصول الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني.
٧. إكمال الدين، الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القمي.
٨. الأمالي، أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي.
٩. الأمالي، الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القمي.
١٠. بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي.
١١. البرهان، هاشم بن سليمان البحراني.

- ١٢ . بشارة المصطفى، الشيخ عماد الدين أبو جعفر محمد بن أبي القاسم بن يزديان الطبري.
- ١٣ . بصائر الدرجات، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار.
- ١٤ . البلد الأمين، الشيخ تقي الدين إبراهيم بن علي بن الحسن بن محمد العاملي الكفعمي.
- ١٥ . تحف العقول، ابن شعبة الحرّاني.
- ١٦ . تذكرة الخواص، يوسف بن قزغلي البغدادي السبط ابن الجوزي.
- ١٧ . تفسير أطيّب البيان، السيد عبد الحسين الطيّب.
- ١٨ . تفسير البصائر، آية الله أبي محمد يعسوب الدين رستكار الجوباري.
- ١٩ . تفسير العياشي، محمّد بن مسعود العياشي.
- ٢٠ . تفسير القمي، علي بن إبراهيم بن هاشم القمي.
- ٢١ . التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام، الامام أبي محمّد الحسن بن علي العسكري عليه السلام.
- ٢٢ . تفسير فرات الكوفي، فرات بن إبراهيم الكوفي.
- ٢٣ . تهذيب الأحكام، أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي.
- ٢٤ . التوحيد، الشيخ الصدوق، محمّد بن عليّ بن بابويه القمي.
- ٢٥ . ثواب الأعمال، الشيخ محمد بن علي بن بابويه القمي الصدوق.

٢٦. جامع الأسرار ومنبع الأنوار، السيد حيدر الآملي.
٢٧. جنة العاصمة، السيد محمد حسن ميرجهاني الطباطبائي.
٢٨. الخصال، الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القمي.
٢٩. خطبة البيان لأمر المؤمنين عليه السلام، المنسوبة لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف.
٣٠. الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي.
٣١. دلائل الإمامة، الطبري، الشيخ محمد بن جرير بن رستم الطبري الإمامي الصنغي.
٣٢. رجال الكشي، شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي.
٣٣. روضة الواعظين، الشيخ محمد بن الفتال النيسابوري.
٣٤. رياض الجنان: (مخطوط).
٣٥. السرائر، أبي جعفر محمد بن منصور بن أحمد بن إدريس الحلّي.
٣٦. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي.
٣٧. صحيفة الأبرار، الميرزا محمد تقي الممقاني.
٣٨. الطرائف، السيد رضي الدين علي بن موسى ابن طاووس.
٣٩. علل الشرائع، الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القمي.
٤٠. عوالم العلوم، الشيخ عبدالله البحراني، الشيخ محمد باقر الموحّد

الأبطحي.

٤١. عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القمي.

٤٢. عيون الأخبار، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري.

٤٣. عيون المعجزات، الشيخ حسين بن عبد الوهاب.

٤٤. الغدير، الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني النجفي.

٤٥. الغدير، عبد الحسين الأميني.

٤٦. غرر الحكمة، عبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي.

٤٧. غيبة النعماني، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم النعماني.

٤٨. الفردوس، شيرويه بن شهردار بن شيرويه بن فناخسرو، أبو شجاع الديلمي الهمداني.

٤٩. فروع الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني.

٥٠. الفصول المختارة، أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي الشيخ المفيد.

٥١. الفضائل، أبي الفضل سديد الدين شاذان بن جبرائيل بن إسماعيل.

٥٢. قرب الإسناد، الشيخ أبي العباس عبد الله بن جعفر الحميري.

٥٣. الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني.

٥٤. كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه القمي.

- ٥٥ . كتاب: (سليم بن قيس)، سليم بن قيس الهلالي.
- ٥٦ . كتاب الاقبال، السيد رضي الدين علي بن موسى بن طاووس.
- ٥٧ . كشف الغمّة، علي بن عيسى بهاء الدين الإربلي.
- ٥٨ . كفاية الأثر، الشيخ أبو القاسم علي بن محمد بن علي الخزّاز القمي الرازي.
- ٥٩ . كمال الدين، الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القمي.
- ٦٠ . كنز الفوائد، الشيخ محمّد بن علي الكراجكي الطرابلسي.
- ٦١ . كنز العمّال، المتقي الهندي.
- ٦٢ . اللآلي المصنوعة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي.
- ٦٣ . مجمع البيان، أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي.
- ٦٤ . مجمع النورين، الشيخ أبو الحسن بن محمّد النّجفي الرازي المرندي.
- ٦٥ . المحاسن، المحدث أبي جعفر أحمد بن محمّد بن خالد البرقي.
- ٦٦ . المحتضر، الشيخ عزّ الدّين أبو محمّد الحسن بن سليمان بن محمّد الحليّ.
- ٦٧ . مختصر البصائر، الحسن بن سليمان الحلي.
- ٦٨ . المزار الكبير، الشيخ محمّد بن جعفر المشهدي.
- ٦٩ . مستدرک سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشّاهرودي.
- ٧٠ . مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام، الخطبة الإفتخاريّة، رجب البرسي.

٧١. المصباح، الشيخ تقي الدين إبراهيم بن علي بن الحسن بن محمد العاملي الكفعمي.
٧٢. مصباح الزائر، السيد علي بن موسى بن طاووس.
٧٣. مصباح المتهجد، محمد بن الحسن الطوسي.
٧٤. مصباح الهداية، السيّد روح الله الخميني الموسوي.
٧٥. معارج العُلَى (مخطوط).
٧٦. معاني الأخبار، الشَّيخ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القمي.
٧٧. ملتقى البحرين، وليد سيف.
٧٨. الملهوف، السيد علي بن موسى بن طاووس.
٧٩. من لا يحضره الفقيه، الشَّيخ الصدوق، محمّد بن عليّ بن بابويه القمي.
٨٠. مناقب آل أبي طالب، محمّد بن عليّ بن شهر اشوب.
٨١. ميزان الحكمة، محمّد الريشهري.
٨٢. نهج البلاغة، للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.
٨٣. الهداية الكبرى، حسين بن حمدان الخصيبي.
٨٤. وسائل الشيعة، محمّد بن الحسن الحر العاملي.
٨٥. اليقين في أُمرة أمير المؤمنين، السيّد رضي الدّين عليّ بن موسى بن طاووس.
٨٦. ينابيع المودّة، الشيخ سليمان بن إبراهيم الحنفي القندوزي.



البَابُ الثَّانِي: لسان ومصطلحات المعرفة ونظام اللُّغوي فيها نظام القراءات في النَّصِّ	
الدِّينِي: وفيه :	٩
المسألة: (١ / ١)	١١
[حقيقة الوضع]	١١
[قاعدة: (خذ الغايات واترك المبادئ)]	١١
[خروج في الجملة عن صلب الموضوع]	٨١
[المخلوقات الإلهية المهولة الخطيرة حقائق أهل البيت عليه السلام الصَّاعِدَة]	٨١
[استعمالات حقيقية من دون شائبة تجوُّز]	١٢٣
[اتِّضاح جَمِّ غفير من بيانات الوحي]	١٢٤
[نكتة تأويلات المعصوم عليه السلام لأمثال هذه البيانات]	١٣٥

- [الأدلة المانعة من نشر الحقائق الوحيانية عند غير أهلها] ١٣٦
- [توضيح لمضمون هذا البيان الثالث] ١٣٩
- [خلو المقام وهذه الأبحاث من شائبة الغلو] ١٨٤
- [الإمامة وبقية الأفعال الإلهية على طبقات] ١٨٩
- [أمور يجدر الالتفات إليها] ١٩٣
- الأمر الأول : ١٩٣
- تعصي البعض عن قبول ما ورد في حق أهل البيت عليهم السلام ١٩٣
- الأمر الثاني : ١٩٥
- أعظم ظلمة لأهل البيت عليهم السلام جفوتهم في علومهم ١٩٥
- الأمر الثالث : ١٩٥
- زيادة المعرفة بأهل البيت عليهم السلام ١٩٥
- الأمر الرابع : ١٩٦
- تعظيم المخلوق ١٩٦
- الأمر الخامس : ١٩٦
- التعامل مع معارف أهل البيت عليهم السلام ١٩٦
- الأمر السادس : ٢٠٠

فهرست المحتويات	٤٥٥
نُكْتَةُ عدم استيعاب عقول المخلوقات لشؤون أهل البيت عليه السلام	٢٠٠
الأمر السابع:	٢٠٥
الإصلاح الأكبر يكمن في بث البصيرة	٢٠٥
الأمر الثامن:	٢٠٦
كافة أسباب القوة والقدرة بيد أهل البيت عليه السلام	٢٠٦
الأمر التاسع:	٢٠٦
عدل أهل البيت عليه السلام أحد أسباب قوتهم واقتدارهم	٢٠٦
الأمر العاشر:	٢٠٧
تطهير النفس من شبهة الغلو	٢٠٧
الأمر الحادي عشر:	٢٠٧
الغلو والتقصير أحدهما يستبطن الآخر	٢٠٧
الأمر الثاني عشر:	٢٠٩
عظمة وخطر وهول الرؤية العقائدية	٢٠٩
[رجوع إلى صلب الموضوع]	٢١١
[المعرفة الإلهية الحقّة والتوحيد الحقّ]	٢٢٧
[حقائق التعاريف تكمن في الغايات]	٢٢٨

- [حقيقة ذات سيّد الأنبياء ﷺ بفصلها الأخير] ٢٢٨
- [اتّضح جمٌّ غفير من بيانات الوحي] ٢٣٤
- [فصل حقائق سائر أهل البيت عليه السلام بحرّ وحي لا نهاية له أيضاً] ٢٣٦
- [عصارة ما تقدّم من القول المختار] ٢٣٧
- [تسمية أخرى لقاعدة: (خذ الغايات واترك المبادئ)] ٢٣٨
- [ارتظام إبليس في ورطته نتيجة عدم ملاحظة فصل آدم الأخير] ٢٣٨
- [وقوع الملائكة في ترك الأولى نتيجة عدم ملاحظة فصل آدم الأخير] ٢٤٠
- [الدليل على أحقية القول الثاني وقاعدة: (خذ الغايات واترك المبادئ)] ٢٤١
- [مؤيد] ٢٤٣
- [عصارة القول] ٢٦٧
- [قضايا خمس] ٢٦٧
- القضية الأولى: ٢٦٧
- الفارق بين استعمالات فقه الشريعة وفقه الدين ٢٦٧
- القضية الثانية: ٢٧٤
- لا تلازم في المعارف بين الحقيقة اللغوية والعقلية ٢٧٤
- القضية الثالثة: ٢٧٤

فهرست المحتويات ٤٥٧

السيادة في أبواب المعارف للحقيقة العقلية ٢٧٤

القضية الرابعة: ٢٧٥

الارتياض في اقتناص غاية المعنى ٢٧٥

القضية الخامسة: ٢٧٥

الاعتبار وغفلة الحقيقة ٢٧٥

المسألة: (١١ / ٢) ٢٨٩

[حقيقة الحرف وخطورته] ٢٨٩

[رجوع حقيقة جملة الأسماء والصفات الإلهية إلى حرف فارد] ٢٩٦

[خروج في الجملة عن صلب الموضوع] ٢٩٧

[طبقات حقائق أهل البيت عليه السلام صفات وأسماء إلهية] ٣٠٧

[تفصيل وتوضيح أكثر لما تقدم] ٣٠٨

المقدمة الأولى: ٣٠٨

أول المخلوقات وأشرفها حقائق أهل البيت عليه السلام الصاعدة ٣٠٨

المقدمة الثانية: ٣١٩

الصفات والأسماء الإلهية لمخلوقات إلهية ٣١٩

المقدمة الثالثة: ٣٢٠

طبقات حقائق أهل البيت ﷺ الصاعدة صفات وأسماء إلهية ٣٢٠

المقدمة الرابعة: ٣٦٤

رأس هرم حقائق أهل البيت ﷺ الصاعدة فوق الصفات والأسماء الحسنى ٣٦٤

[نكتة توقّف المخلوق في قبول مقامات وكمالات أهل البيت ﷺ] ٣٦٦

المقدمة الخامسة: ٣٧٢

تجلي الصفات والأسماء الإلهية في حقائق أهل البيت ﷺ ٣٧٢

[خلط الملائكة بين الذات المقدسة وحقائق أهل البيت ﷺ الصاعدة] ٣٨٥

[خلو المقام وهذه الأبحاث من شائبة الغلو] ٣٨٨

[الإمامة وسائر الأفعال الإلهية على طبقات] ٣٩٣

[نكتة عدم استيعاب عقول المخلوقات لشؤون أهل البيت ﷺ] ٣٩٤

[حيولة أهل البيت ﷺ من نشر علومهم عند من لا يتحملها] ٣٩٦

[طبقات تحمل علوم ومعارف أهل البيت ﷺ] ٣٩٩

[نكتة ابتلاء بعض الأنبياء ﷺ] ٤٠١

[مقامات كمل المخلوقات لا تعطى إلا بقدر معرفتهم بأهل البيت ﷺ] ٤٠٥

المقدمة السادسة: ٤١٠

٤٥٩	فهرست المحتويات
٤١٠	هيمنة المخلوق المتقدم وعلو كمالاته
٤١٢	المقدمة السابعة :
٤١٢	أنواع الإحاطة
٤١٨	[أحد تفاسير بيان أمير المؤمنين عليه السلام : « أنا النقطة التي تحت الباء »]
٤١٩	المقدمة الثامنة :
٤١٩	غائية الخالق (ﷻ) تختلف عن غائية المخلوق
٤٢٦	[تفسير آخر لبيان أمير المؤمنين عليه السلام المتقدم]
٤٣٧	[خاتمة]
٤٣٧	القضية الأولى :
٤٣٧	طبقات حقائق أهل البيت عليه السلام علل غائية
٤٤١	القضية الثانية :
٤٤١	خارطة جملة عوالم الخلقة برسم وتخطيط أهل البيت عليه السلام
٤٤٧	فهرست المصادر
٤٥٣	فهرست المحتويات



